معالم التاريخ اليونانى القديم
الجزء الأول

دكتور إبراهيم عبد العزيز جندى
كلية الآداب - جامعة عين شمس

الطبعة الأولى

القاهرة
١٩٨٨ - ١٩٩٩
الناشر
المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات

معالم التاريخ اليونانى القديم

الجزء الأول

دكتور إبراهيم عبد العزيز جندى
كلية الآداب جامعة عين شمس

١٩٩٨-١٩٩٩
الناشر
المكتب المصرى لتوزيع المطبوعات
٥ ش مصطفى طموم - المنيل - القاهرة
ت : ٣٦٥٥٤٨٧
رقم الإيداع ٩٨/١٤٢٧٢
الترقيم الدولى 1 - 15 - 5841 - 977



إلى رفيقة حياتي، إلى من كانت لي دافعاً

للنجاح . . . إلى زوجتي الغالية

تمهيد

مدلول : يونانى ، إغريقى ، هيلينى :

يطلق المؤرخون هذه الكلمات بمعنى واحد بلا اختلاف على هـــذا الشــعب اليوناني القديم منذ بداية عصوره التاريخية ، فأي الألفاظ أقرب إلى الدقة والحقيقة ؟ أهو (التاريخ اليوناني) أم (التاريخ الإغريقي) أم (التاريخ الهليني) ؟ وما التسمية التى سمى بها اهل البلاد أنفسهم ؟

لم تُعرف بلاد اليونان بأى تسمية من هذه التسميات في عصورها الســحيقة ، وأول مصدر أدبي يطالعنا بأسماء لهذا الشعب هو الشاعر الملحمـــي هومـــيروس ، والذي قدم لنا أربع تسميات لشعبه ، ثلاث منها لا تشمل كل بلاد اليونان وهي :-

أولا:- الآخيون Achaeoi نسبة إلى منطقة في إقليم تســاليا عرفــت باســم آخيــا Achaia أو إفثيا Phthia أو اخيايا إفثيوتيس Achaia Phthiotes ، وهـــذه التسمية أكثر تسمياته الأربعة شيوعاً وترينا النصوص أنها عرفت طريقـــها للشعوب المجاورة مع تحويرها وفقا للسان كل أمة ، إذ أســـماهم الحيثيــون الأحياوين أو الأهياوين Ahhawoi وقد ورد ذكر هذه التسمية فـــي عشــرين لوحا تم العثور عليها في بوغاز كوي Boghaz Kaui ، ويــرى العلمــاء أن هذه التسمية هي طريقة الحيثيين في كتابة Akhaiwoi (الآخيين). الذين كـانوا شعبا له السيادة في بلاد اليونان . كما نجد أن المصريين قد أطلقــوا عليــهم تسمية الأكيوشا Akawosha أو Ekwesh وقد حاول بعض العلماء مساواتهم بالآخيين السالفي الذكر في الألواح الحيثية ، وفي الواقع فـــإن تــاريخ هــذه التسميات أقدم من رواية هوميروس .

ثانيا :- الأرجيون نسبة إلى مدينة أرجوس ، وهي إحدى مدن إقليم أرجوليس في شبه جزيرة البوبونيز ، ويطلق عليهم أحيانا الدانائيين نسبة إلى دناؤس وقد وردت هذه التسمية مع تحوير في النصوص المصرية وهي Denyen وسوف نتحدث عنهم فيما بعد .

ثالثا :- يطلق اسم هيلاس Hellas على المنطقة الواقعة حول خليج ماليا عند الحدود الفاصلة بين وسط بلاد اليونان وشمالها .

رابعا :- يذكر مرة واحدة البانهلينيين Panhellenes وهذا المصطلح يعني اتحاد الهلينيين ، ومنذ أوائل القرن السابع قبل الميلاد فقد أطلقت تسمية الهلينيين على كل شعب تلك البلاد ، وقد استخدم هذه التسمية الشاعران أرخيلوخوس وهيسيود ، ومنذ هذا التاريخ وربما قبله أصبح أهل تلك البلاد يطلقون على أنفسهم هلينيين ويفخرون بأنهم هيلينيون . ويشير بعض الكتاب القدامى إلى أن تسمية Hellenes مأخوذة من اسم شخص هو هيلين بن ديوكالون ، جد اليونان الأكبر جميعا في رواياتهم الأسطورية ، بيد أن البعض الأخر يرى أن هذا تأويل اجتهادي يهدف إلى تأكيد أن اليونان أمة واحدة منحدرة من عرق واحد ، وأن أصل الاشتقاق من اسم قبيلة هيلوس التى كانت تشرف على أقدم معابد زيوس في دودانا ، ولاندري لماذا فضل كتاب اليونان القدامى استخدام اسم الهلنيين على استخدام الآخيين Achaeoi .

أما عن اسم الإغريق Graeci فهو اسم أضفاه الرومان والشعوب الإيطالية عليهم واشتهروا به بعد ذلك في كل أوربا ، وهذا االإسم يعد نسبة إلى جماعة Graioi وكانت تقطن في إقليم بويوتيا ببلاد اليونان الأم ، وهذه الجماعة كانت قد شاركت في تأسيس مدينة كيمي Kume على الساحل الغربي لإيطاليا ، وهي أقدم

المستعمرات اليونانية هناك (٧٥٠ – ٧٢٥ ق.م) ، ولم يلبث الرومــان أن أطلقــوا على جميع سكان تلك المستوطنة والمستوطنات الأخرى بجنوب إيطاليا وصقلية اسم بلاد اليونان العظمى Magma Graecia ومن اللفظة اللاتينيــة جـاءت تسـميات اليونان في اللغة الأوربية الحديثة مثــل Greeks فــي الانجليزيــة و Grecs فــي الفرنسية و Griechisch في الألمانية ...إلخ .

أما عن لفظة يونان فهي تحوير للفظ (أيونييـــن) Iones وكــان الأيونيــون يعرفون في اللغة اليونانية العتيقة باسم يــاؤنيين Iaones فقــد وردت فــي ألــواح المجموعة الخطية الثانية (linear 8) Ia-wo-ne كمــا ورد هــذا الاســم عنــد هوميروس مرة واحدة وإن كان يظن أنه مقحم على البيت الوارد فيه . ولكــن فــي ضوء ذكره المجموعة الخطية الثانية السالفة فإنه يرجح أنه من النص الأصلي وليس مقحما على النص .

وكان الأيونيون أول هلينيين احتكت بهم الممالك الشرقية المجــاورة ، فقــد اطلقت شعوب هذه الممالك اسم ياؤنيين مع تحوير يتفق وطبيعة لسان ولغة كل أمــة من هذه الأمم ، وصار ينطق تارة يفاني Yavani كما ورد ذكرهم في التــوراة) (Yawan وأسماهم الأشوريين Yawan و Yaman والفرس Yavna والمصرييــن في الخط الديموطيقي Wynn ، ولعل الاسم المحور (يونان) قد ظهر أولا في قبرص صاحبة الصلات الوثيقة مع أوجاريت (رأس شمرة) علــى الســاحل الســوري ، وكانت أسبق من مدن أيونيا ذاتها في إقامة صلات مع هذه المنطقة .

مما سبق عرضه نجد أن أكثر من تسمية أطلقت على هذا الشعب بفروعــه ومناطقه الجغرافية ، وأدق هذه التسميات هي الهلينيون لأن كتاب هــذا الشــعب ومفكريه قد استعملوها للدلالة على الشعب كله ، اما تسمية يونان ، وإغريق فقــد

أطلقتها أمم أخرى على فروع هذا الشعب وعممت التسمية على كل الشعب اليوناني . وعلى الرغم من الأصالة الظاهرة فى لفظ هليني فإنه الأقل شيوعا فى لغتنا العربية ، أما لفظ يونانى فهو الاسم المستخدم عند الأكثرية من العرب وبه نأخذ في هذه الدراسة .

عندما ندرس التاريخ اليوناني فإننا لاندرس تاريخ دولة واحدة تشمل كل بلاد اليونان وإنما ندرس تاريخ دويلات أو مدن دول عديدة في العالم اليوناني ، قد عرف بعضها الوحدة المؤقتة في القرن الثالث عشر ق.م ولكنها كانت وحدة مفككة وهشة تحت قيادة الملك أجا ممنون ، وأنه لأدق أن نقول أنه حلف بين ممالك العالم الموكيني نشأ لظروف معينة سنذكرها فيما بعد . وإذا كانت بعض المدن الدول قد بذلت محاولات لتحقيق الوحدة بين اليونان فإن محاولاتها قد باءت بالفشل الذريع ، ولم يتيسر لليونانيين الاتحاد مرة أخرى حتى نجح فيليب المقدوني في توحيدهم وضمهم عنوة لمملكة مقدونيا ثم قادهم ابنه الإسكندر الأكبر في القضاء على الإمبراطورية الفارسية وإن كانت بلاد اليونان قد تفككت عرى وحدتها بعد موت الإسكندر وتكونت بها أحلاف يصارع بعضها بعضا حتى نجحت روما في توحيدها وضمها للجمهورية الرومانية سنة ١٤٦ ق.م.

ويتبادر إلى ذهن الدارس السؤال التالي : لماذا لم تعرف بلاد اليونان الوحدة السياسية بين أقاليمها لفترة طويلة من الزمن ؟

نقول إن الطبيعة الجغرافية لبلاد اليونان ولظروف تاريخية بعينها قد فرضت على المناطق المختلفة من بلاد اليونان الانعزالية والانفصالية عن بعضها البعض ، فقد اقتضت تلك الطبيعة أن يعيش الناس في وديان يفصلها عن بعضها البعض الجبال من جهة والبحار من جهة أخرى ، أو نجاد لها قليل من المنافذ على العالم

الخارجي أو في جزيرة كانت تتمتع بالاستقلال ، ولما كانت تلك الأصقاع منفصلة بعضها عن بعض ، متكاملة بذاتها ومحصنة ضد أية سيطرة خارجية فإن كل منطقة منها طورت لها حياة وعادات خاصة بها واعتداد بالنفس له طابعه المحلي وأمام هذه الأمور التى صارت متأصلة في حياة الناس والجماعات ، فقد تكونت مئات المدن الدول ، لكل منها قانونها الخاص بها ودستورها الخاص وحكومتها الخاصة وشخصيتها المحلية المستقلة وقد كان هذا كافيا دون اندماج دويلة في دويلة أخرى، ولعل هذه الدويلات كانت بين الفينة والفينة تقع تحت سلطان جيران ذوي بأس شديد أو ترغم على الاتحاد قسرا مع بعضها البعض ولكنها كانت تبقى على قدر من استقلالها وكثير من مؤسساتها السياسية والتنفيذية وفي ضوء هذا فإننا سندرس السمات العامة والمشتركة بين المدن الدول وإن كنا سنركز حديثنا على مدينتين اعترفت الدول المدن اليونانية المعاصرة لهما بأهميتهما في العصر الكلاسيكي وهما مدينة أثينا ومدينة اسبرطة . فعندما يتكلم أغلب الناس هذه الأيام عن بلاد اليونان فإنهم يخصون بالعناية أثينا وربما اسبرطة لأننا نعرف الكثير عنهما ، هذا من جهة ومن جهة أخرى فكل من المدينتين قد مرت بتطورات سياسية واقتصادية واجتماعية تختلف عن تلك التى مرت بها الأخرى كل وفق ظروفها الخاصة . لقد مرت أثينا بتطورات متتالية في نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ابتداءً من العصر العتيق انتهاءً بالعصر الكلاسيكي ، إذ نجدها قد مرت بكل أشكال نظم الحكم من ملكية أوليجرخية إلى أرستقراطية إلى تيموقراطية ، حكم الطغاة ، ديمقراطية وأخيراً ديماجوجية .

أما عن اسبرطة فقد ظلت تحت الحكم الملكي المحافظ مع تعديلات في هياكلها التنفيذية والدستورية بما يتلاءم مع ظروفها وأحوالها ، بحيث نجد أنفسنا أمام نظم متداخلة مع بعضها البعض – ملكية ، أوليجرخية ، أرستقراطية ، ديمقراطية –

من هنا تأتي أهمية دراسة المدينتين . وجدير بالتنويه أن المدن الدول اليونانية الأخرى قد طبقت كل منها النظم التى تلائمها فكانت تغيرها وتعدلها وتطورها وفقا لظروفها ، وإذا ما نظر المرء لخريطة بلاد اليونان السياسية سيجد كل النظم السالفة الذكر متعاصرة مع بعضها البعض فبينما نجد دولة حكومتها ملكية نجد أخرى أوليجرخية أو أرستقراطية أو تيموقراطية ...إلخ وإذا وجدت نظم الحكم واحدة في أكثر من مدينة دولة فإننا نجد اختلافات في الدساتير والسلطات التنفيذية وقوانينها ... إلخ .

التأثيرات المتبادلة بين الحضارة اليونانية والحضارات الشرقية القديمة

أن التاريخ والحضارة اليونانية لهما أهمية قصوى للدارسين والمفكرين العرب نظرا للتأثير والتأثر بين حضارتنا القديمة والحضارة اليونانية ، إذ كانت هناك علاقات مباشرة بين بعض مواطن الحضارة في الوطن العربي وبين حضارة العالم اليوناني، ومن هذه المواطن نذكر مراكز الحضارة على الساحل السوري ، ومراكز الحضارة في بلاد الرافدين ، ومصر ، وحضارة وادى النيل ، وأخيرا العلاقات اليونانية القرطاجية في غرب البحر المتوسط .

وقد بدأت العلاقات اليونانية المباشرة مع شبه الجزيرة العربية والخليج العربي في العصر الهلينستي وإن كانت قد وجدت قبل ذلك على نطاق ضيق وبصورة غير مباشرة ، كما نجد أن اليونان أقاموا علاقات مباشرة مع الدولة الفارسية ، وهذه الحضارات المختلفة أثرت في الحضارة اليونانية وتأثرت بها واستمر الانصهار الحضاري بين تلك الحضارات بل زادت قوته في العصر الهلينستي والعصر الروماني إلى أن أتى الفتح العربي وانتشر الإسلام الذى رفع لواء وراية الحضارة عاليا خفاقا بعد أن استوعبها وهضمها وأضاف إليها ، وصارت معارفنا وعلومنا العربية هدف طالبي العلم من بقاع شتى . وقد دار جدل

بين الباحثين من الأسبق في التأثير في الآخر ؟

يرى نفر من الباحثين (مؤرخين ، فلاسفة ، أدباء) ان الحضارة اليونانية كانت فريدة في ذاتها أصيلة في نشأتها ، بل أطلقوا عليها المعجزة اليونانية التى يتضاءل إلى جانبها ما قدمته حضارات الشرق القديم جميعها ، إذ يقول المؤرخ كتيو : (بينما كانت حضارات الشرق التى سبقت حضارة اليونان ذات كفاية بالغة في الأمور العملية ، وكانت أحيانا لا تقل في فنها عن اليونان إلا أنها كانت جدباء من الناحية العقلية ، لقد مارس ملايين الناس الحياة وخبروها قبل اليونان فماذا فعلوا بها ؟ لا شئ لقد ماتت خبرة كل جيل بانتهائه . إن اليونان هم الذين ابتكروا الأدب بكل صوره – ما عدا القصة – وأوصلوه إلى حد الكمال ، إن شعر الملاحم والتاريخ والمسرحية والفلسفة بكل فروعها بما في ذلك ما بعد الطبيعة ، والاقتصاد والرياضيات وكثير من العلوم الطبيعية كلها تبدأ باليونان [1] .

ويقول برتراند راسل (إنه لمن المدهش حقا ذلك الظهور المفاجئ للحضارة في بلاد اليونان ، فكثير من مقومات هذه الحضارة كان قائما منذ آلاف السنين في مصر ، أو بلاد الرافدين ، ثم تنتشر في البلاد المجاورة ، لكن عناصر ظلت .تنقص تلك الحضارات حتى زودها بها اليونان ، إن ما ابتكروه في الفن والأدب يعد شيئا عاديا ، أما في المجال العقلي فشئ غير عادي ، لقد ابتكروا الرياضيات والعلم والفلسفة ،وهم أول من كتبوا التاريخ لا كمجرد حوليات ، بل تأملوا بحرية فكر في طبيعة العالم ونهاية الحياة دون أن يتقيدوا بسلطة موروثة ، فما حدث كان مثيرا للدهشة وحتى العصر الحديث لازال هناك من يتحدث عن العبقرية اليونانية كما لو

---

(١) كيتو ، الإغريق ، ترجمة عبد الرازق يسري ، القاهرة ، ص ٣-٤ .

كانت معجزة)[١].

ويذكر الشاعر شيلي أن الفترة الواقعة بين مولد بيركليس وموت أرسطو تعد بلا شك اهم فترة في تاريخ العالم كله ، سواء نظرنا إليها من حيث هي في ذاتها أم من حيث أثرها في مصائر الإنسان المتحضر [٢].

ويضيف ول ديورنت قائلا ومؤكدا على فضل اليونان على الحضارة الغربية المعاصرة : (إننا لانكاد نجد شيئا في ثقافتنا الدنيوية - اللهم إلا الاتنا - لسنا مدينين به لليونان ، فالألفاظ الإنجليزية الدالة على المدارس والملاعب والحساب والهندسة والتاريخ والبلاغة وعلوم الطبيعة والأحياء والتشريح والفلسفة والدين كل هذه الألفاظ يونانية لصور من الثقافة لم ننشئها نحن إنشاء بل نضجت وترعرت - خيرا كان ذلك أم شرا - بفضل الحضارة اليونانية العظيمة)[٣].

ويسأل توماس هيث نفسة قائلا : ما هو الاستعداد الخاص الذى توفر عند اليونان للرياضيات ؟ ويبادر دون تردد في الإجابة على سؤاله قائلا : إن عبقريتهم في الرياضيات ، لم تكن سوى جانب من عبقريتهم في الفلسفة ، فقد فاق اليونان كافة الأمم القديمة في شدة حبهم للمعرفة من أجل المعرفة ذاتها ، يضاف إلى ذلك حقيقة أخرى أكثر أهمية من شغفهم بالمعرفة وهي أن اليونان كانوا قوما مفكرين [٤].

.ويقرر المؤرخ أرنول ريمون (Arinold Rymod) : إذا ما قورن العلم اليوناني بالمعرفة التجريبية والجزئية التى جمعها أقوام الشرق قاطبة بعد جهود شاقة استغرقت قرون طويلة ، فإنه يعد معجزة حقة . هنا أدرك العقل البشري لأول مرة

---

(1) I.B Russell , History of western phliosophy . p 21 .

(٢) ول . ديورنت ، قصة الحضارة ، مج٢ ، ج٢ ، ص٦ .

(٣) نفسة ، مج ٢ ، ج ١ ، ص ١-٢ .

(4) T. Heath . Greek Mathemitics , Oxford , 1921 , vol . pp. 3-6 .

إمكان وضع عدد محدود من القواعد التى يمكن أن يستخلص منها عدد من الحقائق التى تعتبر نتائج قاطعة لها [1].

نكتفي بهذا القدر من الآراء التى تعبر عن نماذج للمبالغة الكبيرة في تعظيم وإعلاء شأن الحضارة اليونانية مع غيرها من حضارات ، ولعل السبب في ذلك أنها الحضارة الأم بالنسبة للحضارة الغربية الحديثة ، وإذا كان هناك نفر من الباحثين قد بالغ في قيمة الحضارة اليونانية ، فإن لدينا نفرا اخر نظر بموضوعية لتلك الحضارة وأرجع الكثير من أصولها إلى أصحاب الفضل من أمم وحضارات الشرق القديم وهؤلاء على حق فيما فعلوه ، وينبغي أن ننوه إلى أن كتاب العصور اليونانية والهلنيسنية والرومانية قد شهدوا بما نقله اليونان من تراث وحضارة الشرق وأقروا بفضل الحضارات الشرقية كما ينبغي علينا أن نذكر في هذا المقام أن الكثيرين ممن تعصبوا للحضارة اليونانية في مقارنتهم لها بالحضارة الشرقية قد أقروا بما قدمه الشرق من فكر وحضارة للإنسانية ، وسنحاول في عرضنا الآتي أن نبين ما أثبتته الكتاب المفكرون القدامى من فضل الشرق وما نهله اليونان الأقدمون من علومها ومعارفها . إذ تذكر لنا الروايات عن الزيارات التى قام بها كبار المفكرين اليونانيين لمراكز الحضارة في الشرق ومن بين هؤلاء طاليس ، وفيثاغورس ، وصولون ، وأفلاطون ، وديموقريطس ، وهيردوت ، ويودكسوس ، ولوكورجوس ..إلخ .

فقد رحل طاليس إلى مصر حيث اجتذب اهتمامه الآراء الفلكية والرياضة بها فتعلم هناك دورة الكسوف المتعاقبة وتعلم أيضا طائفة من الحقائق الهندسية التى اعتمد عليها في صياغة فكره الهندسي وكما يقال فقد استفاد من النظرية المصرية عن أصل الوجود وهي الماء في صياغة نظريته عن أن الماء هو أصل كل شئ .

---

(١) بنيامين فارنين : العلم الإغريقي ، ترجمة أحمد شكري سالم ، القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص٧ .

وقد روى كل من أرستوكسينوس التارنتي ويامبليخوس أن فيثاغورس قد رحل إلى ملطية حيث عرفه طاليس وأدرك عبقريته وعلمه كل ما يعرفه ثم زار بعد ذلك فينيقيا ، حيث مكث بها زمنا يكفي لأن يتعلم طقوس السوريين وهناك قويت رغبته في الرحيل إلى مصر التى كانت تعد حينذاك مهد التعاليم المضنون بها ، فانتقل إليها ومكث بها مالا يقل عن إثنى عشر عاما يدرس الهندسة والفلك والأسرار الكهنوتية ، وبعد أن غزا قمبيز مصر عام ٥٢٥ ق.م رحل ومعه فيثاغورس إلى بابل وأنفق هناك إثنى عشر عاما أخرى يدرس الحساب والموسيقى وتعاليم أخرى للمجوس ثم عاد إلى ساموس وهو في الخامسة والستين من العمر .

ويقول بلوتارخ وبعد أن سن صولون تشريعاته واعتزل العمل السياسي ورحل إلى الشرق فاتجه إلى مصر حيث أقام كما يقال زمنا طويلا على ناحية من النيل بالقرب من شاطئ كانوب وكان يكثر في المحادثات الفلسفية مع تسانوفينس من عين شمس وسونيس الصاوي أكبر علماء الكهنة ، كما نجد في رواية افلاطون والتى أوردها في محاورته تيمايوس حديثا دار بين صولون وكاهن مصري أدركته السن العالية ، قال كاهن صا الحجر sais : يا صولون أنتم معشر اليونان لاتزالون أبد الدهر أطفالا ، لا وجود لشيخ يوناني ، فلما سمع صولون هذا قال ماذا تعني بقولك هذا ؟ فأجاب الكاهن أن روح كل منكم روح شابة ، إذ ليس في قلوبكم معتقد واحد قديم أو مستمر من تقليد قديم ، بل ليس لديكم علم واحد عريق القدم . وأخذ يشرح له بلطف ووداعة ما يتحلى به المجتمع المصري من مزايا جميلة ، ويفسر له تشعب المجتمع المصري إلى طوائف ونحو ذلك ، فدهش صولون [١].

أما عن أفلاطون فقد ارتحل إلى مصر على شكل تاجر معه شحنة من الزيت

---

(1) Timaios : 55-56

الذى استخرجه من زيتون ضيعته . وهنا في مصر باع ما كان معـه فـي مدينـة نقراطنيس وقد ورد في معرض محاوراته ذكر مصر وما كان يكنه لها من تقدير واحترام ، ففي محاورة فيدروس يقول سقراط : سمعت أنه كان في نوكراتيس مـن أرض مصر إله من الآلهة القدماء في تلك البلاد ، وهو الذى كان طـائره المقـدس يسمى أيبس واسم ذلك الإله نفسه تحوت هو الذى اخترع الأعداد والحساب والهندسة والفلك والرسم واللعب بفصوص النرد ، واهم من ذلك كله أنه هو الـذى اخـترع رموز الكتابة ويذكر أن الإله تحوت قال لملك مصر : إن هذا الإختراع ، أيها الملك سيؤتي المصريون من الحكمة فوق ما لهم ، وسيجعل ذاكرتهم خيرا مما هي عليه ، لأن الذى اخترعته أكسير الذاكرة والحكمة ولكن لم يقتنع بذلك ، وخشي أن يـؤدي اختراع الكتابة إلى إفساد الذاكرة بدلا من أن يؤدي إلى تقدمها ، كما أشفق مـن أن يقرأ الناس من غير أن يعقلوا ما يقرأون [١] ، كما أنه قد ذكرها في محاورة تيمايوس التى سبق أن ذكرناها عند الحديث عن صولون ، ويذكر هنا فيها أيضـا أن أثينـا أسسها كيكروبس[٢] المصري من سايس في غرب الدلتا ويقر أن نيت إلهة المدينـة هي نفسها أثينا [٣]. وفي مكان اخر نجده يمتدح الفن المصري والموسيقى ويذكر أن الإغريق قد تبنوا هذه الفنون [٤]. وفي الإبينبموس نجده يقول : للعدد أهمية بالغـة ، وأبلغ ما تكون في الحركات المنتظمة للأجرام السماوية من نجوم وشـمس وقمـر وكواكب والمجسمات المنتظمة أعدال العناصر الخمسة ، والعنصر الخـامس هـو الأثير ، والروح أقدم من الجسد وأكثر منه قدسية ، والنظام عدل العقل، والفوضـى

---

(1) Phaidras iv 274 D .

(٢) انظر عبد المعطى شعراوى ، ص٢٠ .

(3) Herd . II 21, 62 ,Temaios 21 E , Bernal . Plack . Athena , 1987 . pp . 78-90

(4) Davis , plrto in Egypt . JEA . 1979, pp. 121-127 .

عدل اللاعقل والنظام الأعظم للحركات السماوية يمثل العقل الأسمى ، والكواكب أرباب لا محالة ، لقد عرف هذا المصريون والسريان (يعني البابليين) من آلاف السنين ، وعلينا أن نتقبل معلوماتهم ودياناتهم بعد تهذيبها ، مع الإبقاء على ما يليق بالأرباب الأقدمين من الحرمة تمشيا مع التقاليد وجلالها . ويجب أن تكون عبادة الأجرام السماوية وهي الأرباب المرئية ديانة الدولة وهذه الديانة تمد الإغريق بفكرة الوحدانية فضلا عن إمدادهم برابطة شاملة غير مادية [١].

وقد شكك معاصرو أفلاطون في أن جمهوريته تستند إلى أصل مصري وأنه ليس مؤلفها وإنما نسخها من الدساتير المصرية وسار على هذا الرأي نفر من الباحثين المحدثين إذ يقول كارل ماركس إن جمهورية أفلاطون فيما يخص تقسيم العمل كمكون أساسي للدولة هو فقط نموذج أثيني للنظام المصري .

والمطالع للجمهورية سيجد أن أفلاطون تأثر واستعار أفكاراً شرقية ، إما بصورة مباشرة أو غير مباشرة من خلال تلامذته ومحبيه المجوس والكلدانيين فذكره للأسطورة إر Er البامفيلية ترجع إلى أصل كلداني إيراني [٢].

وأسطورة ولادة الأرض للناس تعد في النص نوع من القصص الفينيقي وشأنها في ذلك شأن رواية كرلوس[٣] . كما نجد اراءه (المثنوية) وهي (المثل الكامنة) في محاوراته الأخيرة فلعلها مستقاه من الديانة الإيرانية فقد ورد اسم زرادشت المجوسي في محاورة الكبياديس[٤] ، ويرى البعض أن هناك وجوه شبه

---

(١) سارتون ، نفسه ، ج٣ ، ص ٩٩-١٠٠ .

(2) Republic , x 616 .

(3) Republic . III . 414 .

(4) Alcibiades , I , 121A-122A .

كثيرة بين الفلسفة الأفلاطونية من ناحية وفلســـفة الســـامكايا Samakhya وفيدانتـــا Vedanta الهندية[١] .

ويقول ديموقراتيس الأبادري لقد طفت معظم أرض كل ملك من الملوك فـــي زماني ، باحثا أقصى الأنحاء ، ورأيت معظم الأجواء والبلاد ، وسمعت من العلماء الكثيرين ، ولم يفقن أحد فيما كتبت ، ولم يفقن فـــي بيـــان الـــبراهين أحـــد حتـــى المصريون الذين يسمون مادي الحبال وهم الذين عشت معهم جميعا غريبـــا حتـــى بلغت الثمانين[٢].

وممن رحلوا أيضا إلى مصر والشرق هيردوت الذى أفرد لها كتابا من مؤلفه عن الحروب الفارسية إذ نجده يشرح فيه انتقال العلوم والمعارف المصرية إلى بلاد اليونان ، فعندما يتحدث عن اختراع علم الهندسة وانتقاله إلى بلاد اليونـــــان نجـــده يقـــول : ثم إن هذا الملك (على ما قيل) قسم البلاد بين المصريين جميعـــا بـــأن

---

(1) R. Reilzenstien H.H schaeder , studien zum antiken synkretismus aus Ilan , lips 1926 p 235 . Jaseph Bidez & Franz Cumont , les mages hellenises , Paris , 1938 , Simon Petrement , le dualisme chez Platon , les Gnvoltques et les Manicheens , Paris , 1947 , pp. 354 , Franz Cumont , dux Perpetua , Paris , 1949 , pp. 558 .

(2) T. Heath , Op. cit , p. 122

في الواقع أنه كان من أسرة ميسورة الحال فبعد وفاه والده قرر أن ينفق تركته الضخمـــة على البحث والدراسة في الخارج . ولم يكن هذا بدعا في اليونان ، فقد ســـبقه فـــي هـــذا فلاسفة وشعراء وأطباء ، فمنهم من طاف في بلاد اليونان والمناطق الناطقة باليونانيـــة ، ومنهم من جذبه سحر الشرق وأسراره فقرروا السفر والترحال طلبا للعلم والمعرفة فيـــه ، ومن بين هؤلاء كاد ديموكرتيس الذى سافر إلى مصر واستقر بها خمس ســـنوات يـــدرس الرياضيات وبلغ مروى ، ثم بعد ذلك سافر إلى بلاد الكلدان ووصل إلى بابل ومنها إلـــى فارس ولعله وصل إلى الهند ولم يكن في ترحاله وتجواله سائحا متفرجا ولا تاجرا ، إنمـــا كان طالب علم وفيلسوف باحث عن الحكمة والمعرفة .

أعطى كل واحد منهم قطعة مربعة من الأرض تساوي ما أعطاه للآخر ، وجعل ذلك مصدر دخله ، بأن حدد ضريبة تدفع كل عام وكان إذا طغى فيضان النهر وغمر جزءً من أرض أحدهم ذهب إلى سيزوستريس وأخبره بما أصابه ، فيبعث الملك رجالاً ليروا الأرض ويقسموا المساحة التى نقصت كي تدفع الضريبة المحددة على قدر ما أصاب صاحب الأرض من خسارة .. ومن هنا أرى أن اليونان تعلموا فن تقدير مساحة الأرض ، أما الساعة الشمسية والمزولة وقسمة النهار إلى اثنى عشر قسما فجاءت اليونان من بابل لا من مصر(١).

وإذا كان قد ذكر فضل مصر وبابل في مجال الهندسة والفلك فإنه فيما يضيف ما قدمته مصر من فضل لليونان في مجال الديانة فيذكر أن بنات دناؤس قد قمن بتأسيس معبد للآلهة أثينا في لندوس بجزيرة رودس وكان ذلك أثناء هروبهن من أبناء عمهن أيجبتوس(٢). وفي موضع آخر يقرر أن بنات دناؤس قد أدخلن الاحتفالات والشعائر السرية للإلهة ديميتر وهذه الشعائر قد جلبنها من مصر وعلمن نساء البلاسجين إياها (٣)، ويضيف في مقام اخر أنه لدينا فكرة عن أن ميلامبوس Melampous قد أدخل عبادة ديونيسوس إلى بلاد اليونان مع الأضاحى لتكريمه وهذا من ضمن أشياء كان قد تعلمها في مصر . ويضيف قائلا إن أسماء الآلهة كلها أتت من مصر وتم اقتباسها من قبل اليونانيين فيقول : أنه تم اخباري في دودنا أن البلاسيجيين قد قدموا القرابين من كل نوع وابتهلوا للآلهة ولكن دون تمييز للاسم أو اللقب لأنهم لم يكونوا قد سمعوا بمثل هذه الأمور . فقد سموا الآلهة Theoi (المخلصين) وبعد فترة طويلة فقد أتت أسماء الآلهة إلى بلاد اليونان من مصر .

---

(1) Herd . II . 109 .

(2) Herd . II . 182 .

(3) Herd . II . 171 .

وأن البلاسيجيين قد تعلموها ، ثم بمرور الوقت أرسلوا إلى دودنا يسألون النصيحة حول ملائمة تبني الأسماء التى أتت إلى الوطن من الخارج وكانت إجابة النبوءة انه من المناسب استخدامها . ومنذ ذلك الوقت فصاعدا فقد استخدم البلاسيجيون أسماء الآلهة عند تقديمهم للأضاحي ، ومن البلاسيجيين انتقلت أسماء الآلهة إلى الإغريق[1]. وفي موضع اخر يذكر أن هناك أصولا مصرية وليبية لنبوءة دودنا في إيبروس Iperus، ويعتمد في هذا على تقارير الكاهنات هناك والكهنة المصريين في طيبة المدينة المصرية [2].

وإذا كان قد ذكر فضل مصر وبلاد الرافدين فإنه يذكر فضل الفينيقيين على اليونان إذ يقرر أن كادموس بن إجينور قد نزل فيها (ثيرا) عندما كان يبحث عن أوربا [3]، وأن الفينيقيين الذين أتوا مع كادموس أدخلوا إلى بلاد اليونان بعد استقرارهم في هذا البلد عدداً من الأمور أهمها الأبجدية الفينيقية ، وهذا الفن الذى لم يكن معروفاً حتى هذا الزمان [4].

وممن زاروا مصر أيضا يودكسوس الكندي وهو من تلامذة أفلاطون ، مع الطبيب خريسبوس الكندي حاملا خطاب توصية من الملك أجسيلاوس إلى الفرعون نتحتانابيس (نحت-حار-حبي) أول ملوك الأسرة السمنودية (٣٧٨-٣٥٠) وأوصى هذا الفرعون الكهنة به (وهم أرباب العلم في مصر) وبقي في مصر ستة عشر شهرا تعود فيها على عادات المصريين مضيفيه فحلق لحيته وحاجبيه ، ويذكر فافورنيوس (من عهد هادريان ١١٧-١١٨) أنه حينما كان يودكسوس في مصر

---

(1) Herd , II , 49-52 .

(2) Herd , II , 55-58 .

(3) Herd , IV , 147 .

(4) Herd , V, 50-55 , Diod . III , 61 , I .

مع خونوفيس وهو من عين شمس لحس العجل أبيس عباءته فتنبأ له الكهنة ببعد الصيت وبأنه لن يعمر طويلا ، وكان قد درس الفلك الفيثاغوري والأفلاطوني والمصري ويقال أنه أقام مرصدا في مصر بين هيليوبوليس وكركيسورا على النيل وظل مرصده هذا حتى عهد الإمبراطور أغسطس(١) .

ومن بين من ذكروا فضل مصر الخطيب أيسوكرتيس إذ نجده يقول في الزمن الماضي كثير من الأجانب سيئو الحظ في بلادهم ، يفترض أنهم حكموا المدن اليونانية ومن هؤلاء دناوس ، المنفي من مصر ، تولى ملك أرجوس ، وكادموس قد صار ملكا على طيبة (٢). ويسوق في عمل آخر مدحا عظيما لمصر في شخص ملكها كمشرع ويثني على كمال دستور بوزيريس Bousiris ، ويقول إن أرض مصر وشعبها أكثر الأرض مباركة في العالم (٣)، ويضيف قائلا إن الفلسفة هي نتاج المصريين ويقرر أن فيثاغورس ، الذى صار تلميذا لديانة هذا الشعب هو أول من أحضر الفلسفة للإغريق (٤). ويذكر حسب رواية هيردوت أن الإسبرطيين مدينين بدستورهم لمصر ، ويقرر أن الإسبرطيين فشلوا في أن يتموا مبدأ تقسيم العمل ، وأن دستورهم كان يعتريه النقص والقصور ، مقارنة بالدستور المصري ، وأن الفلاسفة الذين ناقشوا الدساتير فضلوا الدستور والنظام المصري (٥).

أما عن أرسطو الذى لم يدرس مع أفلاطون فحسب ، بل درس أيضا مع يودكسوس الكندي السالف الذكر وتأثر كثيرا بهيردوت ووصفه لمصر ، ومن

---

(١) جورج سارتون ، نفسه ، ج٣ ، ص٩٩-١٠٠ .

(2) Helen , x , 68 .

(3) Bousiris , 30 .

(4) Bousiris , 28 .

(5) Bousiris , 18 .

الواضح أنه قد انبهر بمصر وحضارتها ، وإن كنا نجده في بعض الأحيان قد ركـز على قدم وعراقة بلاد الرافدين والحضارة الإيرانية ، إلا أنه في رأيه أن المصريين كانوا أقدم الشعوب [١].

ويذكر في موضع اخر أن مصر كانت مهد الرياضيات وأن الكهنة اخترعوا فنون الرياضيات mathematikai technai وعلوم المساحة والحساب والفلك التي كان الإغريق قد بدأوا في معرفتها[٢]. وفي الواقع فإن إعجابه بمصر قد فاق إعجاب هيردوت في هذا المجال فبينما يعتقد هيردوت أن المصريين قد طوروا علم المساحة مفتاح العلوم لأسباب عملية أى قياس الأرض بعد أن تطمس علامات الحدود بمياه الفيضان السنوية ، فإن أرسطو يؤيد أنها قد نمت وتطورت بشكل نظري عقلي بحت من قبل الكهان[٣].

كما تذكر المصادر أن الشرقيين قد استقروا وأقاموا في بلاد اليونان والجزر ويقرر ثيوكيديديس أن الكاريين والفينيقيين قد استوطنوا أغلب الجزر وأشار إلى الدانائيين والكادموسيين كاسم قديم لبويوتيا ، ويضيف أن ملوك أرجوس المنحدرين من برسيوس الذى يذكره هيردوت إما كمصرى أو أشورى .

ولدينا أخبار عن زيارة رواد ومفكرين يونان زاروا مصر والشرق ونهلوا من علوم أهل تلك المناطق ومن هؤلاء فركيدس وهيراكليتوس وأناكساجوراس ولوكورجوس واناكسماندز .

---

(1) Arst , Mebrologika , I 14 , 351b , 28 .

(2) De caelo , II . 14 . 298a .

(3) Froidefond , le mirage egyptien dons la litterature grecques d'Homere a Aristote , Paris . 1971 . pp. 347-350 . motc. 61

بعد أن عرضنا لبعض الأقوال المأثورة للمفكرين والكتاب اليونان حول فضل الشرق على حضاراتهم ننتقل الآن لمناقشة قضية أثارها اليهود حول استفادة اليونان من التراث اليهودي في العصور العتيقة والكلاسيكية .

ونطرح السؤال التالي : هل اقتبس اليونان حضارتهم من الحضارة اليهودية حسب زعم اليهود ومن شايعهم من رجالات الكنيسة ؟

لدينا سلسلة من المزاعم التى ترى أن الحضارة اليهودية هي الأصل والينبوع الذى استمدت منه الحضارة اليونانية ، إذ يزعم أريستو بوليس اليهودي (كان معاصرا للملك بطليموس السادس) في تعليقه باللغة اليونانية على أسفار التوراة الخمسة أن هوميروس ، وهيسيود ، وفيثاغورس ، وأفلاطون وأرسطو قد اقتبسوا الكثير من التراث العبري ، ويزعم لوكيوس كورينيليوس الإسكندر اليهودي بأن الحضارة اليهودية هي أقدم حضارة في العالم وأن أفضل المعارف والعلوم التى كان اليونان يعرفونها مقتبسة عن مصادر يهودية ، ومن مزاعمهم أيضا أن اللغة العبرية هي لغة الإنسان الأولى[1].

وقد ساير وعضد أباء الكنيسة هذه الفرية إذ نجد جوستين يحاول ان يقرن أفلاطون بالنبي موسى ، وحاول كلمنت أن يؤكد ويثبت أن العهد القديم أقدم بكثير من نشوء الفلسفة عند اليونان ، وأن فلاسفة اليونان يجب أن يكونوا قد نهلوا من المعين اليهودي ، وفي موضع اخر يقول : (إن أصالة التعليم الخلقي وسموه في

---

(1) Sarton . Introduction . vol. 3 . pp.363 . Holger Pedersen . Lingwstic science in nineteenth century . cambridge . 1931. pp. 7-9 .sleo.

وانظر إيضا سارتون نفسه ، ج٥ ، ص٥٨.

العهد القديم أرفع وأنبل مما هي عند اليونان[1] وتستمر هذه الادعـــاءات والمزاعـم بأصالة الفكر اليهودى وقدمه عند كل من كتاب العصور الوسطى والنهضة الحديثة، ففي الرسالة الحادية والعشرين من رسائل إخوان الصفا والتى يرجع تاريخها إلـى النصف الثاني من القرن العاشر نجد أحدهم يسأل خطيبـا يونانيـا شـديد الزهـو والإعجاب بالفلسفة والعلوم اليونانية من أين كل هذه العلوم والحكمة التـى ذكرتـها وافتخرت بها لولا أنكم أخذتم بعضها من بني إسرائيل أيام بطليموس وبعضها مـن علماء أهل مصر[2]، ونادى بهذا الرأي كاتب عاش في النصف الثاني مـن القـرن الثاني عشر ، وهو روجر بايكون إذ يقول إن الحضارة العبريـة هـي الحضـارة الأولى الأصيلة والتى نقل عنها اليونان ، وتزعم روايات يهودية بأن أرسـطو قـد اقتبس علمه وفلسفته من مصادر يهودية وأن أرسطو حسب هذه الروايات والمزاعـم يهودى بالسلالة أو ممن ارتدوا واعتنقوا الدين اليهودى[3].

وفي النصف الثاني من القرن الرابع عشر نجد كاتبين يـهوديين ، أولـهما: مئير بن سليمان الطليطلي وقد زعم بأن العلوم اليونانية عبرية في أصلها ، والثـاني: مئير بن سليمان القاضي وزعم بأن أرسطو قد حاول في كتابه الأخلاق لنيكوماخوس إيضاح التعاليم الدينية كما وردت في التوراة ، أي أنه اقتبس أفكاره من التوراة [4].

---

(١) سارتون نفسه ، ج٥ ، ص٥٩-٦٠ .

(٢) رسائل إخوان الصفا ، تحقيق خير الدين الزركلي ، ج٢ ، ص٢٤٢ .

(٣) سارتون نفسه ، ج٥ ، ص٦٠ . أنظر حاشية ٢٦ .

(٤) سارتون نفسه ، ج٥ ، ص٦٠ .

وإبان عصر النهضة استمرت هذه الادعاءات والمزاعم فنجد أحد رجـــالات الكنيسة يقول للملك هنري الثامن : (أنا لا أعارض ما جاء في هذه الكتب اليونانيــة ولا أقف منها موقف العداء مادامت هي مستمدة من العبرية [١]).

وحاول أتين جيشار في مطلع القرن السابع عشر أن يثبت أن جميع اللغـــات بما فيها الفرنسية تم اشتقاقها من اللغة العبرية [٢]. وفي النصف الثاني مـــن نفـس القرن نجد كاتبا يهوديا هو (زحازي بوجان) Z. Bogan قد ألف كتابـــا بعنــوان Homerus Hebraizon الأمور العبرية عند هوميروس وقد حاول أن يدلل فيه علـى أن العلوم والمعارف اليونانية مصدرها الأم هو الحضارة العبرية [٣]، وسار علـــى نفس النهج جايمس ديبورت في كتابه العلوم والمعارف الهومرية ؛ إذ نجده يحـــاول أن يثبت ويتقصى أوجه الشبه بين الشعر الهومرى والتوراة [٤].

ثم نجد الكاتب جوشوا بارنز Joshua Barnes يذهب أبعد من ذلـــك عندمـــا حاول أن يثبت أن الإلياذة والأوديسة هما من تأليف الملك سليمان [٥] .

وفي النصف الأول من القرن الثامن عشر نجد باحثا يحاول أن يؤكـــد فـــي كتابه أن الحضارة العبرية وأن اليهود ، لا المصريين القدماء هـم بنـاة الحضـارة الأصليين [٦]، وسار على نفس النهج كاتب اخر حاول أن يـــبرهن علـــى أصالـــة

---

(1) Frances Hactet . Henry the VIII (Garden city) . 1931, p.105 .

(2) E. Guichard . Harmonie etymologique des langues , Paris , 1606 ; louis petit de julleville . Hestoire de la longue Francaise , paris (1896) vol. 5 , p.III .

(3) Z. Bogan . Homerus Hebraizon . Oxford , 1658

(4) Gnomologca Homerica , Cambridge . 1660 .

(5) Martin Lowther Clarke , Greek studies in England , 1700-1830 , Cambridge Univ. , press. 1945 . Isis 57 (1947) p.2 }.

(6) C. Noblot , L'origine et le progres des arts et sciences , Paris . 1740 , pp.428 .

الحضارة العبرية وعلى أنها مصدر استقى منه اليونان ، وقد استخدم الحجج التي كان قد استخدمها من قبله كلمنت السكندري [1].

وهكذا نجد أنفسنا أمام فرية أو زعم تم ترديده لحقبة طويلة من الزمن تمتد من العصور القديمة (الهلينسنية) حتى العصر الحديث وهذه المزاعم - العلوم والفلسفة اليونانية عبرية الأصل - تشويه للحقيقة . ثم إن الذين سبقوا اليونان في العلوم والحكمة والفنون لم يكونوا يهوداً ، وإنما كانوا من المصريين القدماء وبلاد الرافدين، وبلاد الشام وإذا كان اباء الكنيسة قد عضدوا وناصروا عراقة الحضارة اليهودية فإن ذلك كان بهدف إعلاء شأن المسيحية والحط في نفس الوقت من مكانة الوثنية ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، كما أن فى هذه المزاعم غلواً وتمادياً إذ تدعي أن التوراة قديمة للغاية وأنها انتقلت قبل هوميروس إلى اللغة اليونانية ومن ثم استطاع الشعراء والفلاسفة والعلماء أن يقرأوها وهذا شئ في رأينا لم يحدث ويكفي أن ندلل على أن البطالمة استقدموا سبعين مترجما لترجمة التوراة في عهد بطليموس الثاني ، وهذا جهد لم يكن متاحا للحضارات القديمة في بلاد اليونان قبل هوميروس. هذا من جهة ومن جهة أخرى فإن المفكرين اليونان كانوا يتفاخرون بأنهم درسوا في مصر وبابل ولم يذكروا شيئاً عن الحضارة اليهودية ، في الوقت الذى كان اليوناني القديم ينسب الفضل لأهله فالواقع أن الحضارات الشرقية كانت ضاربة في القدم مقارنة بالحضارة اليهودية كما أن القول بأن الإلياذة والأوديسة من تأليف الملك سليمان مردود عليه فالملك سليمان النبي كان لا يقبل أن يروج للفكر الوثني وأن يعرض لآلهة من الذكور والإناث وصراعها وتآمرها ضد بعضها البعض !

---

(1) S. Spinner , Herkuaft . Entstelung und antihe Umwelt des hebraischen volkes : ein neuer Beitrag zai Geschichte der voulker vorderasiens . Vinna . 1933 . pp. 548; (Isis 24 . 1935 . p. 262) .

وفي ضوء ما سبق عرضه نخرج بعدد من الحقائق وهي :-

١- أن الصلات بين بلاد اليونان وحضارات الشرق القديمة كانت على قدم وسـا منذ أقدم الفترات .

٢- أن حضارات الشرق كانت متقدمة في فروع العلم العديدة لدرجة أنـها جذبـ كبار علماء ومفكري اليونان للسفر والترحال طلبا للعلم والمعرفة ونقل ما تعلم واستفادوا منه .

٣- أن الأفكار الشرقية قد انتقلت إلى بلاد اليونان من خـلال رحـلات التجـارة وربما كانت هناك هجرات انتقلت من الشرق واستقرت في بلاد اليونان ولعـ أسطورة كادموس الفينيقي ، ودناؤس وبناته أكبر دليل على ذلك فلـم ينكره الكتاب اليونان (مؤرخون وفلاسفة) بل أكدوها .

٤- أن علوم الشرق لم تكن علوما تجريبية فحسب بل كانت علوما تجريدية أيضـ ولعل قول أرسطو خير دليل على ذلك .

وفي ضوء ما سبق فإنه يمكننا أن نقرر أن مفكري اليونان كـانوا يعـترفو بفضل أمم الشرق عليهم ومعرفة حقيقة أنفسهم ، وإذا كان هناك مفكرون محدثـو يتعصبون للحضارة اليونانية ولم يروا سواها ، بل أنكـروا كـل فضـل للشـر وحضارته عليها ، فإن هناك العديد من الدارسـين المحدثيـن أصحـاب النظـ الموضوعية والذين نسبوا الفضل لأهله فأقروا باستفادة الحضـارة اليونانيـة مـ حضارات الشرق ومن أمثال هؤلاء هيجل الـذى يقـول : إن الأصـول الأولـ للحضارة اليونانية كانت مرتبطة بقدوم الأجانب وكان الإغريق يشـعرون تجاهـ بشيء من الامتنان فمن شعوب الشرق تعلموا الزراعة واستخدموا الحديد ، وصناء الغزل والنسيج واستئناس الخيل ، بل إن كثيراً من مدنهم الهامة قد أسسها أجـانب

فأتينا وهى لفظ عبر يونانى قد أسسها مصري يدعى كيكروبس Kekrops وطيبة أسسها كادموس وهو أمير فينيفى ويقول سارتون : إن أصولاً شرقية كانت منهل الإغريق ولولاها لما كان نبوغهم فيما نبغوا فيه وأنه من السذاجة بمكان أن نفترض أن العلم بدأ في بلاد الإغريق ، ذلك أن معجزة الإغريق سبقتها الاف الجهود العلمية في مصر وبلاد الرافدين وغيرها من الأقاليم ، وأن العلم الإغريقي كان إحياء أكثر منه اختراعا وأن التقدم الإغريقي ما كان مستطاعا بدون الأصول الشرقية .

كما يقدم لنا مارتن برنال وجهة نظر شاملة وموثقة في سفره الرائع Black Athens حول استفادة اليونان من التراث الحضاري الشرقي المصري الفينيقي وهو بذلك يناقض الرأي القائل بأصالة حضارة التراث اليوناني وأن الاستفادة من الشوق وهم باطل ، وأنه يتعين محو نظرة القدماء القائلة أن الأفارقة وسكان الشرق الأدنى هم الذين أدخلوا الحضارة إلى اليونان ، وأن الهوس بالمصريات Egyptomania والأجانب أدى إلى وهم وضلال . وقد أثر هذا في اليونانيين العقلاء وغرس فيهم اعتقادا بأن مصر هي ركيزة ومحور ثقافتهم . ويعزو الباحث هذا الرأي إلى عنجهية التعصب والفكر القومي والكراهية العرقية ضد اليهود ، وأن سبب دراسته هو دحض وتفنيد عزلة أوربا عن بقية العالم وتفوقها عليه ، وهو زعم خاطئ ومضلل تاريخيا وضار وخبيث سياسيا . وقد استخدم برنال كل ما أتيح له من مصادر وثائقية وأدبية ولغوية لدحض هذه الزاعم ، وقد بدأ تفنيد مزاعم هذا التيار الفكري الذى يقلل من شأن وأصالة وصدق روايات كتاب اليونان القدامى الذين زاروا الشرق بأنهم لم يكونوا على دراية بلغاته ، وانهم لم يستفيدوا من علومه وثقافاته ومعارفه الاستفادة الكاملة . ويرد على هذا الأمر قائلا : حقا إن علماء المصريات المحدثين عليهم أن يقرءوا اللغة المصرية القديمة أفضل من اليونانيين الذين قصدوا مصر إلا أنهم لا يستطيعون أن يقرءوها شأن الرواة المصريين القدماء

والمتحدثين بلغة يونانية ، كما أن المؤرخين المحدثين على خلاف اليونان الأقدمين لا يمكنهم أن يستشعروا المجتمع المصري القديم بصورة واقعية وأن يسألوا ويتعاملوا مع المصريين القدماء مباشرة ، يضاف إلى هذا أن هؤلاء الكتاب القدماء قد عاشوا في الفترة من عام ٥٠٠ ق.م إلى ٥٠٠ م ، وكانوا أقرب للحقبة التى اقتبس فيها اليونان من حضارات الشرق هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فقد كان متاحا لهم مصادر مادية وهي السجلات التى كتبها مواطنون محليون وأكملتها الوثائق المصرية والفينيقية ، وتراث شفاهي تم تناقله عبر الأجيال وبقايا ومخلفات أثرية وآثار معمارية قدمت جميعها للمؤرخين اليونان بعد القرن الخامس – معلومات التى تعد معلومات مهمة وكافية عن ماضيهم ، كما أن زيارتهم لمصر وفينيقيا كانت تعطيهم المعلومات التى كانوا تواقين لمعرفتها ، ويقول إن هؤلاء الكتاب قد سروا عندما اهتدوا إلى الجذور التاريخية العميقة لثقافتهم عبر الحضارتين المصرية والفينيقية على الرغم من نزعتهم العرقية والعنصرية .

وبعد هذا التفنيد من قبل برنال في عرض وجهة نظره بصحة ما قاله الأقدمون من مفكرى اليونان بشأن الحضارة الشرقية وأثرها في حضارتهم وأن هذا الأثر قد كشفت عنه المصادر الوثائقية والتى تكشف عن عمق وقدم العلاقات بين مصر وحوض بحر إيجه ابتداء من القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد أي من العصر البرنزي القديم (٣٠٠٠-٢١٠٠ ق.م) وأن المصريين كانوا على دراية ومعرفة بمنطقة بحر إيجه وبلاد اليونان ، وأن هناك علاقات قامت في عهد الدولة الوسطى واستمرت ، وأنه في عصر الهكسوس حدث تحالف بين المصريين وحكام هاو-نبو Haw-Nbw (منطقة بحر إيجه) ، ثم توافدت البعثات من تلك المنطقة إلى مصر في عهد الأسرة الثامنة عشرة ، كما حاول الربط بين ما ذكره ديودوروس

بأن كيكروبس هو مؤسس أثينا وأنه قد وفد من مصر وربط بينه وبين سنوسرت الأول إذ إنّ اسمه الأول هو خبر كارع (Kheper-Kare) .

كما نجده أيضا يحاول الربط بين الروايات المتواترة الخاصة بخروج الهكسوس الساميين وبين هجرة الدنائيين إلى اليونان كما يوردها التراث اليوناني ، ويقول إن وراء الأسطورة جانباً من الحقيقة أو أنها تحتوي على بذور للحقيقة .

ولم تكن العلاقات اليونانية قاصرة على مصر بل نجد هناك علاقات وثيقة بين الساحل السوري وبلاد اليونان وخاصة أوجاريت وصور ، وأن هذه المناطق كانت على معرفة بأحوال منطقة بحر إيجه واليونان وهذا ما تكشف عنه الألواح الطينية من المجموعة الخطية الثانية (Linear B) ، من فترة القرنين الرابع عشر والثالث قبل الميلاد ، التى كتبت بلغة يونانية عتيقة والتى تحتوي على الكثير من الكلمات السامية والمصرية ، ومن هذه الأسماء إيكو.بيتيجو Aikupitijo وميزاريجو Misarijo ، كما ورد بها ذكر اسم مدينة صور (توريجو) Turijo وتوريان بمعنى صوري أو من بلدة صور . كما تكشف هذه الألواح عن تشابه وتماثل مذهل مع الألواح المكتشفة ببلاد الرافدين من حيث نظام الأوزان والعبارات الإدارية التى تعالج كل منها اقتصاداً قصرياً .

ونستخلص مما سبق ذكره أن هناك شعباً وفد من هذه المناطق خلال العصر البرنزي إلى منطقة بحر إيجه ، وإن كان لا توجد قرينة تشهد على وجود مستوطنات أو غزو لها ، ويحاول أن يستخدم الأدلة والقرائن الأثرية لتوكيد رأيه حول وجود حركة هجرة واستيطان وغزو قبل الهكسوس في كريت ، وأن المقابر الموكينية كانت مقابر مصريين وفينيقين . واستخدم أيضا الدليل اللغوي لتأكيد عمق العلاقات بين بلاد اليونان والشرق فيقول : ان خمسين في المائة من الكلمات الدالة

على السلع الترفيهية والمداولات السياسية ليست هندوأوربيـــة ؛ ويــرى أن اللغــة اليونانية هي أحد الأشكال الناتجة عن احتلال مصري فينيقي ، وأن أغلب الكلمــات والعناصر غير الهندوأوربية في اليونانية يمكن تفسيرها أيضا على أساس مصــري سامي غربي ، فنجد عدداً من الكلمات الدالة على الترف مثل العـــاج Ibony مــن الكلمة المصرية Hbny وكلمة سمسم Sesama من الكلمة السامية ومنـــها جلبــاب Khiton وذهب Khryses ، وفي مجال الدين اقتبست مذبح أو مكان مرتفع Bomas مقتبسة من Bamah السامية ، والشراب أو الرحيــق الإلــهي niktar مــن niqtor وتعني نبيذ مقطر أو متبخر ، والمجد الإلهي Kudos مقتبســة مــن Kds والفعـل Kudazo وكلمة حياة haima مأخوذة من hayim الكنعانية وقدس الأقـداس Naio أو Naos مأخوذة من Vnwh (Nwti) ويضحي Sphag مــن سـبك Spk وصــادق Makarios مأخوذة من ماكرو Makhrw .

وفي مجال القانون اقتبست كلمــات منــها الشــاهد Martyros مــن Mtrw والشرف Tima من Dema . وفي مجال السياسة يرى أن كلمتي الملـك Wanax و Basileus لايوجد لها أصل في اللغة اليونانية ولا اللغات الهندوأوربية ويرجـــح أن الكلمتين تم اقتباسهما واشتقاقهما من المصرية ويربط بين الأولى والكلمة المصريــة عنخ جت Nh dt وتعني عاش للأبد ، الثانية يربطها بالكلمة P3sr وتعنـــي تــابع الملك أو الوزير .

وفي مجال الحكمة Sophia يرى أن هــذه الكلمــة لا يوجـد لــها أصــول هندوأوربية مقبولة ويرى أنه من الأوفق أنها مشتقة من الكلمة المصرية ســـبا Sba بمعنى يعلم أو تعليم ، ولما كان حرف b يكتب في اليونانية ph ويستنتج هذا من اسم الربة المصرية Nbt-ht نجدها بعد نقلها لليونانية naphthys وقياسا على ذلك فقـــد اقتبست كلمة Sophia من مصر .

وفى مجال الأسلحة فقد اقتبست كلمة سيف إكسيفوس Xiphos من المصرية Sft ومرادفها Phisganos من السامية بسج Psg بمعنى قطع أو شق وكلمة Harma مأخوذة من الجذر HRM في المصرية والسامية .

ويستخدم أسماء المدن أيضا للدلالة على التأثير الشرقي فنجد يربط مدينة أثينا وربتها أثينا يربطها بمدينة سايس والربة نبت ويستخدم ما قاله الأقدمون بشأن ربطهما ويقول أن هناك تطابق في وظائف واختصاصات الربتين كما أن صورهما متطابقة ، ويربط إسبرطة بالأصل المصري وهي مأخوذة من سباط Spat بمعنى ولاية أو عاصمة ، كما يربط بين عقيدة إسبرطة وعبادتها لهرميس والكلاب وعبادة أنوبيس ، كما نجده قد حاول الربط بين كلمة لاكديمون وكانوب وكلاهما يعني بوابة العالم السفلي والروح والهائة ؛ ثم يورد التراث والروايات التى تذكر أن ليكورجوس قد زار الشرق ومصر ودرس مؤسستها . ويقول إن الأثر المصري يظهر واضحاً في الفن الإسبرطي ، كما يحاول ربطهم بالهكسوس وأسطورة عودة الهيرقليين ؛ ويذكر رسالة أحد ملوك إسبرطة إلى الحبر الأعظم في القدس يذكر فيها أن الملك يقول للحبر إننا أقارب ، ويذكر مثال اخر أن طيبة مأخوذة عن الأصل المصري db3t db3 . وأن أسماء الأماكن المنتهية sos أو nthas ليست يونانية وأن الكلمات ذات النهايات السابقة قد وفدت من مصر والشام إلى منطقة الأناضول وبلاد اليونان ومن هذه الكلمات أبيدوس Abydos وسينوب Sinopo على الساحل الشمالي في تركيا الحديثة ، وكلمة Pontos بمعنى المحيط البعيد والأرض التى وراءه مأخوذة من بونت Pwnt وتعني أيضا الأرض البعيدة التى يتم الوصول إليها بحرا .

كما يورد أسماء جبال في بلاد اليونان ذات أصل مصري وسامي ومنها جبل بيليون Pelion ومقتبسة من P3rw بمعنى الأسد ، وجبل سايتا Saita في إركاديا المؤخوذ من اسم مدينة سايس Sais ، وأسماء الجبال البادئة Sam هي

سامية ومنها ساموس Samos وســاميكون Samikon وساموثراكيا Samothrace مشتقة من كلمة سام Sam بمعنى سام أو سماء وأسماء المدن المرتفعة مثل هرميون Hermione مشتقة من حرمن السامية Hermn بعنى الجبل المقدس .

وأطلقت أسماء أنهار مصرية وسامية على أنهار في كريت والبلولونيز ومنها نهر ياردانوس Jardanos في كريت وفي البولونيز ومشتق مــن يــاردان Jardan وكذلك الأسم Anigros مشتق من جذر سامي (ن) جر GR (N) بمعنى واحـــة أو نهر في الصحراء وكلمة فينوس Phencus من بانوي panwy بمعنى ماء أو فيضان وأكثر أسماء الأنهار اليونانية شيوعا وهو كيفيسوس Kephisos وهو مأخوذ من اسم مكان مصري كبح Kbh أو بمعنى رقبة أو نبع عذب بارد أو نبع النهر مع إضافـــة النهاية Sos .

وإذا كنا قد ذكرنا من قبل بعض أسماء الآلهة والالهات فنضيف بعض الآلهـة التى ذكرها ومنها : هيكات وهى هكت المصرية ، والإله ايويس كان يســمى فــي المجموعة الثانية Linear B وأيضا عند هوميروس إيناليوس Inyalios أو إينو وهـو مأخوذ من أونوريس إله الحرب عند المصريين ، كما يعتقد فى كل ما ذهــب إليــه هيردوت بشأن التشابهات العقائدية الكثيرة بين النظام الدينى المصرى والنظام الدينى اليوناني ، ويقرر صراحة أن الرابطة بينهما وثيقة وأن النظام الديني المصري أقــدم كثيرا ولهذا فإن مصر هي منشأ النظم الدينية ، ويستطرد قائلا : إن هنـــاك تمـاثلاً وتشابهاً بين منظومة الأساطير المصرية والكنعانية واليونانية مثال ذلك أسماء أشهر أبطال اليونان إذْ تفتقر إلى جذور هندوأوربية ولكنها جذور سامية مصريـــة ومنــها بلليروفون Bellerophn مأخوذة من الأصل السامي بعل لارافـــون ، وأجــاممنون مأخوذة من الأصل المصري ممنون (أمنمحات) والبادئة أجا تعني العظيم أي ممنون العظيم وهذا ينطبق على أخيلليوس فهو اسم يصعـــب تفســيره فــي ضــوء لغــة

هندوأوربية وأصله سامي حيث نجد تكراراً كثيراً للبادنة Ahi أهي بمعنى أخي يكون ، ونجدها في أخرام Aheram ، ويلاحظ أيضا أن الاسمين الآخرين له وهما بليوس Peleus وبلياديس Peliades مشتقان من الاسم المصري بارو P3rw بمعنى الأسد .

ويستمر في عرض قرائنه للتدليل على الأصل الشرقي للحضارة اليونانية بالحديث عن التأثيرات الدينية الشرقية على الديانة اليونانية ويعقد مقارنة بين العبادات المصرية في عهد الدولة الوسطى والحديثة وبين عبادات كريت واليونان ويقول إن هناك تطابقاً في العبادات ، كما يقول إن مراكز النبوءات المصرية قد انتشرت في نفس الوقت في المنطقة الإيجية أي في القرن العشرين قبل الميلاد كما يقرر أيضا أن هناك صلات بين الأورفية وكتاب الموتى ويقول إنه في العصور الكلاسيكية كان هناك اعتقاد بأن أورفوس تراقي الأصل ولكنه تعلم الأسرار الملغزة في مصر ، كما يقول إن علاقة فيثاغورث يعرفها الجميع ويقول إن هناك تشابهاً كبيراً في العبادة المصرية وبين الأورفية والفيثاغورثية .

** جملة القول إن مارتن برنال قد عرض لنظرية فحواها أن حضارة اليونان استقت علومها ومعارفها من الشرق ومن الساميين والمصريين على وجه الخصوص وقد استخدم كل ما أتيح له من مصادر أثرية ووثائقية وأدبية لإثبات أن الحضارة الشرقية كان لها الفضل على اليونان وحضارتهم ، وإن كان قد أغفل أثر بلاد الرافدين إغفالا شبه تام كما أنه أراد أن يثبت ويؤكد أن وراء اسطورتي كادموس ودناؤوس جانباً من الحقيقة وأن هناك هجرات خرجت من مصر وبلاد الشام واستقرت في كريت واليونان مستخدما الأدلة الأدبية والوثائقية واللغوية [1].

(1) M. Bernal . Op. Cit , pp. 22 ~ .

وفي ضوء ما سبق يمكننا القول أن اليونان أقدموا على أصول الحضــــارة السابقة عليهم ينهلون منها ما وسعهم أن ينهلوا إذ لـــم ينشـــئوا كـــل عنـــاصر حضارتهم إنشاءً ، بل إن هذه الحضارة هي وليدة أفكار ســـابقة مـــرت بمراحـــل متعددة من التلاحم والتفاعل والتطور فتناولتها أيادٍ حاذقة ماهرة حللتها وصقلتـــها بالتأمل والدراسة وأخرجت منها ما قدمه اليونان للتراث الإنساني ويصـــدق هنـــا قول ول ديورنت : إن ماورثه اليونان من الحضارات القديمة أكبر مما ابتدعـــوه ، وكانوا الوارث المدلل المتلاف لذخيرة من الفن والعلم مضى عليها ثلاثة آلاف من السنيين وجاءت مدائنهم مع مغانم التجارة والحرب ، فإذا درسنا الشرق الأدنـــى وعظمنا شأنه فإننا بذلك نعترف بما علينا من دين لمـــن شـــادوا بحـــق صـــرح الحضارة الأوربية والأمريكية ، وهو دين كان يجب أن يؤدى منذ زمن بعيد [(١)].

ولنحاول الآن أن نوضح ما اقتبسه اليونان من الشرق في المصادر المتاحة ، فقد كان تأثير الشرق جلياً في مناحي العلم والمعرفة ، وإذا ما بدأنا في ذكر تـــأثير الشرق في مجال العلوم فقد كان الشرق متقدما بآلاف السنين في مجال الطب أي في الألف الثالث قبل الميلاد سواء أكانت في بلاد الرافدين أم كانت فى مصر ، فقد أخذ اليونانيون مبادئ الطب والتشريح المصري والتى دونها المصريّ القديم وتركها لنـــا لحسن الحظ مدونة على أوراق البردي ومنها بردية إيبرس وبردية هيرست وأرديـــن سميث وبردية برلين ويظهر أثر هذه البرديـــات فـــي كتابـــات ديوســـكوريديس ، وجالينوس ، وهيبوكراتيس (أبقراط) .

أما عن مجال علم الأحياء والحيوان ، فقد استخدموا المعارف الشرقية فـــي هذا المجال وخاصة أرسطو ، فقد ذكر لنا معلومات تدل على أنـــها قديمـــة للغايـــة

---

(١) ديورنت ، نفسه ، مج ٢ ، ج١ ، ص١٠ .

وبعضها قد وصلته بطريقة خاطئة دون أن يقــوم بتصحيحــها ، ويقــول العلامــة تومسون إن أرسطو أخطأ خطأ فاحشاً في معلوماته عن بعض الحيوانات ويقــول إن هذه المعلومات أتت من الشرق الأقصى عبر فارس ، وأن بعضها نصادفـــه عنــد حورأبولو الكاهن المصري ، ومن المعلومات الخاطئة ما رواه عن القنفذ البحـــري الذى ينمو نمواً كبيراً عندما يكون القمر بدراً وقد قام أحد العلماء بدراسة قنافذ البحر المتوسط ، فوجد أن هذه المعلومة غير دقيقة ، ولكن دراسته للقنافذ بالبحر الأحمــر أثبتت أنها تبيض على نحو مطرد عند كل بدر ، كما أن ترويض وتدريب الخيــول أخذه اليونان عن الحيثيين .

كما نجد أن الكثير من المعارف الزراعية وأسماء الحاصلات قد انتقلت إلــى اليونان من بلاد الرافدين ومصر والفينيقيين ومنها القاسيا ، والكمون ، والكركـــم ، والناردين ، واللبان . وإذا كان لدينا اثار عن تأثير الشرق في الحضارة اليونانية فإن اليونان قد ساروا بهذه العلوم إلى أبعد ما وصلوا به من تطور في مجــال الطــب ، وعلم الحيوان وعلم النبات ولهم إضافاتهم التى لا ينكرها أحد .

التراث الرياضي استفاد اليونان من علــوم ومعــارف الشــرق الرياضيــة المتقدمة ، فقد نهلوا من منابع الفكر الرياضي في بلاد الرافدين ومصر والذين كـانوا قد وصلوا إلى مرحلة التنظير ووضع النظريات ، ومــن أمثلــة ذلــك أن نظريــة فيثاغورث الرياضية قد سبقه إليها أهل بلاد الرافدين بعدة الاف من السنين وهذا مــا كشف عنه لوح من الطين المحروق محفوظ بمتحف بغداد للآثار ، كما نجد أن كــلاً من : هيرودوت ودموكريتس وأرسطو قد مدحوا الرياضيات المصرية وبيّنوا مــدى ما استفاده الإغريق منها .كما نجد أن مفكرى الإغريق بعد أن اســتوعبوا تجــارب ومعلومات الشرق في المجال الرياضي أضافوا الكثير إلـــى جــهود الحضــارات الســابقة .

وفي مجال الهندسة كان التأثير المصري عظيما فى علم الهندسة ، إذ شرح هيردوت اختراع علم الهندسة وانتقاله لبلاد اليونان والذى سبق أن ذكرناه ، كما ذكره سقراط إذ يشير إلى رقي وسمو علم الهندسة والرياضيات ، وتعد مصر عند كتاب اليونان الأولين مهد العلوم ومن ثم فقد قام كل منهم بالترحال وتلقي العلم بها على يد سدنته من الكهان . وفي هذا الحقل نقلوا الكثير من العلوم المصرية وأيضا البابلية وأضافوا إليه الكثير ، ونفس الشئ فقد نهلوا من علوم الفلك المصرية والبابلية ، فقد وردت عندهم أفكاراً مصرية قديمة لا تعي قدمها ذاكرة التاريخ أما ما تلقوه من التراث البابلي فكان عظيماً ، إذ نقلوا طريقة الرصد الفلكي من الشرق والساعة الشمسية وغيرها وسنجد أنهم أضافوا الكثير لهذا العلم .

أما عن مجال علم التنجيم فقد نقل اليونان هذا العلم من مصر ومن بلاد الرافدين إذ زار الإغريق مصر وبلاد الرافدين وفارس ونقلوا معارف تلك الأمم في هذا المجال ، بل نجد بعض منجمي بلاد الرافدين قد زاروا بلاد اليونان ويروى أن أحد المجوس تنبأ بموت سقراط وعن كلدانى قرأ طالع يوربيديس ونجد أن هناك أفكارا بابلية في الجمهورية [١] فى محاورة تيمايوس عن العقيدة القائلة بأن كل روح تنتمي إلى نجم معين ، وعليه يمكن القول بأن هذا التأثير العميق على الفكر اليوناني يرجع إلى عام ٢٦٠ ق.م عندما أسس الكاهن والفلكي البابلي بيروسس مدرسة في جزيرة كوس وكتب كتابه بابيلونيكا فقد اقتنع اليونان بعد ذلك كما يقول ديودور [٢] بأنه من طبيعة الكواكب أساساً ودراستها يمكن التعرف على ما يخفيه القدر للإنسان، وأنهم قد قاموا بنبوءات لا للعديد من الملوك فحسب . ومن المعتقد أنهم أصابوا كبد الحقيقة في كل نبوءاتهم بل أنهم تنبأوا للناس بما سيحل بهم في حياتهم الخاصة .

---

(1) Repub . x . 616

(2) Diod . II . 30

وفي مجال الأدب نجد أن التأثير الشرقي يكون واضحا في الآداب والفنون اليونانية، فنجد شعر الملاحم قد ظهر عند السومريين والبابليين في عدد من الملاحم الشعرية أبرزها ملحمة جلجاميش وملحمة إيومايليس (Eumaelish) .

ويرى نفر من الباحثين أن الأفكار والآداب البابلية قد أعطت للفكر اليوناني زادا قويا وهذا ما ظهر جليا فى بعض الأعمال الشعرية والمسرحية المتأثرة بالملحمتين السالفتي الذكر لكل من هوميروس وهيسيود وإسخيلوس وسوفوكليس ، ويرفع أحد الكتاب منزلة ملحمة جلجاميش وأثرها بقوله : إن ملحمة جلجاميش لهي ملحمة رائعة وينبغي أن يتم دراستها لمن نذروا أنفسهم لدراسة الثقافة اليونانية [1].

ويرى البعض أن ملحمة جلجاميش قد أثرت في هوميروس وهذا يظهر جليا في الإلياذة والأوديسة ويبدو التشابه - فى رأيهم - بين ملحمة جلجاميش وأسطورة ثيسيوس ، وبين جلجاميش وأخيلليوس إذ عندما نقارن التشابه في قصة جلجاميش والأم نينسون Ninsun وصديقه أنكيدو Enkidu في الملحمة السومرية وهي ملحمة جلجاميش ، وبين أخيلليوس وأمه الآلهة ثيتس Thetis وصديقه باتروكلوتس في الإلياذة نجد أنه قد تم قتل الصديق بدلا من البطل بقرار من الآلهة ، وأن الموت أعقبه حزناً عميقاً للبطل على صديقه .

وكذلك التشابه بين جلجاميش وهيركليس ، ووفقا لجوزيف شيبان Joseph Sheban فإن لفظة هيركليس هي لفظة مركبة من كلمة (Herk) والتى قد تكون مشتقة من (Uruk) مدينة جلجاميش وكلمة (Les) والتى تعني أسد في اللغة اليونانية ، وبتركيب الكلمتين يكون لدينا مدينة الأسد ، وهو الاسم الذى كان يوصف

---

(1) G.S. Kirk , Myth , Cambridge univ. press , 1970 , p. 133 .

به هيركليس [١] ويرى والكوت Walcot أن ملحمة أيومايليس كان لها تأثير عظيـم على فكر هيسيود ويظهر هذا في قصيدته عن أصل الآلهة Theogena ، إذ نجـد أن قضية الخلق تطابق بين ما فعله الإله ماردوخ في ملحمة أيومايليس وبين ما فعلـه زيوس في قصيدة الثيوجينا لهيسيود [٢] .

ويرى باحثون اخرون أن كـلاً مـن الشـاعرين المسـرحيين أسـخيلوس وسوفوكليس قد تأثرا بملحمتي أيومايليس وجلجاميش فقد تأثر أسـخيلوس بملحمـة أيومايليس في مسرحيتيه أورستيا وبرموثيوس في الأغلال في معالجته لكـل مـن Theogony و Theosnachy أما سوفوكليس فقد تأثر بأسخيلوس في هذا المجال ثـم نجده قد تأثر بملحمة جلجاميس في مسرحيته أوديب [٣] .

كما توضح دراسات علماء المصريات أن هوميروس قد اقتبس الكثير مـن الأدب المصري ، ويرى هؤلاء العلماء أن دار النعيم في الأوديسة كانت هي نفسـها دارا مصرية وتم تبرير هذا الرأي بأن مصر هي الأرض التى ينطبق عليـها هـذا القول بأنها لاثلج فيها ولامطر وبردها غير قارس ، بينما اليونان معروفـة بكـثرة ثلوجها وغزارة أمطارها ، هذا فضلا عن أن ريـح الشـمال التـى يقـول عنـها هوميروس كانت تهب على دار النعيم لا تدع مجالاً للشك في أن هذه الدار كـانت مصرية وليست يونانية لأن الريح التى تهب على مصر من جهة الشمال تكون عليلة تستريح لها النفس أما في اليونان فهذه الريح نفسها كانت تهب مصحوبة بعواصـف وأمطار وثلوج . ولذا فإن المصريين يحبون هذه الريح ، بينما الإغريق يخشـونها ،

---

(1) Joseph Sheban . Following the Gods . New York . 1963, p. 51.

(2) Walcot , Op cit . p. 27-54 .

(3) Munzer Mohammed . Babylonian Dimensions in Greek Mythology : A compartive study of Eumaclish , The Oresteia . Gilgamesh and Oedepal Saga . Damascus . 1996 . p. 111 .

أما الإله دارامنتوس الذى قاد منيلاوس زوج هليني إلى دار النعيم ، فهو إله مصري أى أوزيريس .

ويقال أيضا أن هوميروس أخذ قصة مصرية وأدخلها في الأوديسة بعد أن غلفها بثوب يوناني لكنه ثوب شفاف ظهر منه ملامح القصة المصرية المنقولة بموضوعها وسياقها وأيضا نصوصها ، وقد درس العالم الروسي جولنيستيف ملفا من أوراق البردي الذى يحتوي على قصة مصرية مكتوبة بالهيراطيقية ومن عصر الأسرة الثانية عشرة ، وفحوى هذه القصة أن سائحا مصريا ركب البحر وغرقت سفينته وقذفت به الأمواج إلى جزيرة خرافية ، أما القصة اليونانية الواردة في الأوديسة فهي تحكي لنا موضوع غرق سفينة أوديسيوس وإقامته في جزيرة ، وهذا يعني أن هوميروس نقل القصة المصرية بكل ما فيها من الأوصاف والعبارات ولبيان ذلك سنورد هنا بعض الفقرات من القصة المصرية والمنقولة إلى الأوديسة:-

١- موضوع القصة واحد - كل من القصة المصرية واليونانية - وهو غرق سفينة الملاح في القصة المصرية وغرق سفينة أوديسيوس في القصة اليونانية .
٢- تعرض سفينة كل من المصري واليوناني للعاصفة .
٣- تعلق الملاح وكذلك أوديسيوس بقطعة من خشب السفينة .
٤- الأمواج قذفت بالملاح المصري إلى جزيرة خرافية مثلما قذفت بأوديسيوس ودفعته الأمواج إلى شاطئ جزيرة.
٥- عبر مؤلف القصة المصري عن وحدة بطلها في الجزيرة ، ولم يكن معه رفيق غير قلبه وهوميروس يقول أن أوديسيوس عندما كان على قطعة الخشب كان يتحدث إلى قلبه .
٦- البطل المصري ظل ثلاثة أيام في الجزيرة وحيدا ، وأديسيوس هو الآخر بقي على قطعة الخشب ثلاثة أيام بلياليها .

٧- لجوء الملاح المصري إلى غابة الجزيرة التى تشبه المخبأ وأديسيوس لجأ إلى غابة الجزيرة وصنع لنفسه مخبأ بين شجرتين .

٨- الملاح المصري نام في الغابة التى التجأ إليها وأن ظلها كان يحيط به ، وأديسيوس نام في المأوى الذى صنعه لنفسه وأوراق الشجر كانت تحميه .

٩- الملاح بحث عما حوله ، فوجد أنواعا كثيرة من النباتات والفاكهة والبذور ، وأديسيوس وجد حوله الكثير من أشجار الفاكهة .

١٠- شكر الملاح الآلهة بإشعاله النيران وألقى فيها قربانا لها ، بينما أوديسيوس ورفاقه قد أشعلوا نارا وألقوا فيها قربانا ؛ وعرفانا للآلهة .

١١- يذكر الملاح المصري أنه نام ، ولم يشعر بشيء ولكنه استيقظ فجأة فور سماعه دويا كدوي الرعد فكشف عن وجهه فرأى ثعبانا بالقرب منه وسأله هذا الثعبان عدة أسئلة وأجاب عليها ، بينما نجد رفاق أوديسيوس قد كشفوا عن وجوههم عندما ناداهم أوديسيوس .

١٢- يرد في القصة المصرية أن الملاح يجلس متربعا أمام النار التى أشعلها لتقديم القربان وأن الثعبان يطلب منه الجلوس بالقرب منه ، وأوديسيوس يجلس متربعا بالقرب من موقد ملك الجزيرة الذى كان قد دعاه للجلوس على عرش براق وكل من الثعبان والملك يسألان نفس الأسئلة سواء للملاح أو لأوديسيوس والأسئلة من أنت ؟ ومن أين جئت ؟ فيجيب كلاهما بنفس الطريقة .

١٣- الرواية المصرية تقص عطف الثعبان على الملاح المصري ويتمنى له مستقبلا باهرا وفي الأوديسة نجد حديث ناوسيكا ابنة ملك الجزيرة إلى أوديسيوس وتطمئنه على مستقبله وتتمنى عودا حميدا إلى وطنه .

١٤- يملأ الفرح قلب الملاح فور سماعه بأنه سيعود إلى وطنه امنا ، وأيضا أودسيوس يطير فرحا ويشكر ناوسيكا على دعواتها وتمنياتها له والعودة .

١٥- في القصة يسأل الثعبان من قبل الملاح ويجيبه أنه سيد بلاد تونت وأنه يتمنى الرحيل عن الجزيرة البعيدة التى لم يعرفها الناس ، بينما في الأوديسة تتكلم ناوسيكا عن جزيرتها فتقول أنها في أطراف الأرض البعيدة عن الناس .

١٦- في الرواية المصرية نجد أن هذه الجزيرة ستختفي بين الأمواج بعد رحيل الملاح المصرى ، وفي الأوديسة نجد أن هذه الجزيرة ستدمر بعد سفر أوديسيوس عنها .

١٧- في الرواية المصرية نجد أن الثعبان يخبر الملاح المصري بمصير الجزيرة بعد رحيله عنها ، وهذا أيضا في الأوديسة نجد أن ملكها يخبر أوديسيوس بمصيرها بعد رحيله عنها .

١٨- يودع الثعبان الملاح المصري ويدعو له بدوام الصحة ويعطيه الهدايا ، ويشكره الملاح على حسن معاملته ، بينما في الأوديسة نجد أن ملك الجزيرة وأسرته يتمنون له ولأسرته الصحة والسعادة ويمنحونه الهدايا ويشكرهم أوديسيوس.

١٩- في الرواية المصرية تتحطم سفينة الملاح أثناء عودته إلى وطنه ، ونفس الأمر في الأوديسة حيث تحطمت سفينة أوديسيوس.

٢٠- دخل الملاح المصري على الفرعون في شكل رجل مجهول ومجهد حيث رأى في رحلته الكثير من المحن أثناء محاربته للرجال والأمواج ، وفي الأوديسة يعود أوديسيوس إلى وطنه وهوغير معروف الهوية ، ويقول أنا الذى مررت بالكثير من المحن أثناء محاربتي للرجال والأمواج .

ولدينا مثال اخر على تأثر هوميروس بالأدب والأساطير المصرية ، فروايته عن أسطورة الآلهة ديميتر تكاد تكون متطابقة مع كثير من أحداث أسطورة إيزيس وأوزيريس ؛ فكلتا الأسطورتين تتشابه في البحث عن عزيز اختفى ، فديميتر تبحث

عن ابنتها المختطفة في كل الأنحاء والبلاد ، وإيزيس تبحث عن جثمان أوزيريس في كل مكان ، وتعلم إيزيس بمكان الأخ والزوج وتسافر إلى بيبلوس على الساحل السوري حيث يوجد جثمان أخيها الموضوع في الصندوق الذى ابتلعته شجرة في جوفها وقطع هذه الشجرة ملك المدينة لاستخدامها كعمود في قصره ، وتستمر الأسطورة في سرد الأحداث بوصول إيزيس إلى المدينة وجلوسها بجوار نبع تبكي أخاها وزوجها أوزيريس ، وأثناء جلوسها مرت عليها خادمة الملكة ورفقتها وعرضت إيزيس خدماتها عليها ومن كن معها ، وعندما علمت الملكة بهذا الأمر دعت إيزيس لتكون مربية لابنها ، وتبدأ المهمة الموكلة إليها وكانت عارفة بالجميل ورغبت أن تمنح الطفل نعمة الخلود فكلما أرادت إيزيس إرضاع الطفل وضعت له إصبعه في فمه ، وإذا جاء الليل أشعلت النار فيما يحتويه من جسمه من عناصر الفناء ، ويقال إن إيزيس كانت تتخذ أشكالا مختلفة مثل الفراشة وأخذت تحوم حول العمود الذى فيه الصندوق ، وذات مرة شاهدت الملكة ذلك الأمر وإلقاء ابنها في النار فأسرعت لإنقاذه ومن ثم فقد حرمت وليدها من نعمة السرمدية ، وهنا كشفت إيزيس عن نفسها وطلبت أخذ العمود وبالفعل انتزعته بنفسها وغطت أشلاء أخيها بالكتان وطيبته بروائح زكيه .. الخ .

وهنا أخذ هوميروس هذه القصة – على ما يبدو – ودبجها بالنسبة للآلهة ديميتر فيقول : إن الآلهة بمجرد أن علمت باختطاف ابنتها اعتصر الألم قلبها ولبست السواد حزنا عليها ومزقت بيدها شرائط شعرها وهو نفس المشهد في الأسطورة المصرية إذ نجد أن إيزيس بمجرد أن علمت بقتل أخيها قطعت خصلة من شعرها ولبست ثوب الحداد وتجولت في كل مكان معلنة حزنها . ويصف هوميروس أن الآلهة ديميتر بحثت عن ابنتها في كل صوب وحدب وأخيراً استقر بها المطاف قرب قصر للراحة من عناء البحث ، واستدعتها الملكة لتربية ابنها ،

ونما الطفل وكأنه إله بدون رضاعة أو طعام بين يدي هذه الآلهة ، وكانت ديميتر تدهن جسم الطفل بالعطر وتنفخ عليه بأنفاسها برفق وعندما يأتي الليل تضعه في النار ، وشهدت الملكة هذا المشهد وذعرت فأنقذته وبذلك حرمته أمه من غير قصد نعمة الخلود لأن النار كانت تطهره من عناصر الفناء . وفي ضوء ما سبق يتضح الاقتباس من الأسطورة المصرية .

نقطة أخرى ننتقل إليها ، وهي تأثير عقيدة البعث والخلود والحساب المصرية ومدى تأثر مفكرى اليونان بها ، فنجد هذه العقيدة جليسة عند مطالعة أوديسة هوميروس . إذ أثرت قصة الأمير ساتني الذى تلقى تعليماً وبلغ درجة عظيمة من الحكمة . وتزوج هذا الأمير بيد أنه لم يرزق الولد ، واتجهت زوجته إلى المعبد مبتهلة إلى الإله كي يهبها الولد . ونامت ليلتها في المعبد فرأت رؤيا بأن ابتهالها سيجاب وأتاها هاتف يخبرها بأنها ستحمل ابنا مباركا صاحب معجزات وطلب منها أن تسميه سينوزيرس وبالفعل ولدت طفلا تعلم الحكمة والسحر وهو في عمر الزهور ، وتستمر القصة في القول بأنه لما بلغ رشده كان هو ووالده يسيران ذات يوم وأثناء سيرهما شاهدا جنازة رجل غني يصاحبها موكب حافل وخلفه النادبات والكثير من المشيعين ، ثم شاهدا في الوقت نفسه جنازة رجل فقير مدرج في الحصير لا موكب له ولا مشيعين وراءه ، فنظر الأب إلى ابنه وتمنى أن يكون مصيره مثل مصير الغني لا كمصير الفقير ، فرد الابن متمنيا لأبيه مصير الفقير مما أغضب والده ، لكن الابن أراد أن يبرهن لوالده أنه على حق ثم أخذه – بعد أن قرأ بعض التمائم والأدعية الدينية – ونزلا معاً إلى الدار الآخرة . فوجداها عبارة عن سبع قاعات مملوءة أناساً من جميع الطبقات ثم وصلا إلى القاعة الرابعة فإذا هما يجدان أُناساً يذهبون ويجيئون بينما حمير تأكل من خلفهم ثم شاهدا أُناساً غيرهم يحاولون الوثوب نحو الطعام المعلق فوق رؤوسهم فلا يمكنهم إدراكه ، فمن تحتهم

كان هناك حفارون يحفرون تحت أقدامهم ليزيدوا بعد المسافة بينهم وبين الطعام . ثم شاهدا رجلا منطرحا تحت الباب على ظهره ومحور الباب في عينه اليمنى يـــدور عليها كلما فتح الباب أو أغلق ، ولا يستطيع الرجل الخروج ويصرخ من شدة الألم، ثم دخلا القاعة السابعة فوجدا الهة الحساب جالسين والحجاب ينادون قضايا الموتـى قضية بعد أخرى والإله أوزيريس جالس على عرشه الذهبي بينما الإله أنوبيس واقفا على يساره والإله تحوت على يمينه والآلهة الأخرى الذين يتألف منهم مجلـــس دار الحساب والميزان منصوب أمامه . فنظر الابن إلى والده وقال له هل تعــرف مــن الذى يجلس بجانب أوزيريس ؟ إنه الفقير الذى شاهدته مدرجا في الحصير بلا أهل ولا مشيعين ولقد جئ به إلى هنا لرجحان كفة حسناته ، أما الرجل الذى سبق إلـــى دار الحساب وتمنيت أن يكون مصيرك كميصره هو نفسه الذى رأيته يصيــح مــن الألم .

وبعد أن عرضنا لهذه القصة فنجد تشابهاً بين ما قصه هوميروس عند نــزول أوديسيوس إلى العالم السفلى ، حيث وجد الملك مينوس يقضى بين الأموات وبجانبه الإله هاديس وهو الواقف أمام داره ذات الأبواب الواسعة .

ونجــد في هذه الروايـــة قاسما مشتركاً مع الرواية المصرية وذلك كما يلي :-

١) الابن يصحب والده إلى الدار الآخرة وأيضا نزول أوديسيوس إلى الدار الآخرة.
٢) جلس أوزيريس على عرشه وقبض بيده على صولجانه ، وفي الأوديسة تجـد مينوس في يده الصولجان الذهبي .
٣) الحجاب في الرواية المصرية نجدهم ينادون الموتى لعــرض أعمالـــهم فـــي حضرة أوزيريس وفي الأوديسة نجد مينوس تعرض عليه هذه القضايا .

في الرواية المصرية نجد الموتى بين واقفين وجالسين في سبع قاعات ، وفي الأوديسة نجد الموتى بين واقفين وجالسين في دار هاديس الواسعة الأبواب .

في ضوء ما سبق عرضه يتضح التشابه بين القصة المصرية ورواية هوميروس عن تصور الحياة في الدار الآخرة .

وفي الإلياذة نجد الأخذ والتأثر بالتراث المصري إذ نجد هوميروس يحدثنا أن الإله زيوس يريد أن يقضي في مصير إحدى المعارك بين الآخيين الطرواديين فيضع حظ الأولين في كفة ميزان وحظ الآخرين في الكفة الأخرى ، فترجح كفة الإغريق ويكون هذا إيذانا بالنصر . وبنفس الطريقة يحكم زيوس بين أخيليوس وهيكتور فترجح كفة إخيليوس وينتصر ويصرع خصمه . وأوجه التشابه هنا أن زيوس يمارس نفس الدور الذى يمارسه اوزيريس المصرى .

كما نجد أن فكرة الحساب قد وردت في كتابات مفكرين تالين لهوميروس ومنهم بنداروس ، إذ يقول في إحدى قصائده : سيجد العظماء في الأرض قاضيا في الجحيم ، والذين ارتكبوا أعمالاً محرمة فستحاكمهم الآلهة ، بينما نجد أفلاطون يذكر في مدحه لسقراط أن في الجحيم قضاة يحكمون بالعدل وهم مينوس ورادامنتوس ، وفي محاورة جورجياس يستمر في القول حينما كان الحكم للإله ساتيرنوس في السنتين الأولبين من حكم زيوس كانت محاكمة الناس تجرى وهم أحياء على أيدي قضاة أحياء .

وفي ضوء ما سبق أيضاً يتضح لنا أن افلاطون صور عقيدة الحساب بعد الموت ولعل المطالع لمحاوراته يجد أنه ذكر الآلهة الثلاثة الذين ورد ذكرهم عند هوميروس وهم مينوس ورادامنتوس وإيباكوس ، ولكن هؤلاء كانوا عند هيرودوتوس يقضون بين الأموات ، وصاروا يحاسبون الأموات على أعمالهم في

الحياة – كما تقوم الآلهة المصرية بذلك ، وهي أوزيريس ، ونــوت ، وأنوبيــس ، ولهذا فإن للحساب عند أفلاطون ثلاث نتائج

١) إثابة الصالحين من الأموات بإرسالهم إلى الجزر السعيدة .

٢) معاقبة الطالحين في قاع الجحيم إلى الأبد إذا كانت ذنوبهم لا تغتفر .

٣) يعذب المذنب على قدر الذنب الذي اقترفه .

..ومن يستعرض الخطوات التى تنتج عن عقيدة الحســاب عنــد المصرييــن سيجدها هي نفس الخطوات التى أوردها أفلاطون ، ولــهذا فــإن العقيــدة نجدهــا متطابقة، ومما هو جدير بالذكر أن أفلاطون قد روج لعبادة النجــوم وهــي عبــادة مصرية سبق أن ذكرناها عند الحديث عن أفلاطون .

ويرى فريق من الباحثين أن هيسيود في كتابته لمؤلفه الثيوجينا (أصل الالهة) قد تأثر بالأفكار الشرقية الخاصة بالعائلات الإلهية وحضارات الشرق القديم وشجرة الأنساب الإلهية قبل اليونان بآلاف السنين ، ويرجح أن بلاد اليونان قد عرفتها إمــا عن طريق مستعمرة الميناء على الساحل السوري أو عن طريق فينيقيــا وإن كــان الطريق الثاني هو الأرجح ، وكان ذلك بعد سنة ٨٠٠ ق.م وتأثر بها هيسيود عنــد إنشاده لقصيدته [1].

وإذا انتقلنا إلى مجال اخر تأثر به اليونان من حضارات الشــرق ، نجــد أن الديانة الشرقية قد أثرت بشكل جلي فى ديانة الإغريق فكثير من الأفكــار اليونانيــة

---

(1) W.G.G Forrest . Central Greece and Thessaly . CAH ,rnd , ed . vol. , 3p3 , The expansion of the Greek world , Eighth to Sixth centuries B.C. , pp. 286-290 ; P. Walcot . Hesiod and the Near East . Cardiff . 1960 , p 16 , pp. 22-30 , Bernal . Op.Cit . pp. 87-88 .

أنظر أيضا خان بيار فرنان ، أصول الفكر اليوناني ، ترجمــة سـليم حــداد ، بــيروت ، ١٩٨٧، ص٩٦ وما بعدها .

الدينية قد اقتبسها اليونان من الشرق ولعل روايات هيردوت وما ذكره بعض الكتاب القدامى عن الآلهة المصرية وعقيدة الحساب تشير بجلاء إلى اقتباس اليونان لأفكار شرقية ومنها الأسرار السرية في اليوسيس التى كانت ذائعة الصيت في بلاد اليونان فقد نقلت من عبادة إيزيس وأوزيريس كما سبق أن ذكرنا عند الحديث عن كل من هيردوت وهوميروس ، كما تعلم اليونان عن طريق المصريين عملية التنبؤ من الحيوانات المضحاة ، وكذلك إنشاء الجمعيات الدينية والمواكب والصلوات ، وأن مجمع الآلهة الأوليمبية مأخوذ من مصر . كما أن عقيدة خلود الروح وتقمصها واعتقاد أن الروح تظهر على شكل طائر برأس إنسان كانت مصرية . كما أن لفظة الجحيم اليونانية أخذ أصلها من الكلمة المصرية ، وكما ذكرنا فإن أسماء الآلهة اليونانية قد ساواها هيردوت بالآلهة المصرية إذ ربط بين زيوس وآمون وبين وحي دودنا اليونانية ووحي كل من سيوة وطيبة بمصر ، ومن الجدير بالذكر أن وحي الإله أمون في سيوة قد ذاعت شهرته بين اليونانيين وتجشموا عناء السفر لاستشارته، فقد استشاره كل من الملك فيليب وابنه الإسكندر الأكبر . وقد ساواه اليونان بالإله زيوس ويقول بلوتارخوس أن لفظة زيوس كبير الآلهة في اليونانية تعني من يخفي نفسه ، وهذا المعنى كان ترجمة للمعنى المصري لاسم أمون كبير الآلهة المصرية . وربط الكتاب الإغريق بين أنساب الهة هليوبوليس وبين آلهة هيردوت ومن هؤلاء كرونوس الذى شبهه هؤلاء الإغريق بالإله المصري جب على اعتبار أن وظائف واختصاصات كل منهما الدينية واحدة وتخص السماء والأرض وقد شابه هيردوت أيضا بين حورس المصري وأبوللو وأن عملية التشبيه جاءت على أساس أن كلا منهما كان إلها للشمس ، والآلهة أرتيميس شبهت بالآلهة باستت، ويروي الكتاب اليونان أن الربة أثينا مصرية الأصل وأن سايس كانت مسقط رأسها وأن اسمها اشتق من الآلهة المصرية نيت فكانت أثينا ربة الحرب ونيت أيضا ،

والإله إيزيس اليوناني شبه بالإله المصري أنوبيس إله الحرب ، وأفروديتي شبهت بالآلهة حتجور فكلتاهما الهة الحب ، والإله بان شبيه بالإله من المصري ، وأوزيريس شبيه بالإله ديونيسوس ، وإسكليبوس شبيه للإله بتاح وإيمحوتب ، وهيراقليس شبيه بخنو ، وهرميس شبيه تحوت ، وهيفايستوس شبيه بتاح (١)

كما نجد هناك تأثراً بفكر الشرق الأدنى في المجال الديني سواء من هوميروس ، وهيسيود وأفلاطون وقد سبق أن ذكرنا ذلك . وإذا كان الكتاب والمفكرون يشيرون إلى اقتباس وتأثر اليونان بالديانة المصرية والشرقية ، فإن التنقيبات الأثرية أماطت اللثام عن تماثيل لآلهة مصرية في كريتو الجزر الإيجية ، وتماثيل الآلهة التى عثر عليها في بقية الأصقاع هي للإله امون رع ، وباستت ، وسخمبت ، وبس .

ووجود هذه الإلهة في منطقة الجزر وكريت في العصر العتيق والكلاسيكي يكشف لنا عن دراية اليونان بهذه الآلهة المصرية سواء عرفوها كتجار أو جنود مرتزقة خدموا في صفوف الجيش المصري .

كما نجد أن الدارسات الحديثة تشير إلى دخول الكثير من المفردات اللغوية لحضارات الشرق في اللغة اليونانية فأسماء بعض الجبال وبعض الأنهار وبعض المدن اليونانية والكثير من المفردات قد انتقلت من اللغات الشرقية إلى اليونانية التى تبنتها واستوعبتها كما هي أو بعد تحويرها سواء من المصرية ، أو من الكنعانية الفينيقية والعبرية ، أو من بلاد الرافدين (٢).

---

(1) Herd II . 42 . 156 ; F. Dunand & C. ziviccoche , Dieux et Hommes en Egypte 3000 B.C . 395 apr. J.C. Paris . 1991, p. 238 . M. Bernal . op. cit p 81 Bernal . op.cit , pp. 63-73 .

(2) Bernal . Op. cit . pp. 46 - .

وإذا انتقلنا إلى مجال اخر تأثر فيه اليونان بالفكر الشـــرقي وهــو التفكـير الفلسفي وكما سبق أن ذكرنا فإن إيسوكراتيس يذكر أن الفلسفة هى نتاج المصريين وأن فيثاغورث هو أول من أحضرها للإغريق [١]، ويقول ديوجينس اللاتريسي أن أول فلسفة قامت عند الشرقيين والمصريين [٢]. كما نجد أفلاطـون فـي محاورتـه فيدروس يذكر على لسان سقراط أن الإله تحوت قال لملك مصر أن اختراع الكتابـة سيأتي المصريين من الحكمة فوق مالهم ، وسيجعل ذاكرتهم خيرا مما هي عليـه ، لأن الذى اخترعته إكسير الذاكرة والحكمة [٣] .

كما نجد في ملحمة الخلق البابلية أن أيومايليس تشابه مع ما قال به طاليس ، إذ تقول الملحمة أنه قبل أن يكون للماء اسم ، وقبل أن يكون للأرض اسم ، كـانت الأشياء كلها مختلطة في الماء وذا يكون مشابهاً لكلام طاليس ، والجدير بـالقول أيضا أن أساطير الخلق المصرية قد ناقشت نفس الفكر الطاليسي ، ولما كان طاليس على دراية بالفكر الشرقي فيظن أنه أخذ نظرية الخلق عن الشـرق ويكـون بـهذا أرسطو على حق عندما يقول أن طاليس هو أول من تفلسف ليس بالنسـبة للعـالم وإنما بالنسبة لليونانية . وإذا كان اليونان قد تأثروا بالفلسفة الشـرقية فقـد سـاروا أشواطا نحو السمو العقلي بها وكانت إسهاماتهم من أهم ما أضفاه اليونان للحضـارة والإنسانية .

أما **فيما يتعلق بالمسرح** ، نجد أن بدايات المسـرح اليونـاني قـد بـدأت بالاحتفالات الدينية المقامة في مناطق بلاد اليونان المختلفة وهذه الاحتفالات كـانت تدور حول عقيدة الإله ديونيسوس ، وكان الغرض من الاحتفالات إظهار الابتـهاج

---

(1) Bousiris . 28 .

(٢) عبد الرحمن بدوى ، ربيع الفكر اليوناني ، ص٨ .

(3) Phaidras . II 274 D .

والشكر للقوى الإلهية التى تتحكم في الطبيعة إذا ما كان المحصول وافرا أو كنوع من الابتهال والتضرع لهذه القوى الإلهية إذا ما كان المحصول قليلا ، ولم تكن هذه الاحتفالات بدعة اقتصرت على بلاد اليونان ، وإنما عرفتها المجتمعات الشرقي (مصر وسوريا) ففي مصر كان يقام في بداية الربيع احتفالات تمثل تناوب الفصول، تدور حول الإله أوزيريس تمجد عودته للحياة بعد أن قتله أخوه الإله الشرير ست ، وفي هذه الاحتفالات كانت تمثل القصة في شكل ديني شعبي تبين كيف قتل ست أخاه أوزيريس ، ثم كيف سعت الآلهة إيزيس بكافة الطرق حتى استعادت جثة زوجها وأعادت إليه الحياة ، وكيف تم الانتقام من ست ، وفي بلاد الشام كانت تقام احتفالات مماثلة مؤداها أن الإله بعل قد قتله خنزير بري ، حاولت زوجته الربة عشتار إعادته للحياة حتى تعود الحياة للطبيعة التى ماتت في الشتاء وإذا كانت احتفالات الشرق لم تتعد هذا الأمر ، نجد أن اليونان قد طوروا في المسرح بما يتفق مع طبيعتهم وجعلوا فنهم المسرحي يدور حول الإنسان وأفعاله ولكن وصلوا إلى هذا المفهوم بعد أن مر الفن المسرحي بسلسلة من التطورات وساعد على ازدهار الفنون المسرحية وتطورها عندهم ظروف بلادهم الطبيعية والسياسية والاستعداد الفطري عندهم .

وفي مجال الأساطير سنجد أن أساطير اليونان قد تأثرت بأساطير الشرق وظواهر الكون المحيط به ، مثل ظواهر الخلق والحياة والموت والخصوبة والإجداب وغيرها ، ومن ثم يحدد علاقته بها وموقفه منها وهنا نجد الكثير من الأساطير اليونانية تكاد تتطابق فكرة وتفصيلا مع الأساطير التى سبقتها في وادي الرافدين مثل الأساطير المتعلقة بقصة الطوفان وقصة خلق الإنسان من طين وماء

وروح إلهية ، وأسطورة أنانا ودوموزي البابلية ونظيرتها أسطورة أفروديتي وأدونيس اليونانية التى وصلت إليهم عن طريق الفينيقيين [1].

وفي مجال النحت والعمارة فقد كان تأثير الشرق جليا على بلاد اليونان والحضارة اليونانية ، إذ أخذ اليونان المبادئ الأولى لفن النحت فجاءت التماثيل اليونانية في عصرها المبكر نسخة من النمط المصري حيث الوقفة المتصلبة والنظرة المتجهمة إلى الأمام والذراعان الملتصقتان إلى الجانبين واليدان المقبوضتان، والقدم اليسرى المتقدمة قليلا على القدم اليمنى وهذه التماثيل أطلق عليها (الكورى) . وإن اختلفت عن التماثيل المصرية والأولى كانت عارية بينما المصرية كانت مستورة العورة ولعل السبب في ذلك هو الطبيعة والعادات والتقاليد في كل من البلدين .

أما في مجال العمارة فقد اقتبس اليونان عمارة الأعمدة والأبهاء خاصة الأعمدة الأيونية والدورية ، وقد صارت النمط السائد ابتداء من عصر الطغاة وهذا ما توضحه مقارنة معبد الكرنك أو بقايا معبد سقارة في مصر بمعبد البارثيون في أثينا أو بقايا معبد أبوللون في اوليمبيا ، وقد اقتبس اليونان أيضا نظام القوائم التي تحل محل الجدران لحمل السقف في بعض أجزاء المبنى ونظام العارضات ، والعارضة هي الحجر المستعرض فوق فتحة الباب لتحمل ثقل البناء الذى يقوم فوق هذه الفتحة وكلا النسقين امتاز به فن العمارة المصري منذ عصر بناة الأهرام في الألف الثالثة قبل الميلاد ، ثم كرسوا هذا الاقتباس حين اتخذت القوائم عندهم شكل الأعمدة كعنصر أساسي في المبنى ولكن سنجد أنهم صبغوا هذا المجال أيضا بصبغتهم الشخصية .

---

(1) R. Graves . Greek Myths . Pelican . 1962 . p. 34 .

سارتون نفسه ، ج١ ، ص٢٦٧ وما بعدها .

وفي مجال الصناعات سنجد أن التأثير الشرقي كان جليا في مجال المنسوجات ؛ فقد تم اختراع الأنوال الأفقية والرأسية ، واخترعت في سوريا وبلاد الرافدين فنون جديدة للنسيج والصباغة وانتقلت بعد ذلك هذه الفنون إلى بلاد اليونان.

وفي مجال صناعة الزجاج فقد بدأت في الشرق إذ عرفه الأشوريون والمصريون ومنهم تعلمت الأمم الأخرى هذه الصناعة .

وبعد هذا العرض يتضح أن اليونان قد استفادوا في كافة فروع العلوم والمعرفة والفنون والصناعات الحرفية المختلفة ، وقد زادوا على ما اقتبسوه أو نقلوه من أمم الشرق بعدما هضموه ونجحوا في صبغه بصبغة جديدة تتوائم مع فكرهم وطبيعتهم ، وبجهودهم الحثيثة وصلوا بعلومهم وفنونهم إلى مكانة عالية . وقد بلغوا قمة نضجهم في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد ، وشهد القرن الرابع فتوحات الإسكندر الأكبر للشرق مهد الحضارات إذ نجح في ضم مصر وبلاد الشام والرافدين وفارس ووصل بفتوحاته إلى الهند وكان من نتيجة هذه الفتوحات هو فتح أبواب الشرق وحضاراته على مصراعيها أمام اليونان ، فتقاطرت هجراتهم إليها ؛ إما للاستقرار أو الاتجار أو كسب لقمة العيش وإما للتعلم أو النهل من منابع العلم الشرقي . لقد نُقل الكثير من العلوم والمعارف والفنون الشرقية إلى اللغة اليونانية ، وساهم هذا النقل في دفع عجلة التقدم العلمي والفني في العصر الجديد الذى كان لليونان اليد الطولى فيه ، وبدأت دورة حضارية جديدة بدأ فيها التأثير والتأثر بين الحضارة اليونانية والحضارات الشرقية وانصهرت الحضارتان وكان من ثمارها هو ميلاد حضارة شرقية يونانية اصطلح الباحثون على تسميتها بالحضارة الهلينسنية ، وكانت عوامل تقدم ورقي العلوم والفنون في هذه الفترة كلُها متوافرة بفضل التشجيع من قبل حكام هذا العصر ، إذ تأسست مراكز علمية في الممالك الهلينسنية ويأتي على رأس هذه المراكز الإسكندرية عروس البحر المتوسط

وعاصمة الفكر والثقافة والفنون لعدة قرون ، وكان هذا بفضل التشجيع الذى نالته جامعتها ومكتبتها من رعاية وعناية الملوك البطالمة الذين أجزلوا العطاء لعلمائها ومفكريها وشجعوا هجرة مشاهير العلماء والمفكرين من بقاع العالم اليوناني المختلفة إليها ، فصارت كعبة العلماء وواحة أمان لهم وكعبة لطلاب العلم والمعرفة الذين تقاطروا إليها من كافة الأصقاع للنهل من العلوم والفنون التى طورتها عقول نذرت نفسها للعلم والمعرفة . ومن ثم فقد صارت الإسكندرية مركزاً للإشعاع الفكري والثقافي لقرون عديدة ولعبت المراكز الثقافية في سوريا دوراً في دفع وتطور العلوم والفنون بفضل تشجيع الملوك السلوقيين وظلت حركة التطور والدفع والانصهار العلمي والفكري والفني على قدم وساق في هذه المراكز العلمية مما أثمر لنا حضارة لها سمات شرقية ويونانية استمر فيها التأثير والتأثر بين الحضارات وإن كان تأثير الحضارة اليونانية أعمق وأكبر فى الحضارات الشرقية ، وعلى كل حال فقد استمر الانصهار الحضاري بين الحضارات المختلفة.

واستمر الأخذ والعطاء بينها إبان العصر الروماني الذى استمر فيه الانصهار الحضاري على قدم وساق في مراكز الحضارة الشرقية والتى انتقل تأثيرها إلى الغرب الروماني الأقل حضارة وبفضل السلام الروماني وبفضل التشجيع الذى استمر للمدارس والمعاهد الشرقية على يد الرومان وإذا كانت روما مدينة بحضارتها للشرق فإنها في فترة سيادتها على المناطق الشرقية قد كان لها إسهاماتها العظيمة في مجالات فكرية بعينها وأهمها على وجه الخصوص القانون الروماني الذى بدأ تأثيره على القوانين الشرقية وإن كان تأثير الأخير ظاهراً في بعض المجالات القانونية ، ثم استمر الانصهار بين القوانين وبلغ أوجه بعد منح الجنسية الرومانية لكل سكان الإمبراطورية عدا المستسلمين في عهد الإمبراطور كاركلا .

ولم يكن التأثير في مجال الفانون فحسب ، بل نجد من اثار التأثير ، التأثيرات الفنية للفن اليوناني مباشرة أو عن طريق الفن الروماني المتأثر بدوره بالفن اليوناني تأثرا كبيراً وفي بعض الأحيان تأثرا يصل إلى حد التطابق ، ويظهر جلياً في البتراء بالأردن ، حيث نجد المقابر المنحوتة في الصخر بواجهاتها وأفريزاتها وأعمدتها التى تتبع الطراز المعماري اليوناني بشكل كامل ، وهذا نجده يتكرر في منطقة شمال غرب شبه الجزيرة العربية عند مدينة العلا ومغائر شعيب ومدائن صالح ، ونجد الفن اليوناني يصل إلى اليمن حيث يظهر الطراز الفني اليوناني واضحاً في عدد من التماثيل التى عثر عليها هناك وتخص الآلهة العربية القديمة وفي قطع العملة اليونانية وبخاصة العملة الأثينية كما نجد فى قطع العملة اليونانية ، وبخاصة العملة الأثينية تقليداً كاملاً في الرسوم والرموز وحتى الحروف اليونانية المنقوشة عليها طوال فترة غير قصيرة من التاريخ اليمني القديم (١).

ونجد أيضاً أن التأثيرات اليونانية امتدت إلى منطقة الخليج العربي ، إذ نجد بجزيرة فيلكة الكويتية معبدين ، رؤوس أعمدة إحداهما أيونية الطراز والآخر دورية الطراز ، كما نجد أن خطة المعبدين كانت يونانية الطابع كما وجدت تماثيل يونانية الطراز (٢).

وسنجد أن الفن اليوناني كان له تأثيره الجلى على الفنون اليهودية وهذا ما كشفت عنه الرسوم والصور على معبد يهودي في دورايوربوس (٣)، ولم يكن التأثير

---

(١) لطفي عبد الوهاب ، العرب في العصور القديمة ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص١٣٧ ، ١٤١-١٤٣ ، ١٥ أ ، ب.

(2) D.T. Potts, The Arabian Gulf in Antiquty, Vol. II, 1990, pp. 155.

(٣) نعمت اسماعيل علام ، فنون الشرق الأوسط في الفترات الهلينسنية – الساسانية ، القاهرة ، ١٩٩١ ، ص٤٥ وما بعدها .

اليوناني على اليهود في مجال الفن فحسب ، بل نجد ذلك في مجال الفلسفة ولعل فلسفة فيلون هي خير شاهد على ذلك ، فقد كان يؤمن بما قاله الفلاسفة اليونانيون ، وخصوصا ما قاله أفلاطون ، بل لا ينكر أى فضل وقيمة للدين الشعبي اليوناني ، وتأثر كثيرا بالمعتقدات الشعبية عند اليونان [1].

ولم يقتصر تأثير فلسفات العصور اليونانية الرومانية على اليهودية بل نجد هذا التأثير يمتد إلى آباء وبطارق وفلاسفة الكنيسة الأولى ومن بين هؤلاء أورجين وكلمنت وغيرهما [2].

وهكذا فإن الثقافة والعلوم والفنون اليونانية قد انتشرت في ربوع الشرق في العصر الهلينستي والعصر الروماني وأصبحت عنصراً هاماً ساهم في تشكيل شخصيته الحضارية ونمط حياة أممه واستمر هذا العطاء بعد الفتح الإسلامي ، إذ تبنى المسلمون الكثير من مظاهر النظم الإدارية والمالية السائدة في البلدان التى فتحوها ، واستمرت اللغة اليونانية هي اللغة السائدة في الكثير من المناطق التى كانت قد دخلت في حوزة الخلافة الإسلامية ، مصر بجانب القبطية ، وبلاد الشام بجانب الآرامية والسريانية ، مع إضافة اللغة العربية التى ستصبح اللغة الرسمية لدولة الخلافة في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك الذى أمر بتعريب الدواوين والإدارات الحكومية وكانت حركة الترجمة قد بدأت على نطاق ضيق في عهد الخلافة الأموية .

---

(١) عبد الرحمن بدوى ، خريف الفكر اليوناني ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص٩١ وما يليها.

(٢) هـ . أ . بل ، مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربي ، ص١٣٥ ، ١٦٩ ،
J.M. Creed , The Egyptian Contribution to Christianty legacy of Egypt ,ed. by Glanville , 1942 , pp. 300--316.

واستقى العــرب الكثير من الفكر والعلوم اليونانيــة مــن بعــض مراكــز الحضارة ومنها :-

١) جند نيسابور في جنوب إيران والتى اشتهرت بمدرستها الطبية وكــان أســرى الروم قد أسسوها في عهد سابور الأول وظلت العلوم اليونانية تدرس بــها بعــد ترجمتها إلى الآرامية حتى العصر العباسي الأول.
٢) مدينة حران في منطقة الجزيرة وكانت تسمى هيلينوبوليس وقام نفر من أبنائــها بترجمة الكثير من المؤلفات اليونانية إلى العربية من هؤلاء ثبت بن قرة ، وابن سنان ، وعائلة هلال الصابئ.
٣) الإسكندرية حيث وجد بها واحدة من أقدم الجامعات وحــافظت علــى الـتراث اليوناني والهلينستي ، وكان العرب في العصر الأموي يقدرونها حق قدرهـا ، إذ نجد أسطافن السكندري قد ترجم بعض كتب الكيمياء ، وكان الخلفاء يســتعينون بأطبائها .

وقد بدأت نهضة علمية حقيقية إسلامية في العصر العباســي الأول بعــد أن تبنى الخلفاء العباسيون حركة الترجمة وكفلوها بالرعاية والعناية ، فتم ترجمة كتــب الطب اليونانية ، والطبيعة ، والرياضيات ، والمنطق والفلســفة ، بينمــا أعــرض المسلمون عن ترجمة الآداب والأعمال الفنية وكتب التاريخ والخطباء اليونان .

ولعل السبب في ذلك هو الروح الوثنية في الأدب والفن اليوناني وذكر آلهتهم المتعددة وعبادة الأبطال وهذه الأمور لم يستســيغها العقــل الإســلامي . إذ يقــول المستشرق بيكر : (لقد كانت هناك عوامل تاريخية وعرقية ونفسية جعلت العرب لا يعنيهم من كتب اليونان إلا ما كان معترفا به من الجميع ، وما كان في الوقت نفســه يلائم طبيعتهم وأعني بذلك النزعة العقلية المنطقية . ولذلك فإن كل شئ كــان مــن نصيب الروح اليونانية في صدوره أكثر من نصيب العقل اليونــاني مثــل الشــعر

الغنائي والأدب الروائي وما كان يونانيا بحتا كآلهة (هوميروس) ومؤلفات المؤرخين اليونان - إن كل هذه الأشياء ظلت أبوابها موصدة أمام الشرق ، وقد اقتصرت حاجة الشرق الفنية من تراث اليونان على هندسة البناء وما يشبهها من الفنون غير الشخصية . وقد ظل الشرق الإسلامى ينظر إلى النحت نظرة عار وحمق لمخالفة الشرع ، وبينما أصبح جمال عالم الصور القديم وصورة الإنسان الكامل العاري نموذجا حسيا حيا لصورة الإنسان الجديد عند الأوربيين ، ويرى عالم الحس الحي في الشرق قد اختفى وراء التجريدات العقلية أو في العلاقات الغرامية الفردية.

ولكن لسوء الحظ فإن العلماء المسلمين لم يطلعوا على جانب مهم من التراث اليوناني وهو كتابات المؤرخين ولاسيما هيرودوت وثوكويديس وبوليبيوس ؛ كما لم يستفيدوا كثيرا من الفلسفة السياسية والفكر السياسى.

في ضوء ما سبق فقد نقل العرب من التراث اليوناني علوماً معينة شعروا بحاجتهم إليها وانها تتلاءم مع طبيعتهم وتتفق مع نظريتهم في الحياة ، فقد كان اهتمامهم بترجمة كتب المنطق والفلسفة نتيجة لما شعر به علماء الإسلام من الحاجة إلى مجادلة خصومهم المسيحيين واليهود والمجوس بالحجج والبراهين ذاتها ، وكان أكثر علماء المسلمين يجمعون بين هذه العلوم المختلفة ، فقد كان الكندي وهو أول مشاهير الفلاسفة المسلمين في الوقت نفسه عالما بالفلك والكيمياء والطبيعة والرياضيات وكان أيضا كل من الفارابي وابن سينا وابن رشد من كبار الفلاسفة وممن اشتغلوا بالطب والطبيعة والرياضيات.

وقد أقر مفكرو المسلمين بفضل الحضارة اليونانية في بعض الوجوه ، ومن بين هؤلاء الجاحظ إذ يقول : (لولا ما أودعت لنا الأوائل في كتبها

وخلدت من عجيب حكمتها ودونت من أنواع سيرها حتى شاهدنا بها ما غاب عنا وفتحنا بها كل مستغلق كان علينا ، فجمعنا إلى قليلنا كثيرهم وأدركنا ما لم نكن لندركه إلا بهم ، لما حسن حظنا من الحكمة ولَضَعُفَ سبيلنا إلى المعرفة)

ويقول الفارابي في كتابه (الجمع بين رأي الحكمين) : (لولا ما أنقذ الله أهل العقول والأذهان بهذين الحكيمين - أي أفلاطون وأرسطو - ومن سلك سبيلهما ممن أوضحوا أمر الإبداع بحجج واضحة مقنعة لكان الناس في حيرة لبس)

ويضيف أبو حيان التوحيدي خلاصة مذهب اخوان الصفا بقوله : (وكانت هذه العصابة قد تألفت بالعشرة وتصافت بالصداقة واجتمعت على القدس والطهارة والنصيحة ، فوضعوا بينهم مذهبا زعموا أنهم قربوا به الطريق إلى الفوز برضوان الله ، وذلك أنهم قالوا الشريعة قد دنست بالجهالات ، واختلطت بالضلالات ولا سبيل إلى غسلها وتطهيرها إلا بالفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال ... وصنفوا خمسين رسالة في أجزاء الفلسفة علمييها وعملييها)

وحمل الشرق الإسلامى وعلماء المسلمين راية ولواء الفكر الحضارة وأضافوا إلى علومه في كافة الأفرع الكثير والكثير وبدورهم قد نقلوه إلى العالم الأوربي الحديث عبر الأندلس وجنوب إيطاليا وصقلية وما نقله الأوربيون أنفسهم من بلاد الشام أثناء الحروب الصليبية.

واندفع العالم الأوربي إلى إحياء التراث اليوناني بكافة علومه ومعارفه وفنونه وأدابه في عصر النهضة بغرض فهم منابع حضارتهم وجذورها ، فإذا كان الأوربيون المحدثون قد نقبوا في التراث اليوناني لتأصيل حضارتهم الحديثة، فالأجدر بنا نحن العرب اليوم أن نعود إلى هذا التراث الضخم الذى أسهم في تكوين الشخصية العربية الإسلامية في عصور ازدهارها .

الموقع الجغرافي لبلاد اليونان وأثره على الشعب اليوناني وحضارته

الإنسان وليد البيئة يتأثر بها ويؤثر فيها ، فهي تدفع الإنسان إلى العمل والنشاط تحفزه إلى استغلال الموارد المتاحة في ضوء إمكاناته وقدراته. وتعد دراسة البيئة الطبيعية في العصور القديمة ضرورة للباحث لأن العوامل الطبيعية في تلك العصور كانت تؤثر في توجيه النشاط الإنساني وجهوده وجهة محددة وذلك لأنه لم يكن قد بلغ درجة التقدم والرقي التى تمكنه من السيطرة عليها ، ولذا وجب علينا أن نلقي نظرة سريعة على بيئة اليونان الطبيعية حتى نتمكن من تفهم خصائص الشعب اليوناني وحضارته ، وفهم العلاقة بين اليونان بعضهم ببعض في بلادهم وعلاقاتهم بالعالم الخارجي.

تقع بلاد اليونان في أقصى الطرف الجنوبي الشرقي من القارة الأوربية والمطلة على البحر المتوسط وتكاد تلامس شبه جزيرة الأناضول عبر مئات الجزر المنتشرة في المنطقة الفاصلة بينهما وهذا ما جعل اليونانى يولي وجهه شطر الشرق دائماً في فترات حضارته الأولى.

أما عن طبيعة بلاد اليونان فهي طبيعة جبلية بحرية جزرية ، وسنحاول أولا أن نتحدث عن الطبيعة الجبلية وأثرها على الشعب اليوناني.

إن طبيعة شبه جزيرة البلقان هي طبيعة جبلية بحرية فالجبال تغطي حوالي ٨٠% من مساحة اليونان وهي منتشرة في شكل سلاسل جبلية تمتد عبر بلاد اليونان وأشهر هذه الجبال هي جبال بندوس (Pendos) التى تمتد في شكل قوس ضخم من البلقان الغربية إلى بلاد اليونان وجزر البحر الإيجي وغرب اسيا ، ويتفرع من هذه السلسلة عدة شعاب جبلية تكتنف الجانب الشرقي من بلاد اليونان ، هذه الطبيعة أدت إلى التمزق الشديد للسطح بالجبال والمرتفعات والوديان والسهول،

ومع أن هذه الجبال غير شاهقة الارتفاع فمتوسط ارتفاعها لا يزيد على ٨٠٠٠ قدم في أغلبها ، فإنها تعمل كحواجز طبيعية بين السهول وتحول دون الاتصال بين الجماعات المختلفة ، وتجعل التنقل شاقا بين منطقة وأخرى .

ومن ثم فقد انقسمت بلاد اليونان إلى أقاليم تكاد تكون معزولة عن بعضها البعض إلا من ممر ضيق بين المرتفعات الجبلية أو شريط على ساحل البحر ، وحتى هذه الممرات لم تكن يسيرة العبور. ولنضرب بعض الأمثلة عن وعورة البعض منها فلدينا جبال جرانيا Geranea وجبال كراتيه Karata الفاصلة بين منطقتي كورينثا وأتيكا ويوجد ممر على الحافة الشرقية لهذه الجبال ويتراوح ارتفاعه بين ٦٠٠-٧٠٠ قدما مما يخلق صعوبة لعابريه من المسافرين بسبب الرياح الشديدة الاندفاع في أحيان كثيرة نحو البحر وليست هذه الرياح هي العقبة الوحيدة التى كان يواجهها عابرو هذا الممر فقد كان يضيق في بعض أجزائه حتى لا يكاد يكفي إلا لمرور عابر واحد وإن كان عبوره يتم بعد جهد ومشقة ، وجبل كيثاريون Kithareon الذى يمتد على حافته ممر يصل بين منطقتي كورينثا وبؤوتيا ، وكان المرور في هذا الممر يمثل مشقة كبيرة تواجه سالكيه إذ يذكر إكسنفون أن قوة اسبرطية قد اضطرت أمام خطر الرياح الشديدة أن تلقي بدروعها جانبا حتى يستطيع الجنود أن يعبروا على أيديهم وأقدامهم[1].

ويشكل عبور جبال هيلكون الواقعة بين بؤوتيا وفوكيس عقبة كأداء لسالكيه وينطبق هذا القول أيضا على عبور جبال بندوس الواقعة بين تساليا وإبيروس ، فدروب هذه الجبال كانت تتجه إلى الارتفاع الذى يصل في المتوسط إلى ٣٠٠٠

(1) Xenophon , Hellenica , V. 17-8 .

قدما فوق سطح البحر ، كما أن هذه الممرات والدروب كانت تغطيها الثلــوج فــي فصل الشتاء مما يعوق حركة الانتقال بين الجماعات المختلفة.

وإذا كانت الجبال تمثل عنصر فصل لاوصل بين المناطق المختلفــة وحتــى ممراتها على الرغم من صعوبتها فإن السكان لم يهتموا بالعناية بها وتعبيدها وذلــك حتى لا يتعرضوا لغزو عبرها من قبل الجماعات المجاورة ، فإن البحر هو الآخــر كان له بصماته القوية على بلاد اليونان وشخصيتها ، فقد كانت لحركة الانكســارات الجيولوجية في هذه المنطقة أبعد الأثر عليها حيث غزا البحر العديد مــن الوديــان وحولها إلى خلجان تمتد لمسافات بعيدة في اليابسة ، وفي المقابل فإن سلاسل الجبال أصبحت تمتد داخل البحر مكونة أشباه جزر بارزة ثم تستمر بعد ذلك في صــورة جزر متناثرة وهكذا صار البحر يكتنف بلاد اليونان من أغلب جوانبها ويتوغل فــي أراضيها توغلاً شديداً ويقطع سواحلها تقطيعا ولانجد شاطئا أخر في أوربا غريــب التكوين مثل هذا الشاطئ ولا حتى شــواطئ دالماتيــا Dalmatia أو الــنرويج ذات الخلجان الكثيرة العدد والتى تقع كلها في نفس الاتجاه وليس فيها تنوع مثل التنــوع الشديد في الشواطئ اليونانية. وأمام التداخل الشديد بين اليابسة والبحر فإن البحـر لا يكون بعيدا أبدا عن أعين المسافر ويمكنه رؤيته أثناء رحلته إلى الداخــل ، فكــان البحر لا يبعد عن أي بقعة في بلاد اليونان إلا لمسافة بسيطة ، فلا يوجد مكان فــي بلاد اليونان الوسطى يبعد عن البحر بأكثر من واحد وستين كيلومترا ، ولامكان فــي البلوبونيز يبعد عنه بأكثر من ثلاثة وخمسين كيلومترا.

وأمام هذه الظاهرة كان البحر أحيانا هو طريق المواصلات الوحيد بين مدينة وأخرى وبخاصة في الجزر وأشباه الجزر ، ولكن إذا كانت أرض اليونان مقطعــة في كل مكان فإن الوصف نفسه ينطبق أيضا على البحر المحيط بها حيث لا تكــاد تغيب اليابسة عن عين الملاح. وقد أثمرت الانكسارات الجيولوجيــة عــن غــرق

المناطق المنخفضة من السلاسل الجبلية وبقيت المناطق المرتفعة هلى هيئة جزر فكان يوجد في البحر الإيجي ٤٨٣ جزيرة ، وفي غرب بلاد اليونان حوالي ١١٦ جزيرة ، ولم تكن الملاحة والإبحار أمراً يسيراً في العصور القديمة ومن ثم فإن البحر هو الآخر سيؤثر على اتجاه السكان نحو العزلة السياسية ، وإن كانت كثرة الجزر في البحر الإيجي ستساعد عل الملاحة والإبحار وهذا سيحكم توجه اليونان نحو الشرق وحضاراته في العصور السحيقة والعتيقة والكلاسيكية ، ثم الاتجاه نحو الغرب حيث الأراضي البكر.

وإذا كانت الجبال والبحار تمنع تحقيق الوحدة فإن الأنهار هي الأخرى لم تكن تساعد على تحقيقها ، فهي أنهار قصيرة المجرى قليلة الماء والكبير منها – مثل نهر بينيوس Peneus في تساليا ، ونهر ألفيوس Alpheus في البولونيز ، ونهر أخيلوس Achelous عند حدود إقليمي أكارنانيا وأيتوليا ، ونهر بميسوس في إقليم مسنيا – لا يصلح للملاحة إلا في فترة قصيرة من العام وإبان فصل الشتاء ، أما بقية الأنهار الأخرى فهي لاتزيد عن أن تكون سيولاً تمتلئ بالماء إلا بعد العواصف الشديدة أو خلال فصل الشتاء وتجف مجاريها بقية فصول السنة ، وإذا كانت هذه الأنهار غير صالحة للملاحة فإنه يتعذر عبورها واجتيازها عندما تفيض مياهها في فصل الشتاء ، وغالبا ما يجرى الانتقال البري على الطرق المحازية لمجاري الأنهار.

وأمام الأثر السلبي للغاية لهذه الطبيعة الجبلية البحرية الجزرية المعقدة ، فإننا نجد انقسام الشعب اليوناني إلى جماعات كثيرة صغيرة منفصلة عن بعضها البعض، وكل واحدة منها حريصة على استقلالها التام والتى كان بإمكانها أن تدافع عنه بسهولة كما أنها تمسكت بسيادتها Autonony ولم تقبل أبدا نظام حكم مشترك أو حتى اتحادي فيما بينها كما سبق أن بينا . ولذلك فشلت كل المحاولات الرامية

للوحدة أحيانا والتى اضطروا إليها اضطرارا تحت إلحاح الخطر ولكن سرعان ما تـزول . كذلك كان مع هذه التضاريس الوعرة من الصعوبة بمكان انشاء نظام جيد للطرق وهو القاعدة الأولى والأساسية لتوحيد أي دولة ، ولم تكن الطرق البرية بين المدن إلا طرقا رديئة لا تساعد على الانتقال والاتصال .

وأمام هذه الظواهر فقد تأصلت النزعة الانفصالية السياسية عند الجماعات حتى ذهبت إلى أبعد مما كان تمليه الطبيعة ، وتكونت المدن الدول التى استمسكت بحياة الاستقلال ولا ترضى عنها بديلا وقد أشاد مفكرو اليونان بهذا النظام وعدوه النظام الوحيد الذى يستطيع العيش في ظله الإنسان الحر فقد عبر أرسطو عن قوة وفاعلية نظام المدينة الدولة في قوله :(لقد ظهر هذا النظام إلى حيز الوجود من أجل الحياة لاغير ، ثم بقي موجودا من أجل حياة خيرة)

وكان لهذا تأثيره أيضا عند خروجهم من بلاد اليونان وتأسيسهم للمستعمرات في الأراضي السهلية الخصبة الفسيحة أنهم أقاموا نظام المدن الدول وهذا ما سنلمسه في مستعمرات سواحل اسيا الصغرى ، وإيطاليا وصقلية ، بل سنجد أن بعض الجزر كان بها أكثر من مدينة دولة وسنتناول هذا عند حديثنا عن حركة الهجرة الكبرى شرقا وغربا لليونان.

المناخ وأثره في اليونان :

كان للمناخ أثر بالغ فى حياة وشخصية اليونان ، فمناخ اليونان هو مناخ البحر الأبيض المتوسط المعتدل ، فصيفها حار جاف وشتاؤها ممطر دافئ . ويرجع اعتدال المناخ في بلاد اليونان إلى اعتدال البحر المتوسط حيث تهب الرياح العكسية الغربية في فصل الشتاء مما يلطف من برودة الجو ، بينما يجذب في الصيف الرياح الشمالية الشرقية الجافة الباردة فيلطف من درجة حرارته ، وإن كان هناك اختلاف

وتنوع في مناخ المناطق المختلفة من اليونان فكلما توغلنا في داخل بلاد اليونان وابتعدنا عن البحر فإننا نلمس وبصورة جلية اختلاف المناخ الذى يبعد عن تأثيرات البحر ويصبح أكثر شبها بمناخ قلب القارة الأوربية ، وفي الغالب الأعم فقد كان مناخ بلاد اليونان ثابتاً منتظماً نسبياً وهو مناخ ملائم لنشأة الحضارات وسيكون لهذا المناخ تأثير واضح على الحضارات الأولى وحدد قيامها على الأطراف وليس في الداخل وهذا ينطبق على حضارة الجزر (الكوكلاديس وكريت) وعلى الحضارة الموكينية ، وكذلك على انتشار المستعمرات اليونانية على السواحل الأسيوية وفي جنوب إيطاليا وصقلية.

إن اعتدال المناخ وكثرة سطوع الشمس لساعات طويلة صيفاً وشتاءً كان له عظيم الأثر في حياة اليونان الجماعية فكان اليوناني يقضي ساعات طويلة من فراغه خارج المنزل ويلتقي ببقية الجماعة ، حيث يمكنه تبادل الأفكار وشحذ القدرات العقلية ونمو فكرة الحياة المشتركة ، وكان صهر وصقل الأفكار المشتركة موضعه ساحة المدينة العامة أو السوق (agora) فقد كانت ساحة متعددة الأغراض لتبادل السلع والمنافع ، وللتقاضي وتبادل الأفكار والحوار ، وكان ثمرة هذا كله النضج السياسي ، كما أن سطوع الضوء لساعات طويلة سواء على الجبال أو البحار والأنهار والغابات والمراعي المروج والمزروعات وكلها غالبا ما تكون في مرمى البصر اليوناني ويؤدي إلى تباين وتقابل الألوان كل هذا كان له الأثر البالغ في التأثير على حواس اليونان التى ظلت حية متوثبة ، وعندما تكون الحواس نشطة مشحوذة في حماس فنتيجة ذلك أن العقل يكون متوقداً متأهباً لتفحص وتامل كل شئ وتفسير ما حول الإنسان من أمور وأحوال فلا عجب إذاً من شغف اليونان بالتأمل الطويل ، فقد أثر عن سقراط أنه كان يظل واقفا ساعات طويلة ذاهلا عمن حوله من

الناس ، وغير عابئ بمضي الوقت ، وكانت نتيجة هذا كله تشكيل الفكر اليوناني الفلسفي والسياسي وازدهار الفكر المسرحي بشقيه التراجيدي والكوميدي...إلخ

وإذا كان المناخ قد لعب دوراً حيوياً في حياة اليونان فعلينا أنْ ننتقل الآن لمناقشة موارد الثروة عند اليونان وعدم كفايتها وأثر ذلك عليهم.

موارد الدخل والثروة في بلاد اليونان :

لم تكن طبيعة بلاد اليونان سخية في عطائها من الناحية الاقتصادية ، إذ كانت نسبة الأرض السهلية حوالي ٢٠% من مساحة اليونان الكلية ، بينما المساحة الباقية عبارة عن ٨٠% أراضي جبلية ، وكان على اليونان أن يقيموا ويستغلوا المناطق السهلية المحدودة التى لم تكن درجة خصوبتها واحدة فقد تباينت بين منطقة وأخرى ، كما تباينت مساحة السهول في مناطق اليونان المختلفة. وأمام نقص المساحة الزراعية السهلية في بعض المناطق فقد لجأ اليونان القدماء إلى استغلال سفوح الجبال ذات التربة الضئيلة السمك وبذلوا جهودا كبيرة لاستزراعها بعد أن درجوها ، وهذا يظهر جليا في جزر الكوكلاديس.

وتتركز السهول الرئيسية في المناطق الآتية :-

١) منطقة تساليا حول لاريسا وشرق فارسالوس وسهول نهر إسبرخيوس شرق ماليس وفي فوكيس جنوب إلاتيا.

٢) سهول بوؤتيا.

٣) سهول أتيكا ومنها سهل اليوسيس وسهل ميسوجيا Mesogaea الواقع بين هيمتوس وجبال الساحل الشرقي والسهول حول ماراثون.

٤) سهول أرجوليس وهي موجودة حول أرجوس والسهل المتاخم لمانتينا وتجيا ، وسهل لاكونيا والسهل الساحلي الغربي بإقليم إيليس.

٥) سهول جزيرة يوبويا.

وقد انتشرت في هذه السهول المزارع ومناطق رعوية وكلما زادت حاجة اليونان وزاد عددهم ، توسعوا في زراعة واستصلاح جانباً من أراضي المراعي، وإذا شحت الأرض في المناطق السهلية كان عليهم إما أن يقوموا بتدريج سفوح الجبال وزراعتها ، وإما أن يخرجوا من منطقتهم مهاجرين ساعين للانتقال إلى مناطق أكثر رخاءً وازدهاراً فيما وراء البحار . كما لجأ اليوناني للحفاظ على خصوبة التربة وذلك بتقسيمها إلى قسمين ، أحدهما : يزرع ، والآخر : يترك خلاء، على أن يزرع في العام التالي مع ترك الأول بغير زرع وهكذا كانت تتناوب العملية الزراعية .

ومن أهم الحاصلات الزراعية القمح والشعير ، وكانا يمثلان الغذاء الرئيسي عند اليونان وكانت كل مدينة دولة تحاول زراعة ما يكفي حاجتها من القمح ، وإذا قل العرض عن الطلب وعجزت المدينة الدولة عن تحقيق الاكتفاء الذاتي كانت مجبرة على استيراده . لقد كانت زراعات الأعناب تجود في اليونان التى عرفتها منذ فجر تاريخها ، وكانت زراعته تسد حاجة الاستهلاك المحلي ، إذ كان عصيره هو الشراب الشعبي عند اليونانيين ، وما يفيض عن حاجتهم كان يصدر إلى الخارج .

كما أن زراعة الزيتون قد جادت في الأرض اليونانية ، وكان من المحاصيل الرأسمالية في اليونان ، إذ كان يستخدم زيته في عدة أغراض حيوية فزيت العصرة الأولى للطعام ، وزيت العصرة الثانية للاستحمام والنظافة ، وزيت العصرة الثالثة للإضاءة ، أما بقية مخلفاته فكانت تستخدم كوقود وكان يتم إنتاجه بكميات كبيرة نظرا لملائمة التربة اليونانية والأحوال المناخية لزراعته ، وإن كانت أشجاره لا تبدأ في الإثمار إلا بعد ستة عشر عاما أو ثمانية عشر عاما ، ويزداد إنتاجها تباعا ،

وتعطي أعلى إنتاج عندما يصل عمرها أربعين عاما أو ستين عاما ، وأمام طول فترة انتظار المحصول الوافر فقد كان من العسير زراعته إلا في ظل حكومة قوية وعند زراع يتسمون بالصبر ولديهم المال الكافي للاستثمار في الزراعة.

وعرفت بلاد اليونان زراعات التين والكمثرى والتفاح والبرتقال ، وفي الغالب الأعم فإن موارد بلاد اليونان في الحبوب لم تكن تكفي لسد حاجة السكان وكان عليهم استيراده بينما كان يوجد عندهم فائض في النبيذ وزيت الزيتون وكان عليهم تصديره إلى الأسواق الخارجية.

ولم تكن الزراعة هي مصدر الثراء الوحيد فقد كانت حرفة الرعي تمثل مصدر الدخل الثاني لليونان وقد استغل اليونان أراضي المراعي في السهول وعلى سفوح الجبال وعلى الجبال نفسها ، فقد اعتنوا بتربية الحيوانات ، مثل : الأبقار والأغنام والماعز والخيول والبغال والخنازير.

كما استغل اليونان أخشاب الغابات المحلية لسد احتياجاتهم ولكن بمرور الوقت قلت مساحة الغابات إذ امتدت يد الإنسان اليوناني واجتثت جانبا منها وأحلت زراعة الحاصلات محلها كما كان للماعز دور كبير في إتلاف الكثير منها ، وأمام نقص الأخشاب فقد استوردوها من البلاد المجاورة.

أما عن ثروة بلاد اليونان من المعادن والأحجار ، فهي متعددة الأنواع وإن كانت غير وفيرة ، فكان الرخام المتعدد الأنواع يتم قطعه من باروس بكميات كبيرة، كما كان يتم استخراج الذهب من مناجمه في تراقيا ومقدونيا وجزيرة ثاسوس Thasos ، والفضة من مناجمها في لوريوم Laurium في أتيكا ، والنحاس من مناجمه بالقرب من خالكيس بجزيرة يوبويا وقبرص ، والحديد من مناجمه في

لاكونيا. وهذه المعادن كما نرى كانت تستخرج من بعض المدن الدول وتصدر إلى دول مدن أخرى وكان يسد النقص بالاستيراد من خارج المدن الدول .

قصارى القول أنه في ضوء ما فرضته الظروف الجغرافية - التضاريسية والمناخية - وفي ضوء نقص الموارد نجد أن اليونان قد كان عليهم العيش في جماعات صغيرة ، يعرف كل جماعة بعضهم بعضا ، وتعيش هذه الجماعة حياة منطلقة يتبادلون الرأي والمشورة في كافة القضايا التى تواجههم أو تعن لهم ، وأمام سياسة الاكتفاء الذاتي لكل جماعة ، فإن هذا سيؤدي إلى ترسيخ الروح الفردية الانعزالية لدى كل جماعة بمرور الوقت ، وصارت هذه الجماعات لاتقبل العيش إلا في جماعات صغيرة وهذا ما ستؤكده حركة الاستعمار والهجرة عندما ضاقت عليهم الأرض وأصبحت لا تفي باحتياجاتهم الضرورية في أحايين كثيرة ، فهاجروا إلى مناطق جديدة نقلوا إليها نظمهم وأفكارهم التى اعتادوها في مواطنهم أو مساقط رأسهم ، وأقاموا تنظيمات وكيانات منفصلة بشكل تام عن مدنهم الأم المنحدرين منها ، وهذا ما سنشرحه في الفصول التالية.

* * * * * * *

بداية التاريخ اليونانى :

كان اليونانى فى العصور القديمة يعتبر أن التاريخ محفـــوظ فـــى ملحمتـــى الاليـــاذة والأوديسة ، وفى القصص والأساطير ، التى وصلت إليه مـــن المـــاضى البعيـــد ، الخاصة ببعض مراكز الحضارة التى مازالت بعـض آثارهـــا شـــاخصة للعيان أمامه وتذكره بمجدها الآفل ، مثل موكيناى وتزينس ، ولم يضع المفكـــرون القـــدماء حـــداً فاصلاً بين الماضى الأسطورى والأحداث الواقعية الملموســـة فـــى التاريخ ، فعلى سبيل المثال يقص علينا هيرودوت أن حرب طروادة قد اندلعت فـــى زمن الجيل الثالث بعد وفاة الملك مينوس . وكانت الحرب بالنسبة له حدثاً تاريخيـــاً غير قابل للجدل ، كما كان الحال عليه بالنسبة لحملة ياسون إلى كولخيس لاحضـــار الفروة الذهبية ، وحتى المؤرخ الناقد والمدقق ثيوكيديديس قد افتتح روايته للتـــاريخ اليونانى بالإشارة إلى الملك مينوس ؛ إذ يقول " مينوس هو أول من اشـــتهر عندنـــا عن طريق الروايات المأثورة . بأنه أنشأ أسطولاً ، إذ جعل نفسه سيداً على جـــزء كبير مما يسمى الآن البحر الهلينى ، وصار سيد الكوكلاديس وهو أول من اســـتعمر معظمها وذلك بأن طرد الكاريين ونصب أبناءه حكاماً لها . وعمل مينـــوس طبعـــاً على تطهير البحر من القراصنة قدر استطاعته ، لكى يصل إليـــه خـــراج مملكتـــه بسهولة ، مع ادراك ثيوكيديديس المؤرخ الناقد والمدقق أن اشعار هوميروس تـــؤرخ بفترة متأخرة عن الأحداث المحيطة والمفترض حدوثها بسقوط طروادة ، نجـــده لا يشك فى أصالة الشاعر قط ، أو فى أن أجاممنون كان ملكاً على موكيناى ، كما نجد المؤرخ الموسوعى أراتوسثتنيس القورينى قد بدأ مسحه للأحداث التاريخية فى بـــلاد اليونان بحرب طروادة والتى أرخها بعام ١١٨٤ ق.م " . ومن الكتّاب القدامى الذين خصوا كريت وحضارتها بالذكر والتقدير ، هوميروس ، وهيرودوت ، وثيوكيديديس وافلاطون وأرسطو ، وكانت معلوماتهم عنها مقتضبة ولكنها دقيقة فى تفاصيلـــها .

فمن أقوال هوميروس فى الالياذة أن الجزيرة كان بها ١٠٠ مدينة وسبع منـــها أورد ذكرها فى قلب الجزيرة وهى كنوســـوس ، وجورتيـــن ، وليكتـــوس ، وميلتـــوس وفايستوس وريتيون Rhytion ، كما نجده يذكرها فى الأوديسة قائلاً : " فـــى قلـــب البحر القانى فى لون النبيذ توجد أرض تسمى كريت ، وهـــى واسـعة وخصبـــة ، ومحاطة بالبحر ، ويستمر فى القول أن إناس كثيرين يعيشون هناك ، وأن بـــها ٩٠ مدينة ولغات مختلطة ، وهؤلاء النـــاس كـــانوا مـــن الاخييـــن ، والايتوكريتييـــن (Etocretans) والكيدونيين (Kydonians) والدوريين والبلاسيجيين ، وأيضاً توجـــد مدينة كنوسوس حيث مينوس ، رفيق الإله الأكبر زيوس قد اعتاد أن يكون ملكاً لمدة تسع سنوات ، كما نجد أن الكتّاب اليونانيين ومنهم افلاطون يذكرون أن مينوس كان يذهب كل تسع سنوات إلى كهف زيوس حتى يمكنه تجديد الرفقة والصحبة ســـواء مع زيوس أو مع الالهة الأم كى يتسلم سلطته منها . وقد أشاد أرسطو فى كتاباتـــه بنظم كريت وحضارتها . وهكذا نجد أن الشعراء والكتّاب والفلاسفة امنـــوا إيمانـــاً صادقاً بوجود هذه الحضارات ، فما هو موقف المفكرين والدارسين المحدثين فـــى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من الحضارات الســـالفة الذكـــر ؟ لقـــد اتخـــذ المؤرخون المحدثون موقفاً ناقداً من الحقائق المأخوذة من الملاحم وكتب المؤرخيـــن القدامى ومن الاساطير ورفضوا أن يقبلوا العصر البطولى كعصر تاريخى واعتادوا أن يبدأوا كتبهم بقسم يخصصونه لدراسة الاساطير اليونانية التـــى كتبـــها الكتّـــاب القدامى ، وعمدة هذا الاتجاه هو المؤرخ الانجليزى جورج جورنى G. Grote الذى كتب فى منتصف القرن التاسع عشر سفراً ضخماً عن التاريخ اليونانى ، وميز فيـــه بين الأسطورة والتاريخ الحقيقى ويعتقد أن التاريخ اليونانى يبدأ بالهجرة الدوريـــة ، وان كان قد بدأ تاريخه بأول دورة للألعاب الاوليمبية عـــام ٧٧٦ ق.م لكـــون تلـــك الالعاب تمثل نقطة انتقال من عالم الأسطورة والخرافة إلى التاريخ الحقيقى ، ولـــم

تكن الحفائر الاثرية قد بدأت بعد بشكل منتظم وعلمى ، وبدأ العلمـــاء فـــى الثلـــث الأخير من القرن التاسع عشر تنقيباتهم الأثرية ، والتى ما تزال مستمرة ، وقد اتـــت أُكلها وما تزال تجود بالكشف عن جوانب من حضارات عتيقة " ابتداء من العصـــور الحجرية والبرونزية " غير مشكوك فى صحة وجودها ، وهذه الحضـــارات قـــامت ووصلت ذروة مجدها فى المنطقة الايجية وبلاد اليونان القارية ، كما كشفت لنا عن أن حضارات عصر البرونز قد عرفت الكتابة وتركت لنا رقماً مكتوباً ، ومن هـــذه الحضارات حضارة جزر الكوكلاديس ، والحضارة الهيلادية .

وقد بدأت الحفائر فى عالم بحر إيجه تميط اللثام عن حضارة رائعة على يـــد المنقب الألمانى هينرش شليمان (Heinrich Schliemann) . إذ كشفت تنقيباته عـــن وجود حضارات سابقة بزمن طويل عن التاريخ المتعارف عليه عنـــد المؤرخيـــن المحدثين وهو ٧٧٦ ق.م . لقد قام هذا الرجل العظيم بعد جمعه ثروة طائلـــة مـــن أعماله التجارية والتى مكنته من الانفاق على إجراء حفائر فى منطقة طروادة وفـــى مناطق أخرى من بلاد اليونان مسترشداً بالوصف المسجل فى الإلياذة والاوديســـة ، وكان يؤمن بهما ايماناً عميقاً ويوقن أنهما يعكسان تاريخاً لحضارات قديمة ولاحداث تاريخية حقيقية ولا تمثلان أساطير ، وكان يؤمن أن حرب طروادة كانت واقعـــاً لا خيالاً . وقد بدأ حفائره فى طيبة فى عام ١٨٧٠ وفـــى موكينـــاى ١٨٧٤ ، وفـــى أورخومينوس Orchomenenos عام ١٨٨٠ ، وفى ترينس عام ١٨٨٥ . وكان مـــن ثمار حفائره أنها كشفت عن دول قوية زاهرة لقرون قبل التاريخ المقبـــول لبدايـــة التاريخ اليونانى وأن بعض اللقى والمخلفات الأثرية كانت متطابقـــة مـــع وصـــف هوميروس وأن حرب طروادة كانت حقيقية وواقعاً فى حياة اليونان ، وتحت تـــأثير الروايات المتواترة فى العصور القديمة لهوميروس والكتّاب الآخرين عن قوة الملـــك مينوس Minos ملك كريت وأنه قد حكم وسيطر على البحر الإيجى ؛ فقـــد حـــاول

هنيرش شليمان الكشف عن الحضارة المينوية ، ولكنه فشل فى شراء الأرض من مالكها والتي كان يرى أنها تخفى بقايا قصر كنوسوس وكان على حق فى اعتقاده ، وإذا كان شليمان قد فشل في شراء هذه الأرض ، فإن محاولات وجهود العالم الانجليزى أرثر ايفانز قد نجحت وتوجت بشراء الأرض من مالكها ، وبدأ فى إجراء حفائره فى المنطقة عام ١٨٩٩ م. وكانت نتائجها رائعة إذ كشفت عن حضارة زاهرة فى كريت وأنها كانت أكثر رقياً وازدهاراً وروعة من تلك التى عرفتها بلاد اليونان الهيلادية ، وأنها كانت سابقة عليها وأن الحضارة الهيلادية قد تأثرت بها فى مجالى الفكر والدين ، وكان ذلك خلال الألف الثانية قبل الميلاد . وكان لهذه الكشوف الأثرية فى الدوائر العلمية صداها الكبير إذ حفزت الجمعيات العلمية والجامعات على إجراء الحفائر فى كريت ومنطقة بحر إيجة واسيا الصغرى وشبه جزيرة البلقان والمناطق المجاورة ، وكان ثمرة كل هذا نتائج رائعة غيرت لنا الكثير من الآراء ومازالت تغير مع كل نشر جديد وكل كشف جديد عن حضارة اليونان وأصولهم . وهكذا فقد نسخت نتائج الحفائر الأثرية اراء مؤرخى القرنين الثامن والتاسع عشر ، وكان لابد من إعادة كتابة فصول تاريخ هذه الفترة فى ضوء اللقى الأثرية والآثار المعمارية . فتحركت الهمم والاقلام واثمر هذا عن كتب ومقالات بلغات شتى عن هذه الحقبة . وبعد أن عرضنا فى عجالة لبداية التاريخ اليونانى ننتقل الآن للحديث عن أصول الشعب اليونانى :

أصل الشعب اليونانى :

من هم سكان بلاد اليونان والجزر وكريت الأول؟ وهل كانوا ينتمون لجنس واحد أم عدة أجناس ؟ وهل كانوا أجداداً لليونان ؟ وهل كانوا يتكلمون لغة هندواوربية أم لغة أو لغات أخرى ؟ وهل نزلوا المنطقة فى موجة واحدة من الهجرة أم فى موجات متتالية أم متقطعة من الهجرات ؟

كشفت لنا التنقيبات الأثرية أن بلاد اليونان والجزر قد شهدت سكنى الانسان من العصر الحجرى القديم ، إذ سكن الإنسان مناطق تساليا فى وادى نهر بنيوس Peneus ، وفى مناطق شمال ووسط اليونان والجزر ، وزادت مستوطناته فى هذه المناطق فى العصر الحجرى الوسيط ، وفى الفترة الانتقالية بين العصر الحجرى الوسيط والعصر الحجرى الحديث زادت أعداده عندما عرف الزراعة واستأنس الحيوان وصار زارعاً مستقراً وراعياً لقطعان وأعداد كبيرة من الحيوانات ، وزادت محلات سكناه فى العصر الحجرى الحديث ، ويرى البعض أن هذه الزيادة فى عدد المستوطنات فى تلك المناطق ناتج عن موجات من الهجرة وفدت إلى تلك المناطق ، وبعد الاستقرار فقد طور الإنسان أدواته الحجرية وصنع فخاره ، وأطلق كتاب اليونان القدامى على أصحاب حضارة العصر الحجرى الحديث البلاسيجيين Pelasgoi أو الليلجيين Leleges ، والكاريين ، ويرجح أن هؤلاء قد وفدوا من جنوب غرب اسيا الصغرى ، ودخلوا عبر الجزر اليونان من سواحلها الشرقية والجنوبية ، ولعلهم كانوا يمتون بالصلة للسكان الأوائل فى كريت وجزر البحر الايجى ، ولم تكن لغة البلاسيجيين تنتمى إلى العائلة الهندواوربية ، ويتضح ذلك من نهايات أسماء كثير من الأماكن والنباتات والطيور والملاحة وصيد الأسماك ، ومن هذه النهايات ، النهاية (SOS) والنهاية "ene" والنهاية thos مثل كورنيثوس وموكينى ، برناسوس ... الخ . ومما هو جدير بالذكر أن الكثير من مفرداتهم قد تبناها مهاجرون هنداوربيون جدد وفدوا أو توافدوا على المنطقة – فى رأى بعض الباحثين – فى خواتيم الالف الثالثة أو فى بداية الالف الثانية بعد الميلاد ، ولكن لا نعرف من أين أتوا ، فلعلهم وفدوا من منطقة حوض الدانوب أو شمال أوربا الشرقى أو من منطقة أكثر بعداً من ذلك ، وأغلب الظن أنهم لم يدخلوا فى هجرة واحدة ، وإنما دخلوها فى أفواج متعاقبة وأن هجرتهم قد استغرقت عدة قرون ،

وكان ثمرة هذه الهجرة أن عناصرها قد طغت على السكان القدامى وأصبحوا الطبقة الحاكمة بفضل تفوقهم العسكرى ، ولكنهم فى نفس الوقت قد امتزجوا بالسكان الأصليين ، وسنحاول أن نلقى الضوء على تاريخ وصولهم الدقيق قدر ما تمكننا به المصادر الوثائقية ، يرى العالم نلسون أن هذه الهجرات لم تتوافد على العالم اليونانى قبل عام ١٦٠٠ ق.م ولكن جل الآثاريين والمؤرخين يرون أنهم توافدوا على المنطقة مع فاتحة الالف الثانية ، وأن هذه المرحلة تمثل مرحلة العصر الهيلادى الوسيط فى بلاد اليونان ويرى بول كرتشمر P. Kertschmer أن الهجرات الهنداوربية إلى بلاد اليونان كانت توافدت فى ثلاث موجات من الهجرة وهى الايونية والآخية والدورية ، والايونيون هم الذين توافدت هجرتهم فى القرن العشرين ، بينما توافدت جموع الآخيين فى القرن السادس عشر والدوريون فى القرن الثانى عشر(*) . فماذا عما تنبئنا به المصادر الوثائقية ؟ تقدم لنا الألواح المكتوبة التى تم العثور عليها فى مناطق مختلفة من كريت وبلاد اليونان . معلومات عن وجود العنصر اليونانى فى بلاد اليونان والجزر وكريت ولكن فى فترة متأخرة فقد وجدت أعداد وفيرة من المجموعة الخطية الثانية ، فقد عثر على ٣٠٠٠ لوح منها فى كنوسوس ويعود تاريخها إلى عام ١٤٠٠ ق.م ، وفى بيلوس تم العثور عام ١٩٣٩ م. على حوالى ١٢٥٠ لوحاً منها وعثر على ٥٠ لوحاً فى موكيناى فى علم ١٩٥٢م. ويعود تارخها إلى عام ١٢٠٠ ق.م وعثر على ٢٠ لوحاً فى طيبة سنة ١٩٦٤ ويعود تاريخها إلى حوالى عام ١٣٢٠ ق.م .

وفى ضوء هذه الألواح نعرف أن اليونان كانوا يعيشون فى بلاد اليونان فى القرن الرابع عشر ، فماذا عن الفترة السابقة ؟ لعل نقص المادة المكتوبة من نفس المجموعة للفترة السابقة راجع إلى أن أصحاب الحضارة اليونانية كانوا يستخدمون

(*) هذا الرأى يشوبه بعض الأخطاء والتى سنصححها فى الصفحات التالية .

رقماً طينية غير محروقة وبعد الانتهاء من أغراضهم منها كانوا يعيدون استخدامها بعد نقعها فى الماء مرات ومرات ، وما وصلنا من رقمهم فقد وصلنا نتيجة لحرائق شبت فى العصور المختلفة ومن ثم حفظتها لنا . فقد شبت حرائق هائلة فى كفوسوس عام ١٤٠٠ وفى طيبة عام ١٣٢٠ ق.م وفى بيلوس عام ١٢٠٠ ق.م .

وإذا كان أقدم الرقم من المجموعة الخطية الثانية يعود تاريخه إلى عام ١٤٠٠ ق.م فهو لا يقدم لنا معلومات عن موعد وتاريخ وصول هؤلاء الناس إلى بلاد اليونان ، ولعلهم قد استخدموا المجموعة الخطية الأولى (Linear A) والتى يعود تاريخها إلى الفترة ما بين ١٧٥٠ - ١٤٠٠ ق.م ، وهذه المجموعة ماتزال لسوء الحظ مُغلَقة على العلماء فلم يتم قراءتها بعد ولم تفك طلاسمها الأمر الذى يدعونا إلى الأخذ بالدليل الاثرى واللقى الاثرية فى المواقع المختلفة التى عاش فيها هؤلاء القوم . لقد سبق أن ذكرنا أن اللقى الاثرية فى تلك المواقع يعود بنا إلى أن سكنى الإنسان فى بلاد اليونان إلى العصور الحجرية ، ونضيف هنا أن فترة التحول من العصر الحجرى الحديث إلى عصر البرونز العتيق قد حدثت فى بداية الألف الثالثة ق.م . فى منطقة بحر إيجة ومن المرجح أن مهاجرين من وسط اسيا الصغرى ومن سكان منطقة البحر المتوسط قد حملوا معهم معدن النحاس أولاً ثم البرونز إلى بلاد اليونان الأم والكوكلاديس وكريت واستمر العصر البرونزى الباكر لمدة ألف عام تقريباً . وفى نهاية هذه الفترة أو بداية الألف الثانية وفقاً لأغلب العلماء كان أول ظهور لهجرة هنداوروبية فى المنطقة والمناطق المجاورة فالالواح المكتوبة التى تم العثور عليها فى كانش (كولتيتى) فى قلب أسيا الصغرى تكشف عن أن عناصر هنداوربية عاشت فى القرن العشرين والقرن التاسع عشر وربما فى فترة أسبق ، ربما فى أواخر الألف الثالثة ، وأن هؤلاء الجائلين من العناصر الناطقة باللغة الهنداوربية قد بدأوا فى الهجرة ، لأسباب عديدة ، وفى أوقات مختلفة إلى

الهند وهضبة إيران واسيا الصغرى والبلقان بما فيها اليونان وإيطاليا وأجزاء أخرى من أوربا . وبعد استقرار تلك الجماعات بدأت تنفصل عن بعضها البعض وتطورت لغتها بشكل منفصل ومختلف عن الجماعات الأخرى ، وكان أول وصول لليونان فى عام ٢٠٠٠ ق.م تقريباً . وفى غضون بضعة قرون فقد انتشروا فى بلاد اليونان . ويكشف علم الآثار عن وجود العديد من التجمعات السكانية فى هذه الفترة فى البلوبونيز ووسط بلاد اليونان وتساليا . ونذكر مثالاً واحداً من موكيناى حيث كشف شليمان عن ست مقابر تحتوى على ست عشرة جثة لرجال ونساء وأطفال ودفن معهم لقى ذهبية وتحتوى على أقنعة ذهبية للرجال . ويرجع تاريخ هذه المقابر إلى القرن السابع عشر والسادس عشر ، ويكشف لنا هذا عن تواجدهم فى القرن السابع عشر ومن المؤكد أنهم تواجدوا فى موكيناى من عدة أجيال سابقة ومن المرجح أنها نزلت بأرض اليونان فى خواتيم الألف الثالثة ؟؟- وفاتحة الألف الثانية قبل الميلاد ؟؟. وجملة القول أن العناصر الهنداوربية قد تواجدت في بلاد اليونان فى الفترة السابقة على القرن السابع عشر . فى ضوء ما لدينا من أدلة أثرية ، وهذه العناصر كانت تتكلم لغة يونانية عتيقة .

وإذا كان من الثابت أن بلاد اليونان قد عرفت عنصر البحر الأبيض المتوسط والعنصر الهندوأوربى ، فإن البعض يفترض أنها قد عرفت هجرات سامية افريقية أو غزاة شرقيين ارفع حضارة وأعلى شأناً فى نهاية العصر الـهيلادى العتيق أى حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م ووفقاً لهذا الرأى فقد غشت موكيناى وغيرها من مراكز الحضارة الهيلادية هجرة أو هجرات سامية وأقامت أسر حاكمة بتلك المناطق . وهذا ما تعضده الروايات اليونانية المتواترة ، فكان من بين القصص الرائجة فى القرن الخامس عند الكتّاب القدامى قصة تقول إن زعيماً من زعماء عصر البطولة الباكر يُدعى دناؤس جاء من مصر إلى بلاد اليونان ونزل بمدينة أرجوس حيث

أصبح ملكاً عليها فيما بعد ، وهناك قصة أخرى تقــرن بيــن دنــاؤس وكــادموس وبيلوبس بوصفهم جميعاً أجانب . فالأول من مصر والثانى من فينيقيا والثالث مــن أسيا الصغرى ، ان مثل هذا القصص عن الغزو والهجرة الأجنبية لا يمكن أن يكون خيالاً ، إذ تذكر المصادر الأدبية أن دناؤس كان جداً لدناءى Danae وهــى والــدة برسيوس مؤسس موكيناى وهو جد هيراكليس ويورستيوس Euryotheus ، وانـــه عاش فى القرن السادس عشر ونقش باروس يضع عام ١٥١١ كتاريخ لحكم دناؤس. كما أن ابن عمه الأمير كادموس الفينيقى هو الآخر قد جاء إلى بؤوتيا واستقر فــى طيبة – وأسس أسرة حاكمة بها – وأصبحت طيبة تعرف فى الأساطير القديمة باسم كادميا أى مدينة كادموس ويعرف أهلها بالكــادميين . ويــرى البعــض أن هجــرة كادموس قد خرجت من أسيا الصغرى ، كما أن الحفائر الاثرية قد كشفت منطقـــة سكنية تحمل الطابع المصرى ، فى عمارة مبانيها من أشكال هرمية وآبار وهميـــة سحيقة فى نفس منطقة كادميا ، وتؤرخ بنهايات الألف لثة قبل الميــلاد كمــا أن اللقى الاثرية من المزهريات تكشف لنا عن صور أيور Europa فى لباس شرقى، وهناك صور للدائيين مشابهة لها . وهكذا على ما يبدو ان بلاد اليونان قد عرفـــت حركة هجرة شرقية سامية وربما يكون ذلك فى بداية الالف الثانية وربمـــا تكــون هجرة أخرى فى القرن السادس عشر ، ولعل ما ذكره الكتّاب اليونان بشأن هذا هــو خير دليل على هذه الهجرة ، لأنهم عاشوا فترة كانت فترة نضج وتفــاخر الكتّــاب اليونان بثقافتهم وحضارتهم ، وأنه كان الأجدر بهم أن يرفضــوا التــأثير الشــرقى والاستيطان من الشرق ، ولكن نجدهم مع تعصبـــهم القومــى يقـــررون أن هنــاك هجرات شرقية وفدت إلى بلاد اليونان ، وبعد اندمـــاج هــذه العنــاصر المختلفــة واستقرارها لفترة طويلة علا أو سما نجم حضارتها وأصبحت هى السائدة فى بــلاد اليونان وفى منطقة بحر إيجه وجزره . ولكن مع مطلع القرن الحادى عشر وجدنــا

موجة من الهجرات الجديدة من العناصر الهنداوربية – التسالية و الأرنية والدورية – تغشى بلاد اليونان وتسيطر على مناطق واسعة منها ، من بلاد اليونان ومنطقة بحر إيجة ، وكان لقدومها وسيطرتها أن هاجرت عناصر اخية سواء من الأيوليين أو الأيونيين إلى منطقة الجزر وسواحل اسيا الصغرى ، كما أن هذه الفترة شهدت اندماج وامتزاج العناصر اليونانية المختلفة وكونت الأمة اليونانية ، وصار لدينا ثلاث لهجات رئيسية هي الأيولية والايونية والدورية للغة اليونانية .

وبعد أن عرضنا لأصل الاغريق وهجراتهم ابان العصور الحجرية والبرونزية ننتقل لدراسة حضارات عصر البرنز .

عالم بحر ايجه وحضارته فى عصر البرنز

نعتمد فى دراستنا لهذه الحضارة على المصادر الأدبية بمعلوماتها المتقصية والمصادر الوثائقية التى جادت علينا التنقيبات الأثرية وما تزال تجود بها . لقد كانت ثمرتها اكداس من اللقى الأثرية والاف الألواح المكتوبة التي كشفت عن جانب من حضارة هذا العصر العتيق الذى أسماه العلماء حضارة بحر ايجة لأنها نشأت وتطورت بشكل رئيسى فى كريت وجزر الكوكلاديس وطروادة على الساحل الأسيوى وموكيناى ومراكز أخرى فى بلاد اليونان .

ومعلوماتنا عن هذه الحضارة تبدأ من الألف الثالثة قبل الميلاد . إذ قامت أطوارها الأولى على أكتاف عناصر بشرية من جنس البحر المتوسط إلى أن بدأت موجات من الهجرات الهندوأوروبية ، ومن المرجح ايضاً هجرات سامية افريقية غشت المنطقة بشكل تدريجى من خواتيم الألف الثالثة وبداية الألف الثانية قبل الميلاد . وسنحاول أن نلقى الضوء على أهم مراكز هذه الحضارة .

١ ـ الحضارة الكريتية

أطلق السير أرثر إيفانز تسمية الحضارة المينوية نسبة إلى مينـــوس ، بينمـــا يطلق عليها اخرون الحضارة الكريتية التى استمر ازدهارها قرابـــة ١٥٠٠ عـــام . وتقدم لنا المصادر الأدبية نتفاً من المعلومات عن الجزيرة إذ نجد أول ذكر لها عنـــد هوميروس فى رائعتيه الإلياذة والأوديسة ، فنجده يذكرها تلميحا . لقـــد أورد فـــى الالياذة بعض الذكر عنها ومنه أن الجزيرة كان بها ١٠٠ مدينة ويذكر سبعاً منها فى قلب الجزيرة وهى كنوسوس وجورتين وليكنوس وميلتـــوس وفايســـتوس واخـــيراً ريتيون ، ويذكر فى مكان أخر أن كريت قدمت ٨٠ سفينة عســـكرية فـــى الحملـــة الطروادية ، ويتناولها بالذكر فى الأوديسة إذ يصف الجزيرة بما يلى "فى قلب البحر ذات اللون القانى فى لون النبيذ توجد أرض محاطة بالبحر تسمى كريـــت، فســـيحة وخصبة ، ويسكنها أناس كثيرون مختلطى الأعراق ، وأن بها ٩٠ مدينـــة ولغاتـــها مختلطة ، وسكانها من الآخين والايتوكرتيين والكيدنيين والدوريين والبلاســـيجيين ، وأيضاً توجد مدينة كنوسوس حيث مينوس ، رفيق الاله الأكبر زيوس ، الذى اعتـــاد أن يكون ملكاً لمدة تسع سنوات " ، وهكذا نجد أن هوميروس يؤكد على كثافة وغنى وثراء وازدهار كريت فى نهاية عصر البرنز .

ويقدم لنا كتاب العصر الكلاسيكى والهلنيستى – مـــن شـــعراء ومؤرخيـــن وفلاســـفة – معلومـــات تكون فى بعض الأحيـــان دقيقـــة فى تفصيلاتها ولكنـــها مقتضبة عموماً اى أنها لا تقـــدم لنا تفصيـــلات مسهبة لأوجه الحيـــاة الكريتيـــة المختلفة . فيذكر هيردوت أن الحرب الطرواديـــة قد اندلعت فـــى زمـــن الجيـــل الثالث بعد موت مينوس . كما يستهل ثيوكيديديـــس روايتـــه التاريخيـــة لبدايـــة التـــاريخ اليونانى بالاشارة إلى مينوس ، إذ يقول "مينوس هو أول من اشتهر عندنـــا عن طريق الروايات المأثورة أنه أنشـــأ أسطولاً ، إذ يجعل نفسه سيداً على جـــزء

كبير مما يسمى الآن البحر الهلينى ، وصار سيد الكوكلاديس ، وهو اول من استعمر معظمها ، وذلك بأن طرد الكاريين ونصب أبناءه حكاماً لها ، وعمل مينوس طبعاً على تطهير البحر من القراصنة قدر استطاعته لكى يصل إليه خراج مملكته بسهولة" . وهكذا نجد أن كلاً من هيردوت وثيوكيديديس يوافقان على أنه كان هناك ملك قوى يدعى مينوس كان لديه أسطول قوى وملك متين ويمتد نفوذه على المناطق المجاورة ، ويخبرنا أفلاطون عن كيفية ذهاب الملك مينوس كل تسع سنوات إلى كهف زيوس حيث يمكنه تجديد الرفقة والصحبة مع الاله زيوس ومن بعده الألهة الأم . ويرى البعض أن افلاطون قد وضع مؤسسات كريت فى قالب مثالى فى كثير من أعماله ويرى الكثير من الباحثين أن ما قدمه من وصف لحضارة الجزيرة المفقودة هى "اطلنتيس" وأنه اعتمد على الأساطير حول كريت المينوية . وأن كتابه القوانين احتوى على بعض المؤسسات الاجتماعية الكريتية . كما يشير الفيلسوف أرسطو عن نظام الحكم الطبقى الذى كان يوجد فى كريت فى عصره والذى استقر لأول مرة بتشريعات مينوس .

وتقدم لنا الاساطير معلومات قيمة عن كريت وتؤكد قوة ملكها وامتداد نفوذه ، فنجد الملك مينوس زوج الملكة باسيفاى إبنة إله الشمس ، ووالد كل من ديوكللون ، اندروجينوس ، أريادنى وفايدرا . وتذكر الروايات أن أندروجينوس تغلب على كل منافسيه فى الألعاب فى أثينا وتم قتله وفقاً لأمر الملك الأثينى إيجوس ، وللانتقام من هذه الجريمة البشعة ، فقد اشعل الملك مينوس الحرب ضد الأثينيين ، وأجبرهم على أن يرسلوا إلى كريت على فترات جزية مكونة من سبع فتيات وسبعة فتيان لتقديمها ضحية للمينتوروس (المخلوق النصف إنسانى النصف ثور) وهو ثمرة العلاقة الاثمة بين الملكة باسيفاى والثور الذى وهبه الاله بوسيدون للملك مينوس كى يقدمه أضحية لتوكيد سلطانه الدينى ، ولكن الملك حنث وأخلف الوعد واحتفظ بالثور وكان الانتقام

الالهى هو تلك العلاقة الآثمة التى كانت ثمرتها مخيفة مرعبة ، ووفقاً للأسطورة فقد تم بناء قصر التيه على يد المهندس ديدالوس ليحفظ فيه هذا المخلوق والمسخ البشع ولم تتخلص أثينا من هذه الجزية الثقيلة إلا بعد أن رحل ثيسيوس ابن الملك إيجوس إلى كريت ونجح فى قتل المينتوروس بمساعدة أدريانى إبنة الملك التى أحبته حباً جما فأعطته لفافة من الخيط وسلاحاً ، ومن خلال الخيط الذى استخدمه كى يعرف طريقة خروجه بعد انجاز مهمته بالخلاص من المينوتوروس والخروج من القصر. وكان الأثينيون يحتفلون بذكرى خلاصهم من الجزية الثقيلة التى كان قد فرضها عليهم الملك مينوس بالحج إلى ديلوس ، كما أن الاساطير والقصص الشعبية حول دايدالوس المعمارى والفنان الداهية تكشف لنا عن مدى ما وصلت اليه الفنون التشكيلية والمعمارية فى عصره .

هذا ما تقدمه المصادر الأدبية من أخبار ومعلومات عن كريت والتى نستشف منها معلومات قيمة عن كريت وقوتها ورخائها الاقتصادى وارتقاء فنونها . ولكنها معلومات غير كاملة وسنحاول أن نستخدم المصادر الوثائقية لإكمال النقص فى معلوماتنا عن تلك الحضارة قدر ما نستطيع .

كان لعلم الآثار الفضل الأكبر فى توكيد بعض المعلومات الواردة عند مفكرى اليونان القدماء ، بل نقضت اراء العلماء المحدثين الذين كانوا قد شككوا فى الروايات القديمة والأساطير . لقد كان ثمرة جهد الآثاريين وضربات معاولهم أن زاد كم المعلومات عن كريت وحضارتها التى بدونها لا يمكننا إلا أن نرى بعض الاشارات والمعلومات القليلة عن كريت فى عصر البرنز والعصور التاريخية التالية عندما بدأت المصادر المكتوبة فى الوفرة ومن ثم فإن أهمية الاكتشافات الأثرية ليس فقط للحضارة الكريتية بل ايضاً للحضارة الأوربية عموماً ، لقد كشفت أعمال الحفائر الاثرية ، التى كانت قد بدأت فى السبعينيات من القرن التاسع عشر فى

كريت ، عندما زار العالم كالوكـــابرينوس Kalokairinos موقـــع قصـــر مينـــوس بكنوسوس ، وأتى هينرش شليمان من بعده إلى المنطقة وعاين منطقة القصر وساوم مالك الأرض على شرائها ولكن محاولاته باءت بالفشل ، وأتى أرثر إيفـــانز مـــن بعـــده ، الذى كان قد زار الجزيرة لأول مـــرة ١٨٩٣ لبحـــث الاختـــام الحجريـــة ولفحص الكتابات عليها ، ونجح فى شراء الأرض من مالكها وبدأ فى إجراء حفائره والتي أثمرت عن كشف رائع وهو العثور على بقايا قصر كنوسوس واستمر العمـــل الرئيسى فى الحفائر فى الفترة مابين ١٩٠٠ -١٩٠٥م أى لمدة ســـتة مواســـم وإن استمرت حفائره وتنقيباته سنوياً حتى عام ١٩١٤ ثم توقفت بسبب الحرب العالميـــة الأولى ، وبعد توقف الحرب استأنف ارثر إيفانز من جديد تنقيباته فى الفترة ما بيـــن عام ١٩٢٠ و ١٩٣٢ وقد أخرج لنا نتائج دراسته الرائعة فى سفر مفصل من أربعة أجزاء وهو بعنوان قصر مينوس "The palace of Minos" وقد بدأ نشره فى الفـــترة ما بين عام ١٩٢٠ و ١٩٣٥م .

شارك ارثـــر إيفانز علماء اخرون فى الريـــادة والكشف عـــن مواطـــن الحضارة الكريتية فى عصر البرنز فى جزيرة كريت ومن بيـــن هـــؤلاء العلمـــاء جوزيف هـــتزيداكيس Joseph Hazzidakis مؤســـس جمعيـــة الآثـــار الكريتيـــة وسيللوجوس Syllogos والعالم الإيطالى فيدريجو هالبـــهير Federigo Halbaheer وكانت تنقيباتهم ملهمة لغيرهم ثم توالت البعثات الأثرية وأجرت تنقيباتها فى أنحـــاء الجزيرة المختلفة وأضافت نتائج حفائرها أبعاداً جديدة لمعلوماتنا عن عصر الـــبرنز وسجلاته .

وقد واجهت السير ارثر إيفانز معضلة تأريخ اللقى الأثريـــة الكثـــيرة العـــدد والتى عثر عليها فى حفائره ولجأ إلى منهج فريد فذ فى عصره وهو تقسيمها إلـــى مراحل وانتهج الأسلوب التالى :

أولاً : تاريخ اللقى الأثرية وفقاً لطبقات الأرض Strata وذلك بترتيبها ترتيباً تاريخياً حسب عمق الطبقات الأرضية التى عثر عليها فيها ، فالطبقة الأعمق هى الأقدم بطبيعة الحال ، وحسبما طرأ على صناعة الفخار من تطور ، فمن أوانى بداية مصنوعة باليد إلى أوانى مصنوعة بعجلة الفاخورى ، إلى أوانى متقنة الصنع والزينة .

ثانياً : لقد ربط بين مراحل الحضارة الكريتية المجهولة التاريخ وبين تواريخ معلومة ومدروسة لحضارات شعوب ثبت قيام علاقات بينها وبين كريت ، إذْ لجأ إلى استخدام اللقى المصرية المعروف تاريخها ، التى عثر عليها فى كريت واللقى الكريتية المجهول تاريخها التى عثر عليها فى مواقع أثرية مصرية معروفة التاريخ . ولنضرب على هذا مثالين متقابلين ؛ المثال الأول أنه عثر فى مقبرة الفرعون سيزوستريس الثانى على انية كريتية ملونة وهو واحد من فراعنة الأسرة الثانية عشر وقد مات فى عام ١٨٨٠ ق.م . وعندما نقارن هذه الآنية مع مثيلاتها من حيث الغرض الذى تستخدم فيه ومن حيث الدقة فى الصنع والإتقان الفنى . أما التى تم الكشف عنها فى كنوسوس فيمكن أن نرجع الطبقة الأرضية التى عثر فيها عليها إلى عهد الفرعون سيزوستريس أى أوائل القرن التاسع عشر ق.م . والمثال الآخر المقابل . فقد تم العثور على ختم وجعران للملكة تى امرأة الفرعون امنحتب الثالث الذى حكم فى الفترة ما بين (١٤١٢ – ١٣٧٦ ق.م) ومن ثم فإن الطبقة التى عثر فيها على الختم والجعران تعود إلى التاريخ المذكور تقريباً .

ووفقاً لهذا المنهج الذى اتبعه ايفانز ومقارناته ،والذى توصل إليه بعد ست سنوات (١٩٠٠ – ١٩٠٥) من تنقيباته المتواصلة . فقد وصل إلى تقسيم حضارة

عصر البرنز فى كريت إلى ثلاث فترات ونود أن نشـــير إلـــى أن تواريـــخ هـــذه المراحل والفترات تكون تقريبية .

والعصور المينوية فى عصر البرنز هى :

أولاً : العصر المينوى العتيق ٣٠٠٠ – ٢١٠٠

وينقسم هذا العصر إلى الفترات التالية :

العصر المينوى العتيـــق الأول ٣٠٠٠ – ٢٨٠٠

العصر المينوى العتيق الثانى ٢٨٠٠ – ٢٤٠٠

العصر المينوى العتيق الثالث ٢٤٠٠ – ٢١٠٠

ثانياً العصر المينوى الوسيط ٢١٠٠ – ١٥٨٠

وينقسم هذا العصر أيضا ثلاث أقسام هى

العصر المينوى الوسيط الأول ٢١٠٠ – ١٩٠٠

العصر المينوى الوسيط الثانى ١٩٠٠ – ١٧٥٠

العصر المينوى الوسيط الثالث ١٧٥٠ – ١٥٨٠

ثالثاً : العصر المينوى الحديث ١٥٨٠ – ١٢٠٠

وينقسم هذا العصر إلى الفترات التالية :

العصر المينوى الحديث الأول ١٥٨٠ – ١٤٥٠

العصر المينوى الحديث الثانى ١٤٥٠ – ١٤٠٠

العصر المينوى الحديث الثالث ١٤٠٠ – ١٢٠٠

ولكن التقسيمات التى توصل إليها ارثر إيفانز يعيبها أنه اعتمد علـــى موقـــع واحد ومن شواهده أنه عمم نتائجه على الحضارة بالجزيرة .

وفى ضوء التقسيمات السالفة الذكر سنحاول أن نرسم صورة للحضارة الكريتية من خلال هذه الفترة ولكننا لن نستطيع كتابة تاريخ كريت السياسى نظراً لأننا لا نملك وقائعه ،أو حينما تكون المعلومات متوافرة من خلال وثائق "مثل: الجدران ، الرسوم ، الأوانى ، أو بعض النصوص التى لم تحل طلاسمها ، لقد تم تقسيم الفخار إلى مجموعات ، ولكن هذا التقسيم . سعاية فى تصنيف وعرض تلك الاكتشافات إلا أنها اصطلاحية بطبيعة الحال كما لا يوجد ما يثبت تطابقها مع أحداث محددة ، ولذا سنحاول أن نرسم السمات الحضارية التى تميزت بها الحضارة الكريتية فى عصر البرنز بعصوره الثلاثة .

أولاً : السمات الحضارية لعصر البرنز العتيق هى :

١- أن هذه الفترة قد شهدت التحول من العصر الحجرى الحديث إلى العصر الحجرى النحاسى ثم البرنز .

٢- لقد اثبت نفر من العلماء أن هناك علاقات بين كريت والحضارة المصرية فى عصر الدولة القديمة ، ولم يكن الاتصال مباشراً بين الحضارتين وانما من خلال وسيط ، وهو الفينيقيون والمدن السورية الساحلية .

٣- أن الحضارة الكريتية تمثل الطرف المتلقى والمتأثر والمقتبس من الحضارة المصرية ومن الحضارات الشرقية ، وكان من اقتباساتها المصنوعات من النحاس والبرنز والفخار . وقد بدأت العلاقات وفقاً لرأى ارثر ايفانز لفترة عصر ما قبل الاسرات حيث خرجت هجرة من غرب الدلتا حوالى ٣٠٠٠ ق.م أو قبل ذلك إلى كريت فراراً وتخوفاً من بطش الملك نارمر موحد القطرين وعقب سيطرته على الدلتا ، ويرى البعض أيضاً أن هجرة أخرى خرجت من فلسطين إلى كريت فراراً من غزو نارمر .

رابعاً : إن أهم مراكز الحضارة الكريتية فى هذا العصر يقع فى الطرف الشـــرقى للجزيرة .

ثانياً : أهم سمات عصر البرنز الوسيط

١- أن هذه الفترة تتزامن مع عصر الدولة الوسطى وفترة حكم الهكسوس فى مصر

٢- نلاحظ أن مراكز الثقل الحضارى قد انتقلت رويداً رويداً من الطرف الشـــرقى للجزيرة إلى الوسط حيث بدأت كنوسوس وفايســـتوس وتيليســوس (Tylissos) وماليا (Mallia) وبناء القصور الضخمة فى مدن الجزيرة المختلفة .

٣- نلاحظ أن سلطة الملك مينوس بكتوسوس ، وهو صاحب قصر اللابرانث ، قـد زادت إذ تكشف السجلات الاثرية الصامتة كما لو كان هناك نوع مــن الاتحــاد الثقافى والسياسى قد شد الجزيرة تحت زعامة الملك مينوس .

٤- نلاحظ انتشار الرخاء والترف سيجة لظهور طبقة من التجــار والأغنيــاء ، إذ كشفت التنقيبات الأثرية فى المقابر الكريتية عن وجود صلات كثيرة لـــهم مــع حضارات الشرق القديم ومنها مصر وسوريا والأناضول ، فعلى سبيل المثال فقد كشفت البعثة الفرنسية عن مدينة مارى " تل الحريرى " فـــى منطقــة الفــرات الوسطى ، ومن خلال نتائج تنقيباتها عرفنا أن هناك صلات بين مدينــة مــارى ومدينة والالاخ وكريت ، إذ كانت خطة القصر فى كل من مارى والألاخ معقدة، فكانت الأقسام الملكية ضخمة للغاية ، وكانت المكاتب الادارية والورش مشـابهة بصورة مدهشة لقصر كنوسوس فى خطته العامة وفى الكثــير مــن المظــاهر المعمارية ، وعلاوة على ذلك فإن لرسوم الفرسك المحفوظة فى قصـــر مــارى كان قد اتبع الفنان فيها نفس الاساليب والطرق المستعملة فى قصر كنوســـوس ؛ وإذا كان قصر مارى قد دمره الملك حمورابى فى عام ١٧٥٩ ق.م، بينما قصـــو كنوسوس وزخرفته الرائعة لم يتم بناؤه قبل القرن السابع عشر ، ومن هنا يبـــدو

التأثير الشرقى واضحاً ، ولعل مدن شرقية أخرى قد تجود علينا بأدلة علمية جديدة ، وعلى ما يبدو فان هذا التأثير أتى عبر أوجاريت ، على الساحل السورى ، والتى كانت بمثابة همزة الوصل بين حضارات الشرق والحضارة الكريتية ، فقد كانت نقطة تلاقى لمنتجات وافكار المصريين والحيثيين والسوريين والكريتيين والموكينيين .

٥- فى عام ١٤٥٠ حدث زلزال مدمر أدى إلى تدمير قصور وبيوت كنوسوس تدميراً جزئياً والتى أعيد ترميمها ، ويرى البعض أن اضطرابات اجتماعية كانت سبباً فى هذا التدمير الذى لحق ببيوت الطبقة الحاكمة ، ولكن العلماء أثبتوا أن الدمار كان بسبب كارثة طبيعية ولم يكن الدمار متعمداً وأنه لم يكن هناك مثل هذه الاضطرابات .

ثالثاً : أهم سمات وملامح عصر البرنز الحديث

١- يتزامن هذا العصر مع فترة حكم الأسرة الثامنة عشرة - الدولة الحديثة - فى مصر .

٢- زيادة الاتصالات بين مصر من جهة والكريتيين من جهة أخرى والذين اسمتهم الوثائق المصرية " حاو - نبوت " و " كيفتو " ويحل محلهم فيما بعد الآخايوشا "Akawsha" بعد أن غشى الموكينيون جزيرة كريت .

٣- تبرز الوثائق والرسوم الجدارية الهيمنة المصرية وما فرضته من سلام على منطقة شرق البحر المتوسط وجزره ؛ إذ اعترف الكريتيون بقوة مصر وسيطرتها فنجدهم يقدمون الهدايا للفرعون المصرى رمزاً للسلام وحفاظاً على تجارتهم سواء مع مصر أو مع مناطق النفوذ المصرى .

٤- سيطرة الملك مينوس على جزر بحر إيجة وموانى بلاد اليونان وذلك من خلال اسطوله القوى .

٥- تكشف التقنيات الاثرية عن ان الحضارة الكريتية كانت قد بلغت ذروة رقيها ومجدها . وامتد تأثيرها إلى جزر الكوكلاديس والبلوبونيز وسط بلاد اليونان ، فهل هذا التأثير ناتج عن غزو كريتى كما يرى ايفانز أم انه يعود إلى رغبة سادة مملكة موكيناى والممالك الأخرى الاقوياء فى تقليد الفن الكريتى الذى بهرهم فاستخدموا الفنانيين والحرفيين الكريتيين وجعلوهم يعلمون السكان المحليين .

٦- تعرض الجزيرة للدمار الشامل والمتعمد ويعزو العلماء هذا الدمار والتخريب لهجوم شعب معاد من شعوب البحر ويرى البعض أن الموكينيين هم المسئولون عن هذا الخراب والدمار الذى حل بكريت . ولكن هذا الدمار والخراب قد ربطه علماء آخرون بكارثة الانفجار البركانى بجزيرة ثيرا علم ١٤٥٠ ق.م فمن الثابت أنه نتيجة للحمم البركانية العارمة وأيضاً نتيجة للرماد البركانى فقد تحطمت السفن الكريتية فى المياه الضحلة فى الموانى الشمالية وقضت على الملاحة لعدد من السنين فيها .

٧- لقد بدأت قوة الموكينيين فى التنامى ابتداء من القرن الخامس عشر فى المناطق التى كانت تضعف فيها السيطرة الكريتية ؛ وهذا ما توضحه الكشوف الأثرية فى ميلتوس على ساحل اسيا الصغرى والمستعمرات الكريتية فى رودس فى القرن السادس عشر قد صارت هذه المناطق محلات ومستوطنات موكينية فى القرن الخامس عشر . فإبان هذا القرن حدث تحول فى ميزان القوى بين الكريتيين والموكينيين ولعل سبب ما حاق من ضعف بكريت هو نتيجة لكارثة الانفجار البركانى المدمر فى جزيرة ثيرا والتى انتهزها الموكينيون للسيطرة على كريت

نفسها . ومن السهل أن نناقش فى ضوئها اسطورة البطل ثيسيوس وانعتاق اليونان من سيطرة كريت وحتى فقدان كريت لسيطرتها البحرية . وهنا أنتهز الموكينيون هذه الظروف فغزوا الجزيرة بعد عام ١٤٥٠ ودمروا الكثير من المدن وأقاموا هم أنفسهم في كنوسوس ولأسباب غير معروفة فقد دمرت كنوسوس كلية عام ١٤٠٠ ق.م أو بعد ذلك بقليل ، فالبعض يرى أن حريقاً ناتجاً عن هزة أرضية سبب دمارها والبعض الآخر يرى أن الحريق ناجم عن غزو مدمر .

٨- تكشف الحفائر عن أن مركز الثقل والتأثير فى عالم البحر الإيجى قد انتقل من أيدى الكريتيين إلى أيدى الموكينيين إبَّان القرنين الرابع عشر والثالث عشر ، فقد انتشرت السلع الموكينية فى رودس وقبرص وأوجاريت وببلوس بل وصلت سلعهم إلى مصر .

٩- شهدت نهاية الفترة الموكينية قدوم القبائل الدورية وسيطرتها على الجزيرة .

الأصل العرقى للكريتيين

يواجه الدارس مشكلة أصل هذا الشعب من أين أتى ؟ لقد كشفت الحفائر الاثرية عن سكنى الإنسان الكهوف الكريتية فى الفترة ما بين ٦٠٠٠ و ٥٠٠٠ ق.م وكان يعيش إنسان هذا العصر فى أسر كبيرة العدد . وكانت مواطن سكناه فى الغالب فى شرق الجزيرة ، وينتمى إنسان ذلك العصر إلى عنصر البحر الأبيض المتوسط ، إذ وفدت هجراته للجزيرة من منطقة شرق البحر الابيض وجلبوا معهم الخنازير والأغنام والماشية وكانوا يدفنون موتاهم فى الكهوف وخارجها ،.ومع نهاية العصر الحجرى الحديث فقد وفدت جماعة بشرية إلى الجزيرة لعلها تكون قد جاءت من شمال سوريا أو من أسيا الصغرى ودخلت إلى الجزيرة فى موجات متتالية .

ويرى البعض أن هناك هجرة خرجت من غرب دلتا النيل حوالى ٣٠٠٠ ق.م هرباً وخوفاً من بطش نارمر موحد القطرين عقب سيطرته على الدلتا ، ويرى البعض الآخر أن هناك هجرة أخرى خرجت من فلسطين فى نفس الوقت وأبحرت إلى كريت فراراً من غزو نارمر . ويرى باحث اخر أن هجرة من سوريا وفلسطين قد خرجت إلى كريت أمام غزو من آسيا الصغرى لبلادهم . ويرى باحثون اخرون أن هجرة جديدة قد خرجت من ليبيا حوالى ٢٣٠٠ ق.م أى فى عصر البرنز العتيق وأقام المهاجرون فى جنوب الجزيرة فى منطقة فالشيوس . وفى الفترة الأخيرة من عصر البرنز وفى عصر الحديد وفدت هجرات هندواوربية إلى الجزيرة إذ توافدت هجرات الآخيين والموكينيين فى الفترة ١٤٥٠ - ١٢٠٠ ق.م على الجزيرة ثم كانت موجة الهجرة الدورية التى اعقبتها . وسيطرت العناصر الهنداوربية على الجزيرة بعد أن زادت أعدادهم فيها وأصبح التكوين العرقى فى الجزيرة مكوناً من عناصر من البحر الابيض المتوسط وعناصر هندوأوربية ، وربما عناصر سامية حامية . ولعل وصف هوميروس للتركيبة السكانية الكريتية هو خير عون لمعرفة اعراق سكان الجزيرة إذ يذكر أن هناك ٩٠ مدينة ولغاتها مختلطة وسكانها من الآخيين والايتوكريتيين والكيدنيونيين والدوريين والبلاسيجيين .

أما عن لغة أهل كريت الأولى فلا نعرف عنها شيئاً ، وهى ليست لغة هندوأوربية ولا سامية ، ويبدو أنها قريبة من لغة الليكيين ومن جاورهم من الشعوب القديمة بآسيا الصغرى وتذكر الروايات ان قسماً كبيراً من سكان شرق كريت كانوا يتكلمون لغة فى العصر الكلاسيكى غريبة ، وليس من المستبعد أن تكون لغة الكريتيين القدماء . ونحن فى انتظار فك طلاسم مجموعة الخطوط التى لم يتم قراءتها حتى اليوم من الالواح الكريتية ، فلعلها تنير الطريق وتكشف عن لغة هؤلاء القوم ، ومع قدوم الآخيين والدوريين من بعدهم فقد عرفت الجزيرة اللغة اليونانية

وهذا ما كشفت عنه قراءة ألواح المجموعة الخطية الثانية . وبعد أن عرضنا لأصل هذا الشعب ننتقل الآن للحديث عن المجتمع الكريتى .

المجتمع الكريتى :

لقد رأينا أن المجتمع المينوى كان يتكون من أعراق شتى ، فكيف كانت حياة هذا المجتمع ؟ فى ضوء ما جادت به الحفائر الأثرية نلاحظ ما يأتى :

أولاً : أن المجتمع الكريتى فى عصور ازدهاره كان مجتمعاً عرف الغنى والفقر ، فكان به أُناس أغنياء واخرون فقراء . الأول يعيشون فى بيوت أو قصور رحبة فسيحة زاخرة بكل ألوان الترف ووسائل اللهو ، وكانت هذه البيوت والقصور تحيط وتجاور قصر الحاكم أى أنها منطقة يسكنها علية القوم وسراته ، بينما بيوت الآخرين هى بيوت حضرية فقيرة مكدسة على جانبى الشوارع والأزقة وتكون مكتظة بالسكان . أما عن البيوت الريفية فقد وجدت بعض القرى التى تحتوى على بضعة بيوت ، بينما قرى أخرى تحتوى على بيوت كثيرة ، وعموماً فإن هذه البيوت الريفية كانت فقيرة وإن وجدت فى الريف فيلات لكبار الملاك أصحاب الضياع وكانت هذه الضياع تضم بجوار الفيلات ورشاً ومصانع وقد وجد عدد من هذه الفيلات فى منطقة بالقرب ارخانس (Arkhanes) ، كما وجدت قصور ريفية بالقرب من جورتين وكان هذا القصر يحتوى على مخازن وحجرة عبادة أو محراب .

ثانياً : عرف المجتمع الكريتى فى بواكير تاريخه العائلات الممتدة والأسر الكبيرة وكلما تقدم بنا الزمن وجدنا تضاؤل وصغر حجم هذه العائلات ، وهذا ما تؤكده الكشوف الأثرية بالنسبة للمنازل والمقابر أما عن المنازل فقد كشف الآثاريون عن بيت فى فاسيليكى يعود تاريخه إلى عام ٢٨٠٠ قبل الميلاد

مكون من عشرين غرفة ، ومن المؤكد أنه كان من طابقين ، وبعد مضى ثلاثمائة عام نجد بيوتاً أخرى تم الكشف عنها كانت أصغر مساحة وأقل غرفاً ، وتتكون من حوالى اثنتى عشرة حجرة ، وفى العصر المينوى الحديث نرى البيوت قد أعيد بناؤها على مساحة أقل وأصبح عدد الغرف لا يزيد على بضع غرف . اما عن المقابر كشفت لنا معاول المنقبين على أكثر من عشرين قبراً ، فى مدينة مسارا ، يبلغ قطر الواحد منها عشرة أمتار ونصف المتر ويضم عدداً كبيراً من الهياكل العظمية وأوانى ، بينما نجد أن مقابر العصر المينوى المتأخر فى رامز بابورا لا يضم الواحد منها أكثر من ثلاثة أشخاص .

ثالثاً : كانت الأسرة هى نواة المجتمع الكريتى وكان للأب والأم مكانة متميزة فى الأسرة ، فإذا كان للأب سلطة مطلقة فإن للأم مكانة اجتماعية سامية ، ولعل وجود حجرات خاصة فى المنازل التى تحتوى على عمدان قصيرة كان على رب الأسرة وربما الأسرة هى الأخرى تقديم القرابين للآلهة والأرواح التى تسكن فى هذه الأعمدة حسبما كان يعتقد الكريتيون القدماء . وهذا يسوقنا إلى دور ومكانة المرأة فى المجتمع الكريتى . ترينا اللقى الأثرية والآثار والرسوم الجدارية أن المرأة الكريتية من مختلف الطبقات احتلت مكانة عُليا فى المجتمع الكريتى ، وأنها كانت تدانى مكانة الرجل إن لم تكن أفضل منها، فترينا الرسوم الجدارية أن النساء كن يقعدن فى المقاعد الأمامية فى المسارح وأنهن كن يشاركن الرجال فى رحلات الصيد والقنص ويركبن العجلات فى السباقات يقمن ببعض الألعاب الرياضية والبهلوانية ومصارعة الثيران ، كما نجد المرأة التى تقوم بالمهام الأسرية من نسج الملابس ، وطحن الحبوب ، وعجن الدقيق وصنع الخبز ، بالإضافة إلى مشاركتها للرجال فى الأعمال

الزراعية والصناعية مثل صناعة الفخار . ويتضح سمو مكانة المرأة الكريتية في أن المعبود الرئيسي للجزيرة كان الالهة الأم ، وكانت الكاهنـات يقمـن بالدور الأول في إقامة الطقوس والشعائر الدينية وفي الاحتفالات وفي الرسوم الجدارية يمكننا القول أن المرأة الكريتية كانت تهتم بأناقتها ، إذ شـاع بيـن النساء الكريتيات ارتداء التنورات ذات الاطار الواسع والقمصان التي تكشف عن العنق والكتفيـن والنحور ، كما كانت الأكمـام فضفاضـة ومنتفخـة. وتغطي ثلاثة أرباع الذراع ، وأحزمة أحكم شدها حول الوسط حتـى يبـدو الخصر نحيلاً بصورة كبيرة ، وتبدو النساء في المناظر مصففـات الشـعر تصفيفاً دقيقاً ويكثرن من لبس الحلي والزينة، وقد أطلـق الآثـاريون علـى صورة لإحدى السيدات الكريتيات اسم " الباريزية " لرشاقتها وأناقـها فـي زينتها وزيها وكأنها إحدى بنات باريس المتأنقات .

رابعاً : كانت حياة المجتمع الكريتي حياة منطلقة سعيدة هانئة . يخالط فيها الرجـال النساء ، فترينا الرسوم الجداريـة حفـلات الرقـص والألعـاب البهلوانيـة ومصارعة الثيران بينما يجلس مئات المشاهدين والمتفرجيـن بيـن أشـجار الزيتون يراقبون الألعاب والرقصات المختلفة على أنغام الموسيقى . وبعد أن عرضنا لحياة المجتمع ننتقل الآن للحديث عن معتقداته وديانته التي آمن بها .

الديانة الكريتية :

تكشف لنا الآثار والرسوم الجدارية واللقى الأثرية عن جـانب مـن ديانـة المينويين . وقد تساعد الألواح المكتوبة والتي لم تفك طلاسمها بعد في إضفاء المزيد من الوضوح على تلك الديانة وتعطينا معلومات لتـأكيد مـا نعـرف مـن الآثـار والأساطير . ويتبادر إلى ذهننا الأسئلة التالية : ما هـي آلهتـهم ؟ كيـف حـاولوا إرضاءها وجلب عطفها ، وما هي طقوسهم وشعائرهم ؟ في ضوء ما لدينا من آثـار

يمكننا القول أن الكريتيين فد عبدوا الهة عديدة مرتبطة بالطبيعة فنجدهم قد قدسوا الجبال والمغارات والاحجار ، والشمس والقمر ، والماعز والافاعى والثيران والحمام ، وقدسوا العدد ٣ واعتقدوا بوجود الأرواح فى كل شيء ومجدوا القوى الخفية وقسموا الأرواح إلى طيبة خيرة وشريرة خبيثة ،واعتقدوا فى وجود الجن والعفاريت وعرائس البحر ..وعندما صوروا آلهتهم فقد صوروها فى ثوب إنسانى ، فقد صوروا الآلهة الأم فى ثوب امرأة ذات ثديين بارزين تمسك بالأفاعى ومحاطة بأفاعى كثيرة تتلوى على ذراعيها وتتسلل إلى ثدييها وتختلط بشعرها وتتدلى من رأسها وكان الكريتيون يرون ربتهم أنها ربة شاملة فهى رمز الخصوبة ،حامية الحرب ، ملكة الأرض والسماء سيدة الخلق ... الخ ، كانوا يرون فى الأمومة سر الطبيعة وقوة سحر المرأة فى قدرتها على الإنجاب مما جعلهم يقومون بتأليه هذه القوة التى هى ينبوع الحياة فى النبات والحيوان والإنسان وقد صوروها وبين ذراعيها ابنها الالهى وفى البداية كانوا يعدونه تابعاً لها ودونها فى المرتبة ، ولكنه بمرور الوقت زادت مكانته وأصبح رمزاً لقوة الخصب وهو يموت ويعود إلى الحياة ، وكانوا يصورونه أحياناً متجسداً فى الثور المقدس الذى يتجلى فيه الخصب، وقد لعب الثور دوراً كبيراً فى الديانة الكريتية إذ تظهر قرونه فى الرسومات ، كما وجدت فى العديد من مقاصير أو محاريب العبادة ، وكان حيواناً مقدساً ، ومؤلهاً أيضاً ورمزاً للخصوبة ، وهو الذى استمد منه اليونان فيما بعد شخصية الملك مينوس وأيضاً وبالتأكيد المسخ البشع المينوكوروس . وقد أطلق اليونان فيما بعد على الالهة الأم " ريا " والابن " زيوس "

كما تكشف الآثار عن تقديس الكريتيين للأعمدة والأشجار وأن الهة الطبيعة يعيشون فيها . وأن الإنسان فى وسعه أن يناديهم بواسطة الرقص والطقوس الدينية الأخرى .

وكانت البلطة المزدوجة Labru ترمز " كأداة فى ذبح القرابين المقدسة " إلى روح إله معين أو إلهة ويعتقد أنها ربة الأرض أو " الأرض الأم " وعبادتها منقولة من ليديا ، كما ساد الاعتقاد بينهم بأن البلطة المزدوجة تبسط على البيوت وغيرها من الأشكال نوعاً من الحماية .

وكانت الأفعى فى نظر الكريتى بمثابة حارسة البيت وجالبة الحظ .

ويرى البعض أن بعض الآلهة قد دخلت كريت " من ليديا والشرق " مثل عبادة الثور والبلطة وعبادة الأفاعى ، ويرى البعض الآخر أن بعض الآلهة والمعتقدات المصرية قد وصلت إلى كريت ، ومنها باستت ويرى ايفانز وهو أن الختم المنقوش عليه صورة القطة اتخذت كتميمة لحماية حملها من الشرور وبالذات من لدغ العقارب . ويلاحظ أيضاً أنّ هناك تشابهاً فى طقوس الدفن ومنها تقديم القرابين للميت عند المصريين والكريتيين . وتقديم أضحية أمام الميت وهى عادة شرقية ومصرية كذلك . كما أن تقديم مركب للميت إذ ستساعده فى رحلة العالم السفلى ، وهى عادة مصرية تتعلق برحلة الميت فى موكب الشمس . كما أن وقوف الميت فى شكل أوزيرى ، على هيئة مومياء وهى عادة مصرية ، كما أننا نجد الكهنة المشرفين على اقامة واتمام طقوس الدفن وتقديم القرابين يلبسون جلود حيوانات . كما أن التأثير الشرقى والمصرى نجده فى دفن الموتى فى توابيت خاصة ، كما نجد أن عمارة المقابر تشبه عمارة المقابر المصرية .

وكان الكريتى يلجأ لارضاء الآلهة من خلال الأدعية والطقوس والشعائر والتعاويذ ، ويقومون بطقوس خاصة تحت إشراف الكاهنات ، كما كانوا يستخدمون البخور لطرد الأرواح الشريرة وكانوا يقيمون شعائرهم وطقوسهم فى محاريب أو مقاصير فى كهوف على قمم الجبال وفى المغارات المقدسة ، وفى حجرات خاصة

بمنازلهم الخاصة تحتوى على عمدان قصيرة ، وفى محاريب القصور . ويلاحظ أن محاريب المنازل الصغيرة يتوسطها منضدة مستديرة مثلثة الأرجل توضـــع فوقـــها القرابين ، كما كان يوجد فى خلفها بجوار الحائط مقعد ربما كان يوضع عليه تماثيل على هيئة الأجراس وبلطة مزدوجة بين قرنى التقديس وعثر على محراب فى قصر مينوس بكنوسوس على صورة جميلة من القيشانى تمثل " الربـــة الأفعـــى " وفيـــها تظهر الكاهنة وهى ممسكة فى يديها بثعابين وحولـــها صـــور الملابـــس المختلفـــة وأصداف ملونة وثلاث حمامات وصليب رخامى وحوض تطـــهير ولوحـــات مـــن القيشانى على تصاوير عنزة وبقرة وصغارها .

وفى ضوء هذه الشواهد من رسوم الافرسك ومن المنظر الفريـــد المصـــور على تابوت ملون تم العثور عليه فى هاجيا تريادا نجد أن النساء كن يقمـــن بـــدور رئيسى فى إقامة الطقوس والشعائر الدينية الكريتية ، هذا فضلاً عـــن دور الكهنـــة ودور الملك الكاهن وما كان يجريه من طقوس وشعائر .

أما الأعياد الدينية فهى تظهر فى المراحل الكبرى مـــن الحيـــاة الزراعيـــة ولاسيما الحصاد وجنى الثمار ، وتتخللها الرقصات الدينية العنيفة أحياناً على أنغـــام الموسيقى ، وكان يتخلل الأعياد والاحتفالات الدينية الألعاب الشعبية مع ما يرافقـــها من مباريات فى الملاكمة والمصارعة وسباق الثيران .

وكان الكريتى يظهر عناية خاصة بموتاه ، فقد كان يدفن موتاه (ولا يحرقـــها) ويضعهم فى توابيت من الفخار ويضعون معهم كميـــات مـــن الأطعمـــة وبعـــض المتعلقات الشخصية التى كان الميت يستعملها ويحبها مثل لوحة الشـــطرنج أو الـــة موسيقية أو تماثيل نسائية صغيرة أو تماثيل حيوانات . كما أن هناك مناظر تقديـــم القرابين للمتوفى ، ففى إحدى الصور نجد المتوفى منتصباً أمام قبره نـــاظراً إلـــى

حاملى القرابين وهم يتقدمون نحوه ، ونرى أيضاً فى الصورة عربة قُطر بها أحصنة من جهة والعنقاوات من جهة أخرى . وفى ضوء ما سبق عرضه يمكننا القول أن الكريتى كان يؤمن باستمرار الحياة بعد الموت .

وكان الكريتى يقدم قرابين من السوائل والأضاحى من الحيوانات ، وعرف الكريتى أيضاً تقديم القرابين البشرية فقد عثر الأثرى وارن P. Warren فى منطقة برايترا بجنوب كريت على اثار داخل مكان مقدس ، لتقديم قرابين بشرية ويعود تاريخ هذه الآثار إلى حوالى الألف الثانية قبل الميلاد ، كما عثر الآثارى ساكيللاراكيس على قرائن جديدة حول تقديم القرابين البشرية فى منطقة أرخانيس فى كريت ، وهذا يؤكد ما ورد فى الأساطير القديمة من تقديم قرابين بشرية وأنه كان من عادة أهل كريت ما ورد فى الأساطير القديمة من تقديم قرابين من البشر ووفقاً لاسطورة المينتور وفرض الجزية على أثينا من قبل مينوس . فقد كانت تقدم سبع فتيات وسبع فتيان لتقديمهم للمسخ الخرافى كى يلتهمهم فلماذا كان يتم تقديم قرابين من البشر ؟ يرى العالم نيلسون أن القرابين البشرية هى أغلى أنواع القرابين ولا تدانيه أى صور لقرابين من الحيوانات ولجأ اليونانيون إليه عند الشدة أو عند اتخاذ القرارات المصيرية .

وبعد أن عرضنا لآلهة الكريتيين ومعتقداتهم وطقوسهم وشعائرهم وأفكارهم عن الموت . وننتقل الآن للحديث عن نظامهم السياسى فى ضوء ما يتاح لنا من مصادر .

النظام السياسى :

عُرفت كريت بكثرة مدنها وضخامتها وازدهارها ، ويظهر من النصوص الأدبية والحفائر الأثرية أن عددها كان يزيد على مائة مدينة وانها كانت مكتظة

بالسكان الذين كانوا يتجمعون أو يسيرون فى الأسواق ، وكانت بيوتها مكدسة على جانبى الشوارع والأزقة لمسافات بعيدة وكانت شوارع تلك المدن ممهدة ومعبدة بالحجارة والحصى كما حفرت المجارى على جانبيها لتصريف المياه ، كما كانت الطرق بين المدن المختلفة معبدة وممهدة .

كانت السلطة الحاكمة فى هذه المدن سلطة ملكية ، وتعدد القصور فى النصف الأول من الألف الثانية يحدو بنا إلى الاعتقاد بتعدد الممالك ومع ذلك فليس من مدينة احيطت بالأسوار ، ولم تظهر القصور بمظهر الحصون إلا لفترة قصيرة، حيث كانت السلطة هناك بأيدى أمراء القصور الذين يحكمون البلاد حكماً اقطاعياً ، وتظهر رسوم العصر البرنزى الوسيط فى عصره الأول كيف كان أفراد طبقة الأشراف والأمراء لا يخرجون بين الناس إلا وهم يحملون الخناجر ، ولكن على ما يبدو فى العصر المينوى الحديث أن مدينة كنوسوس كان لها اليد العليا فى شئون الجزيرة فقد امتد سلطان ملكها على بقية المدن الكريتية الأخرى ولم يعد للأمراء والاشراف إلا سيطرة اسمية ؛ ولم يمد ملك كنوسوس سيطرته وهيمنته على مدن الجزيرة فحسب بل أيضاً امتد نفوذه فى البحر الإيجى وسواحله وذلك من خلال اسطوله القوى .

وترينا المصادر الأدبية والروايات المأثورة أن اليونان قد أطلقوا على ملك كريت ، ولا ندرى ماذا تعنى الكلمة " مينوس " فهل تعنى اسم ملك معين وسلالته أم لقباً مثل فرعون ؛ والأرجح أن تكون كلمة مينوس لقباً وليست اسماً ، وأن اللقب كان يحمله كل من يجلس على عرش كنوسوس كما هو الحال بالنسبة لكلمة فرعون، وفى ضوء المصادر الأدبية واللقى والاكتشافات الاثرية يمكننا القول أن سلطة مينوس كانت مستمدة من الاله فهو الكاهن الأعظم للاله الثور وشاراته هى : العصا وزهرة الزنبق والبلطة المزدوجة ، وتشير الاساطير إلى أنه ابن الاله زيوس ، ولما

كان من نسل الاله فانه لا ينطق عن الهوى ، إنما تُوحى إليه القوانين من الاله ، كما أنه كان قاضياً على الجحيم . وكان عليه أن يجدد سلطته الإلهية مـــرة كـل تسـع سنوات وذلك بأن يصعد إلى الجبل المقدس ويدخل مغارة الإله زيوس الثور ويتصل به ، وفى غضون هذه الفترة كانت جموع الشعب تجتمع عند مدخل المغارة يبتهلون ويقيمون الشعائر ويقدمون القرابين ، فإذا كان الملك قديراً وكريماً يخرج من المغارة إلى جموع الشعب وقد أصبح مقدساً لدورة جديدة ، وإذا ما كان العكس فـــإن أثـــره يزول ، ويتولى غيره العرش . ولا ندرى ما هى سلطته المدنية والعسكرية وذلـــك لنقص المعلومات وإنْ كان أرثر ايفانز يصف الملك بالحاكم المحسن وحامى الفنـون ومؤسس القصـــور وواضع أسس الحضارة ومن جهة أخـــرى يصفـــه بالطاغيـــة والمدمر ، ولا ندرى ما هو وضع الملكة وكيفية وراثة العرش .وتكشف لنا المصادر أن الملك كان يعاونه فى إدارة شئون قصره ومملكته عدد كبير من الموظفين والكتبة الذين يشرفون على مصانعه وورشه ومخازنه ، وكان عليهم أن يقومـــوا بتســجيل الأعمال اليومية وتصريف شئون المواطنين وينهون الأعمال الصغيرة والبت فيـــها دون الرجوع للملك وكان لكبار الموظفين أختامهم التى يستعملونها فى ختـــم تلـــك المعاملات ، بيد أن المشاكل والقضايا والمعاملات الهامة كان يرجـــع فيـــها للملـــك والتى كان يختمها بختمه . وتكشف لنا الآثار والألواح المكتوبة بالمجموعة الخطيـــة الأولى والثانيـــة عن معاملات مالية معقدة وأن الاقتصاد الكريتـــى كـــان اقتصـــاداً قصرياً .

وتكشف الرسوم عن أن للملك جيشاً دائماً يلبس أفراده الخـــوذات ، ويحمـــل بعضهم الحراب وبعضهم القسى ، كما كان يضم الجيش فرقة العجلات الحربيـــة ، وكان له قوة بحرية لا يستهان بها إذ بدونها يصبـــح تحصيـــن الموانـــى والمـــدن والقصور أمراً لا غنى عنه ، ويعد مينوس وفقاً للروايـــات المـــأثورة أول مؤســـس

لامبراطورية بحرية إيجية ، وأنه قد طهر البحر من القراصنة وبعد طرده للكاريين ولى أبناءه على الجزر ، ولعل أسطورة ثيسيوس والمينتور هى خير دليل على اتساع نفوذ كريت فى حوض بحر إيجة وسواحله . وهذا قد ساعد على انتشار السلع والمواد الكريتية فى جزر بحر ايجة وفى الساحل السورى ومصر وفى بلاد اليونان القارية . وبعد أن عرضنا السلطة الملكية والنظام السياسى ننتقل الآن للحديث عن الاقتصاد الكريتى .

الحياة الاقتصادية :

ا- **الزراعة :** كانت الزراعة هى الحرفة الأساسية فى كريت وازدهرت فى الأودية النهرية والمناطق السهلية ، بينما كانت نسبة كبيرة من مساحة كريت جبلية ويُغطى جانب منها بالغابات . وفى المناطق السهلية وأودية الأنهار فقد زرع الكريتى الحبوب وغرس الأعناب والزيتون والتين وحدائق الأزهار ، وكان إنتاج كريت من الحبوب لا يكفى احتياجات السكان ، بينما إنتاجها من النبيذ وزيت الزيتون يفيض عن استهلاك السكان ، ولذا سنجد كريت تستورد الحبوب وتصدر فى المقابل زيت الزيتون والنبيذ إلى أسواق الاستهلاك فى المناطق المجاورة ، وكان لتصدير زيت الزيتون والنبيذ أعظم الأثر فى ازدهار صناعة الفخار .

ب- **تربية الحيوان :** فقد قام الكريتى بتربية الماشية والأغنام والماعز والخنازير والطيور الداجنة ، وعرف سكان الجزيرة الحمار منذ زمن بعيد ، كما عرف الكريتى الحصان قبيل الألف الثانية قبل الميلاد وإن كان استخدامه على نطاق ضيق .

جـ- **الصيد** : تكشف لنا المصادر الوثائقية أن الكريتى كان يمارس حرفة الصيد والقنص، فنرينا الرسوم الجدارية صور صائدى الاسماك بأنواعها العديدة ، والحصول على الأصداف ، ونجد الرسوم الجدارية تظهر صور القنص للارانب البرية والظباء والخنازير والطيور .

د- **الصناعة** : كما تكشف الحفائر واللقى الاثرية أن الورش كانت ملحقة بالقصور والفيلات وضياعها ، وأيضاً فى مدينة الحرفيين فى جرونيا الواقعة فى أقصى طرف الخليج الشمالى الشرقى للجزيرة وقد وصل الحرفيون إلى درجة عالية من المهارة والاتقان ، وانتجوا الآنية الفخارية والمزهريات الجميلة الصنع والزخرفة، وعرفوا استخدموا عجلة الفخرانى ، كما عرفوا استخدام المعادن وصهرها فسبكوا البرنز وتشكيل وصياغة الحلى والمجوهرات ، وصناعة الاسلحة التى شهدت تطورات مطردة فكانت الخناجر فى البداية لا يزيد طولها عن ١٢ سم بلغت فى العصر المينوى الوسيط ٣١ سم وفى العصر المينوى الحديث بلغت طولها ٤٢سم ، وفى هذا العصر أيضاً انتجوا سيوفاً حسنة الصنعة ويبلغ طولها ٩٥سم وصدروها إلى البلدان المجاورة ، ورصعوا السيوف والخناجر والحلى بالذهب والفضة ، والأحجار الكريمة ، كما شكلوا التماثيل من المعادن النفيسة ومن العاج ومن أشهر هذه التماثيل تمثال الالهة الأفعى المصنوع من الذهب والعاج . وصنعوا الأكواب والكؤوس من المعادن . كما نجدهم قد صنعوا القوارب والسفن الحربية .

هـ ـ **التجارة** : كان لموقع كريت الهام والقريب من بلاد شرق البحر المتوسط والساحل الأفريقى وبلاد اليونان عظيم الأثر فى ازدهار علاقاتها مع شعوب وحضارات تلك المناطق سواء أكانت متفوقة عليها فى السبق والازدهار أم أدنى منها فى الرقى والتقدم . فنجدها تقتبس من فنون الشرق وصناعاته وتطور ما

تقتبسه وتصبغه بمذاقها الفنى الخاص ، وتنقل ما طورته وصبغته بشخصيتها إلى بلاد اليونان الأدنى منها حضارة ورقياً .

وإذا كان موقع كريت قد جعلها قريبة من مراكز الحضارة فى الشرق أو الجنوب ، فإنها قد ملكت أسطولاً قوياً مكنها من الاتصال بسهولة ويسر ببلدان الشرق وخاصة الساحل السورى وبلاد اليونان أو أن أساطيل الدول الأخرى الفينيقيين والأسطول المصرى فى عصر الدولة الحديثة وافرغت شحناتها بالجزيرة، ونقلت ما يفيض من إنتاجها إلى مصر وبلاد الشام وشواطئ آسيا الصغرى وجزر بحر إيجة ، وبلاد اليونان القارية وفى نفس الوقت حملت ما تحتاجه الجزر من مواد وسلع تحتاجها لصناعتها أو لاستهلاكها الغذائى .

هذا فيما يتعلق بالتجارة الخارجية وعلى ما يبدو أن التجارة الداخلية كانت رائجة وذلك لأن الجزيرة قد بنت شبكة طرق ممهدة ومعبدة بين المدن وهذه الشبكة قد سهلت الاتصال بين مدن الجزيرة فى سهولة ويسر ، كما أن الأمن والأمان كان قد انتشر فى ربوع الجزيرة وسهل هذا حركة الانتقال بين ربوع الجزيرة وليس أدل على انتشار السلام والأمان من أن مدن الجزيرة لم تكن محصنة ولا مسورة . وفى ظلال السلام والأمان راجت التجارة الداخلية فى الجزيرة .

وتكشف الآثار لنا عن استخدام الكريتيين لموازين ومكاييل إذ كانت هناك سبائك واسطوانات من معدن نفيس تسهل المقايضات ، وقد وسمت هذه السبائك أحياناً بعلامات للدلالة على قانونيتها .

و - **العمارة الكريتية** : تكشف لنا الحفائر الاثرية وما تزال تكشف عن مخلفات المبانى من منازل وفيلات وقصور وقبور ، وترينا أن المعمارى أو البناء الكريتى قد استخدم الحجارة والطوب اللبن والأخشاب فى البناء فقد استخدم

الحجارة فى إقامة قواعد المنازل ، وأما بقية جدران المنازل فكان يشـيدها مـن الطوب اللبن ، وكان يقوم بنبليط المنزل ، وكما سـبق أن ذكرنـا أن الفيـلات الريفية انتشرت فى الضياع الكبيرة ، أما عن القصور فقد شيد منها ما هو فـى المدينة أو فى الريف أحياناً .

وكانت المنازل تتفاوت مساحتها وعدد غرفها وفقـاً للمسـتوى الاجتمـاعى والاقتصادى لملاكها سواء كانوا فى الريف أو الحضر ، وكانت الفيلات الريفية هى الأخرى تختلف فى رحابتها وفخامتها من فيلا إلى فيلا ، كما أن هذه الفيلات تضـم بجانبها ورش للحرفيين .

وكانت القصور تنتشر فى أرجاء الجزيرة ، فنجدها فى زاكرو ، وتيليسـوس وماليا وفايستوس وهاجياترياداا وكنوسوس . فقد بدأ المعماريون الكريتيون فى تشـيد القصور ابتداء من العصر المينوى الوسيط فى حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م فقـد شُـيد قصر كنوسوس على منحدر أحد التلال ، ولكن هذا القصر تعرض لكارثة زلـزال مدمر فى عام ١٧٠٠ واعيد بناؤه حوالى عام ١٦٠٠ ق.م على مساحة اكبر إذ بلغت مساحته خمسة أفدنة ونصف فدان ، وحدثت تغيرات أخرى فى هـذا القصـر فـى العصر المينوى الحديث على يد الموكينيين بعد تعرضه لدمار جزئى بعـد كارثـة الانفجار البركانى فى ثيرا حوالى ١٤٥٠ ق.م .

والقصر يتألف من فناء كبير مساحته ٢٠٠ قدم وعرضه ٨٥ قدمـاً تقريبـاً يحيط به فى عدة محاور عدد من الأبهاء التى تضم عـدداً كبـيراً مـن الممـرات والغرف ، ولم يكن القصر مسوراً ؛ ويضم القصر معصرة زيت الزيتون ومصـانع ومخازن ودار للسلاح ، وحمامات ودورات مياه وحجرة مدرسية وعدد من الغـرف الفخمة سواء لكبار الموظفين أو للانتظار أو للنوم ومسرح وجناح خـاص للملكـة

وحجرات للعبادة ، والقصر كان يتكون من أكثر من طابق . ولعل أهـم مـا يثـير عجب المعمارى المعاصر فى هذا القصر هو نظام صرف المياه وتغذيتـه بالميـاه النقية فقد كانت تجلب المياه من الينابيع فـى الجبـال وتمـدد إلـى دورات الميـاه والحمامات داخل القصر كما وجدت بالوعات لتصريف مياه الأمطار .

وكانت جدران القصور تزدان برسوم الافرسـك وحـاول الفنـان أن يقـوم بتصوير المناظر الطبيعية ، فنجده يصور الحيوانات والأسماك والزهور ومن ابـدع رسوم الافرسك منظر قطف الزعفران من روض مليئ بـالكركم والطـائر الازرق وسط الصخور والورود ، ومنظر قطة تزحف بين البوص لتصيد ديكاً برياً . وهناك منظر اخر لرسم بارز يمثل الملك الكاهن نفسه ومنظر الساقى ومنظر اخـر يمثـل سمكة طائرة .

ويرى فريق من الباحثين وعلى رأسهم أرثر ايفانز أن أصول هذه القصـور ينبغى البحث عنها خارج كريت ، وقد وجد الآثاريون فى الألاخ وفـى بيسـولتان Beyceoultan فى غرب تركيا وفى مارى تشابهاً مع القصور الكريتية وهذا التشابه يوجد أيضاً مع العمارة المصرية سواء فى خطتها أو فى رسوم الافرسك بها . ولكن يقول الباحث جرام J.W Graham أنه على الرغم من امكانيـة تتبـع التـأثيرات الشرقية إلا أن القصور الكريتية كانت ابتكاراً كريتياً اصيلاً وأن بها سمات لا توجد فى سواها الا أنه يستطرد قائلاً أن المعمارى الكريتى عندما بدأ يشيد القصور كـان على علم بعمارة القصور فى أماكن أخرى ، وأنه قد استخدم اساليب وتقنيات البنـاء الشرقية التقليدية التى كان على دراية وعلم تام بها .

وبعد أن تناولنا العمارة الكريتية ننتقل الآن إلى علاقة كريت بجيرانها ومـا قدموه لها فى مجال الحضارة وما قدمته لهم .

العلاقات المصرية الكريتية :

تكشف لنا الآثار واللقى الأثرية والسجلات المكتوبة فى كل من مصر والمنطقة الايجية عن عمق العلاقات بينهما وأنها كانت ضاربة فى القدم ، ويرى نفر من الباحثين وعمدتهم أرثر ايفانز أن العلاقات الثقافية والحضارية بين مصر وكريت تعود إلى خواتيم العصر الحجرى الحديث (٣٠٠٠ق.م) . وبرروا رأيهم بما يأتى :-

١- وجود حقائق وأدلة أثرية من عصر ما قبل وبداية الأسرات (آخر الالف الرابع وبداية الالف الثالث) فى مصر وفى نفس الوقت الذى كانت توجد فى كريت. ويرى البعض أنه لا يمكن تفسير هذه الحقائق إلا بالهجرة من أفريقيا إلى كريت.

٢- تشير النصوص المصرية من عصر الدولة القديمة إلى سكان المنطقة الإيجية ، والذين يتم وصفهم فى تلك النصوص بلفظتى "حانيبوت" و "كفيتو" من عام ٢٢٠٠ ق.م .

٣- وجود أوانى حجرية صلبة فى كريت مصنوعة على غرار الأوانى المصرية ، ووجود تشابه بين طراز المقابر المستديرة فى البلدين وأيضاً الجعارين والاختام.

ولدينا رأى يقول أن هذه الآنية الحجرية قد وصلت إلى كريت فى عصر الانتقال الأول ٢٣٠٠ ق.م عندما هوجمت مصر وغزاها معتدون من الشمال ونهبت مقابر ملوكها ونبلائها فى عصر الدولة القديمة . ويرى جان فركوتيه أن الاوانى المصرية الموجودة فى طبقات ليس لها تاريخ فى كنوسوس من الممكن أن تكون قد حملت إلى كريت ولكنها لم تصل إليها فى عهد ما قبل الأسرات أو بداية الدولة القديمة ، بل فى نهاية الدولة القديمة وبداية عصر الانتقال الأول أى فى الفترة التى بدأ فيها الصناع الكريتيون يصنعون بأنفسهم أوانى من الحجر ، ويقول ان التأثير

المصرى على كريت أتى عن طريق الساحل السورى ، كما يبدو أن الأوانى التى عثر عليها فى مقابر ملوك الأسرة الأولى فى أبيدوس والتى تنتمى إلى الحضارة الإيجية كان مصدرها فى الغالب سوريا ، ويستطرد قائلاً أنه على ما يبدو أنَّ بداية العلاقات والاتصالات بين كل من مصر وكريت قد بدأت فى سوريا وأن النصوص المصرية تؤكد ذلك الاحتمال ، ويقر أنَّ كل من مصر وكريت كان على دراية ومعرفة كل منهما بالآخر فى نهاية عصر الدولة القديمة من خلال الساحل السورى، وان كان لا يستبعد تصور أنَّ الملاحين المصريين قد عملوا كوسطاء بين كريت وسوريا . وجملة القول أنَّ جان فوكوتيه يميل إلى القول بأن العلاقات المصرية الكريتية لم تكن مباشرة وذلك لصعوبة الملاحة والإبحار فى تلك الأزمنة الباكرة ولذا كان الاتصال بصورة غير مباشرة عبر سوريا ، فنقلت السلع والأدوات المصرية والمتمصرة من سوريا إلى كريت .

واستمرت العلاقات وتوثقت عراها بين البلدين إبان عصر الدولة الوسطى فى صر المقابل للعصر المينوى الوسيط الأول والثانى . فكانت احوال كلا البلدين مزدهرة ، ففى كريت كانت هناك فترة العصور الأولى وتلتها فترة العصور الثانية ، وفى مصر كانت الملكية قد استردت قوتها ودخل الفن المصرى مرحلته الثانية الكبرى أى فى الفترة ما بين عام ٢٠٠٠ و ١٧٥٠ ق.م . فقد وجد فى كريت اوانى من احجار صلبة مستوردة من مصر أو مقلدة من نماذج مصرية وعلى كثير من الجعارين وتمثال صغير من الديوريت لموظف مصرى يسمى أويسر Ouser وفى المقابل وجد الآثاريون أوانى كريتية من طراز كاماريس Kamares ، ونتساءل كيف وصلت هذه السلع لكل من البلدين ؟ وهل ما تزال العلاقة غير مباشرة مثل الحقبة السابقة ؟ أن اللقى الاثرية فى البلدين لا تنهض دليلاً على أن الكريتيين قد جاءوا إلى مصر أو أن المصريين ذهبوا إلى كريت فى عهد الأسرة الثانية عشرة أو أن أويسر

الموظف المذكور قام بدور هام فى محيط العلاقات الدولية بين البلدين ، وإنما القضية أبسط من هذا ، إذ نجد أن فراعنة الأسرة الثانية عشرة قد مدوا نفوذهم إلى فلسطين وفينيقيا ، واقاموا علاقات مع سوريا ، ونتيجة لهذا فقد انتشرت السلع المصرية الرخيصة والمتقنة الصنع فى فلسطين والمدن الفينيقية وفى سوريا وبخاصة الجعارين والتماثيل الصغيرة من أحجار الديوريت والجرانيت ، ولما كان الإبحار المباشر بين مصر وكريت في ذلك الوقت ما يزال صعباً ، فإنه من المرجح أن تكون سوريا قد لعبت دور الوسيط بين كل من كريت ومصر ولذا فقد كانت العلاقات بينهما ما تزال غير مباشرة وإنْ كان لا يستبعد تلاقى المصريين والكريتيين فى سوريا أو فى كريت أو فى مصر .

استمرت العلاقات الحضارية والتجارية بين البلدين إبَّان عصر الهكسوس ١٧٥٠ – ١٥٨٠ ق.م فقد عثر فى كنوسوس على إناء من الحجر يحمل شارة الملك الهكسوسى خيان من عام ١٦٦٣ ق.م ، وفى هذه الفترة كانت كريت قد ظهرت كقوة بحرية كبيرة ، وهى تقابل فترة القصور الثانية ، ويرى جان فوكوتيه أن العلاقة إبان هذه الفترة بين كل من مصر وكريت كانت مباشرة ، وأنها قد تمت من قبل البحارة الكريتيين وليس من قبل الهكسوس .

وفى عصر الدولة الحديثة أى فى عصر الأسرة الثامنة عشرة (١٥٨٠ – ١٢٦٠ ق.م) فقد زادت العلاقات بشكل كبير وصارت علاقة مصر مباشرة ليس فقط بجزيرة كريت بل بكثير من الجزر وبلاد اليونان نفسها . ويذهب بعض المؤرخين إلى أن كريت كانت تابعة لمصر ، ويستند هؤلاء إلى صورة من عهد تحتمس الثالث (١٤٧٥ – ١٤٣٥) تمثل وفود الأمم الاجنبية التى جاءت تقدم للفرعون الهدايا الثمينة من مصنوعات بلادها وبينها وفد كريت ، ويمكن التعرف عليه بسهولة من سيماء وجوه الاعضاء وملابسهم ونوع الهدايا التى كانوا يحملونها

والكتابة بجانب الصورة تذكر بين الوفود وفداً من أمراء جزر كفيتـــو فـــى وســـط البحر، والمقصود بالاسم هو جزيرة كريت وتوابعها ، وتذكـــر هـــذه الكتابـــات أن اسطول كفيتو قد اشترك مع اسطول بيبلوس فى نقل الاخشاب إلى مصر لحســـاب الفرعون .

انتظمت العلاقات المباشرة بين البلدين بفضل قوة الاسطول المصرى الـــذى جاب منطقة شرق البحر الابيض وفرض السلام فيها كما وصلت الســـفن الكريتيـــة والفينيقية إلى مصر كما شاهدنا . وسنجد أن تطوراً قد حدث ابتـــداء مـــن القـــرن الخامس عشر فقد بدأت قوة الموكينيين الآخيين فى الظهور فى عـــالم بحـــر ايجـــة وحلوا محل الكريتيين فى كثير من المناطق ، وأيضاً فى التجارة مع مصر وبــــلاد الشام . وتظهر الآثار انهم كانوا يحضرون مع الكريتيين فى العصر المينوى الحديث " الثانى " عام ١٤٥٠ ق.م . ولم يقض توسع الموكينيين فى العصر المينوى الحديث مطلقاً على التجارة الكريتية فى الشرق ومصر ، بل يبدو أنه لم يكن هناك كما كـــان يظن احتكار مينوى أو موكينى فى العلاقات التجارية بين مدن بحر إيجــــة واســـيا الصغرى وافريقيا ، لأن التوسع الموكينى استند فيما يبدو إلى الســـيطرة البحريـــة الميفوية ولم يتغلب عليها أو يحطمها . فقد وجدت لقى أثرية مصرية من نفس الفترة فى هاجيا ترياداً . ففى العصر المينـــوى الحديـــث الأول والثـــانى فقـــد انتشـــرت الصادرات المصرية فى كريت انتشاراً واسعاً . ومنذ بداية عصر المينوى الحديـــث الثالث فقد انتشرت السلع المصرية على نطاق واسع فى بلاد اليونان .

وفى ضوء ما عرضناه سابقاً يمكننا القـــول أيضـــاً أن العلاقـــات الكريتيـــة السورية والساحل الفينيقى وفلسطين استمرت منذ فترة باكرة ، ولعبت بـــلاد الشـــام دور الوسيط بين الكريتيين والمصريين ونقل الكريتيون كثيراً من فنون بلاد الشـــام ومنها فن عمارة القصور الذى تحدثنا عنه سابقاً هذا فضلاً عن الفنون الصغرى .

وإذا كانت كريت قد تأثرت بالشرق بصورة كبيرة فنجد أنها أثرت فى بـــلاد اليونان تأثيراً بالغاً فى كافة المجالات سواء أكان ذلك عن طريق السيطرة المباشـــرة أو بالاقتباس من قبل تلك المناطق أو باستقدام واستخدام الفنانين الكريتيين .

أفول نجم كريت السياسى :

تقدم لنا المواد الاثرية والروايات المأثورة معلومـــات قيمـــة عـــن العوامـــل الخارجية والداخلية التى ادت إلى انهيار وافول نجم كريت السياســـى . فـــى نفـــس الوقت الذى بدأ فيه نجم الموكينيين الآخيين فى الصعود ونتحدث الآن عن عوامـــل ضعفها وهى :

أ- العوامل الخارجية فيمكن إيجازها فى النقاط الآتية :

اولاً : بروز الموكينيين كقوة بحرية وعسكرية لا يستهان بها فى القرون الخـــامس والرابع والثالث عشر ، وقد اتسعت مناطق نفوذهم فـــى بـــلاد اليونـــان الأم وجزر البحر الايجى ، بل نجدهم قد حلوا محل الكريتيين فـــى الكثـــير مـــن الجزر مثل رودس وقبرص ، وراجت تجارتهم وصناعاتهم وانتشرت فى تلك المناطق ومع كل من سوريا ومصر ، وكان ذلك على حساب تجارة وصناعة كريت .

ثانياً : أن الصدام والتنافس بين القوى الكبرى فى الشـــام أى بيـــن الإمبراطوريـــة الحيثية ومصر قد أدى إلى اضطراب الأحوال ليس فى شرق البحر المتوسط فحسب بل سنجد آثار هذا واضحة على مصر أيضـــاً وبالتـــالى فـــإن هـــذه الأحوال قد أثرت على تجارة الكريتيين.

ثالثاً : كان لكارثة الانفجار البركانى المروع فى جزيرة ثيرا حوالـــى ١٤٥٠ ق.م أثره البالغ ليس على حركة الملاحة والإبحار فى المنطقة فحســـب بـــل أدى

على الأرجح إلى توقف التجارة وقضى على الكثير من السفن الكرينية ذلك للحمم البركانية الهائلة التى قذف بها البركان ، هذا فضلاً عن الرماد البركانى الذى انطلق من فوهة البركان كان له اثره على الحياة فى المنطقة هو الأخر.

ب- أما العوامل الداخلية ونجملها فى النقاط الآتية :

أولاً : تعرضت الجزيرة لكارثة طبيعية فى الغالب الأعم فى حوالى عام ١٤٥٠ ادت إلى تدمير كل مدن الجزيرة تدميراً شاملاً عدا كنوسوس الذى دمر قصرها بشكل جزئى .

ثانياً : كان لزيادة الثروة والرفاهية والانصراف إلى الترف والملذات أثره فى ضعف النفوس والانحلال والتفسخ .

ثالثاً : ضعف موارد كريت سواء فى الزراعة أو تدهور وتراجع كل من الصناعة والتجارة ، وذلك نظراً لبروز قوة اساطيل الموكينيين التى تنقل تجارتهم وسلعهم والتى زاحمت الأساطيل والسلع والبضائع الكريتية .

رابعاً : أن كريت كانت تعتمد على قوة أسطولها فى حماية مدنها غير المحصنة فلما ضعف هذا الاسطول أصبحت الفرصة سانحة لشعوب مقاتلة لمهاجمة الجزيرة ودخول موجات من الهجرة الموكينية الآخية إلى الجزيرة . وبمرور الوقت صار المهاجرون يمثلون اكثرية عددية بالنسبة للسكان الأصليين والذين صاروا أقلية ، ونتيجة هذا الأمر أن أمسك الآخيون بزمام السلطة فى قصر كنوسوس وتم ترميمه بعد ادخال بعض التعديلات وفقاً للطراز الموكينى فى عمارته . ولكن تعرض هذا القصر لكارثة مدمرة إذ تعرض القصر للحريق ، ولا ندرى هل كان سبب ذلك الزلزال كما يرى البعض أم كان نتيجة لغزو مدمر كان سبباً فى حريق القصر ونهب بعض محتوياته حسب رأى البعض الآخر ، ولم يرمم القصر مرة أخرى ، وعلى الرغم من

هذه الاحداث يحدثنا هوميروس عن إسهام كريت بثمانين سفينة حربيـــة فـــى حملة الآخيين ضد طروادة ، وتعرضت الجزيرة بعد ذلك لموجة من الـــهجرة الدورية غشت الجزيرة ضمن موجة الهجرة الدورية الكـــبرى فـــى القـــرن الحادى عشر قبل الميلاد .

ب - حضارة بلاد اليونان القارية فى عصر البرنز

نعتمد فى دراستنا لهذه الحضارة على ما تقدمه المصادر الأدبية من معلومات وخاصة أشعار الشاعر هوميروس (الإلياذة والأوديسة) والتى تقدم لنا أوصافاً وأخباراً عن العصر الآخى سواء فيما يتعلق بطرق الحياة وأساليب العمارة والبناء ، والديانة ، وبعض سمات نظم الحكم ، وقد استخدم المنقبون هذه الأشعار كهادى لهم فى تنقيباتهم ، وعمدة هؤلاء ورائدهم الالمانى الشهير هيرش شليمان الذى نجح فى الكشف عن طروادة وموكيناى وتيرنيس ... الخ وقد أثبتت تنقيباته أن بعض الأوصاف الهوميرية قد صدقت على جانب من هذا العصر وأدواته . كما يقدم لنا كتاب قدامى اخرون أخباراً عن تلك الحقبة ، مثل الحرب بين آرجوس وطيبة وتدمير طيبة ، ووصفاً لخرائب طيبة وعن أخبار الأسر الحاكمة فى ذلك العصر وعلاقتها مع بعضها بعضاً سواء أكانت علاقات ود ووئام أم حرب وخصام . كما يردد الكتّاب القدامى ، - اساطير وروايات - بشأن نشأة بعض مدن هذا العصر ، والصراع بين الحكام المحليين، وكثير من المعلومات الواردة فى المصادر الأدبية اكدتها التنقيبات الأثرية والمصادر الوثائقية وإن كنا أحياناً نجد هذه المعلومات تنقضها وتدحضها نتائج الحفائر والمصادر الوثائقية . أو بعبارة أخرى ينقض بعضها بعضاً .

وتقدم لنا المصادر الوثائقية فيضاً من الأدلة والقرائن لهذه الحضارة وتطورها ، فيقدم لنا علم الآثار بقايا قصور وبيوت ومقابر وقلاع ، ومن اللقى الأثرية الكثير من الأدوات التى استخدمها الناس فى حياتهم اليومية مثل المصنوعات المعدنية أو الفخارية وأدوات الزينة ، وتماثيل ... الخ . والألواح المكتوبة وخاصة الواح المجموعة الخطية الثانية (Linear B) وإن كان أقدم هذه الألواح لدينا يعود تاريخه إلى القرن الرابع عشر،

وكان لقراءة هذه الألواح الفضل فى إعطائنا معلومات كثيرة عن هذه الحضارة ، كما أنها غيرت الكثير من مفاهيمنا عنها ، وأكدت أيضاً معلومات وردت فى المصادر الأدبية وقدمت لنا معلومات عن القصور وحكامها ومعاونيها ومعلومات عسكرية ودينية واقتصادية سنتحدث عنها فى الصفحات التالية .

ويطلق العلماء المحدثون على هذه الحضارة " الحضارة الموكينية " نسبة إلى مدينة موكيناى فى سهل أرجوليس ، لأنها كانت أقوى المدن فى العصر البرنزى المتأخر ، وأيضاً لأنها أول مدينة أجرى بها تنقيبات كشفت عن جانب من حضارة هذا العصر ونقضت آراء مؤرخى القرن التاسع عشر ، بيد أن نفراً من الباحثين وهم على حق يفضلون اطلاق اسم الحضارة الهيلادية على حضارة بلاد اليونان القارية فى عصر البرنز نسبة إلى هيلاس . وقد درج هؤلاء العلماء على تقسيم هذه الحضارة إلى ثلاثة عصور وقسموا كل عصر إلى ثلاث فترات . وإن اختلفوا فيما بينهم حول بداية ونهاية كل عصر وكل فترة . ومن بين هذه التقسيمات التقسيم الآتى :

العصر الهيلادى العتيق :	٣٠٠٠ – ٢٠٠٠	قبل الميلاد
العصر الهيلادى الوسيط :	٢٠٠٠ – ١٦٠٠	قبل الميلاد
العصر الهيلادى الحديث :	١٦٠٠ – ١١٠٠	قبل الميلاد

ولما كان العصر الهيلادى الحديث يمثل أزهى تلك العصور إذ بلغت فيه اليونان ذروة قوتها ومجدها فإننا نذكر تقسيماته إذ ينقسم إلى :

العصر الهيلادى الحديث الأول : ١٦٠٠ – ١٥٥٠

- العصر الهيلادى الحديث الثانى : ١٥٥٠ - ١٤٠٠

- العصر الهيلادى الحديث الثالث : ١٤٠٠ - ١١٠٠

وسنحاول أن نوجز أهم السمات والملامح الخاصة بكل عصر من العصور السالفة الذكر . ونبدأ الآن بذكر أهم سمات العصر الهيلادى القديم هى :-

أولاً : وصول هجرة جديدة مع مطلع هذا العصر من الشعوب التى أطلق عليها الكتّاب القدامى اسم البلاسيجيين ، وقد وفدوا من جنوب غرب اسيا الصغرى ، وكانوا يمتون بصلة القربى لسكان منطقة طروادة ، وجزر الكوكلاديس وكريت ، وهؤلاء المهاجرون كما لاحظنا من قبل لا يمتون بصلة للعناصر الهندوأوربية انما ينتمون إلى شعوب البحر المتوسط ، وكانوا يتكلمون لغة لا تنتمى إلى عائلة اللغات الهندأوربية وإن بقيت اثارها فى اللغة اليونانية فى شكل مفردات كثيرة منها ما يخص اسماء المدن والأماكن مثل كورينثوس وبرناسوس وهيمتوس ، وأخرنا ، وميكينى ، وأثينى (فى بلاد اليونان) وكاليندا واسبندلوس (فى اسيا الصغرى) ، وأسماء الأفراد مثل : اخيللوس ، وتثيوس وأتريوس ، وأسماء لبعض النباتات والزهور والطيور جذورها غريبة عن اليونانيين مثل أشجار الكروم والزيتون والتين والسرو والغار والنرجس . narkissos ، وأسماء بعض المعادن مثل : البرنز والقصدير والرصاص والحديد وكلمة منجم metillon والكثير من هذه المفردات السالفة نجدها فى جنوب غرب أسيا الصغرى .

ثانياً : امتزج واختلط هؤلاء المهاجرون الجدد بالسكان الأصليين (من العصر الحجرى الحديث) وعلموهم أساليب صناعة المعادن وحرق الآنية الفخارية فى أفران وهذه

الاساليب كانوا قد جلبوها معهم ، وإن كان انتاج الفخار قد شهد اختلافـات فـى طرزه بين مناطق اليونان المختلفة والجزر ، كما نجدهم قد استزرعوا بعـض النباتات والأشجار مثل غرس الأعناب فى أتيكا ، وأدخلوا معهم استعمال الخيل .

ثالثاً : عاش هؤلاء فى البداية فى منازل ريفية متناثرة ، وبمرور الوقت فقد مالوا للعيش فى تجمعات ، وبدأوا يميلون نحو التحضر والتمدين ، إذ نجدهم قد بنوا قراهـم أو مدنهم على سفوح التلال ، ثم أحاطوها بالأسوار ، كما شهدت الفترة بناء بعـض القصور ، ولعل إحاطتهم لمدنهم بالأسوار كان بسبب هجوم من قبـل جماعـات مجاورة عليهم أو حروب فيما بينهم أو لهجرة وفدت إلى تلـك المنـاطق وكـان مهاجروها يخربون ويسلبون وينهبون فلجأت جماعات السكان إلى تحصين قراهم ومدنهم .

رابعاً : كان السـكان يتعبـدون إلى إلهة أنثى شـاملة الخصائص مثلما كان الحال فـى كريت .

وبعد أن عرضنا لأهم سمات العصر الهيلادى العتيق ننتقل إلـى الحديـث عـن العصر الهيلادى الوسيط مع الأخذ فى الاعتبار استمرار السمات السالفة فى هذا العصـو مع بروز سمات جديدة :

أولها : وصول أولى موجات الهجرة الهندوأوربية إلى بلاد اليونان والتى على ما يبـدو أنها قد بدأت فى القرن الحادى والعشرين قبل الميلاد واستمرت فى شكل موجات غازية ومتقطعة ، وأهم هذه الهجرات الآيونية والأيولية وأخيراً الآخية وسـبق أن ذكرنا هذه الهجرات عند الحديث عن أصل اليونان .

ثانيها : يمثل هذا العصر أول ظهور للعناصر اليونانية فى بلاد اليونان والذين سيطلق عليهم هوميروس الآخيين وتسميات أخرى سبق ذكرها .

ثالثها : كان مستوى التحضر والتمدين لهؤلاء المهاجرين أدنى من السكان الأصليين الذين استقروا بينهم ، فإخذوا بأساليب حضارتهم وإن أدخلوا بعض السمات الجديدة إذ تكشف لنا التنقيبات الأثرية عن استمرار التطور الحضارى وظهور عناصر جديدة فى صناعة الآنية الفخارية وأشهرها الفخار المينواسى Menyas ، كما شهد العصر استخدام عجلة الفاخورى على نطاق واسع ، ثم اتمام عملية حرق الآنية الفخارية في أفران . وشهد هذا العصر أيضاً طرازاً جديداً فى عمارة المنازل إذ جلبه المهاجرون معهم وهذا الطراز كان يتلاءم مع مواطنهم الأولى إذ كانت أسقف المنازل تبنى من القرميد بشكل مائل على الجانبين حتى لا تبقى عليه مياه الأمطار والثلوج ، وكانت عمارة منازلهم بسيطة وكانت حجرات المنزل تفتح على فناء megorwn ، كما نجد أن مقابرهم قد حدث بها تطور وتغير إذ نجد فى البداية مقابر فردية وكان منها لحود كالصناديق من طراز الناووس وتخلوا من القرابين الجنائزية . ونجد أيضاً تطوراً اخر إذ ظهرت مقابر جماعية أودعوا فيها أدوات بسيطة بجانب موتاهم مثل إناء واحد أو اثنين وبعض السكاكين الصغيرة والحلى الرخيصة . ونجد تطوراً أخر فى طراز المقابر خواتيم الفترة إذ انتشر استخدام المقابر البئرية أو العمودية وكانت مقابر فردية ويلاحظ أن الجثث كانت تدفن فى وضع متقلص ، ، ومودع معها بعض الأوانى الفخارية من الطراز المنواسى .

رابعها : شهد هذا العصر وضع اللبنات الأولى من قبل الملوك الممالك فى ارخومينوس وطيبة وأثينا وموكيناى وتيرنيس وميديا وبروسينا وأسينى. (فى اقليم ارجوليس)، وفى بيلوس (غرب مسينيا) وغيرها من مدن البلوبونيز وكذلك فى جزيرة ايجينا وغيرها من الجزر .

وبعد أن عرضنا لأهم سمات العصر الوسيط ننتقل للحديث إلى العصر الهيلادى الحديث وهو أزهى فترات العصر البرنزى وسنجد فى هذه الفترة أن نجم ممالك بلاد اليونان القارية فى صعود وازدهار ، بينما كان نجم كريت السياسى يتجه نحو الأفول والانحدار . ويطلق نفر من العلماء على حضارة هذه الفترة عصر الأبطال ويطلق نفر اخر عليها الحضارة الموكينية نسبة إلى موكيناى وهم على حق وذلك لانتشار مظاهر حضارتها فى داخل بلاد ابيونان فى تيرينيس وأسينى Asine وميديا (فى إقليم ارجوليس) وفى كورينثة وكوراكو ، وليرنا (بمنطقة البرزخ الكورينثى) وفى بيلوس (غرب مسينيا) وفى كاكوفاتوس (باقليم إيليس)وفى أثينا وإليوسيس وثوريكوس (باتيكا) وفى طيبة وأرخومينوس وجلا (فى بؤونيا) وفى ايوبكوس (بتساليا) وانتشرت هذه الحضارة فى معظم جزر البحر الايجى وبعدئذ إلى جزر البحر الأيونى ثم امتدت إلى مناطق أبعد . وتتمثل مظاهر الحضارة فى القصور والمقابر والآنية الفخارية والقرائن واللقى الأثرية الأخرى التى تكشف عن حضارة متجانسة وثقافة مشتركة . ومن سمات هذه الفترة :

أولاً : شهدت هذه الفترة هجرة جديدة اختلف الباحثون بشأن منبعها فالبعض رأى أنها هجرة شمالية والبعض الآخر رأى أنها هجرة سامية والبعض الآخر رأى أنها هجرة مصرية والبعض الآخر يرى أن الفترة لم تشهد هجرة وانما قامت

الحضارة فى مركزها موكيناى على يد حكام وطنيين استغلوا المناجم المجـاورة وكانت سبباً فى ثروتهم وسبق لنا أن عرضنا لهذا الأمر عند حديثنا عـن أصـل اليونان .

ثانياً : شهدت هذه الفترة أيضاً ممالك قوية وقصوراً ضخمة فى مناطق مختلفة من بلاد اليونان والتى سبق أن ذكرنا أنها كانت قد بدأت فى التشكل مع نهايـة العصـر الهيلادى الوسيط .

ثالثاً : يلاحظ أن بلاد اليونان قد شهدت أنواعاً جديدة من المقابر فقـد اخـذت المقـابر البئرية أو العمودية فى الانتشار بكثرة ، وقد كشف المنقبون فى هذه المقابر عـن كنوز ثمينة ، إذ كانت هذه المقابر غنية بمتعلقات الموتى مثل الأوانـى البديعـة الفخارية والبرنزية والفضية والذهبية ومن الالبستر ، والحلى الذهبية أو المشـكلة من الذهب والفضة " الاليكترون " ومنها أقراط وأساور وأختام وتيجـان وأقنعـة والأسلحة ومنها الأسلحة البرنزية مثل الحراب والسيوف والخناجر ذات المقابض الذهبية والعاجية والدروع ومنها أدوات من البلور والقيشانى . ويلاحظ أن الموتى كانوا يرقدون ممددى القامة ويدفنون بكامل ملابسهم وقد زينت رؤوسهم ورقابـهم وأذرعتهم فى كثير من الأحيان بحلى من الذهب .

نلاحظ أيضاً ظهور طراز جديد من المقابر وانتشاره فى حوالى عـام ١٥٠٠ ق.م وهى مقابر الغرف المستديرة ذات القباب Thalos Tombs أو مقابر خليّـة النحـل ، ويرى البعض أنها تمثل مجىء اسرة جديدة ، ولكن البعض يرى أنه اختلاف فقط فـى الطراز المعمارى ، وأنه كان ابتكار موكينى ، ولا يوجد تأثير خارجى عليهم فيه ، كمـا

يرى البعض بأن هناك تأثير مينوى قوى . وقد عثر المنقبون على عدد منها فى كاردتسا بتساليا ، وفى كورينا سيون وموير ا بمسينيا وفى بؤوتيا ومناطق بأتيكا واسبرطة وأرجوس .

ونلاحظ أيضاً أنه وجد نوع اخر من القبور ذات الغرف المستديرة محفورة فى الصخر وهى مقابر ذات القباب وإن كانت أصغر حجماً وهى مقابر عائلية استخدمت لأجيال فى أرجوليس وبروسيمنا ويوبويا ورودس . وكان أصحاب هذه القبور يسرفون فى وضع الهدايا مع الموتى وهذه الهدايا من الأوانى الفخارية والمعدنية والأدوات البرنزية والحلى الذهبية أو من الأحجار شبه الكريمة أو من العاج ومن الأسلحة .

رابعاً : تأثرت حضارة بلاد اليونان القارية فى هذا العصر بحضارات أرقى منها وأعلى مرتبة ومنها الحضارة الكريتية والتى كان تأثيرها الطاغى قد امتد إلى كافة جوانب الحياة فى بلاد اليونان فقد تأثرت بالفكر الدينى والعقائد المينوية وأيضاً امتد إلى زخرفة وتزيين الحلى الموكينية وصناعة الأوانى المعدنية والأوانى من القيشانى وفن صناعة الأختام . وامتد أيضاً إلى فن العمارة إذ تم اقتباس بعض طرزهم المعمارية واستخدام الأحجار والأعمدة وطلاء المدخل والحفر الزخرفى واستعمال الجص والألوان المتعددة والافرسك فى زخرفة الجدران باسلوب فنى وقد شهدت حضارة بلاد اليونان تأثيرات مصرية واضحة فى طراز المقابر البئرية وتقاليد الدفن واستخدام الأقنعة وفى عمارة القصور واستعمال العجلات الحربية هذا فضلاً عن أدوات ومواد مصرية تم استيرادها من مواقع قريبة منها لعلها كريت .

خامساً : شهدت هذه الفترة بناء القصور الملكية على نطاق واسع فى بلاد اليونـــان ، إذ نجدها فى موكيناى وتيرنيس وأرخومينوس وبيلوس وطيبة ... الخ . وكانت هـذه القصور تبنى داخل قلاع وحصون شيدت فى موقع تسهل طبيعته الدفاع عنــها . وغالباً ما يكون هذا الموقع مشرفاً على السهل المحيط ويصعــد إليــها بســلالم خارجية تتخللها العراقيل والأبواب ، وبسلالم محفورة فى الصخــر وقــد بنيــت الجدران بالصخور الضخمة وكان يبلغ سمك الجدران ستة أمتار وبها ســراديب كما هو الحال فى قصر تيرنيس ، وهذه التحصينات للقصور الموكينيــة كــانت عكس القصور المينوية غير المحصنة ، كما أن خطتها مخالفة لخطــة القصــور المينوية . وكانت القلعة تضم إلى جانب القصر بيوت الأتباع والمقربين من الملك مثل القادة العسكريين وكبار رجالات القصر . وكانت القصور الحصينة تلعــب دوراً دفاعياً فهى تحمى الثروات الملكية المكدسة من حلى ومجوهرات وكــؤوس وركائز وسبائك معدنية وقدور معدنية وأسلحة ومخازن مكتظة بمواد الاعاشة من حبوب وزيوت ونبيذ معتق ، وجدير بالقول أن هذه الثروات كانت تمثــل الغنــى والثراء وكمظهر ملكى صرف ، فكانت مادة للتجارة تتعدى حدود المملكة ومــادة للهبات والهبات المقابلة وتؤدى إلى عقد تحالفات وزيجــات سياســية ، وتنشــئ واجبات الخدمة وتكافئ الاتباع وتقيم روابط الضيافة بين أبعد البلدان والممــالك ، وهى كذلك موضوع للتنافس والنزاع فكما يتم تلقيها كهدايا يتم اكتسابها بواســطة السلاح فكانت تجرد الحملات الحربية وتدمر المدن بسببها وتستمر أيضاً حيازتها بعد الممات فتودع بجانب الجثث كملكية فردية تتبع صاحبها فى قبره . وقد اتخــذ ملوك هذه الفترة من هذه القصور مكاناً لسكناهم ومقراً لحكمهم وإداراتهم لتســيير

وإدارة شئون ممالكهم .

سادساً : ان كثرة القصور والقلاع الحصينة يكشف عن قيام ممالك قوية كل منها مستقل عن الآخر وكان البعض منها يصارع وينافس الآخر وتكشف لنا اللقى والمخلفات الأثرية أن أمراء وملوك هذا العصر كانوا يهوون الحرب ويخوضون غمارها فى ظروف كثيرة ويدفنون مع أسلحتهم وسيوفهم وخناجرهم وحرابهم كما أتاحت لنا رسومهم الجدارية معرفة دروعهم وثروتهم أيضاً ، وكانوا فى فترات السلم والاسترخاء يمارسون عادة القنص ويعتمدون على النهب والسلب كمصدر لجمع ثرواتهم .

سابعاً : تصور الاشعار الهومرية أحوال الملوك العظام وأتباعهم وبطانتهم فى بعض الممالك مثل موكيناى وأميكلاى وبيلوس وأرجوس ... الخ فترسم لهم صورة كطبقة متميزة مستأثرة بالامتيازات ، كطبقة وراثية يعتز أفرادها بمكانتهم ويتفاخرون بالأنساب . ويعيشون على الثروة الموروثة وقد يدينون بولاء متين أو ولاء لملك أقوى وأعظم سطوة منهم ، ويلتزمون بقواعد الشرف ويوصفون بالشجاعة الشخصية والنبالة فى المقام الأول فكان عليهم أن يكونوا سباقين لصنع الجميل ومساعدة المحتاجين بمروءة وبشهامة والمبادرة إلى حمل السلاح فى ساعة الخطر دون تردد وتقدم صفوف المقاتلين بشجاعة .

ولدينا رواية قوية عن ولاء المدن لموكيناى على الأقل فى زمن الحرب الطروادية ؛ إذ كان منيلاوس ملك اسبرطة حليفاً لأخيه أجاممنون ملك موكيناى وكذلك نستور ملك بيلوس ، بالرغم من انتسابه إلى أسرة أخرى ، حليفاً لموكيناى عن طيب

خاطر وبالمثل كان موقف بقية الأمراء والملوك في عصر البطولة نحـــو أجـــاممنون ، ولكننا لا نعرف مدى احتفاظ هؤلاء الحكام بالاستقلال وبالعلاقات الودية فيما بينهم زمـن السلم كما أنه ليس من المحتمل أن موكيناى كانت تمارس أى سلطة مركزيـــة محكمـــة على الأصقاع النائية حتى فى البلوبونيز ذاتها حيث أن المواصلات لم تكن داخل بـــلاد اليونان سهلة ميسورة .

ثامناً : تكشف لنا الألواح المكتوبة عن بعض المعلومات عن إدارة شئون الممـــالك وأداة الحكم ويأتى فى المقام الأول الملك الذى كان يأتى على رأس التنظيم السياســـى والاجتماعى وكان يحمل لقب wanax وكان له سلطة فردية مطلقة فى المجـــالات العسكرية ، فالقصر هو الذى ينظم طلبات الأسلحة وتجـــهيز العربـــات وتجنيـــد الرجال وتعيين الضباط والتشكيلات وحركة القوات ، وهو المسئول عن الحيـــاة الدينية فهو بمثابة الكاهن الأعظم ، فكان عليه أن ينظم ويشـــرف علـــى إقامـــة الشعائر والطقوس والاحتفالات فى الأعياد المقامة للآلهـــة ويحـــدد الأضـــاحى والقرابين بمختلف أنواعها ويحدد معدل التقدمات المطلوبة من كل فـــرد حســـب مركزه ويعاونه فى هذه المهام جماعة مكونة من عدد كبير من الكهان والكاهنات. وقد بقيت ذكرى السلطة الدينية للملك إذ كان مقدساً وســـاحراً وســـيد الأزمـــان وموزع الخصوبة فى إطار دولة المدينة فى العصور التالية ، كما أن الاســـطورة الكريتية الخاصة بمينوس والذى كان يخضع كل تسع سنوات فـــى كـــهف ايـــدا للامتحان الذى ينبغى أن يجدد سلطته الملكية عبر اتصال مباشر بالالـــه زيـــوس ويمكننا ربطها ومقارنتها بالمحاكمة التى كان يتعرض لها الملوك الاسبرطيون كل تسع سنوات من توليهم لسلطتهم فقد كان الاسبرطيـــون يتفحصون الســـماء فـــى

جوف الليل ليقرءوا فيها ما إذا كان الملكان لم يرتكبا إثماً ينزع عنهما صفة ممارسة الوظيفة الملكية . وكان الملك أيضاً فى ظل نظام الاقتصاد القصرى يركز كل مظاهر السلطة والسلطان فى يديه فكان يراقب وينظم جميع قطاعات الحياة الاقتصادية وكل مجالات النشاط الاجتماعى . وكان يعاونه حكومة بيروقراطية مركزية وجهاز ادارى فى إدارة شئون البلاد ويأتى على رأس هذه الحكومة بعد الملك فى المرتبة قائد الشعب (اللاجيتاس) la – wa – je – tas وهو قائد "الشعب المسلح أو مجموعة من المحاربين " "Laos" ورفاق السلاح equeta وأغلب الظن أن مهمته هى حماية الشعب والمملكة من خطر الغزاة ، وكان له حاشية وإقطاع temenso وكان هناك كبار رجالات الدولة والقصر ويشكلون حاشية للملك وكانوا قادة للوحدات العسكرية (okha) أو ضباطاً يؤمنون الاتصال بين البلاط والقادة المحليين ، وكان هناك الجنود te – re – ta أصحاب الاقطاعات . وكان يعاون الملك فى تنظيم شئون اقتصاده القصرى جيش من الكتبة وكبار الموظفين والمشرفين والمفتشين وكان الكتبة الكريتيون الذين نقلوا معارفهم وتجاربهم إلى القصور الملكية الموكينية التى خدموا فيها ، مثل استخدامهم للسجلات ونقلهم للأساليب والطرق الادارية المينوية إلى بلاد اليونان ، وقد مكن هذا النظام المقتبس من الاشراف الدقيق من قبل الدولة على اقليم واسع ، وتكشف لنا الوثائق أن هؤلاء الكتبة كانوا ينظمون سجلات الحسابات الخاصة بالحيوانات والمزروعات والاقطاعات ومختلف المهن والحرف مع تقديم الحصص الواجب تقديمها من مواد أولية والطلبيات من المنتجات المصنعة والأيدى العاملة والأرقاء من الرجال والنساء والأولاد ،

ويدونون أيضاً فى سجلات كل القروض المحصلة من الأفــــراد والجماعـــات ، وتسجيل قوائم بالأفراد الذين ستقدمهم قراهم لتجهيز السفن الملكية بـــــالمجدفين ، وتشكيل الوحدات العسكرية وقيادتها وحركتها وسجلات بالتقدمات للآلهة . كمـــا نجدهم يقومون بمسح الأرض ، وإحصاء كل شىء ، وتوزيع الأجور النوعيـــة ، وإصدار الأوامر لمرءوسيهم . وتكشف لنا وثائق بيلوس عن وجود جيـــش مـــن الأواريين الذين كانوا يرفعون تقارير دورية إلى رؤســـائهم ، وتقديـــم البيانـــات والاحصاءات إلى سكرتير مقيم فى القصر يتولى قيدها فى السجلات .

هذا عن القصر وأجهزته الادارية أما عن الريف وإدارة شئونه قد تطالعنا الألواح بجهاز ادارى خاص بالقرى يأتى على رأسه رئيس القرية ولقبه "pa - si - re - u" (وهذه الكلمة يقابلها Basileus الهومرية وتعنى ملك فى قصر) وهو بمثابة ســـيد تمتـــد سلطته على منطقة ريفية وهو من أتباع الملك ومسئول أمامه من الناحية الاداريـــة ، إذ كان عليه مراقبة توزيع حصص البرنز المخصصة للحدادين الذيـــن يعملـــون لصـــالح القصر فى منطقته ، وكان يساهم هو وأثرياء منطقته فى هذه الفروض من المعادن وفقـــاً لحصص محددة .

ويعاون رئيس القرية موظف اخر يحمل لقب "ko - re - tc" ، وهـــو بمثابـــة النقيب ، وربما مارس هذا الموظف سلطات ومسئوليات عسكرية مثل اللاواجيتـــاس ، إذ يرينا لوح من بيلوس أن أحد "الكورتى" كان قائداً لكتيبة ، بينما فى لوح اخر نجده يتـــم وصفه بلفظة "mo - ro - pa" (وهى مالك الإقطاع) ، ويعاون رئيـــس القريـــة أيضـــاً مجلس الشيوخ "" ke - ro - si - ja" "Gerousia" ، وكان مكوناً من أربـــاب الأســـر

الشريفة ، بينما بقية الشعب Damas كانوا مشاهدين ومستمعين فقط ليس لهم حق الحديث ولا يعبرون عن آرائهم ومشاعرهم سوى بضوضاء مؤيدة أو مستنكرة .

تاسعاً : تكشف لنا الوثائق والآثار عن بعض المعلومات عن المجتمع وطبقاته ، وان كنا لا نعرف شيئاً عن العلاقة بين السكان الأصليين الذين لا يعقل أن يكون المهاجرون والمستوطنون الهندواوربيون قد قضوا عليهم ، ويرى البعض أنهم قد استغلوا من قبل هؤلاء المهاجرين فى زراعة الأرض وكانوا مربوطين بها ، ولعل الفئات العليا منهم قد امتزجت بالمهاجرين . وتمدنا الوثائق بمعلومات منها: (١) أن جانباً من السكان كان يقيم فى المدن أو القلاع وهم حاشية الملك ورفاقه وجهاز إدارته وأقاربه والكهان والكاهنات . (٢) أن جانباً أخر من السكان كان يعيش فى تجمعات ريفية أو محلات ويقيمون بالقرب من القلعة ويلجأون إليها عند الشعور بالخطر وطلباً للأمان . وكان السكان ينقسمون إلى قسمين الأحرار منهم والعبيد ، أما عن الأحرار فكانوا ينقسمون إلى طبقات والطبقات إلى طوائف حرفية ولكل طائفة اسم يميزها عن غيرها ولكل منها نصيب معين من القوت يوزع عليها بدقة ، ولكل منها تخصص دقيق معروف فى العمل ومن هؤلاء الحرفيين صناع السفن والفاخورية والغزالين والنساجين والقصارين وصناع العطور وصائغى الذهب والبرنز . ومن المهنيين الأطباء أو الحجاب ، أما عن العبيد فقد كانوا مملوكين للأفراد والجانب الأكبر مملوكاً للإله أو الآلهة .

وكان النظام السائد فى موكيناى نظاماً اقطاعياً إذ كان يسود فيه طبقة من الاقطاعيين الذين كان لكل منهم جيش خاص يرفد جيش الملك عند الحاجة ويؤدى بعض الواجبات الضرورية للصالح العام .

وتكشف لنا رسوم الافرسك أو الرسوم الجدارية عن أن النســاء فــى المجتمــع الموكينى قد ظهرن فى ملابسهن الأنيقة وترتيب شعرهن وحليهن مثلما كــانت تظـهر المرأة الكريتية وفى أحد الرسوم من موكيناى نجد بعض النساء يتبخترن فــى المســرح عند مقدمة مقصورتهن ولكنهن على ما يبدو قد أهملن التمارين الرياضية وأثر هذا علــى قوامهن وحرية سلوكهن الخارجى .

عاشراً : تقدم لنا الوثائق والآثار بعض المعلومات عن أماكن العبادة وأدوات الشــعائر والطقوس وصور الآلهة المصورة على الأختام أو رسوم الافرسك أو على الفخار أو شواهد القبور . كما تقدم لنا الرقم المكتوبة أسماء آلهتهم ومنها بعــض الهــة الاوليمبوس مقرونة بالقرابين المقدمة إليهم ، وإن كانت لا تتضمن أى نصــوص دينية أو فى سجلات معابد . ونستخلص من مصادرنا الوثائقية المعلومات الآتية :

١- هناك تشابه بين الديانة الموكينية والديانة الكريتية فمناظر الشعائر وأدوات العبــادة تكاد تكون واحدة ومن مظاهر الوحدة والتماثل بينهما أن الاله الأكبر فى كلتيهما أنثى ويأتى بعدها ذكر أقل منها مرتبة وكان يُذكر كشقيق لها حيناً ويُذكر كزوج لها حينــاً آخر .

٢- اعتقد أهل كل من كريت وموكيناى فى عبادة الأشجار والتنسك للأعمدة وأن الآلهــة تتجسد وتحل فيها كما سبق أن ذكرنا عند الحديث عن الديانة المينوية .

٣- كانت الديانة الموكينية والكريتية تقدس قوى الطبيعة ، وتحتوى على أفكار نابعة من البيئة الزراعية ، فقد اعتاد الكريتيون والموكينيون الاحتفال وإقامة الطقوس والشعائر بمناسبة وفاة الاله الزوج فى ريعان شبابه مقدماً نفسه قرباناً من أجل رفاهية شــعبه

الذى من أجله جاء ، وبمناسبة زواجه المقدس بعد بعثه من الالهة الأم حيث يتم اللقاء ويجتمع الشمل وكانت شعائر الموت والزواج التمثيلية من أهم ملامح الديانتين .

٤- كانت الالهة الأم عند الكريتيين إلهة شاملة وجامعة لكل الخصائص بينما وزع الموكينيون هذه الخصائص على الهة أخرى كثير ومن هذه الآلهة ديمتر (ربة الزرع والحرث) التى ورثت عنها أسرار ضاحية اليوسس فى أثينا وورثت عنها ارتيميس (ربة الصيد والحيوان) ظهورها فى رفقة الحيوانات المفترسة وكربة للبرارى ، وورثت عنها أثينا (حامية الدار) الثعبان واليمامة والدرع الذى كانت تحمى به القلعة والأبطال الصناضيد .

٥- تكشف لنا الرُقم المكتوبة عن بعض أسماء الآلهة ومنها الآلهة : زيوس وهيرا وأثينا وارتيميس وأبوللون وبوسيدون واريس (انواليوس Enualios) . ويتردد فى الرقم ذكر إلهة كبيرة الشأن ، ولكنها لا تذكر بالاسم بل بلقب po - te - ni - ja بمعنى السيدة هذا فضلاً عن الهة وإلهات صغيرات قليلات الشأن . وتمدنا اللقى الأثرية والآثار أيضاً ببعض المعلومات عن عبادة الهة أخرى ، مثل سيدة الحيوانات وربة الثعبان وربة البركة وربة الشجرة وربة الحرب .

٦- كانت أماكن العبادة عند الموكينيين والمينويين عبارة عن محاريب صغيرة تقدم فيها القرابين والتى ستتحول فيما بعد إلى معابد وهذا ما أظهرته التنقيبات الأثرية .

٧- أولى الموكينيون عبادة الأموات اهتماماً كبيراً لاسيما ما يتعلق منها بأموات عائلات الأمراء والملوك وأدى هذا إلى تطور فى المدافن وكان الميت فى نظرهم يستمر فى الحياة بعد الممات ويرى البعض أن الملوك رفعوا إلى مصاف الآلهة اما أثناء حياتهم

أو بعد مماتهم . وان كان البعض يرى أنه لم يكن لديهم فكرة عن الحياة الآخرة بعد الموت . وقد وجدت أضاحى وتقديمات من الحيوانات من الكلاب والخيول والانعام كشف الآثاريون عن تقديم أضاحى بشرية فى أنحاء متفرقة من بلاد اليونان فى موكيناى وبروسيمنا وأرجوس ودندرا وكازاراما وتساليا وأثينا ومسينيا واليارتوس ولينكاوا واسبرطة وارخومينوس .

٨- كشف الآثاريون لنا عن أكداس من المتعلقات الشخصية التى كانت تودع مع الموتى ولعل هذا يؤكد اعتقادهم فى حياة أخرى .

حادى عشر : تقدم لنا الآثار والرُقم المكتوبة معلومات كثيرة إلى حد ما بشأن أوجه الحياة الاقتصادية وهى :

١- **الزراعة ونظام ملكية الأرض :** تكشف لنا الرقم المكتوبة أن نظام ملكية الأرض الزراعية كان معقداً للغاية إذ تقدم بعض المصطلحات الخاصة بالأرض والتى هى محل نقاش وجدل بين الدارسين ومنها (أ) ko - to - no - o - ko ، (ب) kama (حـ) wo – wo ، (د) on a – to والأخيرة تعنى الايجار . وتقدم لنا أيضاً مصطلحات قد أمكن للعلماء تعريفها وهى "kitimena" والتى يحسبون أنها تعنى الأرض الخاصة والتى يمتلكها الأفراد . ويترجم العلماء مصطلح kikemena بالأرض العامة . أما عن الأرض الخاصة فقد نشأت من الاقطاعات الممنوحة والتى كان يتم امتلاكها ملكية رقبة وحيازة فى نفس الوقت وكان يقابل تملكها وحيازتها خدمات يقدمها المقطع ونظيرها يحصل على الاقطاع "ko-to- na" وتقدم لنا الرقم المكتوبة بعض المعلومات عن الأرض الخاصة إذ نجدها مقسمة إلى

اقطاعات ويأتى على رأس هذه الاقطاعات : ١-إقطاع الملك temenas وهو مكـون من الاراضى الزراعية وأراضى الحدائق ٢- إقطاعات الآلهة ٣- إقطاعات كبـار رجال الدولة والجنود . وكانت تمنح لهم نظير خدماتـهم الاستثنائية وانجازاتـهم الحربية . وكانت هذه الأراضى تمنح للمقطع مع مزارعيها وكان يمكن لأصحابـها تأجيرها لآخرين والانتفاع بما يحصلوا من ايجار لسد حاجاتهم الشخصية .

وتكشف لنا الرُقم المكتوبة أيضاً بعض المعلومات الخاصة بـالأرض العامـة أو الأرض المملوكة للشعب "" damus وأطلق عليها فى السجلات أيضاً لفظـة kl- tl- one- na- ko- to- na وهذه الأراضى كانت مملوكة ملكية عامة للجماعـات القرويـة وكانت تزرع وفقاً لنظام الحقول المفتوحة والتى ربما كان يجرى توزيعها دورياً وتنظـم أعمالها الزراعية وأنشطتها الرعوية .

وقد كشفت لنا الحفائر الأثرية عن أن الموكينيين قد بذلوا جهوداً كبيرة من أجـل تنمية الموارد الطبيعية فى بلاد اليونان ومن بينها حفر الآبار وإنشاء نظام للرى فى سهل أرجوس حيث وجدت قنوات تصريف مياه وتجفيف بحيرة كوباتيس وقـد اسـتصلحوا واستزرعوها أرضها المجففة .

وقد شكلت الزراعة الحرفة الأساسية لشعوب الممالك فى بلاد اليونان إذ عمل بها جل السكان وتقدم لنا الرقم المكتوبة سجلات سجل بها المحاصيل وأنواعـها ونصيـب القصور والآلهة منها وأهم المحاصيل القمح والشعير والأعناب والزيتون .

٢- الرعـى : اشتغل نفر من سكان ممالك هذا العصر برعى الثيران والأبقار والأغنـام والماعز والخنازير وكان الثور يستخدم كوحدة التعامل الـذى يقـوم علـى نظـام

المقايضة. وكان الرعاة يرعون فى الأراضى العامة التى لا تزرع .

٣- **الصناعة :** اشتغل نفر أخر من السكان فى الحرف والصناعات المختلفة من صناعة الأوانى الفخارية والحجرية والمعدنية البرنزية والذهبية وصناعة الغزل والنسيج والتقصير وخاصة صناعة الملابس الصوفية وعصر الزيوت وعصر النبيذ . وصياغة وسبك المعادن من حلى وسيوف وخناجر ورؤوس الحراب والدروع من الذهب والفضة والبرنز ، وصناعة العطور والدهون والمستحضرات الطبية وبناء السفن .

٤- **التجارة :** تكشف لنا مصادرنا الوثائقية عن اهتمام الممالك المختلفة بانشاء وبناء شبكات الطرق التى تربط بين ممالكهم وبعضها البعض وبين المدن الكبرى وبين المراكز التجارية والثقافية التابعة فى المملكة الواحدة . وكان الغرض من بناء وتعبيد الطرق هو تسهيل حركة التجارة وتسيير الجيوش الحربية . وكشفت لنا التنقيبات الأثرية عن بعض هذه الطرق وأشهرها الطريق الواصل بين بلدة بردسيمنا حيث يوجد معبد الربة هيرا وبين موكيناى وكورينثة ، وقد أقام الموكينيون قلاعاً للحراسة على جانبى الطريق الرئيسية ضماناً لسلامة القوافل التجارية والمسافرين ومن أشهر هذه القلاع قلعة جبل الياس المطل على موكيناى هذا فيما يخص التجارة الداخلية البرية ، أما عن التجارة البحرية فقد اهتمت الممالك المختلفة بإنشاء الموانئ البحرية ومارسوا الابحار والملاحة والقرصنة . ونجح الموكينيون فى السيطرة على البحر بعد انحسار السيادة والهيمنة الكريتية ، فحلت الأسفار والرحلات التجارية محل الغزو والسلب والقرصنة ، ونجحوا فى الوصول إلى أماكن بعيدة وأقاموا معها علاقات تجارية ناجحة. وجابت السفن الموكينية البحار البعيدة والقريبة فنقلت السلع

الموكينية من مصنوعات معدنية و انية فخارية إلى صقلية وجنوب إيطاليـا وجـزر ليبارى وأغلب الظن أن السفن الموكينية كانت قد وصلت إلى شواطئ جزيرة ايبريا، وقد أمكن التعرف على بعض شذرات الفخار والآثار الموكينية فى شمال وجنـوب فرنسا وبريطانيا ومنطقة وسط أوربا . ووصلت سفنهم أيضاً إلـى سـواحل آسـيا الصغرى وفينيقيا وأوجاريت والمنيا مع سواحل بلاد الشام حيث وجدت لقى أثريـة موكينية فى هذه المناطق وخاصة الآنية الفخارية حيث أن الصادرات الموكينية مـن زيوت ونبيذ كانت توضع فى جرار ، وقد عثر على شذرات من هذه الجـرار فـى فينيقيا وفلسطين ومصر ، ويرجـح أنـهم قـد صـدروا الصـوف والمنسـوجات والمصنوعات النحاسية ، كما كانت هناك تجارة العبيد ، ولتأمين التجارة والتجـار أقام الموكينيون عدداً من المحطات التجارية لتوزيع الصادرات وشحن الـواردات ، وقد أمكن التعرف على بعض هـذه المحطـات فـى ميلتـوس ورودس وقـبرص وأورجاريت . والتى كانت قد نجحت فى تقليد الأوانى الموكينية بشكل متقـن . وإذا كان الانتاج الصناعى الموكينى قد انتشر على نطاق واسع وبلغ أبعد الأصقاع ، فإن الموكينيين قد استوردوا النحاس من اتروريا وجزيرة سردينيا ، والتوابل والعاج مـن بلدان الشرق الأوسط ، كما استوردوا الأوانى المرمرية المصرية .

وتكشف لنا ألواح كنوسوس المكتوبة بالمجموعة الخطية الثانية من هذا العصـر عن عدد من أسماء الشـعوب الشـرقية ومـن بينـها مصـرى Misiraya ومرادفهـا Ackapitayo وقبرص (Arasiya) وأرادى (Aradayo) وبيروتى (Perita) وصـورى (Tariyo) وفينيقى po - ni - koi (po - ni - ki - ya) وتعرف علماء اللغة على عـدد كبير من أسماء ذات الأصول السامية خاصة اسماء التوابل .

جملة القول أن الموكينيين قد بلغوا اوج مجدهم وقوتهم فى العصر الميلادى الحديث وحلوا محل الكريتيين فى كثير من المناطق بل انطلقوا شرقاً نحو اسيا الصغرى بل سيطروا على كريت نفسها . وهذا بفضل قوتهم العسكرة وميلهم وحبهم للقتال والنزال وعن شخصيتهم العدوانية وهذا ما تظهره وتؤكده :

١- اللقى الأثرية بالمقابر من أسلحة من دروع وسيوف وحراب ونبال وسهام وخناجر مطعمة بالعاج والذهب .

٢- الرسوم الجدرانية بالقصور والرسومات على الآنية التى تبرز وتسجل جانباً من معارك حامية الوطيس .

٣- ترينا الرُقم المكتوبة أهمية الجيش والأسطول واستخدام العربات الحربية والارستقراطية العسكرية فى المجتمع الموكينى .

٤- تكشف الأشعار الهومرية عن الروح القتال والنزعة العدوانية للآخيين وهذا ما سنوضحه فى الحديث عن حرب طروادة .

جـ - حرب طروادة وعصر الأبطال

طروادة :

يطلق هوميروس عليها عدة تسميات هى إليوس واليون وطروية (Thaie) وبعـــد عصر هوميروس اشتهرت المدينة ومنطقتها باسم طرواس Traos وأســماها الرومــان طرويا ، ومن اللفظة طرواس اقتبس الجزء Troad ومنه الاسم العربى الشائع طروادة.

تقع طروادة فى إقليم ميسيا Mysia شمال غرب اسيا الصغرى ويحدها غرباً البحر الايجى وشرقاً جبل ايدا وشمالاً غرب مضيق الهلليسبونت وجنوباً خليــج أدراميثيــوم . وتقع المدينة على بعد حوالى أربعة أميال من البحر .

وقد أجريت عدة تنقيبات أثرية للكشف عن طروادة وكان الرائد فى هــذا المجــال الالمانى هينرش شليمان وحقق نتائج رائعة فى الكشف عن المدينة وإثبات أن طــروادة حقيقية لا خيال كما كان يزعم البعض ، بيد أن كشفه أثار العديد من القضايا حول تحديد أى المدن التسع التى نشأت فى الموقع هى التى شهدت الحرب ، فقد نشأ فى الموقع تسع طروادات يعلو بعضها بعضاً وكشفت التنقيبات أنها كانت مطمورة واحدة تحت الأخـرى وأقدمها هى الأولى ويرجع تاريخها إلى أوائل عصر البرنز وقد ظن شليمان أن طروادة الثانية التى تعلو الأولى والتى يعود تاريخها إلى حوالى ٢٥٠٠ - ٢٢٥٠ هى طــروادة التى أتى وصفها فى الالياذة ، لكن العالم الالمانى والآثــارى دربفلــد W. Doerpfeld ومساعد شليمان فى حفائره قد نجح فى اثبات أن طروادة الثانية ليست هى التى شــهدت الحرب وإنما طروادة السادسة (١٨٠٠ - ١٣٠٠) وأورد أدلة وبراهين كثيرة على رأيه، بيد أن العالم كارل بلجن قد نجح فى الوصول إلى أن طروادة السابعة (ا) هى طــروادة التى شهدت الحرب والتى حاصرها الآخيون لمدة تسع سنوات ثم نهبوها بعد ســقوطها فى السنة العاشرة واضرموا فيها النيران .

ويختلف الباحثون أيضاً حول بداية ونهاية تواريخ المدن التسع ويمتد تاريخ طروادة الأولى ما بين ٢٩٠٠ – ٢٤٠٠ ق.م ، تقريباً وطروادة الثانية ما بين ٢٤٠٠ – ٢٢٠٠ تقريباً ... الخ ، وقد قامت حضارة طروادة الأولى والثانية على أكتاف الآسيويين الذين تأثروا بحضارة بلاد الرافدين ، وقد نمت وتطورت كل من طروادة الأولى والثانية وذلك لسيطرتها على الطريق البحرى المار بالدردنيل والطرق التجارية التى تربط بين بلاد اليونان وآسيا الصغرى ، وبسبب قربها من مناجم الفضة ، فقد نشطت تجارتها فى المعادن النفيسة والأحجار الكريمة . ولكن يبدو أن طروادة الثانية قد سقطت لمجئ الفوج الأول من الهجرات الهندأوربية والمعروفة باسم اللوفيين أو اللوبين الذين جاءوا من مناطق الاستبس المتاخمة لبحر قزوين والبحر الأسود واقتحموا آسيا الصغرى واستقروا فى ليكيا وبامفيليا وكيليكيا حوالى عام ٢٢٠٠ وهم الذين بنوا طروادة الثالثة وتوالت موجات الهجرة من العناصر الهندأوربية إلى المنطقة ، ومن هذه الهجرات هجرة عناصر جلبت معها الخيول وأسست طروادة السادسة التى كانت قلعة حصينة ذات أسوار متينة ضخمة وتمتعت بقدر كبير من السيطرة والثراء وأحرزت تقدماً مطرداً وعلى الأخص فى فن العمارة وأقامت علاقات قوية مع بلاد اليونان وجزر البحر الايجى وأقاموا علاقات تجارية مع الموكينيين ، فاستوردوا الأوانى الفخارية من كؤوس وجرار وخناجر برنزية ... الخ . وكانت حضارتها تشابه حضارة الموكينيين ولعل السبب فى ذلك أن المهاجرين إلى كل من منطقة طروادة وبلاد اليونان ينتمون إلى أصل واحد ، وقد تعرضت المدينة للدمار بسبب الزلازل . وسرعان ما نشأت طروادة السابعة فى نفس الموقع وان كانت أقل حجماً وثراء من سابقتها وكانت على صلات قوية باليونان ووفقاً للأخبار المتواترة فى الالياذة ، فقد كانت تتشابه فى حضارتها المادية وعاداتها وتقاليدها ومعتقداتها ولغتها مع بلاد اليونان كما أن الآخيين تتشابه أيضاً حيث

أنها كانت مزيجاً من عناصر يونانية وأجنبية ، فقد ظهرت فى ألـواح بيلـوس أسـماء طروادية مثل هكتور وأنتينور كما أن الالهة الرئيسية فى المدينة وربتها الحارسة هـى أثينا كما هو الحال فى مدينة أثينا . وإذا كانت هناك اختلافات بينهما فلعـل سـببها أن طروادة كانت محاطة بشعوب أسيوية وتأثرت بها .

وقد أطلق هوميروس على الطرواديين اسم الدردنوى Dardenoi وورد ذكرهم فى الوثائق المصرية كحلفاء للحيثيين بنفس الاسم " دردنوى " ويطلـق عليـهم هـيرودوت "تومريان" . ويسمون أيضاً بالتيوكريين نسبة لأقدم ملوكها تيوكـروس Teukros الـذى تزوجت ابنته من دردانوس الذى ارتقى العرش بعد تيوكروس وأسس مدينـة دردانيـا Dardania وسميت منطقة طروادة نسبة إليه وخلفه ابنه اليوس الذى أسـس اليـوس أو اليون التى صارت أعظم مدينة فى المنطقة وخلفه لاؤميدون الذى شيد أسوار طـروادة الضخمة وأنجب ابنة هى هيسيونى وإبنا هو برياموس الذى خلفه على عرش طـروادة والذى قامت الحرب الشهيرة فى أواخر سنى حكمه وكان هذا الملك يحكم شعبه بطريقـة عشائرية فكان لديه عدد كبير من الزوجات اقترن بهن لزيادة النسـل وتقويـة رابطـة العصبية ، أما أولاده فكان كل واحد منهم يقتصر على امرأة واحدة ويعيش بعيـداً عـن الملذات والملاهى عدا باريس الذى لم يتمسك بقواعد الاخلاق . وكان الطرواديون ألطف معشراً وأكثر نبلاً وأقرب إلى الفضيلة من اليونانيين الذين أغاروا عليـهم فـى حـرب طويلة ، فما هى قصة هذه الحرب وما هى الدوافع الحقيقية لها ؟ هل نشـبت لأسـباب أخلاقية أم عرقية أم تحت تأثير عومل أخرى ؟

مرجعنا الأول فى هذه الحرب هو أشعار هوميروس إذ تحدثنا أن حرباً نشبت بين الآخيين وبين مدينة طروادة من أجل سبب أخلاقى ، ذلك أن أميراً طروادياً هو بـاريس نزل ضيفاً على منيلاوس ملك اسبرطة ، وهناك وقع نظر الأمير الطروادى على هيلينـا

زوجة الملك وأجمل نساء الأرض فى زمانه . فهام بها حباً وصمم على أن يستأثر بـــها لنفسه ، وهامت هى الأخرى به حباً وفرا هاربين إلى طروادة ، منتهزين غياب الملـــك مينلاوس ولما علم هذا الملك المطعون فى شرفه بهذه الفعلة النكراء استشـــاط غضبـاً واستصرخ ملوك الآخيين للانتقام بالغادر وأهله والرحيل لطروادة لتدميرها وتكون حلف عسكرى من الملوك والأمراء الآخيين لنصرة منيلاوس ولاسترداد زوجته الجميلة بقيـادة أجاممنون ملك موكيناى الذى قاد حملة عسكرية ضد طروادة والتى تم محاصرتها لمـدة تسع سنوات ودمرت فى السنة العاشرة من الحصار . ولكن يبدو أن السبب الذى ســاقه هوميروس للحرب كان سبباً واهياً لنشوبها وهو خطف امرأة ، حقاً أن حرباً قـــد تقـع بسبب اختطاف امرأة جميلة ليست أمراً مستبعد الحدوث ، ولكن هذا الســبب العــاطفى يبدو أقرب إلى حكايات التسرية خاصة إذا ساق لنا الشاعر هذا السبب مقترناً بحديـــث أسطورى عن خلاف وقع بين الاهات يونانية ثلاث حول تفاحة ذهبية وأقحم فيه بــاريس ليفصل بينهن وانتهى بأن الالهة أفروديتى هى التى حظيت بها مقابل وعد قطعته علــى نفسها لباريس بأن تمنحه أجمل نساء الأرض . كما أن هذا السبب قد شكك فيه هيردوت ويقول هل من المعقول أن يحارب الطرواديون مدة عشر سنوات فـــى ســبيل امــرأة ؟ ويعلل يوربيديس حرب طروادة بأنها نتيجة لتضخم وتكاثر السكان فـــى بــلاد اليونــان وحاجتهم إلى التوسع . ويرى العلماء المحدثون أن هناك تأثيراً لملحمة جلجاميس علـــى الالياذة حيث يوجد فيها عناصر قصصية واردة فى الالياذة ومنها اختطاف المرأة التـــى تثير ثائرة المدينة ويحرك رغبتها فى الانتقام ومعنى هذا أن السبب العاطفى والاخلاقـــى غير مقبول من الناحية المنطقية . وإذا كنا لا نقبل أن نعتبر حادث اختطاف هيلينا ســبباً لوقوع حرب طروادة ، فعلينا أن نبحث عن أسباب أخرى لوقوعها فى مصادر أخـــرى

غير الاشعار الهوميرية مثل الألواح الحيثية التى تم العثور عليها فى بلدة بوغاز كسوى فى أسيا الصغرى ومن الافتراضات العلمية التى تقدمها الدراسات الاثرية واللغوية وبعض الأساطير ومن مشاهدات فى الظروف الجغرافية لشمال بحر ايجة .

ونستخلص من الوثائق الحيثية أن الآخيين قد زادت قوتهم وسطوتهم فى منتصف القرن الثالث عشر وبدأوا يعتدون على أملاك الامبراطورية الحيثية فى المنطقة الساحلية لأسيا الصغرى ومنها اعتداءات المغامر ارتاريسياس الآخى ومادوراتاس كما نجد أن تلك الألواح تذكر اسم أخيا فى صورة أهياوا أو أهيا Ahhiyawa = Ahhia ، واختلف الباحثون حول موقع هذه المملكة فالبعض رأى أنها مملكة أجاممنون فى بلاد اليونان نفسها ، ويرى البعض أن أهيا ليست أخيا وأنها تقع فى أسيا الصغرى فى كليكيا أو طروادة وأنها كانت تمثل جزءاً من الامبراطورية الحيثية . والبعض الآخر يرى أنها تقع فى جزيرة قبرص أو كريت ، ويرى البعض أنها جزيرة رودس وكان الآخيون قد أقاموا بها وشيدوا بها قلعة تسمى قلعة آخيا ، وأنها سيطرت على جزء من ساحل آسيا الصغرى ، وكان لانهيار الامبراطورية الحيثية مع خواتيم القرن الثالث عشر أثره فى تشجيع الهجوم على طروادة وتدميرها ، وكانت طروادة مدينة تجارية ذات مصالح تجارية فى المنطقة الايجية ، إذ كان إنتاجها الزراعى يفيض عن احتياجاتها ويتم تصديره كما اشتهرت المدينة بجيادها السريعة وبأصوافها وهذا ما أكدته الحفائر الأثرية، فلابد أن يكون هناك تنافس بين الطرفين وما يجره صراع المصالح فى مجال صادرات الأصواف التى كانت تنتجها بلاد اليونان . ولعل من الأسباب الحقيقية للحرب هو محاولة السيطرة على المضايق والطريق إلى السهول الغنية فى البحر الأسود ، إذ كانت مدينة طروادة تقف حجر عثرة فى سبيل مشروعات الآخيين التجارية فى منطقة البحر

الأسود وبحر مرمرة وسواحل اسيا الصغرى وبعض الجزر القريبة من تلك السواحل حيث أغلق حكام اسيا الصغرى أيام الآخيين باب التجارة فى منطقتهم ، وخير شاهد على هذا هو أن الفخار الموكينى انتشر فى المناطق الواقعة جنوب طروادة بعد سقوطها، وتدميرها على يد الآخيين . كما أن موقع طروادة الاستراتيجى جعلها تتحكم فى الطريق البرى المار بها حيث أجبر التجار على أن يسلكوه وذلك لخطورة ومشقة الإبحار حول رأس سجيوم حيث تشتد سرعة التيارات المائية اشتداداً يجعل السفن الصغيرة لا تقوى على الاستدارة حول هذا الرأس . ومن ثم فقد كانت تفرغ شحناتها فى الخليج الصغير المواجه لجزيرة تنيدوس ثم تنقل الشحنات بطريق البر إلى الخليج الواقع على الجانب الآخر . وكانت طروادة بحكم موقعها يمكنها فرض المكوس على تجارة العبور المارة بأراضيها كما استفادت المدينة من الظروف المناخية على ما يبدو إذ أن الرياح كانت تحتجز السفن عند مدخل الدردنيل فتعوق رحلتها أياماً وربما أسابيع وفى خلال هذه الفترة كان البحارة يرسون بسفنهم على الساحل الاسيوى ويحتاجون للمئونة ومياه الشرب . والتى كانت تتحكم فيها طروادة ، ولعل هذه الأسباب جميعها أوغرت صدر الآخيين ضد طروادة ودفعتهم دفعاً لحربها وتدميرها ولعل قصة هرقل التى هاجم فيها طروادة وتخريبه إياها فى عهد ملكها لايوميدون تعكس مشاعر اليونان تجاه طروادة واعتبارها عقبة كؤود فى سبيل مغامراتهم ومشروعاتهم فى البحار فى منطقة بالغة الحيوية بالنسبة لهم ولابد من السيطرة عليها وإرسال حملة عسكرية لتحقيق هذا الأمر .

وهكذا عقد الآخيون العزم على شن الحرب ضد طروادة بقيادة أجاممنون واستغرقت استعداداتهم للحرب امداً طويلاً يصل إلى عشر سنين وأبحروا من ميناء أوليس Aulis فى وسط البلقان وشرقاً وضربوا حصاراً دام عشر سنين . ويختلف

الباحثون حول بداية ونهاية الحملة فيذكر ايراتوستيفيس Eratosthenes العالم الموسوعى السكندرى استناداً على شجرة الانساب التى نقلها عنه المؤرخ اليونانى هيكـــاتيوس ، أن الآخيين قد حاصروا المدينة ١١٩٤ - ١١٨٤ ق.م ويقول المؤرخ الرومانى بلينـــى أن طروادة قد سقطت فى عهد رمسيس الثالث (١١٩٨ - ١١٦٦ ق.م) إذ تشير الســجلات المصرية من عهد هذا الفرعون إلى أن الجزر كانت فى حالة اضطراب وحركة ، وقـد يشير هذا إلى حرب طروادة . ويؤرخ بعض الباحثين المحدثين حرب طروادة فى ضوء التنقيبــات الأثرية والدراسات المقارنة إذ يرى كارل باريس أنها ســقطت ١٢٣٠ ق.م ويــرى المؤرخ فاين أنها سقطت عام ١٢٠٠ ق.م وإن كان لدينا بعـــض الآراء غــير المقبــولة التى تقول أن سقوط طروادة قد حدث فى الفتــرة ما بين١٣٣٠-١١٣٠ ق.م.

وبعد تدمير طروادة وحرقها لم يستقر الآخيون بها وهذا مـــا تؤكـده الروايــات اليونانية والتى أكدته التنقيبات الأثرية ، فقد كشفت لنا الحفريات أنه لمدة جيل بعد تدمـير القلعة استمر الأحياء الناجين من الطرواديين فى العيش بين خرائبها ، وفى بداية القــرن الثانى عشر وفد إليها اناس مجهولون جلبوا معهم فخاراً غير جيد الصنع اندمجــوا مــع بقية الطرواديين ، وهاتان الفترتان تعرفان بعصر طروادة السابعة (ب) وبعد عام ١١٠٠ ق.م يبدو أن المكان قد هجر ولكن فى فترة الاستعمار اليونانى وحركـــة الــهجرة فــى القرنين الثامن والسابع صارت طروادة الثامنة مستوطنة كبيرة وهذه المدينة هــى التــى زارها الاسكندر الاكبر عند قيامه بحملته الآسيوية ثم أعاد الرومان بناء المدينـــة مـرة أخرى وهذه هى طروادة التاسعة .

وقد كان لهذه الحرب آثارها على الآخيين أنفسهم إذ كان لغيبة الملوك والأمــراء أثرها بالنسبة لممالكهم فقد طمع البعض فى اعتلاء كرسى العرش لطول الغياب ولعل ما

يرويه هوميروس بشأن أوديسيوس خير شاهد على ذلك وما حـــدث لأجـامممنون نعـد عودته.

كما بدأت حضارة الآخيين وممالكهم فى التدهور والانحدار ، وهذا التدهور يمكن تتبعه بسهولة فى تدهور الجودة الفنية والتقنية للفخار كما كشف لنا الآثـاريون عـن أن هناك نشاطاً عمرانياً كبيراً وكان غرضه تقوية حوائط القلاع فى موكيناى وترنيس وأثينا وتأمين وصول إمدادات المياه إلى القلاع ومثل هذه الإجراءات تشير إلى احتياطات ضد غزاة يمكن توقعهم . ولكن من هم هؤلاء الغزاة ؟ وفقاً للروايات اليونانية فإن الدوريين لم يكونوا قد وصلوا إلا بعد قرن من الزمان تقريباً ومن الملائم أن نتذكر أن هذه الفـترة قد شهدت توافد شعوب البحر والشمال من كل الأراضى التى سببت فوضى واضطرابـاً فى منطقة البحر الإيجى وسوريا ومصر ، إن هذه الفوضى والاضطرابات ربما تكـون قد أقنعت حكام بلاد اليونان فى ضرورة تقوية دفاعاتهم . وكان لهذه الفوضى أيضاً على ما يبدو أثرها على التجارة الموكينية إذ تدهورت مما سبب ضغطاً كبيراً على الممـالك الآخية ، ومع مطلع القرن الثانى عشر نجد هناك اضطرابات شهدتها بلاد اليونان ، فقـد هجر العديد من الأماكن والمواقع مثل المنازل خارج أسوار أثينا كمـا أنَّ الكثـير مـن القصور ومنازل موكيناى قد احترقت فى أولكوس Ialcus فى تساليا وبيلوس وتـيرنيس واسبرطة وفى وقت متأخر إلى حد ما دمرت القلعة ، فما هو سبب هذه الاضطرابـات وهجر المواقع فى بلاد اليونان ؟ إن الاجابة ما تزال غامضة . فمن المرجح أن العـداء بين الممالك والصراع بينها ومحاولة كل مملكة أن تسلب وتنهب الممالك الأخرى مثـل الحرب بين أرجوس وطيبة قد يكون هذا سبب الكارثة ، ويرى البعض أن سبب التدهور هو أنه بعد عودة الهلينيين من طروادة وتدميرها نتج عنه ثورات كثيرة وحروب وجـدت

فى كل مكان من بلاد اليونان خاصة بعد أن عم القحط والمجاعة نتيجة لسوء الأحـــوال الطبيعية ، إذ يرى كاربنتر Carpenter أن هذا أدى بسكان أسيا الصغرى وبلاد اليونـان إلى هجرها والبحث عن ملاذ آمن بيد أن هذا الرأى فيه اسراف وجـــرأة ، فالتنقيبـات الأثرية كشفت لنا عن أن القلاع الموكينية فى البلوبونيز ووسط بلاد اليونان قـــد أعيـد تحصينها وأن الحكام كانوا يخشون الهجوم المفاجئ من شعوب البحر التى تحركت على طول السواحل الشرقية للمنطقة الإيجية والبحر المتوسط وأن هؤلاء قد اخترقوا وتغلغلوا فى وسط بلاد اليونان والبلوبونيز من الشمال ، وكان غرض هؤلاء الغزاة على ما يبـدو ليس غزوها واستيطانها ، ولكن الحصول على الغنائم والأسلاب من القلاع والقصـــور الموكينية . وعلى الرغم من انسحابهم بعد تحقيق مآربهم خلفوا خراباً ودمـــاراً وتشـير الحفائر إلى أن الهجوم من قبل شعوب البحر قد تكرر على مراكز الحضارة الموكينيـــة وأدى هذا إلى ضعف وتدهور الممالك الموكينية إذ يكشف لنا الدليل الأثرى عن نقـــص كبير فى عدد السكان فى منطقة البلوبونيز فقد كان يوجد فى كل من ميسينيا وتريفيليـــا Triphylia ١٥٠ مستوطنة فى القرن الثالث عشر بينما لا يوجد فى المنطقتيـــن إلا ١٤٠ مستوطنة فى القرن الثانى عشر . ونفس النقص الحاد يكون فى بؤوتيا ، ونقـــص عـــدد المستوطنات إلى الربع فى أرجوليس وفى اقليم كورينثة نقص إلى أقـــل مـــن الثلـــث ، وبجانب الدمار ونقص السكان نلاحظ ظاهرة أخرى وهى هجرة وتحرك الســكان مـــن المناطق المخربة إلى مناطق أخرى وأن الاستقرار قد صار أكثر كثافة فى أخيا الجبليـــة فى شمال البلوبونيز وفى جزيرة كيفالينا Cephallenia ومن المرجـــح علـــى الســـاحل الشرقى لآتيكا ايضاً . وهاجر الناس أيضاً إلى جزر البحر الايجـــى ناكســـوس وربمـــا رودس ثم إلى كريت وقبرص .

العصر المظلم والهجرة الدورية

يتبادر إلى الذهن السؤال الآتى : لماذا سُميت الفترة التى أعقبت العصر الموكينى فى التاريخ اليونانى بعصر الظلام ؟ يمكن تبرير هذه التسمية بالأسباب الآتية :

١- انخفاض وهبوط مستوى الحضارة فى بعض المناطق وتوقفها وانقطاعها فى الكثير من المناطق اليونانية .

٢- قلة وشحة المصادر الخاصة بهذا العصر .

٣- الهجرات المشهورة بالهجرات الدورية التى غشت الجانب الأكبر من اليونان .

والواقع أن دراسة تاريخ هذا العصر له أهميته الخاصة لدارس تاريخ اليونان إذ شهد هذا العصر وضع اللبنات الأولى وأسس حضارتها فى العصر الكلاسيكى . وسنحاول أن نعرض لأهم المصادر التى يمكن أن تلقى أضواء على تاريخ هذه الفترة وأول هذه المصادر أشعار هوميروس والتى تعد مصدراً أساسياً لها ، فعلى الرغم من أن الإلياذة تعالج فترة قصيرة من حرب طروادة والأوديسة تعالج عودة أوديسيوس والمتاعب والاضطرابات فى مملكته خلال فترة غيابه ، فانهما تعكسان الظروف والأحوال والأعراف والعادات والتقاليد فى بلاد اليونان وتقديم صورة للحياة بشكل أولى فى هذه الفترة خاصة أن العرف والتقاليد والعادات تستمر عبر الأجيال ، فأعراف وتقاليد وعادات اليوم تحتوى على تقاليد وأعراف وعادات الأمس وبالمقابل سوف تنتقل فى تقاليد وأعراف وعادات الغد . وفى ضوء هذا يمكننا القول أن الإلياذة والأوديسة لا تعكسان الأحوال فى تاريخ بعينه وإنما تعكس طريقة الحياة التى تمتد جذورها فى الماضى بل تستمر بشكل كبير بدون تغيير كبير فى المستقبل . وإن كان علينا أن نتذكر

أن هوميروس وسابقيه كانوا شعراء ولم يكونوا مؤرخين ، ومن ثم لن نجد فى الاشعار الملحمية مناقشات منظمة للقضايا التاريخية ، ولكن القارئ الممحص لها ، سوف يجد أنها تحتوى على مستودع غنى بالمعلومات حول التقاليد والأحوال الاجتماعية والاقتصادية والدينية والسياسية خاصة التى تنتشر بين الطبقات العليا فى المقام الأول وبقية طبقات المجتمع فى المقام الثانى . ومن المصادر التى تمدنا ببعض المعلومات أشعار هيسيود الشاعر البؤوتى الذى عاش فى فترة لاحقة مباشرة للعصور المظلمة ولأن هيسيود عاش فى منطقة بؤوتيا المتخلفة ولكونه شاعراً ومنشداً وراوية فانه أعطى نظرة حول طرق الحياة وعقائد خاصة بعصره وجيله والتى امتدت من أجيال سابقة عليه والذين كانت أعرافهم وتقاليدهم مشابهة ، وأهمية قصائده تعد مصدراً نفسياً لأنها تعكس صوراً لحياة مزارع صغير ولمشاكله كما أن قصيدته عن أصل الآلهة تعكس معتقدات قومه واسلافهم .

وتقدم المصادر الأدبية اللاحقة معلومات أيضاً عن هذا العصر ، فالشعراء قد استخدموا الأساطير المبكرة التى تناقلتها الأجيال وبعض الفلاسفة قد اعتمدوا على المراحل الأولى للحياة السياسية والاجتماعية فى هذا العصر ، وكتاب القرنين السادس والخامس كتبوا عن أنساب العائلات المالكة والتواريخ المحلية وتأسيس المدن . وإن كانت كتاباتهم لم تبق فى كتب مستقلة ولكن الكثير من مادتها التاريخية قد وجدت طريقها إلينا من خلال أعمال الكتّاب المتأخرين مثل استرابون (٦٤ق.م – ٢١م.) وبوسينياس (القرن الثانى) . لقد كتبا عن التاريخ المبكر للعديد من المدن اليونانية ، والأسر الحاكمة بها . وجملة القول أن المصادر الأدبية لا تقدم لنا صورة زاهية عن هذا العصر بل ما تقدمه صورة باهتة له .

والمصدر الأساسي والموثوق فيه هو المخلفات واللقى الأثرية الخاصة بهذا العصر إذْ كشف الآثاريون والمنقبون لنا عن بعض مناطق الاستقرار والتجمع من هذا العصر وكشفوا الكثير من اللقى الأثرية وخاصة الفخار الذى يقاوم عوادى الزمن وله أهميته الكبرى فى تحديد تطور الحضارة فمثلاً تعد وحدة الطراز فى الفخار فى العصر الموكينى فى بلاد اليونان وخارجها دليلاً على الوحدة الثقافية والحضارية فى بلاد اليونان والدارس لفخار عصر الظلام يشهد تنوعاً كبيراً وخاصة للفترة المبكرة منه وهذا يشير ، بشكل مقنع ، إلى انكسار الوحدة الحضارية لبلاد اليونان فى العصر السابق ، وإنْ كان من الملاحظ أنَّ الفخار الأتيكى شهد استمراراً من العصر الموكينى ويمكن تتبع تطور أعمال صناع الفخار الأثينيين ، ومن دراسة طراز الآنية والمزهريات الخاصة بالعصر يمكن استخراج عدة نتائج حول طريقة تفكير الحرفيين والناس الذين عاشوا بينهم ، فهناك تأثيرات شرقية نجمت عن علاقات وصلات تجارية مع الشرق ، ووجود كميات كبيرة من فخار مدينة فى مدينة أخرى خير دليل على الصلات التجارية وإن وجد تقليد لفخار مدينة فى مدن أخرى فهذا يكشف عن التأثر بأساليب وتقنيات صنع الفخار فى مدينة أخرى .

ويمكن للباحث أن يستقى بعض المعلومات عن هذا العصر وأنْ يرسم صورة له فى ضوء التقاليد والمؤسسات فى العصر التاريخى فقد كانت هذه التقاليد والمؤسسات استمراراً لمؤسسات لعلها نشأت فى العصر المظلم ، ولما كان الإغريق محافظين فى كثير من النواحى ، فقد ظلوا مرتبطين بالأسماء القديمة والطقوس العتيقة حتى على الرغم من أنها لا تتناسب مع عصرهم ففى أثينا الديموقراطية ، على سبيل المثال ، كان هناك حاكم ينتخب كل عام يسمى الملك الكاهن Basileus والذى كانت وظيفته الأساسية

دينية . وهذه الوظيفة فى ضوء ما سبق تعطى دليلاً واضحاً على أنه فى وقت سابق مـا من تاريخ أثينا الباكر كان يحكمها ملك والذى كان شامل الاختصاصـات ومـن بينـها الاهتمام ورعاية الشئون الدينية فى الدولة . انّ دراسة الأشياء الحية فى أى فـترة مـن فترات التاريخ تكشف الكثير عن الماضى ودراسة وتحليل المعتقدات والصيغ القانونيـة والمصطلحات يمكن أن تلقى الضوء على المراحل الباكرة فى تطوير الديانة والقانون إذ ما كانت المصادر الأخرى غير متاحة . وجملة القول أن المصادر تقدم لنا مادة علميـة قليلة عن هذه الفترة . ومن ثم فاننا لا نعلم عنها إلا القدر اليسير .

والعصور المظلمة تمتد لفترة أربعة قرون على الأقل ، وذلك لأنه حتـى نهايـة القرن التاسع لا توجد معلومات تاريخية واقعية والتى أصبحت متاحة فى القرن الثامن .

وإذا ما استعرضنا الهجرات التى غشت بلاد اليونان بعد تدهور مراكز الحضـارة الموكينية ، فإن هذه الهجرات أو موجات من الهجرة دخلت بلاد اليونان علـى فـترات متقطعة استمرت فترة طويلة من الزمن أى من القرن الحادى عشر إلى القـرن التاسـع وأطلق عليها المؤرخون الهجرة الدورية على أساس أن تحركاتها هى الأكثر نشاطاً . إذ نجد ثيوكيديديس يقول أنه فى السنة الثمانين بعد نهاية حرب طروادة غـزا الدوريـون منطقة البلوبونيز بزعامة ابناء هرقل الذين طردوا من البلوبونيز وحرموا حقهم الشرعى فى العودة إليه فعملوا على استرداد هذا الحق بقوة سواعدهم وهذه الأسـطورة المغلفـة بالوطنية والدعاية تشير إلى أن وصول الدوريين لم يفسر على أنه غزو لشعوب جديـدة ولكن عودة البلوبونيز لحكامها الشرعيين . وقد أصبحت هذه الأسطورة مقبولة كحقيقـة لكاتب مدقق مثل ثيوكيديديس . ولما كان وصف القدماء لمجيء الدوريين على أنه عودة

للهرقليين فإن مصطلح الغزو الدورى يكون مصطلحاً حديثاً . ولكن يغلب على الظن أن موجة جديدة من الهجرة الهندوأوربية قد بدأت فى وقت ما من القرن الثالث عشر بانحدار مجموعات من القبائل الهندوأوربية من مناطق الدانوب إلى شمال غرب البلقان ونزلت أولاً حول مرتفعات ابيروس واستقرت هناك بعض الوقت ثم خرجت منها فى موجات متتالية لغزو بلاد اليونان بعد أن بدى عليها مظاهر الاضمحلال والضعف وبعد الخراب الذى أحدثه فيها هجوم شعوب البحر والشمال نهاية العصر الموكينيى ، وقد بدأت أولى موجات الهجرة عبر جبال بندوس Pindos متجهة إلى السهل الواقع شرقى هذه الجبال فى وسط البلقان وهو سهل تساليا الذى سمى بهذا الاسم نسبة إلى المهاجرين التساليين الذين احتلوه ونتج عن هذه الموجة من الهجرة أن بعض السكان قد اندفع مولياً الأدبار إلى وسط وجنوب البلقان والبعض الآخر منهم قد هاجر من اليونان كلية واتجه شرقاً وبعضهم الآخر قد استمر فى العيش فى مواطنهم وخضع لحكم الغزاة التساليين ورضى حياة العبودية .

وهناك موجة أخرى من المهاجرين قد غشت منطقة بؤوتيا وهؤلاء المهاجرون الجدد قد أطلق عليهم اسم الارنيين (Arnaians) وكانوا قد توغلوا أكثر نحو الجنوب وعبروا ممر ثرموبيلاى واحتلوا منطقة بؤوتيا ، وحاولوا بعد احتلالهم لها التقدم صوب الشرق فهاجموا منطقة أتيكا لكنهم عجزوا عن الاستيلاء عليها ، وبمرور الوقت تألف فيما بينهم حلف ضم ثلاث عشرة مستوطنة تزعمته مدينة حملت فيما بعد اسم طيبة . وكان لاحتلال هؤلاء الارنيين لمنطقة بؤوتيا نفس الآثار التى أحدثها التساليون فى منطقة تساليا ، فهاجر من هاجر من السكان الآخيين وبقى من بقى منهم وتعرض للنزول إلى مرتبة العبودية .

أما مجموعة القبائل التى عرفت باسم الدوريين والتى يخلع الباحثون اسمها على موجات الهجرة والاستيطان على أساس أن تحركاتها هى الأكثر نشاطاً . فقد نزلوا بمنطقة دوريس Doris أولاً وعندما ضاقت عليهم المنطقة اندفعوا جنوباً نحو البلوبونيز وسيطروا على أغلب أجزائه ، فنجدهم قد احتلوا سهل ارجوليس ، ودكوا البقية الباقية من مراكز الحضارة الموكينية ، واحتلوا بعد ذلك وادى نهر يوروتاس Eurotas وفى هذه المنطقة نمت بمرور الوقت مدينة اسبرطة . ثم استولوا على منطقة اليس Elis أغنى مناطق البلوبونيز واستولوا بعد ذلك على ميسينيا إلى الغرب من لاكونيا وفى شمال البلوبونيز اقاموا مدينة كورينثة . وقد حاولوا غزو منطقة أتيكا من البلوبونيز ولكنهم صدوا عنها وإن كانوا قد تمكنوا من اقتطاع الأجزاء الجنوبية منها إذ قامت فيما بعد مدينة ميجارا Megara . ثم عبر فريق منهم البحر واستولى على مناطق فى آسيا الصغرى وبعض الجزر فى بحر إيجة .وأمام توافد موجات الهجرة الدورية إلى منطقة البلوبونيز والمناطق التى احتلوها فقد اندفع نفر من السكان الأصليين خارج المنطقة إلى شبه جزيرة أتيكا ، أو إلى خارج البلوبونيز وبلاد اليونان وبقى نفر آخر اندمج بعضهم مع الغزاة والبعض الآخر منهم قد نزل إلى مرتبة العبودية .

قصارى القول أن هذه الموجات من الهجرة التى دخلت بلاد اليونان قد سببت حالة من الفوضى والاضطراب من تساليا شمالاً إلى البلوبونيز جنوباً والتى استمرت لعدة قرون ولم تستقر تلك القبائل إلا عند القرن التاسع فى المناطق التى أصبحت وطناً لها فى التاريخ اليونانى . أما السكان الأصليون من الآخيين فإن الكثير منهم قد نزل إلى مرتبة العبودية والبعض الآخر كان وضعه أدنى من أعضاء تلك القبائل والبعض الآخر

قد وجد ملاذاً فى الجبال المحيطة بتساليا وأركاديا بينما فضل الكثير منهم الهجرة خارج اليونان إلى جزر بحر إيجة وسواحل اسيا الصغرى .

وكانت هناك عدة عوامل ساعدتهم على التوجه إلى تلك المناطق التى كانوا على دراية ومعرفة تامة بها وبأراضيها الخصبة وغلاتها الوفيرة ، كما أن طبيعة بلاد اليونان الجغرافية والمناخية لا تختلف عن طبيعة السواحل الغربية لآسيا الصغرى . كما أن كثرة الجزر فى البحر الايجى جعلت المهاجرين فى أمان دائم أثناء إبحارهم صوب الساحل الآسيوى الذى كان يقطنه مجموعة من الشعوب المتناحرة والمتنافسة مثل الفريجيون فى الشمال والكاريون فى الوسط والليكيون فى الجنوب .

وهذا يعنى أنه لم تكن هناك دولة قوية فى الشرق ، بيد أنهم لم يتجهوا شمالاً وذلك لأن المناطق الشمالية كانت مسكونة من قبل قبائل جبلية شديدة المراس يصعب على اليونانيين المنهكين مواجهتها . ولم يتجهوا غرباً وذلك لأنه كان مجهولاً إلى حد ما وكان الإبحار فى البحار الغربية يُعد مخاطرة عظيمة .

ولما كانت هذه الهجرات قد حدثت فى العصر المظلم فإن معلوماتنا حولها مثل المشكلة الدورية أتت واستمدت من الأساطير ولكن مما لا شك فيه أن الهجرة قد حدثت إذ نجد أن الإغريق ابتداء من الفترة التاريخية يعيشون على ساحل اسيا الصغرى والجزر المتاخمة لمضيق اللهليسبونت إلى رودس . وفى الواقع فى ضوء ما سبق لا يمكننا أن نحدد تاريخ كل هجرة من هجرات اليونان التى أعقبت الغزو الدورى ابتداء من القرن الحادى عشر ولكن يمكننا أن نقول إن حركة الهجرة والاستيطان اليونانية قد

استمرت حتى منتصف القرن العاشر . ويمكن أن نميز من حركـــات الـــهجرة ثـــلاث هجرات أساسية إلى سواحل اسيا الصغرى والجزر هى : -

١- **الهجرة الايولية :** قام بها الأيوليون Iolians الذين كانوا ينزلون فى تساليا وبؤوتيـــا وفى أجزاء أخرى بوسط البلقان فراراً من التساليين وخرجوا من البلقان عند مضيـق يوبويا وعبروا البحر حتى وصلوا إلى جزيرة لسبوس المتاخمة للشاطئ الآسيوى ثـم نزلوا إلى الشاطئ وأسسوا مدينة كيمى وانتشروا فى المنطقة الممتدة من شمال غرب ساحل آسيا الصغرى حتى سميرنا Smyrna ونهر هيرموس Hermus وأقاموا اثنتـــا عشرة مستوطنة على ساحل اسيا الصغرى والتى كان يجمع بينها حلف دينى وأهـــم هذه المدن سمرنا ، ووفقاً للروايات فإن المهاجرين الأول كانوا تحت قيادة بنثيلـــوس بن اوريستيس . وكانت هجرة الايوليين تقصد الاستيطان الدائم أساساً بدليـــل أنـــهم اصطحبوا معهم نساءهم وأطفالهم .

٢- **الهجرة الأيونية :** قام بها الأيونيون Ionians بعد أربعـــة أجيـــال مـــن اســـتقرار الايوليين فى أسيا الصغرى ومن المستحيل أن نحدد تاريخ استقرارهم زمنياً بدقـــة . وتكشف لنا المصادر أن أثينا قد قامت بدور بارز فـــى تنظيـــم وتـــهجير العنـــاصر المهاجرة إليها من مناطق بلاد اليونان المختلفة من شمالها ووسطها وجنوبـــها أمـــام الغزو الدورى ، وأمام قصور موارد أتيكا فقد قام الأثينيون بارسال هذه الزيادة مـــن السكان إلى أيونيا . وقد وردت روايات عند الكتّاب القدامى مثل استرابون وبوسنياس حول أسرة نيلوس Neleus التى تم طردها من بيلوس بمسينيا على يد الغزاة إلى أثينا حول ميلانثوس زعيم هذه الأسرة فى اعتلاء عرش أثينا وأن ابنـــه كـــودروس قـــد ضحى بحياته لانقاذ أثينا من الهجوم الدورى . وأن صراعاً نشب على خلافته بيـــن

ثلاثة من أبنائه وخلافته فى الحكم وكان النجاح حليفاً لابنه ميدون بينما نجد أن الأخوين أندروكلوس ونيلوس قد قادا مجموعات مختلفة من المهاجرين إلى اسيا الصغرى حيث نجح اندروكلوس فى تأسيس افسوس ، بينما نجد أن نيلوس قد نجح فى تأسيس مدينة ميليتوس .

ويرى البعض أن الدور الهام الذى قامت به أثينا فى تقديم قادة للمهاجرين وإنها المكان الذى خرج منه المهاجرون قد روجت له بدون شك الدعاية الاستعمارية لاثينا فى القرن الخامس ولذا يرون أن المهاجرين قد خرجوا من أكثر من مكان وموقع . ولكن هناك قرائن كافية تجعلنا نفترض أن هناك جانب من الحقيقة فى هذه الروايات ، ففى بداية القرن السابع نجد الشاعر ميميرموس Memmermos الايونى من كولوفون Colophon يتحدث عن مؤسس مدينته بأنه انحدر من أسرة نيلوس ، وفى أثينا الكلاسيكية كانت أسرة ميدون مشهورة وفى افسوس نجد أخلاف أندروكلوس يلقون التكريم حتى العصور الميلادية .

وخلال الهجرة الايونية كان يقيم فى المناطق التى هاجروا اليها الليجيون والبلاسيجيون والكاريون . ولدينا رواية عن حروب خاضوها ضد السكان المحليين فقد حاربوا الكاريين وحملوا النساء الكاريات واتخذوهن زوجات . وهكذا فإن هذه الهجرة كانت هجرة عسكرية إذ أنهم لم يصطحبوا معهم نساءهم فاضطروا للتزاوج بالآسيويات بعد استقرارهم .

وفى القرن التاسع نجد أن اثنتى عشرة مدينة أو مستوطنة من المستوطنات الايونية قد شكلت حلفاً أيونياً وأعضاء هذا الحلف هم : ميليتوس وميوس Myos ،

وافسوس ، وكولوفون ، وليبيدوس Lebedos ، وتيوس Teos ، وكلازوميناى Clazommenae ، وفوقيا Phocea ، واريثراى Erythrae ، وخيوس ، وكان هناك مركز دينى مشترك لتكريم الاله بوسيدون هيليكونيوس Helikonios فى بانيونيون Panionion الواقعة على نتوء جبل ميكالى Mycale ولا نعرف إلا القليل حول الفترة الباكرة لهذا الحلف ولكنه قد ساعد على اعطاء الشعور بالوحدة للايونيين اليونان الذين كانوا مختلفي الجذور ، وهناك عامل آخر نمى الشعور بالوحدة هو الاحتفال بالعيد المعروف بالاباتوريا Apaturia وبمرور الزمن فان الاحتفال بهذا العيد أصبح علامة على عضوية الفرع الأيونى من اليونان ولاسباب غير معروفة استثنى منه عضويته كل من افسوس وكولوفون .

٣- **الهجرة الدورية** : فقد قام بها الدوريون بعد أن استولوا على مناطق كبيرة من اليونان وضاقت بهم المناطق التى استولوا عليها فاتجهوا شرقاً وجنوباً فوصلت جحافلهم إلى كريت واحتلوها واستولوا على عدد من جزر بحر ايجة أهمها جزيرة ثيرا ورودس ثم بلغوا الشاطئ الآسيوى واحتلوا الجزء الجنوبى منه والجزر المتاخمة له وأهم مستعمراتهم هى هالكارناسوس . ويرى البعض أن هجرة الدوريين إلى تلك المناطق قد تمت خلال القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد . وإذا كان قد ورد ذكر الدوريين فى الابيات فى كتالوج السفن والتى تتحدث عن أبناء وأحفاد هرقل الذين قادوا السفن من رودس وكوس فانها بالتأكيد إضافات متأخرة أقحمت على الملحمة لأن الدوريين الرودسيين والكوسيين لم يشاركوا فى الحرب الطروادية ولعل هذا بمثل دعوى زعم متأخرة للمشاركة فى الحرب الطروادية لأن هاتين الجزيرتين كانتا فى زمن الحرب الطروادية خاضعتين للموكينيين .

وهكذا نرى أن الهجرة الدورية قد سببت هجرة أعداد كبيرة من الآخيين إلى خارج بلاد اليونان كما أن جانباً من الدوريين أنفسهم قد هاجر إلى خارجها . وقد وجد المهاجرون إلى سواحل آسيا الصغرى وجزر بحر ايجة مستوطنات سابقة تعود للعصر الموكيني الباكر ، فى جزيرة رودس ، وفى ميليتوس ؛ وقد عُثر فى المستوطنات فى منطقة كاريا على آنية فخارية مينوية وموكينية خاصة فى مناطق ميليتوس ، دافوس ، وافسوس ، وكولوفون ، وتكشف الآثار عن استمرار الحضارة الموكينية فى هذه المناطق وأن صلاتهم قد استمرت بشرق ووسط بلاد اليونان ، وجزيرة يوبويا ، وأتيكا التى تقدم خير انموذج لهذا الارتباط ففى بداية القرن السادس نجد أن صولون ما يزال يشير إلى مواطنيه على أن مدينتهم هى أقدم أرض أيونية ، كما أن النظام القبلى فى أثينا قبيل اصلاح كليسثينيس يقدم معلومات عن الأثينيين وأنهم كانوا مرتبطين بالأيونيين سكان الجزر وساحل اسيا الصغرى . فقد كان سكان اتيكا ينقسمون بين أربعة قبائل هى : Glaontes و Aigikerces و Argadeis و Hopletcs وتكشف لنا نقوش ميليتوس من القرن الخامس عن وجود قبيلتين منها هناك . وسجلت قبيلتين اخرتين هما : قبيلة الاوينوبيين Oinopes وقبيلة البوريين Boreis ، ولعل قبيلة الاونيوبيين كانت تتكون من السكان المحليين من اسيا الصغرى ، بينما القبيلة الثانية Boreis قد ذكرت الروايات المأثورة أنها قد أتت من البلوبونيز ودليل رائع اتى من أفسوس ، على الرغم من أنه يعود إلى تاريخ متأخر عندما كانت المدينة عاصمة لولاية آسيا الرومانية ، فقد انقسم سكان افسوس إلى ثمانى قبائل محلية وواحد منها تحمل اسم Epheseis وقد وجدت بعض اسماء القبائل الأتيكية فى تيوس وبرنيثوس Perinthos ونجد أن هناك تشابه بين كل من اللهجة الايونية والاثينية وان كان هناك اختلافات بينهما

فهذه الاختلافات تعود إلى أن الأيونيين قد تأثروا بلغات السكان الأصليين في آسيا الصغرى ، بينما نجد بعض ملامح اللهجة الدورية في الاثينية ولكن شرح سبب هذا بالاتصال بالدوريين .

ويرى البعض أيضاً أن الهجرات قد صاحبها دخول عنصر حضاري جديد إلى بلاد اليونان في هذه الحقبة وهو عنصر الحديد الذي أدخله المهاجرون الدوريون والشماليون إلى بلاد اليونان ، وأيضاً انتشار عادة حرق جثث الموتى بدلاً من دفنهم . ولكن عادة حرق الموتى واستخدام الجديد لا تنسب للدوريين ، فقد وجد في أثينا وفي مناطق مختلفة من أتيكا ومناطق أخرى من العالم اليوناني ، والتي لم يكن لها صلة بالدوريين ، عادة حرق الموتى وأيضاً استخدام الحديد والأسلحة الحديدية ويعود تاريخ هذه الأمور إلى القرن الثالث عشر . وفي ضوء هذا فإنه من المرجح أن هذه الظواهر قد دخلت اليونان من الشرق . ولا وجود لتأثير دوري في هذا المجال . وما يمكن قوله هنا أنهم استخدموه على نطاق واسع .

ومن الملاحظ أيضاً أن منطقة أتيكا قد شهدت استمرار وتطور الحضارة الموكينية في خلال فترة الغزو والهجرات الدورية ، فقد توافد عليها أعداد كبيرة من السكان الفارين من بطش القبائل الدورية من الشمال والوسط ومن البلوبونيز وقد نجحت بفضل هذه الهجرة وكثافة سكانها في أن تصد غارات الأرنيين وأن تمنع تقدمها فيها كما نجدها تنجح في صد الدوريين من بعدهم عندما هاجموها من البلوبونيز .

وقد استمرت تقاليد الفن الموكيني حية في الفنون الاثينية في العصر الكلاسيكي . وهناك مناطق أخرى خاصة منطقة الجبال المحيطة بتساليا وأركاديا والتي لجأ إليها

الموكينيون فراراً من التساليين أو من الدوريين ، قد حافظت على التراث الموكينى ؛ كما أن المهاجرين إلى منطقة سواحل آسيا الصغرى وجزر بحر ايجة من الأيوليين والأيونيين قد نقلوا معهم جانباً من تراثهم الحضارى الموكينى . وهكذا فإن حضارة الموكينيين لم تزل نهائياً وإنما قل مستواها عن ذى قبل . ويمكننا تتبع الاستمرار حتى لو كان باهتاً فى هذا الوقت بين الحضارة الموكينية الأخية وبين الحضارة اليونانية فى العصر المظلم والتى بدأت تتطور عند نهاية الالف الثانية قبل الميلاد فبجانب استمرار الطرز فى الفخار نجد فن بناء السفن قد استمر فالصور للسفن المرسومة على الفخار ما قبل الهندسى والهندسى تظهر نفس السمات والملامح الأساسية التى كانت تزين الفخار الموكينى وما بعد الموكينى .

وفى بداية القرن التاسع فقد بدأ الطراز الهندسى فى الفخار فى الظهور فى أتيكا وفى سهل أرجوليس وكورينثة وبؤوتيا وتساليا وجزر بحر ايجة والشاطئ الغربى لآسيا الصغرى فقد تطورت أشكال وزخرفة الآنية بشكل طبيعى جديد دون أن يكون لها أثر فى الموروث ، ويلاحظ أن أنواع الآنية قد زادت وتطور فن الزخرفة كثيراً مع إضافة عناصر حقيقية للرسوم الهدسية . ويمكن تقسيم فترة الفخار الهندسى إلى ثلاث أو أربع فترات وبلغت أوجها فى القرن الثامن وبداية العصر العتيق .

وقد حققت أيضاً صناعة المعادن فى هذا العصر تقدماً كما يُرى من اللقى الأثرية من سيوف حديدة ورؤوس الحراب واللقى ، كما أن صناعة الحلى تكشف عن مهارة فائقة إذ وجدت حلى فى مقبرة سيدة فى منطقة السوق بأثينا ، من المرجح أنها يرجع تاريخها إلى منتصف القرن التاسع ، وهى تكشف عن حذق ومهارة صناع الحلى ، بينما

تكشف الحفائر عن ما وصلت إليه العمارة من تقدم ، إذ نجد سميرنا القديمة على وجــه الخصوص مدينة ذات أسوار دفاعية من بداية القرن التاسع .

وعند نهاية القرن التاسع فان اليونان قد بدأوا فى الاتصال بالشرق الأدنى ، رقــد لعبت قبرص دوراً هاماً كوسيط بين اليونان والشرق ، وكان لها علاقاتها مــع كريــت والمنطقة الإيجية وبلاد اليونان القارية هذا من جهة ، ومع سوريا وفينيقيــا مــن جهــة أخرى ، إن التنقيبات الأثرية فى المينا عند مصب نهر أورونتيس قد كشفت عــن أدلــة وقرائن رائعة لتغلغل وانتشار اليونان على الساحل الشــرقى للبحــر المتوســط . وقــد تأسست المدينة حوالى منتصف القرن التاسع ، وتؤكد اللقى الأثرية أن اليونان قد أقــاموا علاقات مع فينيقيا وشمال فلسطين وقبرص . ويبدو أن الفخار الهندسى قــد بــدأ فــى الظهور فى المنيا من نهاية القرن التاسع وفى القرن الثامن أصبحت المينا تحت ســيطرة التأثير لمملكة أورارتو Urartu وتقع فى هضبة أرمينيا وكانت غنية بالمناجم وقد حققــت نجاحاً فى صناعة المعادن التى وصلت إلى أعلى قمتها كما يرى فى الأعمـــال الفنيــة لصناعها فى صناعات البرنز والذهب .

وهكذا فقد فتح عالم جديد غير معروف أبوابه لليونان عندما وصلوا إلى السواحل السورية ومثل الكريتيين والموكينيين الذين مزجوا عناصر الثقافة الفنية الشـــرقية مــع ثقــافتهم .

ومن هنا نجد أن العصر المظلم الطويل قد وصل إلى نهايته وأن حركة عظيمـــة من النشاط قد بدأت بين المجتمعات اليونانية . ان المرحلة الجديدة من الحضارة اليونانية لا تنعكس من خلال اللقى الأثرية فقط ولكن من حقيقة اقتباس اليونان للأبجدية .

ان كتابات المجموعة الخطية الثانية وقعت فى طى النسيان مع تدمـــير مراكــز الحضارة الموكينية الآخية واقتصاد القصور ، إن الأبجدية الجديدة المستقاة من الشــرق أسهل فى التعلم وأكثر ملاءمة لمتطلبات اللغة اليونانية وأكثر يسراً من الخط المقطعــى المبهم الذى غالباً ما يعبر بشكل جزئى عن الأصوات فى اليونانية ، لقد كان يستخدم فى النصوص الاقتصادية والإدارية فى العصر الموكينـــى . ويـــرى الكتّـــاب القدامـــى أن الإغريق قد اقتبسوا أبجديتهم من جيرانهم الشرقيين إذ نجد هيرودوت يقول إن اليونان قد تعلموا الكتابة من الفينيقيين الذين غزوا بؤوتيا مع كادموس مؤسس مدينة طيبـــة ووفقـــاً لهيرودوت فإنّ اليونان اسموا الأبجدية التى اقتبسوها بالحروف الفينيقية . وحتى فـــترة قريبة فإنّ هذا الرأى كان راسخاً بيد أن الدراسة الدقيقة للأبجديـــة الســامية وعلاقتــها بالأبجدية اليونانية ترى أن أصل الأبجدية اليونانية لم يكن سهلاً ويبدو أن اليونـــان قــد اعتمدوا بشكل رئيسى على الأبجدية الآرامية فى شمال سوريا التـــى كـــانت تســتخدم الحروف المتحركة والساكنة وهذا الملمح له أهميته لتكوين الأبجدية اليونانية وأخيراً فان العلماء يشيرون إلى صلات القربى بين الصيغ الباكرة من الأبجدية اليونانية وما يعــرف بالأبجدية الكنعانية الباكرة من فلسطين والتى على ما يبدو أنها كانت مصدراً للأبجديــات السامية .

أن الوثائق الباكـــرة اليونانيـــة التـــى كتبـــت بهذه الأبجدية يرجع تاريخها إلـــى النصف الثانى من القرن الثامن ق.م ومن ثم يمكن الافتراض أن هذه الأبجدية قد وجدت فى حوالى منتصف القرن الثامن أو من المرجح وجدت فى فترة سابقة إلى حـــد مـــا . ويـــرى البعض أن التجار الفينيقيين الذين ارتادوا البحار والمناطق اليونانية هـــم الذيـــن نقلـــوا الأبجدية إلى بلاد اليونان . ويرى البعض الآخر أن اليونان الذين ترددوا علـــى

الميناء على الساحل السورى بغرض التجارة قد عرفوا الأبجدية الآرامية السامية هناك ونقلوها ، ولكن نجد أن الأبجدية اليونانية قد تأثرت بالأبجدية الفينقية فى الحروف ks (ξ) ,kh (χ) ,ph (φ) واسماء الحروف اليونانية قد اقتبست من أسماء الحروف الفينيقية .

ان الأبجدية اليونانية الجديدة استخدمت على نطاق واسع لخدمة الأغراض التجارية ثم لتدوين وتسجيل الأعمال الأدبية وأول دليل لاستخدامها يأتى من النقوش المدونة على المزهريات ، وتسجيل القصائد الساخرة يعود تاريخها إلى العشرينات من القرن الثامن .

وهذه الفترة من المرجح هى الفترة التى أنشدت فيها الملاحم الهومرية . والتى سنتحدث عنها كمصدر تاريخى فى الفصل التالى .

الأشعار الهومرية مصدر تاريخى للعصور الباكرة
العصر الموكينى وعصر الهجرات وعصر الشاعر

لم يحتل شاعر آخر فى جميع العصور التاريخية مكانة فى حياة شعبه كمكانة هوميروس عند اليونان فهو الرمز الأعلى للوطنية والمصدر الموثوق به لتاريخهم القديم وللشخصية الفعالة فى خلق آلهتهم ، فضلاً عن أنه أحب الشعراء إلى قلوبهم وأعظم من يستشهد بأشعاره ، ويخبرنا أفلاطون بأن بعض الإغريق يعتقدون اعتقاداً راسخاً أن هوميروس علم بلاد اليونان ويستحق أن ينظر إليه كعلم فى مجال إدارة الشئون الإنسانية وتهذيبها ، وأن على المرء أن ينسق حياته كلها مترسماً خطى هذا الشاعر . وعندما يقرأ المرء قول افلاطون حول ملحمتى هوميروس فإنه يتوقع كتاباً مقدساً أو مُؤلفاً فى الفلسفة ، بيد أنه يجد نفسه أمام قصيدتين طويلتين من الشعر ، أولهما الإلياذة التى خصصت لوصف أحداث العشرة أيام الأخيرة فى العام العاشر من زمن الحرب بين الآخيين والطرواديين وتصف لنا غضبة أخيل ، وثانيهما الأوديسة التى خصصت لوصف المتاعب والأهوال التى واجهها أوديسيوس فى أثناء عودته إلى وطنه اثيكا .

وإذا كان هوميروس قد نال شهرة ذاعت فى الآفاق فإن خلافاً وجدلاً دب وما يزال مُثاراً حول شخصيته ومولده وأصله وحياته ومماته وموطنه والعصر الذى عاش فيه ، ويختلف الباحثون أيضاً حول نظمه لكل من الإلياذة والأوديسة فهل هو ناظمهما الوحيد أم نظم جانباً منهما أم أنه نظم الإلياذة ولم ينظم الأوديسة ؟ ولن نخوض فى مناقشة هذه القضايا فهى فى باب الأدب أولى منها فى باب التاريخ .

إن ما يهم المؤرخ منها هو تحديد العصر الذى عاش فيه الشاعر والفترة الزمنية التى يقع فيها ذلك العصر الذى تصور هذه الأشعار حضارته ونظمه . يرى هيكاتيوس وتبعه نفر من الدارسين المحدثين أن هوميروس كان معاصراً لحرب طروادة . ولكن هيردوت خالفه الرأى فى ذلك وأكد أن الشاعر ظهر قبله بما لا يزيد عن أربعة قرون أى فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد وقد وافق على هذا الرأى ثيوكيديس المؤرخ المدقق والذى اشتهر بأمانته العلمية ، وسار على نهجيهما كتّاب محدثون ثم جاء ثيوبومبوس (Theopompas) وجعل هوميروس معاصراً للشاعر الغنائى والهجاء أرخيلوخوس الذى ذاعت شهرته فى منتصف القرن السابع قبل الميلاد . فأى الآراء السابقة أدنى إلى الحقيقة ؟

إن الدارس الممحص لمفردات الملحمتين يجد أن لغتهما ولهجتهما هى اللغة اليونانية باللهجة الأيونية المتضمنة لبعض المفردات من اللهجة الأيولية ولا يمكن أن تكون هذه اللغة هى التى تكلم بها الآخيون لأن لغة الآخيين صورة عتيقة من اليونانية وهى مليئة بالكلمات العتيقة والمصطلحات والعبارات غير المألوفة وهذا ما كشفت عنه الواح المجموعة الخطية الثانية ، ولهذا فإنه من غير الممكن أن هوميروس قد عاصر أحداث حرب طروادة ، كما أن هوميروس فى وصفه لأحداث الحرب يتحدث عنها على أنها ذكريات ماضى بعيد . أما عن معاصرته للشاعر الغنائى أرخيلوخوس فهذا مردود عليه إذ أن هناك فروقاً واضحة بين لغة هوميروس ولغة الشعر الغنائى التى ازدهرت فى القرن السابع بما فيها من حيوية وايقاع موسيقى ، كما أنّ الخصائص الأدبية تنفى معاصرته للشاعر أرخيلوخوس وذلك أن ثمة فروقاً جوهرية بين مزاج الشعر الملحمى ومزاج الشعر الغنائى فالشعر الملحمى لا تظهر فيه ذاتية الشاعر بينما تظهر ذاتيته فى

الشعر الغنائى ، كما أن دارسى تاريخ الأدب يرصدون أن شعر الملاحم قد ازدهر وزال قبل أن يصبح الشعر الغنائى فناً قائماً بذاته . والرأى الأقرب للحقيقة هو رأى هيردوت ومن شايعه والقائل بأن هوميروس قد عاش قبله بأربعة قرون أى أنه قد ظهر فى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد وذلك لأن لغة هوميروس هى لغة القرن التاسع والثامن قبل الميلاد وليست لغة العصر الموكينى ولا هى لغة الشعر الغنائى كما سبق أن ذكرنا . واعتمد فى وصفه لحوادث حرب طروادة على الروايات التى سمعها والآثار التى شاهدها فى ربوع اليونان . والسؤال الآن هو هل الحضارة والمجتمع ونظمه التى تصفها الملحمتان هى الحضارة الموكينية فى فترتها الأخيرة أم أنها تمثل فترة العصر المظلم ككل أم أنها تمثل فترة القرن التاسع والثامن ق.م بها .

ان مسألة تقرير ما هى الفترة التاريخية التى تشير إليها أشعار هوميروس كانت وما تزال محل جدل ونقاش مطول والتى ما تزال بعيدة عن وضع حد لها .

فقد رأى عدد كبير من الدارسين والباحثين أن القصائد الهومرية تعطى بشكل ، كبير أو قليل ، صورة صادقة للعالم الموكينى وأن هوميروس يُسجل جنباً إلى جنب مع الاكتشافات الأثرية الحديثة والمجموعة الخطية الثانية كمصدر رئيسى لتاريخ اليونان فى عصر البرنز ، فالأشعار الهومرية فى رأيهم تصف الحياة اليومية فى القرنين الثانى عشر والحادى عشر ، وأنها تصور مظاهر الحضارة التى سادت بلاد اليونان وقتئذ واستشهدوا على ذلك بأن الأسلحة والمنازل والملابس والحلى التى وضعها هوميروس فى أشعاره تشبه إلى حد كبير ما عرفه اليونان فى تلك الفترة وهذا ما كشفت عنه التنقيبات الأثرية فهناك دروع تشبه درع أياس وكئوس مثل كأس نستور .

ويرى فريق آخر أن هذا التشابه لا يكفى لإثبات هذا الرأى لأن هـذه التنقيبات نفسها كشفت عن فروق واضحة بين ما وصفه هوميروس وبين ما عرفه اليونان فـى منتصف القرن الثانى عشر ، فأبطاله كانوا يعيشون لا يلبسون من ثياب العصر الآخـى كما أن يونان هذا العصر لم يكونوا قد عرفوا المعابد ، وعندما يصف هوميروس ويتحدث عن الحرب يصف لنا أحداثاً مضت قبل ظهوره بوقت طويل . ويرى نفر مـن هذا الفريق أن أشعار هوميروس تصف حضارة القرنين العاشر والتاسع ويصورها فـى إطار مملوء بصور وذكريات من العصر الموكينى والعصر الكريتى وقد عرف الشاعر هذه الذكريات والصور من الآثار التى خلفتها تلك العصور من الروايات التى توارثتـها وتناقلتها الأجيال . بينما يرى نفر آخر أن الأشعار تصف العصر الذى أنشد فيه الشاعر أشعاره أى فى القرن الثامن إذْ أنشد الإلياذة فى بداية هذا القرن والأوديسة فى النصف الثانى من القرن .

والرأى الأقرب للصحة هو أن وصف الشاعر به ثلاثة عصور تاريخية هـى : العصر الموكينى ، والعصر المظلم ، وعصره الذى عاش فيه هو نفسه . إن القصائد الهومرية تبحث عن إعادة تسجيل العالم المفقود فى العصور السابقة للشاعر . لقد ثبت أنها تشير إلى عدد من المظاهر الموكينية التى اختفت مع سقوط القصور مـن أسماء الأماكن موكيناى ، تيرنيس ، بيلوس ، أثيكا .... الخ والعادات والتقاليد ... الخ ومع ذلك فان ما تذكره يعد قليلاً جداً إذا قورن بكل ما طواه النسيان بين العالم الموكينـى وعالم هوميروس بشأن المؤسسات والعناصر الثقافية ، كما أن القصائد تحتوى على عدد مـن المفارقات التاريخية التى لا تتناسب مع إطار العالم الموكينى ولكنها تتناسب فى الواقع مع الفترة اللاحقة . ان نجاح العلماء فى قراءة المجموعة الخطية الثانية قد كشفت لنا

عن الاختلاف بين العالم الموكينى وعالم هوميروس فهناك فجوة بين العصور الموكينية مع أجهزتها الإدارية وقصور الملوك الهوميريين التى كانت أقل تعقيداً فى تنظيماتها التى كانت الكتابة بها مفقودة كلية التى كانت عنصراً أساسياً فى العالم الموكينى فبين عالم هوميروس والعالم الموكينى اختلافات ، كما أن البعض يحاول الربط بين الأوديسة وبين بداية حركة الاستعمار فى الغرب فى النصف الثانى من القرن الثامن ، وقد كان الشاعر يحاول جاهداً النظر للوراء إلى عصر مفقود حاول أن يعيد الحياة إليه ولكنه كان مدركاً لعمق التغييرات التى حدثت فى العصور المتأخرة ، إذ تجنب الإشارة إليها فلم يقل شيئاً تقريباً عن الدوريين الذين استقروا فى بلاد اليونان بعد سقوط الممالك والقصور الموكينية ، ولم يذكر شيئاً عن هجرة الإغريق إلى اسيا الصغرى إبَّان عصر الظلام ، فقد كان يسعى إلى استدعاء مجتمع مفقود ولكن لم تكن هناك علاقات أو مادة يهتدى بها إلا الروايات والآثار . كما نجد أنه يشير مرة واحدة إلى معرفة اليونان للابجدية اليونانية وفن الكتابة الذى اقتبسه اليونان من الشرق ويشير أيضاً إلى الفينيقيين الذين بلغوا ذروة مجدهم فى القرنين التاسع والثامن ق.م وهذا يشير إلى حضارة ونظم القرن التاسع والثامن .

وسنحاول أن نرسم صورة لمجتمع كما تصوره الإلياذة والأوديسة فنجد هناك تفريقاً وتمييزاً بين المتحضرين الذين يأكلون الخبز ويزرعون الأرض ويرعون الماشية ويقدمون الأضاحى ويخشون الآلهة ويعطفون على الغريب ، وبين غير المتحضرين المتوحشين الذين لا يعرفون النظام أو القانون .

كما نجد أن هوميروس كان مدركا لحقيقة أن العصر الموكينى كان أكثر ثراء وقوة من العصر الذى يعيش فيه ، إذ حاول أن يستعيد خلق هذا العالم كما تصوره هو ولهذا بالغ كثيراً فى ثروة ملوكه ، ولا يمكن أن يأخذ الباحث الوصف الأدبى للقصور الهومرية مع كنوزها الكبيرة وعبيدها كثيرى العدد . إن دقة المادة العددية تؤدى إلى الضلال ، ولذا على الدارس أن يبحث من خلال الحفائر الخاصة بالقرنين العاشر والتاسع التى كشفت عن صورة العالم اليونانى ولا تكون مؤثرة على نحو كبير ، فالكثير من المواقع قد هجرت ودمرت والصلات بالعالم الخارجى كانت قد تقطعت ولم يسترد العالم اليونانى عافيته إلا بعد انتهاء فترة الاضطرابات التى أعقبت العصر الموكينى .

وصورة المجتمع عند هوميروس كما تصورها الإلياذة والأوديسة تشير إلى مجتمعين : مجتمع الإلياذة ومجتمع الأوديسة ، فهناك اختلافات فى الزمن فالإلياذة تعكس صورة مجتمع أكثر قدماً وأقل انفتاحاً عن مجتمع الأوديسة ، كما توجد اختلافات فى الموضوع فالإلياذة تقدم مجتمعاً فى حالة حرب والتى لعبت الأرستقراطية دوراً قيادياً فيه وكان لها السيادة والسمو العسكرى ، بينما تقدم صورة للطبقة الدنيا فى الظل حيث إنها لا تمثل شيئاً فى الحرب ولا فى المجلس وعلى العكس من ذلك فان الأوديسة تعطى صورة أكثر تفصيلاً للمجتمع واقتصادياته خاصة وأنها تخصص مساحة كبيرة لأفراد الطبقة الدنيا التى يكون دورها محدوداً فى الإلياذة ونجد أن الشاعر هنا يظهر اهتماماً كبيراً بمصيرهم وسنحاول أن نذكر أهم سمات المجتمع الهومرى وتنظيماته وحضارته .

النظم والحياة السياسية والاجتماعية

إن الدولة والنظام السياسى تظهر عند هوميروس بشكل غامض ، فمفهوم كل من

المدينة Polis والجماعة السياسية ليس هو المفهوم نفسه للمدينة فى العصر الكلاسيكى تكون مستقلة ولها سيادتها وأجهزتها السياسية ، أن المصطلحات مثل tac , demos تختلف في فحواها ومعناها عن دلالتها فيما بعد فى العصر الكلاسيكى .

تكشف لنا الاشعار الهومرية عن أن بلاد اليونان كانت مقسمة إلى ممالك عدي بعضها كانت كبيرة المساحة وبعضها كانت صغيرة المساحة . ومن الممـــالك الكبـ مملكة موكيناى ، بقيادة ملكها أجاممنون قائد الحملة الطروادية ، وعلى ما يبـــدو كانت مملكة اقليمية تشتمل على مدن كثيرة . وهذا ما يؤكده عرض الملك أجـــاممنـ لترضية أخيل وتسوية الخلاف بينهما ، بأن يزوجه إحدى بناته ويمنحه سبع مـــدن ممتلكاته وأشياء أخرى . ومن الممالك الصغيرة مملكة بيلوس ومملكة إيثاكـــا ومما اسبـــرطة ، عرف العالـــم الهومرى الأحلاف فقد كان يجمع بيـــن هذه الممالك – ما يبدو – رابطة من نوع ما أو حلف تحت رياسة موكيناى ، فقد استجاب ملـــوك الممالك لنداء أجاممنون حين أهاب بهم أن يسيروا تحت لوائه فى الحرب ضد طـــرو وإن كان هذا الحلف لا يتعدى حدود الولاء العام لملك موكيناى فى الحرب دون أن على ذلك . بل أن هذا الولاء يتم نقضه من قبل بعض الملوك وخير أنموذج على ذلـ هو النزاع بين أخيل وأجاممنون والذى هدد فيه أخيل بالعودة إلى وطنه إذا ما كانت هى رغبته وإرادته بينما نجد دور بقية الملوك – حاضرى المشـــادة – يقتصـــر ع محاولة بذل المساعى لاصلاح ما بينهما ، محاولين إرضاء كل مـــن الملكيـــن لتوحـ الصف فى مواجهة الطرواديين وحلفائهم عدوهم المشترك. وأمام هذا التحـــالف الآخـ الموكينى نجد التحالف الطروادى والممالك على الساحل الأسيوى والذين تحـــالفوا طروادة لرد عدوان وهجوم الآخيين ليس على طروادة فحسب بل على المدن الأسيو

وهكذا فإننا نجد أن الحرب هى التى توحد الصفوف . وعندما انتهت عاد الملوك إلى ممالكهم . ونسمع عن زيارات قام بها الأمراء والملوك للمالك المجاورة لهم . وهذا يشير إلى أن بلاد اليونان كانت مقسمة إلى ممالك ذات سيادة ومكتفية ذاتياً إلى حد ما .

كانت المملكة عبارة عن تجمع سياسي واقتصادى للأسر النبيلة الكبيرة . ويأتى الملك على رأس تنظيماتها . فقد كان أقوى الأبطال أو الأقوى بين أقرانه من الأبطال ، وكانت اسرته تمثل أقوى أسر المملكة وأغناها . كانت سلطة الملك شبيهة بسلطة رب العائلة الممتدة ، ففى الواقع فإن كل من الملك ورب العائلة النبيلة قد حمل لقب Basileus وهذا اللقب يعنى الملك كرئيس للمدينة أو المملكة ككل ، وفى نفس الوقت فهو رب لأسرته يخدمها هى وأتباعها . وكان هذا اللقب يعنى لرب الأسرة النبيلة أنه سيدها وراعيها وحاكمها ومصرف شئونها . كان الملك يحكم حكماً مطلقاً ، ويتمتع بسلطات عسكرية ودينية وقضائية واسعة . أما عن سلطته العسكرية والمدنية فكان من حقه قيادة الجيش فى القتال ، وكان ينزل عن سلطة القيادة لأحد أبنائه مثلما فعل بريام مع ابنه هكتور ، وكان له سلطة اتخاذ القرار فى الحرب وفى تصريف شئونه دون استشارة أحد من النبلاء من أقرانه والذين كان دورهم ، فى الغالب ، هو اسداء النصح إليه ، كما كان له الحق أحياناً فى تجاهل اراء الجمعية الشعبية فى المعسكر إذا ما تعلق الأمر به ، وخير أنموذج على ذلك ، هو موقف أجاممنون من رد الأسيرة ابنة كاهن الإله أبوللو والتى كانت من نصيب أجاممنون . فعندما أتى أبوها إلى معسكر الآخيين ليفتدى ابنته ، وتقدم برجاء وافق عليه الآخيون الآخرون جميعاً احتراماً وتكريماً له ككاهن ، وقبول الفدية الباهرة ، لكن ذلك لم يُدخل السرور على قلب أجاممنون ورده بجفوة . أما عن سلطة الملك الدينية : فقد بُجل الملوك كما تبجل الآلهة على الرغم من أن بعض الملوك

قد زعموا أنهم ينحدرون مباشرة من نسل الآلهة أو أن أجدادهم كانوا آلهة ، فإنهم لم يكونوا موضع عبادة كبشر ، لقد عضدت الآلهة حكمهم وشدت من أزرهم ضد من يعارضهم وفى حروبهم . فقد كان الحق المقدس هو العماد الأساسى للنظام الملكى ولعل قول أنتينوس ، أحد الخطاب ، لتليماخوس أن الآلهة تشد من أزره وأنه يتوجه إلى الآلهة مرة أخرى فى توسله ألا يكون ملكاً ، ونلمس المساندة الالهية دائماً للملوك والأمراء كما هو الحال بالنسبة لكل من أوديسيوس وتليماخوس فقد شملتهما الربة أثينا بتأييدها ومساندتها فى حلهم وترحالهم ،كما نجدهما قد حظيا بعطف الإله زيوس رب الأرباب . فعلى سبيل المثال قد خاطبت أثينا أوديسيوس بقولها "من المؤكد أنى سأقف إلى جانبك وأنى لن أنساك حتى يأتى الوقت الذى تُقضى فيه مهمتنا هذه ، أما أولئك الذين يطاردون زوجك ويبعثرون ثروتك فإنى أراهم الآن وقد صبغت دماؤهم ورءوسهم المهشمة أرض قصرك" .

كان الملك بمثابة الكاهن الأكبر ، فكان عليه أن يقوم بتقديم الأضاحى الدينية فى المناسبات والأعياد الدينية المختلفة وذلك لتكريم الآلهة الكبرى بغرض رفع الضر عن شعب مملكته وازالة العقبات التى تعترضهم . وكانت الأضاحى فى الغالب من الحيوانات وإن كانت هناك أضاحى بشرية فى بعض الأحيان . والجدير بالذكر أن رب كل أسرة كان هو الآخر يقوم بتقديم القرابين فى الأعياد والمناسبات لتكريم الآلهة كما فعل نستور فى بيته بتقديمه الأضاحى فى مناسبة دينية .

وأما عن سلطة الملك القضائية : فقد كان الملك هو القاضى الأعلى فى مملكته ولكنه كان يقاسمه فى تنفيذ العدالة أرباب الأسر النبيلة داخل أسرهم دون عودة فى ذلك

إلى الملك . وتوجد بعض الاشارات فى الأشعار – خاصة فى الأوديسة – تشير إلى العدالة والظلم الملكى . ففى إحدى الفقرات نجد ما يأتى : أيتها السيدة بينلوبى لن يستطيع أحد من البشر فى الأرض التى لا حدود لها أن يلومك . فقد وصلت شهرتك أجواء الفضاء ، كشهرة أفضل الملوك ، ذلك الذى يخشى الآلهة ويحكم بين الناس العديدين والأقوياء ، يدعم العدل ، والأرض السوداء تحمل القمح والشعير ، والأشجار مثقلة بالفاكهة ، وتنتج القطعان دون فشل ، ويزخر البحر بالأسماك ، بفضل القيادة الرشيدة ويصلح حال الشعب تحت زعامته .

وإذا كانت بعض الأبيات تكشف لنا عن قوة ، وسطوة الملوك ، فإن لدينا أبيات أخرى تشير إلى أن سلطة بعض الملوك قد بدأت فى الضعف والتدهور نتيجة ازدياد قوة الأسر النبيلة . إذ نجد أن أرباب الأسر يناقشون الملك فى أفعاله وتصرفاته ويشاركونه فى اتخاذ القرارات فى بعض القضايا ليس هذا فحسب بل أيضاً نجدهم قد تجرأوا على النظام الملكى ونظام وراثة الحكم الذى يعتبر اساس النظام الملكى . فيكشف لنا هوميروس عن مشهد نجد فيه "أرباب الأسر النبيلة قد شاركوا الملك فى سلطة اصدار الأحكام والفصل فى القضايا " فقد تجمهر الناس فى مكان الاجتماع إذ قامت مشادة بين رجلين من أجل دية قتيل وقد أخذ أحد الرجلين يعلن أمام الجميع أن دفع كل شىء ، بينما أنكر الآخر أنه لم يتسلم شيئاً على الاطلاق ، وكل منهما يرغب أن يفصل الحكم لصالحه ، وقد أحاط بكل من الخصمين أنصاره ، وهم يلغطون ويثرثرون ، ولقد حاول المنادون فرض السكون والنظام ، وقد حبس النبلاء فى هيئة نصف دائرة على مقاعد من الحجارة المصقولة يحملون فى أيديهم الصولجانات وكل منهم يقف فى دوره ليدلى بحكمه فى القضية . ونستخلص من هذا المشهد أنه لم يعد من حق الملك وحده الفصل

فى القضايا وإنما يشاركه فى ذلك أرباب الأسر النبيلة وأن دورهم لم يعد دوراً استشارياً وإنما أصبح لهم دور رئيسى فى الفصل فى الأمور ، بل نجد البعض منهم قد تطلع إلى تولى الحكم وذلك للغيبة الطويلة للملوك ، وقد نجح البعض منهم فى ذلك كما هو الحال بالنسبة لأجاممنون فقد كان المت ينتظره فى قصره، بينما فشل البعض الآخر فى محاولته وهذا ما حدث مع أرباب الأسر النبيلة فى إيثاكا فقد تطلع البعض منهم لتولى عرش المملكة بعد غيبة أوديسيوس الطويلة وعدم معرفة مصيره وتركه لولده وهو فى المهد صبياً . فقد حاول بعض النبلاء انكار حق تليماخوس فى تولى عرش المملكة بعد أبيه ولعل قول أنتينوس ، أحد خطاب بينلوبى ، لتليماخوس "يبدو أن الآلهة قد بدأت تشد من أزرك ، إنك بحكم بنوتك لأبيك وريث لعرش هذه المملكة ، وإن كنت أبتهل إلى الآلهة ألا تصبح ملكاً فى يوم من الأيام" .

ورد عليه تليماخوس بقوله قد يسوءك أن تعرف أنى سأكون مسروراً بقبول منصب الملك من يدى زيوس وقد تقول أنت إن أسوأ ما يمكن أن يصيب المرء هو أن يصبح ملكاً ، أما أنا فعلى العكس من هذا أرى أن منصب الملك ليس شراً فهو يزيد من سطوة من تقلده ويوفر الثروة فى بيته ، ولكن مع ذلك ، فإن بين الأخيين عدد وافر من النبلاء سواء منهم الملوك أو الشباب وأن واحداً منهم لابد وأن يصبح ملكاً على إيثاكا . . . بعد أن مات أوديسيوس الطيب " ورد عليه يوريماخوس ــ أحد الخطاب ــ أى تليماخوس ، أن الآلهة هى التى ستقرر من من الأخيين سيصبح ملكاً على إيثاكا " نستخلص من الفقرة السابقة ان السلطة الملكية كان يتولاها الخلف، عن السلف بتعضيد من الآلهة ولكن هذا الحق بدء يتطلع إليه أبناء الأسر النبيلة الأخرى فى المملكة نتيجة لغيبة الملك الطويلة ولضعف الوريث الشرعى وعدم أهليته القانونية نظراً لأنه لم يبلغ

سن الرشد وأمام كثرة المتطلعين للعرش نجد أن أوديسيوس عندما عـــاد إلـــى أرضـــه ومملكته قد تخفى فى زى شحاذ حتى يتدبر أمره ويتخلص من هؤلاء النبــلاء ويســترد عرشه وملكه ، فقوة الملك إذن هى التى تمكنه من أن يملك زمام الأمور بالقوة . ويؤكـد هذا العراف لوكريتوس بقوله "لو قدر لأوديسيوس نفسه أن يعود وتاق قلبـــه أن يطـرد الخطاب النبلاء من قصره الذين يأكلون على موائده ، فلن تجد مع ذلك زوجته أى متعـة فى عودته على الرغم من أنها تتحرق شوقاً إليه ، وعلى العكس فسيلقى مصيراً مؤلمـــاً لو حارب ضد أعداء أكثر عدداً" وهكذا لقد كان على أوديسيوس أن يحارب ضد قـــوى أكثر عدداً بكل قوته ومكره كى يستعيد عرشه ولعل كلماته فى ابتهاله للربة أثينا خـــير شاهد على دقة وضعه ."إذ يقول : كان من المحتوم بكل تأكيـد أن أهلك فى قصـــرى ، وأن ألقى مصيراً بشعاً كمصير أجاممنون لو لم تنبئينى أيتها الربة بكل شىء بالحق".

كان بعض الملوك ينزلون عن سلطاتهم لأبنائهم نتيجة لعجزهم الجســدى وعـدم قدرتهم على القيام بالمهام المنوطة بهم ومن الأمثلة على ذلك فى أن الابن يشغل العـوش فى حياة أبيه أوديسيوس الذى خلف أباه لأراتيس على عرش ايثاكا وأيضاً حديث أخيـل لأوديسيوس فى العالم السفلى إذ نجده يقول لأوديسيوس "أخبرنى عن بيلبوس الممتـلز إن كنت قد سمعت عنه شيئاً أم لا ، ألا يزال يحتل مركزه الشرعى أم هل نحى عنه جانبـــاً لهرمه واختلاج أعضائه ، ولأنى لم أعد عوناً تحت أشعة الشمس أحمى سلطاننا بقوتى " ولكن القاعدة هى أن يخلف الابناء أباءهم فى الملك بعد موتهم ، وكان الملك يؤول إلـــى أكبر الأبناء الشرعيين سناً وذريته من بعده وإذا لم يوجد أبناء شرعيون فإن الحكم كـــان يتولاه ابن غير شرعى ، ولدينا أمثلة كثيرة على ذلك منها "دعاء هيكتور لولده أن يحكـم بالقوة فى طروادة ، ونقاش انتينوس مع تليماخوس ولد أوديسيوس والذى ســـبق ذكـــره

ويؤكد على حق تليماخوس فى أن يرث عرش والده ، كما تكشف لنـــا مقولـــة أخيـــل لاينياس " لماذا ؟ هل أملى عليك قلبك أن تشتبك معى فى معركـــة ، أملاً فى أن تنـــتزع سيادة بريام على الطرواديين مروضى الخيول ، كلا ، حتى لو قتلتنى فلن يضع بريـلم ، بسبب ذلك ، زمام السلطة فى يديك ، فلديه أبناؤه وهو رجل حازم ولم يعثرا لوهم عقله. وأيضاً محاولة منيلاوس أن يكون له ولد غير شرعى يخلفه فى الملك . وتكشـــف لنـــا الأشعار أيضاً عن أن العرش كان يؤول إلى زوج ابنة الملك الذى لا ولد له ولعل تولـــى منيلاوس عرش اسبرطة بعد زواجه من هيلينا خير شاهد على ذلك ، وأيضاً من يـتزوج زوجة الملك الميت ، فقد جعلت غيبة أوديسيوس الطويلة النبلاء فـــى مملكتـــه يرنـــون ببصرهم إلى الزواج من زوجته بنيلوبى فمن يفوز بيدها منهم قد يصبح ملكـــاً ، ففـــى تقريع تليماخوس لانتينوس السابق الذكر خير دليل على ذلك إذ نجده يقول "هنا فى ايثاكا التى تحيطها المياه من كل جانب ، ملوك اخرون عديدون بين الآخيين شـــباب وشـــيوخ ومن الممكن أن يعتلى أحدهم العرش، مادام أوديسيوس قد مات . وأيضاً يؤكد هـــذا رد يوريماخوس على تليماخوس إذ يقول "إن ذلك فى علم الآلهة من ســـيكون ملكـــاً مـــن الآخيين على ايثاكا ، ولكن يمكنك أن تحتفظ بأملاكك وأن تصبح سيداً فـــى بيتـــك ، دع بنيلوبى تختار خليفة أوديسيوس كملك وزوج وسوف يسود السلام كل ايثاكة ، وسيحصل الخاطب الموفق على العرش، ويمكن له "تليماخوس" أن يتمتع بكل ميراثه فـــى ســـرور وأن يأكل ويشرب فى حين ترعى هى منزل رجل اخر" . ولعل طمع هؤلاء الخطـــاب فى عرش ايثاكا مرجعه طول غيبة أوديسيوس والفراغ السياسى الذى تركه ، هذا مـــن جهة ، ومن جهة أخرى إن ولده كان ضعيفاً فقد تركه وهو فى المـــهد صبيـــاً . ولكـــن عندما اشتد عوده وقوى نجد أن الخطاب بدأوا يخشونه بل نجدهم قد تآمروا على قتلـــه .

ولكن الأحداث تكشف أن أسرة أوديسيوس هى أقوى الأسر وأن ملكها سيدوم . وقد سبق أن ذكرنا نبوءة العراف ثيوكليمنتوس .

تطالعنا الأشعار الهومرية أيضاً بأن ممالك ودويلات بلاد اليونـــان قـــد عرفــت نوعين من المجالس أو الجمعيات أولهما مجلس أو جمعية شيوخ ونبلاء الأسر وثانيـــهما الجمعية العمومية الشعبية التى تضم جميع المواطنين من النبلاء والعامـــة . أمـــا عـــن جمعية شيوخ الأسر النبيلة فقد كانت تجتمع بناءً على دعوة الملك لأخذ مشورة اعضائها والاستماع لآرائهم وللحصول على موافقتهم على ما يتخذه من قرارات وأحياناً لابلاغـهم ما اتخذه هو من قرارات ، فقد كان دور القادة والنبلاء ينحصر فى اسداء النصح للملـــك وتقديم الاقتراحات له ، فقد قال الملك نستور لأجاممنون فى أثناء اجتماع الشيوخ ما يأتى "خليق بك أكثر من أى انسان أخر أن تتكلم وأن تستمع" على أى الأحـــوال كـــان رأى جمعية الشيوخ غير ملزم للملك فقد يأخذ أو لا يأخذ به ولدينا مثال لدعوة موجهـــة مـــن الملك للقادة والنبلاء لابلاغهم بقرار اتخذه ، فقد جمع الملك الكينوس القادة والرؤساء فى مملكته وعددهم اثنى عشر رجلاً يطلق على كل واحد منهم لقـــب Basileus وأخبرهـــم بقراره بارسال حرس مع أوديسيوس فى رحلته إلى ايثاكا ، ثم اقتاد أوديســـيوس إلـــى الوليمة المعدة على شرفه دون أن يقف لحظة واحدة للاستماع إلى تعليقاتهم أو معرفة رد فعلهم . ولا يوجد دليل بأن لهم سلطة تشريعية .

وكان هؤلاء القادة والشيوخ يصحبون الملك إلى مكان عقد الجمعية الشعبية التـــى يدعوها الملك للانعقاد حيث تتلى القرارات . وكانت الجمعية الشعبية تجمع المواطنيـــن جميعاً وتعقد فى السوق Agora وكان يدعوها الملك أو ابن الملك متى شاء ودون إعلان

سابق ولم تكن هناك تواريخ محددة لمناقشة الشئون والقضايا العامة ؛ وخير أنموذج على ذلك دعوة تليماخوس لعقد الجمعية العمومية لمناقشة عدم عودة أوديسيوس وجيشه وفى نفس الوقت مناقشة ما يحيق به وبيته من شر مستطير من قبل الخطاب .

وتكشف لنا الأشعار أيضاً عن أنه كان يمكن لأحد الملوك فى معسكر الحملة على طروادة أن يدعو الجمعية أو الجيش للاجتماع لمناقشة أمر وشأن من شئون الجيش مثلما فعل أخيل عندما حلت نقمة الإله أبوللو بالآخيين ورغبته فى معرفة السبب ولرفع الضر عنهم .

تكشف لنا الأشعار عن أن الاجتماع ينعقد عند الفجر إذ نجد هوميروس يقول "عندما ظهر الفجر ذو الأصابع الوردية ، ابن الصباح ، نهض تليماخوس من فراشه وارتدى ملابسه وفى التو أمر الرسل ذوو النبرات القوية الواضحة بدعوة الآخيين للاجتماع ، وقد قاموا بالنداء وسرعان ما تجمع الآخرون حقاً ، وعندما يكتمل الاجتماع كان يفتتحه أكبر الأعضاء سناً وبعد ذلك يحدد سير النقاش نظام التتابع أكثر من تحديده نظام أقدمية محددة ، حتى إذا لم يبق متحدث انفض الاجتماع ، ومن يريد التحدث كان ينهض من مكانه ويمسك بصولجان يقدمه إليه الرسول ، وهو عصا سحرية بالمعنى الحرفى الدقيق تمنح للمتكلم حصانة وقدسية . وكان المتحدثون فى الاجتماع من شيوخ الأسر والنبلاء ، كما كان تقديم الاقتراحات من حق الصفوة لا العامة . فقد كان على العامة عدم ابداء الآراء فى حضرة القادة والنبلاء الأشراف ، فعندما تجرأ رجل من العامة يدعى ثرستيس على أن يقف خطيباً فى الجمعية العمومية ويوجه اللوم والتقريع إلى أجاممنون الذى كان السبب فيما دب بين الصفوف من خلاف . وكان الملوك

والنبلاء لا يشجعون هذا الموقف على الرغم من معرفتهم مقدار الخطأ الذى يحيط بتصرفات أجاممنون . ولذا نجد الملك أوديسيوس ينهض ويوجه حديثه إليه قائلاً "إن حديثك قد يكون فيه فصاحة ولكن وقتنا ليس به متسع لفصاحتك أيها المعتوه ، يا أحقر من تبع آل أتريوس ، كيف تجرؤ على أن تتلفظ بأسماء الملوك أو توجه التقريع ... فلتنصت إذن لقولى . وأنها ليست تهديداً أجوف : أنى إذا أمسكت بك مرة أخرى وأنت متلبس بمثل هذا التهريج الذى قمت به اليوم ... فلن يكون تليماخوس من صبى إن لم أنزع ملابسك حتى تبدو عارياً ثم ألهب ظهرك وأقذف بك إلى حيث تولول بجانب السفن. ثم ضربه بعصاه على ظهره وكتفه ، فانفجر باكياً والتهب ظهره من أثر الضرب وحبس وقد بدا عليه الذعر وغلبه الألم ، بينما طفرت الدموع من عينيه وجعل ينظر حوله فى حالة تدعو للرثاء " وهذه الفقرات من الالياذة تشير إلى عدم قبول النقد من قبل طبقة العامة والحديث بغير استئذان وعدم اتباع القواعد ، ولكن فى الأوديسة نجد أن القادة النبلاء كانوا يتوقون إلى سماع حديث العامة وابداء آرائهم فيما يعن من مشاكل ولضمان تأييدهم . إذ نجد أن منتور قد شكا قرب نهاية الاجتماع الذى دعا إليه تليماخوس من صمت العامة إذ نجده يقول "والآن فإنى غاضب حقاً على بقية الشعب لأنكم جميعاً تجلسون يخيم السكون ولم تعنفوا الخطاب وتضعوا حداً لتصرفاتهم ، على الرغم من أنهم قلة وأنتم الكثرة ، ولكن لوكريتوس العراف رد عليه بسخرية بقوله "لا فالكثرة ليس لها مصلحة وهم على الحياد ، وعلى هذا فنحن وأقاربنا واتباعنا نفوقكم أنتم وكل قوة تستطيعون جمعها ، وأوديسيوس نفسه سوف يلقى مصيراً مؤلماً إذا حارب ضد أعداء يفوقونه . ولكن نستشف من عبارات انتينوس التى قالها بعد محاولة قتل تليماخوس الفاشلة والتى حض فيها الخطاب على استدراج تليماخوس لقتله فى الحقول

خشية أن يدعو الجمعية العمومية للانعقاد لأخبارها بتآمر الخطاب ، فإن اعضاءها لن يوافقوا إن سمعوا بكل هذه الأعمال الشريرة فاحذروا إذن حتى لا يضيرون ويطردونا من أرضنا فنذهب إلى بلاد الآخرين ، ونجد فى قول نستور لتليماخوس تعبيراً واضحاً عن أن الشعب كان يمثل السند والعضد للحاكم وأنه قد بدأ يأخذ دوراً فى شئون الممالك إذ نجده يقول "خبرنى هل ترضخ طائعاً مختاراً ، أو أن الشعب يكرهك فى كل أنحاء الأرض ، ملبياً نداء الدار ونجد فى موضع آخر أن الشعب قد تحرك بالفعل وثار على بعض القادة ، فوالد انتينوس كاد أن يفتك به الشعب لولا انقاذ أوديسيوس له وذلك لذهابه مع القراصنة التافنيين للاغارة على التسبروكيابين الذين كانت تربطهم بهم مودة .

وإذا كان اجتماع الجمعية العمومية لا يكون للتصويت أو اصدار القرارات ، فقد كانت وظائفه ذات شقين : عرض الآراء المعارضة والمؤيدة من قبل الأشراف . وتوضيح الشعور السائد لدى الجميع للملك أو القائد الأعلى والذى وجدناه فى الاوديسة يعمل له القادة حساباً .

وهذا يعد تطوراً وهو رغبة القادة فى تأييد الشعب لما يعرضون عليهم من قضايا، وكان العامة يعبرون عن تأييدهم للفكرة أو الموضوع المعروض بالتصفيق والذى كثيراً ما كان يتم بشكل غير منتظم ، بينما كانت صيحات الاستهجان هى المعيار لرفض واستهجان الموضوع المعروض من قبل العامة .

ويرى البعض أن التنظيمات الاجتماعية ذات الصفة شبه السياسية كانت أساسية فى حياة المجتمع الهومرى مثل القبائل Phylai والبطون (الأخوة) Phratries والعشائر gene والعائلات وممتلكاتهم Oikoi . ويرى بعض الباحثين أن اليونان الذين هاجروا فى حوالى عام ٢٠٠٠ ق.م كانوا ينظمون فى جماعات تجمعها أواصر الدم والقرابة أو

القرابة الصورية وهذه الجماعات كانت تنقسم إلى قبائل وعشائر gene ، ويـــرون أنـــه على الرغم من عدم ذكر القبائل والعشائر فى وثائق المجموعـــة الخطيـــة الثانيـــة ذات الطبيعة الادارية والاقتصادية فان القبائل كانت موجودة . بينما يرى البعض الآخـــر أن القبائل والعشائر كان أول ظهور لها فى العصر المظلم. وأول ذكر للقبائل الدورية نجـده عند تيرتايوس (Tyrtaeeos (Fig. 1 فى العصور التاريخية فى أسبرطة وقد وجدت هذه القبائل فى المدن الدورية الأخرى بالاضافة إلى قبائل محلية ، كما أن النقوش تكشف عن وجود القبائل الاتيكية الأربع فى أثينا وفى منطقة ايونيا فى ساموس وميليتوس وافســوس وتيوس هذا بالإضافة إلى قبائل محلية وقد خدمت هذه القبائل كوحدات إدارية وعسـكرية فى المجتمعات المتطورة . ومن المرجح أن هذه القبائل كانت موجودة فى فترة الغزوات الدورية والعصر المظلم فى منطقة أتيكا وأثينا التى نظمت هجرة أعداد كبيرة إلى منطقة أيونيا وفى ضوء ما سبق يمكننا القول أن النظام القبلـــى كـــان معروفـــاً فـــى عصـــر هوميروس .

وتنظيم اجتماعى اخر ورد ذكره عند هوميروس هو تنظيـــم (Phratry) ويـــرى العلماء أن تحديد ماهية Phratry يمثل معضلة ومن أعقد المشاكل بالنســـبة للتنظيمـــات الاجتماعية اليونانية . ويرى البعض أنها وجدت فى التنظيم الاجتماعى منـــذ عصـــور مبكرة واستمرت حتى القرن الثانى الميلادى ، إذ تكشف لنا النقوش أنها ازدهرت فـــى المجتمعات الأيولية والدورية . كما أن القرائن اللغوية تشير إلى أن اليونـــان الأول قـــد عرفوا نظام phratries عندما دخلوا بلاد اليونان حوالى ٢٠٠٠ ق.م وكلمة phrater مع تصحيف بسيط تعنى الأخ فى المعنى الأدبى فى كثير من اللغات الأوربيـــة الحديثـــة ، ولكن فى الواقع ابتداء من عصر هوميروس فإن اليونان استخدموا الفاظاً أخرى للتعبـير

عن معنى الأخ مثل adelphas و kasignotes ويبدو أنهم استخدموا phrator بمعنى الأخ ولكن وسعوا معناها وأصبحت تعنى الأخوة أو مجموعة من الناس تجمعهم رابطة الدم . وقد وجدت كلمة phratry جنباً إلى جنب مع القبيلة فى الإلياذة إذ نجد نستور العجوز ينصح أجاممنون أن يقسم رجاله إلى قبائل و phratry . ولعل هوميروس يشير إلى فترة القرن التاسع عندما بدأ الأرستقراط يجمعون حولهم مجموعات من ذوى القربى ويجمعها أواصر الدم وهى phratry التى قد تكون تحت إشرافهم ويشير إلى ذلك مجموعة من قرائن العصر المظلم إذ تظهر الطبقة العليا متحكمة فى كل مناحى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية . وملاحظة نستور تكشف لنا أن الشخص الذى لا ينتمى فى عصره إلى مجموعة يكون فى وضع خطر .

أما عن genos فقد كان المؤرخون فى الماضى يعتقدون أنgenos اليونانية هى الأسرة بأوسع معنى للكلمة ، ورأوا أن genos هى مجموعة من الأفراد تجمعهم أواصر القربى ورابطة الدم عند اليونان الذين هاجروا فى حوالى ٢٠٠٠ ق.م . ويرى نفر آخر أن genos لم تظهر فى عصور ما قبل التاريخ والفترة الباكرة من العصر المظلم ، وقد وردت اللفظة عند هوميروس كثيراً ، ولكن فى رأى البعض أنها على ما يبدو لم تكن العشيرة أو الأسرة الممتدة ، ويرى نفر اخر أن العشيرة وجدت عند هوميروس ويدللون على ذلك بعائلة برياموس ملك طروادة إذ كان عنده خمسون ولداً واثنتا عشرة بنتاً وأزواجهم وأبناؤهم ويعيشون جميعاً سوياً فى قصر . فالعشيرة تتكون بشكل رئيسى من مجموع الأسرة والتى يدعى أعضاؤها أنهم ينحدرون من جد مشترك وكلهم يحمل نفس الاسم وهو اسم الجد وعلى الجميع أن يكرسوا لعبادة الجد المشترك .

ويرى علماء اخرون أن العشيرة قد وجدت نتيجة اتحاد عدد من الأسر الغريبة بعضـــها عن بعض لأسباب اقتصادية وسياسية وأدى هذا الاتحاد إلى قيام العشيرة .

ونواة المجتمع الهومرى هى الأسرة والتى أطلق عليها مصطلـــح oikos والـــذى يعنى الأسرة وممتلكاتها الثابتة والمنقولة من كل نوع . وهذا المجتمع كان يتكـــون مـــن عدد من الأسر وعلى رأس كل oikos بطل وكان هذا البطل مسئولاً عن تصريف شئون الـــ oikos جميعها ، سواء بالنسبة للأفراد أو الممتلكات ، وكان الأفراد يتكونـــون مـــن الزوجة والابناء والأحفاد والعبيد والاتباع . وكان العبيد من الذكور والنساء ، وكان يتـــم شراؤهم ، ومنهم يومايوس Eumaeos والذى أخذ رهينة وبيع لأسرة اوديسيوس ، كمـــا أن مصطلح Therapon الوارد فى الإلياذة والأوديسة له معانى كثـــيرة ومنـــها التـــابع والصديق ، ومن أمثال هؤلاء فونكس Phoenix وباتروكلوس كانا صديقين لآخيل ، كما نجد أن أغلب هؤلاء الأتباع غير معروف الأصل فيما عدا قلة منهم كانوا من الفـــارين من عائلاتهم وأغلبهم كانوا ضحية سوء الحظ وحصلوا على الأمن والأمـــان والمكانـــة عندما الحقوا أنفسهم كأتباع لبعض العائلات الثرية (oikoi) وفى أغلب الأحوال كـــانت العائلة تقبلهم فى oikos بغرض الوجاهة وزيادة قوتها العسكرية فكلما زاد عدد الاتبـــاع زادت قوتهم العسكرية .

وهكذا نجد أن معنى oikos يغطى أكثر من مظهر فله مظهر انســـانى ومظـــهر اقتصادى وكان من الناحية الاقتصادية من الافضل أن يكون الـــ oikos مكتفيـــاً ذاتيـــاً وانتاج كل ما يحتاج إليه ، والإنتاج كان يوضع بين يدى رب oikos والذى كان عليه أن يوزعه حسب رغبته وهواه . ولهذا فان الـــ oikos يكون وحدة إنتاجية واستهلاكية وأن

أغلب احتياجاته كان يتم تلبيتها من موارده ، دون الحاجة إلى إقامة علاقـــات خارجيــة وبعيدة عن المقايضة التجارية وسنعود للحديث عن ذلك عند الحديث عـــن اقتصاديـــات الأسرة . وهكذا فقد كان لأرباب الأسر سلطة مطلقـــة فـــى تصريـــف شـــئون oikos الاقتصادية . أما المظهر الإنسانى فكان لكل من رب oikos ورب العشـــيرة ســلطات واسعة من الناحية الدينية والقضائية أيضاً .

فرب الأسرة أو رب العشيرة هو كاهنها الذى عليه أن يقيم الاحتفالات ويقـــدم أو يشرف على تقديم الأضاحى ، أيضاً هو التقاضى بين أفراد بيته وعشيرته فيما ينشـــب بينهم من نزاع وخلاف ويحكم فى قضايا القتل وأيضاً فى الجرائـــم الأخلاقيـــة خاصـــة العلاقات غير الشرعية الآثمة . وكان يحكم بالإعدام على مقترف الإثم فســـوء ســـلوك الابنة والأتباع والخدم كانت عقوبته الموت أو الطرد ، فقد شـــنق أودبســـيوس الإمـــاء اللواتى أقمن علاقات جنسية مع الخطاب وعصوا سلطة بينلوبى زوجته ومديرة البيـت ، كما أنّ راعى الماعز ميلانثوس الذى ثار ضد سادته كانت عقوبته التشويه وفـــى حالـــة ارتكاب الزوجة لجريمة الزنا كان يحكم عليها بالموت أحياناً وبالطرد أحيانـــاً أخـــرى ، وجريمة قتل الزوج من قبل الزوجة هى القتل . إن عقوبة الطرد كانت موتاً نظرياً وكان الطرد مصحوباً أحياناً باللكمات والرجم بالحجارة وكان يخرج من موطنه . وكانت هناك عقوبة معتدلة وكانت تأخذ شكل atimia أى الحرمان من الحقوق المدنية وكان يعزل فى مكان ما بالضيعة ويعيش على الصدقات . كما أن المنتحر الذى أجـــرم بإراقـــة دمـــاء العشيرة كان يعامل مثل الأحياء فكان لا يدفن جسده وكان يشوه بقسوة أحياناً .

وإذا كانت سلطة الأب (رب الـ οἶκος) مطلقة فى تصريف شئونه ، فإن الأشعار تكشف لنا عن قلق واهتمام بعض أرباب الأسر حول نسائهم ، وأبنائهم الذين كانوا مصدراً للسعادة وضماناً لاستمرار العائلة وأتباعهم وأخيراً ممتلكاتهم .

ففى الأوديسة نجد أوديسيوس يشكر الملك الكينوس على حُسن وكرم ضيافته وعلى الترتيبات التى أعدها له من أجل عودته إلى وطنه إيثاكا بتلك الكلمات "فحينما أعود أتمنى أن أجد زوجى الطيبة بالمنزل ومن أعزهم فى صحة جيدة ، وأتمنى أن تكونوا أنتم الفاكيين مصدراً لسعادة أسركم وزوجاتكم الطيبات وأطفالكم ، أتمنى من الإلهة أن يمدوكم بكل البركات وألا يمسس أهليكم الضر" . وفى الإلياذة نجد أن المتعاهدين من الطرواديين والآخيين قد استنزلوا اللعنات على من يخرق شروط الاتفاق بأن تشق عقولهم وعقول أبنائهم أيضاً ، وأن تسترق زوجاتهم لآخرين . ولما كان الأبناء زينة الحياة الدنيا ، فإننا نجد أن والد فونيكس قد لعنه عندما أغوى عشيقته بتحريض من أمه فقد تمنى ألا تكون له أبناء مدى الحياة ومن ثم مدمراً لآماله بألا تكون له ذرية . ويعبر نستور العجوز عن سعادته بأبنائه بقوله "إن هبة العمر الأخضر والمديد للرجل فى منزله أن يكون له بنون أذكياء وفرسان شجعان" . وقد تضرع أوديسيوس للآلهة بأن يصل إلى سن كبير مزدهر وأن يكون له ولد طيب صالح" . وقيل أن والد أخيل قد حصل على هبات طيبة وخبيثة من الإلهة ، فقد كان أكثر الرجال ثروة وحظاً ومع أنه قد تزوج من زوجة إلهة إلا أن الإلهة قد مسته بالشر فلم يرزق إلا ولد واحد والذى قُدر عليه أن يموت شاباً مما كان يعنى نكبة فى أسرته وذلك لعدم وجود خلف يعقبه فى ملكه وثروته . ويعبر أخيل عن حزنه العميق على موت رفيقه وصديقه باتروكلوس بقوله "فلا شىء أسوء من ذلك الذى أتحمله ، إلا إذا ما سمعت بموت والدى . . . ولا حتى إبنى

المحبوب الذى يربى الآن فى اسكيروس Scyros . فقد امنت اننى الوحيد سأفنى ، ولكن باتروكلوس سيحضر نيوبطوليموس إلى فثيا Phthia ويريه كل شيء : كنوزى ، خدمى، وصالتى ذات السقف الساحق .

وإذا كان الأبطال حريصين على أسرهم وممتلكاتهم فقد كان موت البطل دفاعاً عن أسرته وذماره يمكن احتماله فيقول هيكتور "قاتلوا جميعكم بالسفن ، فإذا ما ضرب واحد منكم بسهم أو بحربة فيلقى حتفه ، ينبغى أن يموت أنه لشيء محمود أن يموت الرجل وهو يدافع عن وطنه ولكنه سيترك خلفه زوجة وابناء امنين مع بيته وأرضه عندما يبحر الآخيون إلى أوطانهم فى سفنهم .

ويخاطب هيكتور زوجته أندروماخى قائلاً :"اننى لموثق بأن بريام وقومه وطروادة المقدسة سيكون نصيبهم الهلاك ، ولكن لا طروادة ولا القوم فيها حتى ولا أمى وأبى مما يشغل قلبى بقدر ما يشغله ذلك اليوم الذى قد يأتى عليك ، وفيه يحملك أحد الأخييين أسيرة تكدحين فى النسج فى أرض الأخيين ، فيراك أحد الناس فيقول هذه امرأة هيكتور . . ليت الأرض تطبق علىّ قبل ذلك اليوم" . ثم نجد أندروماخى وهى ترثى زوجها بقولها "لقد قتلت وأنت فى ميعة شبابك وتركتنى للأيم . أما ولدك وولدى فلا يزال طفلاً، وأخاف ألا يدرك الشباب ، فتسقط هذه المدينة قبل ذلك . وقد ذهبت عنها ، وانت حلمى ذمارها ، وسيحملوننا قريباً أمهات واطفالاً إلى السفن . وستكون أنت يا ولدى معنا تقوم على خدمة الغريب فى أسر شائن . ولعل أحد الأخيين يصرعك ثم يمسك ويقذف بك من فوق السور ، أجل أحد الآخيين الذين قتل لهم هيكتور فى الحرب أباً أو ابناً أو أخاً . . . "فمصير المدينة المستولى عليها يمكن أن يستحضر أسوأ الصور – كما سبق أن ذكرنا

وما ستؤكده قصة البطل ميلياجر نجده لا يصغى لمناشدات والده وأمه وأخوته وأقرانه وأصدقائه الذين شعر نحوهم بالحب ، كى يقاتل ، حتى توسلت إليه زوجته كليوباترا وهى دامعة بكلمات تذكره بكل أنواع المعاناة والمآسى التى تحل بالرجال الذين يتم الاستيلاء على مدنهم فى الحرب والنزال فيقتل الرجال وتأتى النيران على القلعة ويحمل المنتصرون الأطفال والزوجات المملوءة بالصحة سبايا .

ولم تكن العلاقات الزوجية هى موضع الاهتمام الوحيد للأبطال الهومريين فقد كان نسبهم وشجرة عائلتهم مهماً أيضاً ، فالأبطال كانوا يعرفون بأسماء أسرهم ، والبعض منهم ذكر بأسمائهم وأسماء ابائهم . والبعض الأخر يذكر عدداً من الأجداد . فالبطل جلاوكوس يعدد شجرة نسبه عبر خمسة أجيال من الأسرة . وبطل أخر هو أوخثيوس يتتبع شجرة عائلته عبر ستة أجيال . ونجد بعض الأبطال يحبون أن يعودون بنسبهم إلى إله مثل أخيل وأيدمونيس ومثل أهل فاكيا الذين أغضبوا بوسيدون غضباً يفوق الحد لأنهم أنقذوا أوديسيوس وأعادوه إلى إيثاكا محملاً بالهدايا . ومما ضاعف من حزنه وغضبه – على حد قوله – أن أهل فاكيا ينتمون إلى سلالته . ويقدم لنا أوديسيوس، فى وصفه لرحلته إلى العالم الآخر ، فصلاً طويلاً يستعرض فيه نساء يتفاخرن بأنهن أنجبن أبناء من زيوس أو بوسيدون .لكن العكس نادراً – حتى أن كاليبسو احتجت " أيها الإلهة انكم غير رحماء ، تغارون بصورة لا تبارى فتنقمون على الهات يتصلن بالرجال صراحة ، إذا اتخذت واحدة منهن من رجل عزيز على قلبها شريكاً فى فراشها . وكان التفاخر بشجرة النسب والعائلة يلزم البطل بأن يتصرف على نحو بطولى مشرف فإدعاء البطولة فضيلة ، فأوديسيوس المتنكر طلب من ولده تليماخوس ألا يخزى جنس والده الذى كان فى الماضى يتفوق بفضل شجاعته ورجولته

فى كل الأوقات وكما ناشد نستور الآخيين بأن يتصرفوا بشكل سوى فطلــــب منـــهم أن يضعوا ايدوس فى قلوبهم وأن يتذكروا أسرهم وأطفالهم وممتلكاتهم وابائهم ولـــم يكــن المولد النبيل كافياً للمحافظة على ادعاء البطولة فكان يجب على البطل أن يتوفـــر لـــه شروط أخرى ومن أهمها القوة والمقدرة القتالية الضرورية ليس لحماية أسرته وممتلكاته من المغيرين فحسب بل أيضاً لزيادتها عن طريق السلب والنهب كما كان على البطل أن يكون قادراً على الثأر والانتقام بنفسه من الأشخاص الذين يتحرشون به وأهـــل منزلـــه وممتلكاته . وكانت مكانة البطل تعتمد على عدد أفراد أســــرته ونوعيتـــهم واتباعـــه . فخطاب بينلوبى لم ينكروا على تليماخوس أن يكون سيداً لمنزله ومن ثم عضـــــواً فـــى دائرة الأبطال ، فقد كان مصدر خطر عليهم ، وذلك من خلال دعوته الجمعية الشـــعبية الانعقاد مما أكد تفوقه وامتيازه ، خاصة وأن دعوة الجمعية الشعبية على ما يبدو كـــانت قاصرة على الملك وحده ، وأيضاً من خلال تكوينه لنفسه اتباعاً وتجهيزه سفينة ببحارتها واقلاعه إلى كل من مملكة بيلوس واسبرطة متحدياً بذلك رغبات الخطاب الذين تســـأل البعض منهم عن نوعية الاتباع هل هم من أخيار نبلاء أتيكا أم من اتباعه الشـــخصيين ؟ فكانت الإجابة هى أنهم من أخيار الناس من بعدهم . ولذا فقد بدأ بعض الخطاب يشـــعر بالخطر وبدأوا فى تدبير مؤامرة لقتله والخلاص منه.

لقد كان الشغل الشاغل لرب الأسرة "البطل" أن يحافظ علـــى رخائـــها وحمايـــة ممتلكاتها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، فإذا ما فشل فى حماية ممتلكاته فإن ذلـــك يعنـــى الخراب المالى له ولأسرته وفقده لكرامته ووضعه البطولى . وتكشف لنا الأشـــعار أن الأسرة النبيلة التى ليس لديها القدرة على الدفاع عن أملاكها قد تكـــون فريســـة للأســـر الأكثر قوة . فممتلكات أوديسيوس كانت تستنزف وتهدر من قبل خطاب بنيلوبى التـــى

تخاطبهم بعد أن نفذ صبرها . "أيها الخطاب الذين تلتهمون ما فى المنزل بحجة أنكم تريدون الزواج بى ، هاكم الآن محكاً لمهارتكم هاكم قوس أوديسيوس فمن استطاع منكم أن يحنيها بيديه فى سهولة ويرمى منها سهماً . . . . فهو الذى سأتبعه مغادرة هذا المنزل الذى لن أذكره إلا فى الأحلام ، ويقول أوديسيوس للخطاب بعد أن كشف عن نفسه : ظننتم أيها الكلاب أننى لن أعود ، فالتهمتم منزلى وخطبتم ود امرأتى ، وأنا لا أزال حياً ، ولم تخشوا الأرباب ولم تحسبوا للناس حساباً ولهذا أتاكم جميعاً الهلاك بغتة. ولعل رد ايوريماخوس ، أحد الخطاب ، يعبر خير تعبير عن ذلك عندما يخاطب أوديسيوس بقوله فقد أسيء إليك اساءة فاضحة ، سواء أكان ذلك فى البيت أم فى الحقل، ولكن هو ذا الذى أثار كل هذا قد سقط أمامك ، وهو انطونيوس ، ولا أحد سواه ، ولم يكن يقصد إلى الزواج فقط بل كان قصده أن يملك على هذه الجزيرة ، بعد أن يدمر بيتك تدميراً ، ولكننا سنعيد إليك ما التهمنا من مالك عشرين ضعفاً . وإذا كانت عودة أوديسيوس قد أنقذت ملكه وماله من أيدى الطامعين فيهما ، فإن مخاوف اندروماخى إلى اسرتها إلى زوجها هيكتور قد تحققت .

وبعد أن عرضنا لقلق الأبطال على أسرهم وأولادهم وممتلكاتهم وتفاخرهم بأنسابهم وما ينبغى أن يكون عليه تصرف الأبطال لمواجهة المشاكل ننتقل للحديث عن وضع المرأة فى الأشعار الهومرية .

لقد تمتعت المرأة بمكانة اجتماعية عُليا وعلى الرغم من أن الإلياذة ملحمة قتال وحرب وسجال ، وتزخر بصور الشجاعة ، والبطولة وتمجد الرجل إلا أن الشاعر قد أفسح فيها مواضع لإبراز دور المرأة . وأما الأوديسة فهى : ملحمة طويلة حافلة

بالمغامرات ، وقصص البحار ودور النساء فيها أبرز منه فى الإلياذة حتى لقد قيل أنـــها كتبت لتمجيد المرأة . فالحرب الطروادية نشبت بسبب إغراء هيلينى ، والعريقة النسب، لغز الأنوثة ذات جمال أخاذ ، وكان الزواج منها سنداً قوياً ، إن لم يكن سنداً شـــرعياً ، لمنيلاوس .[وكان النسب إلى الأم أمراً مألوفاً فى بلاد اليونان خلال عصرها القديم بـــل إن الانتساب إليها كان يعد شرفاً كبيراً] . وكانت ولاية العرش تتحقـــق بـــالزواج مـــن الملكـــة . إذ صار إيجسثوس Aegisthus ملكاً على موكيناى بزواجه مـــن كليتمنســـترا وفى أتيكا كان تليماخوس بن أوديسيوس يقوم بدور الوصى على أمه بينلوبـــى ، فيمـــا يبدو، غير أن العرش كان سيؤول حتماً إلى من تختاره الأم زوجاً من بين الخطاب .

كانت زوجات الأبطال تعامل باحترام ، ويتمتعن بحرية الاختلاط بالرجـــال دون قيود وتجالس بينلوبى رجال البلاط فى غياب زوجها أوديســـيوس وتحظـــى بالحفـــاوة والتكريم حتى من هؤلاء الخطاب الذين طارحوها الغرام وعرضوا عليها الزواج والذين لم يتحرجوا من العبث باماء القصر ، ويصور الشاعر بينلوبى على أنها رمـــز للقلـــق والوفاء الشديد ، وتعيش حياة الذكريات والآمال بعـــودة زوجـــها ، لـــذا فـــهى مـــاكرة وجسورة، وتدبر كل من هيكابى زوجة بريام ، وأرتى زوجة الكينوس ملك فياكيا شـــئون بيتهما كما تدبر الملكات وكل منهما صديقة لزوجها وناصحة له ولعل الأخـــيرة أقـــوى مركزاً من الأولى لأن أوديسيوس يُنصح بأن يحوز رضاها قبل أى شىء آخر ، وهـــى تشترك فى الحديث فى البهو الكبير بالقصر مع زوجها الملك على قدم المساواة .

كانت هيلينى تحضر مجلس بريام ومستشاريه فوق أسوار طروادة وحتى عندمـــا عادت إلى زوجها منيلاوس فى أسبرطة غُفرت لها زلتها وعاشت معززة دون انتقـــاص

من سمعتها أو مساس بكرامتها . قد ظهرت فى البهو بعد انتهاء كل من تليماخوس وبيزاستراتوس من طعامهما ، وجلست على كرسيها الكبير ، وأمطرت زوجها بالأسئلة عن الزوار ، ومثل سيدة مجتمع فقد بدأت تسترجع ذكرياتها بسرعة والتى تضفى التكريم على أوديسيوس والد تليماخوس .

وكانت المرأة الهومرية تتحرك بغير قيود ولم تكن حبيسة المنزل كربة بيت – فنجد أن هيلينى ووصيفاتها كن يتحركن بحرية ، فعندما أخبرت ايريس Iris بشأن اقتتال زوجيها منيلاوس ، وبارس أسرعت بمغادرة منزلها وتسلقت جدران المدينة حيث يجتمع الشيوخ ، لتشاهد النزال بينهما . وعندما سمعت اندروماخى زوج هيكتور بانسحاب الجيش الطروادى اندفعت بجنون إلى جوار السكانيين ومعها مربيتها ، وطفلها الصغير استياناكس Astyanax . وعندما سقط هيكتور تحت ضربات أخيل فإن والدته هيكوبى كانت على سور المدينة وتلتف من حولها النسوة الطرواديات التى أعطت إليهن إشارة النواح والنحيب ، وأريتى Arete كانت تنتقل بحرية حول المدينة والكل يحيونها . ونجد ابنتها ناوسيكا Nausicaa تخرج إلى أطراف المدينة فى صحبة وصيفاتها ، لغسل كتان القصر .

ويصور الشاعر صيحات النساء التى تسمع خارج أسوار طروادة كما أن النساء كن يتشاجرن فى الطرقات . وتكشف لنا الصور على درع أخيل النساء وهن واقفات بأبواب منازلهن لمشاهدة حفل زفاف .

كانت النساء تتزاورن إذ توضح الإلياذة لنا زيارةً من هذا النوع فى الكتاب الثالث عشر نجد ثيتيس Thetes ، والدة أخيل ، تذهب إلى بيت هيفايستوس الحداد ، لتطلب

منه أن يضع أسلحة لابنها ، وتستقبلها زوجنه خاريس فتأخذ بيدها لادخالها وإجلاسها بعد أن خاطبتها باسمائها وألقابها المقدسة . وعلى الرغم من أن هذه الصورة لمجتمع الآلهة ، إلا أن حياة الآلهة تكون عند هوميروس صورة مطابقة لحياة البشر . إذ نجد أن أندروماخى كانت تزور أقاربها .

وإذا كانت المرأة لم تكن مقيدة الحركة وتمتعت بمكانة سامية فى المجتمع الهومرى ، إلا أن هوميروس لم يقدم لنا صورة للمساواة بين الرجال والنساء أو إمكانية ممارسة أو المشاركة فى الحياة العامة فلا يشتركن فى الحرب أو السياسة أو الحكم أو الإدارة . فمناقشة الأمور العامة كانت شأن الرجال . فقد أمر تليماخوس والدته أن تنسحب من الحجرة فى مناسبتين : أولها : عندما قرر أن يدعو الجمعية الشعبية للانعقاد ، وثانيها : عندما أكد حقوقه فى التخلص من القوس فقد أمرها بالذهاب إلى الداخل للقيام بأعمالها ἔργα ومنها النسج على نولها وأن تأمر إماءها بأن يقمن بأعمالهن بهمة . أن المناقشة μῦθος من شأن الرجال منهم ومنى فأنا صاحب السلطة فى السيطرة (κράτος) فى هذا المنزل .

وتكشف لنا الأشعار الهومرية أن النسوة من بطلات وملكات كن نسوة محبات للمنزل . وكان لهن أجنحة خاصة بهن بينما كان للأزواج أجنحتهم ، فكان للزوج حجرته الخاصة والتى كان يدعو زوجته بها ، وأيضاً بعض الخليلات . ففى منزل أوديسيوس كانت هذه الحجرة فى الطابق الأرضى ، بينما كانت حجرة بنيلوبى Thalama على التراس . فوق البهو ، والتى كان يمكن الوصول إليها عبر سلالم المنزل. وكانت حجرات النساء مزودة بمدفأة حيث توقد النار بها فى ليل الشتاء وحتى

فى الصيف ليحصلن منها ليس على الدفء فحسب بل أيضاً على الضوء . وكانت النساء تستخدم أحواض معدنية للاستحمام فى حجراتهن ففى أثناء إقامة منيلاوس فى مصر بطيبة فإنه قد أهداه مضيفة بوليبوس Polybus حوضين من الفضة ، وكانت النساء يحصلن على وجباتهن فى حجراتهن ولا يشاركن الرجال فى وجباتهم ولا مآدب الضيوف فى البهو . وكن عندما ينتهى الرجال من طعامهم ومآدبهم كانت النساء تلحقن بهم وحتى أكثر من ذلك فقد جلس بعضهن على رأس الجموع وهذا ما فعلته أريتى . وعندما أقبلت هيلينى بعد انتهاء الضيفين من طعامهما وجلست فى كرسيها الكبير فى البهو .

ونساء الشعر الهومرى قد قمن بالغزل والنسج والتطريز والاشراف على إماء وخادمات المنزل بمساعدة واحدة منهن أو أكثر . فكن يشرفن على صنع وتنظيف الملابس لكل الأسرة ، الرجال والنساء ، وكن يقمن بعمل الخبز ، والكعك المستدير ، وطهى الخضر من الفاصوليا والعدس وعمل الشربة والحلوى ، بينما كان الرجال فى المناسبات والاحتفالات والولائم يقومون بتقطيع اللحم وشوائه ، وقد رأت أن من الواجب عليهن استقبال الضيوف بكرم ومودة فكن يشرفن على ترتيب سرير مريح فى المدخل للضيف .

وتكشف لنا الأشعار الهومرية أن نساء الطبقة العليا كن يولين اهتماماً كبيراً بزينتهن ، وكن يقمن بذلك فى حجراتهن ، فعندما كانت ترغب الإلهة هيرا فى زيارة زوجها الإله زيوس ، كانت تتزين بكل ما يجعلها جذابة وفاتنة إذ نجدها عطرت جسمها الجميل بعد أن تنظفه من الأوساخ والشوائب وارتدت Inos وهو رداء طويل ذات ثنايا وكسر ، وتزينت بمجوهراتها . وكان صندوق الحلى والمجوهرات لسيدة نبيلة هاماً

وهذا ما يظهر من الهدايا التى قدمها الخطاب لبينلوبى فبجانب الرداء peplos * . كما أنه كان يطلق على القماش العريض المطرز ، ويطلق أيضا على مفرش المنضدة الطويل المطرز والمحلى باثنى عشر دبوساً ذهبياً ذات أسنان ملتوية ، ونجد سلسلة من خرز الكهرمان ذات خلفية ذهبية عتيقة الطراز مثل تلك التى قدمها التجار الفينيقيون لوالد يومايوس عندما كان طفلاً . وكانت نساء الطبقة العليا فى طروادة يلبسن Inos وكان ثوباً رسمياً يرتدى فى المناسبات ، بينما كان الزى اليومى بسيطاً فقد احتوى على رداء مستقيم "الخيتون" وبقدر ما كان طويلاً وفقاً للسن والمقام ، وكان يلبسه الرجال والنساء على حد سواء وكان هذا الرداء مقلماً أحياناً وفى أحيان أخرى كانت ألوانه زاهية للغاية . وهناك نوع آخر من القماش يمتاز بنفس الألوان الزاهية وإن كان نسيجه أفضل وأرق وكان يوضع على الأكتاف ، وكان هناك pharas الذى يلف حول الوسط ويشد بحزام ويخدم كمعطف للرأس .

ويبدو من الوهلة الأولى أن أردية النساء كانت مصممة لتغطيتها بدلاً من التأكيد على تقاسيم جسدها ، وكانت الأناقة عموماً فى نوعية الملابس الكتانية أو الصوفية الراقية أكثر مما هو فى التفصيلة . وكانت النساء يستخدمن الصنادل ذات النعال الجلدية البسيطة وتربط بشرائط جلدية منمقة حول مفصل القدم .

---

* Peplos هو رداء دورى عريض خارجى للنساء يتكون من قطعة واحدة ويشبك بدبابيس عند الكتفين ولطول حسب الرغبة . ويطلق الفيا على الثوب الذى تطرزه الفتيات الأثينيات ليحمل فى موكب فاخر إلى معبد البارثيون لإهدائه للربة أثينا فى عيدها

وتكشف لنا الأشعار عن أنه كان لبعض الأبطال عشيقات من العبيد أو من أسيرات الحرب ، بجانب زوجة واحدة فقط أو زوجات وهى أو هن اللواتى عقد عليها أو عليهن الزواج . لقد كان هدف الأبطال هو إنجاب الأطفال ولذا فقد كانوا مستعدين لتربية أطفالهم من أكثر من زوجة ، كما أن الخط الفاصل بين الزوجة والخليلة كان رقيقاً للغاية فالزواج كان حقيقة وليس قانوناً فى الواقع . إن رجلاً وامرأة يعيشان معاً فى منزل ومعلنون زواجهم للناس كانا يعدان بمثابة أزواج والزواج بين العائلات كان حقيقة معترف بها وله سمات العقد المقدس . والزواج لم يكن عملاً شرائياً فكان الزواج مصحوباً ببساطة باجراءات تبادل الهدايا ، ولم تكن المرأة كما يردد بعض الكتاب مملوكة كأى شيء لزوجها ، ولكن كان سيدها فيمكنه أن يعاقبها أو يطلقها إذا ما عرضت منزله لفضيحة كبيرة ، وكان يمكنه قتلها فى حالة الزنا وإن كان حذراً فى عدم فعله لأن هذا قد يؤدى إلى الثأر منه من قبل أسرتها . وهكذا فإن الخوف من غضب والد الزوجة قد يؤمن وضع الزوجة . ومع ذلك فقد كان للزوجة حقوقاً مسلم بها وغير قابلة للنقاش ولكنها غامضة ، فعقب انتهاء الاحتفالات المحددة للزواج كان يصبح من حق الزوجة الشرعية أولاً : أن نحصل على مكان منفصل فى القصر أو منزل زوجها . وأن يكون لها مكانة علية مثلما الحال بالنسبة لأريتى عند الملك الكينوس . فقد أكرمها الكينوس خير إكرام ، وقدرها تقديراً عظيماً ، كما نظر إليها ابناؤها وذويها على أنها إلهة يلقون عليها بالتحية والسلام ، وغدوها ورواحها إلى أى مكان فى المدينة . ولم يكن ينقصها الحكم فقد كانت تقوم باصلاح ذات البين بين صديقاتها وازواجهن . لقد كانت أريتى زوجة مثالية لسيد عظيم مثالى ، وبالمثل بينلوبى التى كان لها سلطتها فى منزلها عندما لم يبلغ ابنها سن الرشد . ثانياً : ألا يكون لزوجها خليلة : فقد كان بعض

الأزواج يخشى غضب زوجاتهم إذا ما أقمن علاقة غرامية مع أخريات . فقد كانت والدة أوديسيوس أنتيكليا Anticlia سيدة قوية الشخصية وتملك بناصية الأمور فى بيتها ، فعلى الرغم من إعجاب زوجها لأرتيس بالأمة يوريكليا Euryclia الشابة فكان لأرتيس يخشى غضب زوجته إذا ما ضاجع يوريكليا . وتكشف لنا قصة أخرى عن عدم رضاء الزوجة عن سلوك زوجها ففى الالياذة نجد امينتور Amyntor قد فتن بأمة شابة وأهمل زوجه والدة ولده فونيكس ، فحرضت الأم ابنها على أن يقوم بغواية عشيقة والده ، فأطاعها ابنها ونجح فى أن يوقع عشيقة والده فى شباك حبه فاعرضت عن والده مما أثار غضبه ولعنه اياه .

وإذا كانت بعض الزوجات قد ثرن على العلاقات غير الشرعية لأزواجهن فإن البعض الآخر منهن قد وافق على تلك العلاقة أو غضضن الطرف عنها ، لقد كانت الخيانة الزوجية شائعة حتى تحت سقف الأسرة وسهلة المنال لأن حجرة السيد كانت وسط أجنحة الحريم بينما كانت حجرة الزوجة فى جزء اخر من المنزل . وبعض الأبطال كان يفضل الخليلة على الزوجة فكان أجاممنون يفضل أسيرته خريسيس كعشيقة على زوجته كليتمنسترا ، ويقول أخيل لقد أحببت بريسيس أسيرة رمحي من كل قلبى ، والتى فى رثائها على باتروكلوس نجدها تقول "أنه كان يواسيها حتى عندما قتل أخيل السريع زوجى واستولى على مدينتنا فإنك يا بتروكلوس لم تسمح لى بالبكاء وكنت تقول لى إنك سوف تجعلنى الزوجة النبيلة لأخيل العظيم ، وسيبحر معى إلى فثيا Phthia ونحتفل بالزفاف ". لقد كان وجود خليلات ومحظيات جزءاً من سياسة الأسرة، فمن الحكمة فى بعض الحالات أن يكون للمرء أبناء غير شرعيين والذين يرثونه فى حالة عدم وجود ابن غير شرعى . وخير نموذج على ذلك هو أن هيلينى ، التى لم تنجب ولداً

ذكراً ، قد وافقت منيلاوس على تطلعه أن يكون له ولد ، ولذا نجدها قد اشرفت بنفسها على زواجه أو علاقته بأمة وكان ثمرة هذه العلاقة انجاب ابنه غير الشرعى ميجابنثيس Megapenthes . ثالثاً : أن بعض الزوجات قد حصلن على رعاية شئون الأسرة في غياب الزوج وعدم وجود ولد قد بلغ سن الرشد وإذا ما حاولنا تذكر قول أوديسيوس لزوجه عندما كان يجهز نفسه للذهاب للحرب فقد تصور إمكانية عدم عودته تماماً ولذا نجده قد أعطاها المسئولية عن الميراث وعن أقاربه وابنه حتى يبلغ سن الرشد إذ يقول " عندما تنظرين إلى ابنك ويصير رجلاً ذا لحية وتزوجيه المرأة التي يريدها ويترك منزلك ، فالأرملة تكون بمثابة سيدة الميراث وأن لم تكن وريثته ، طالما أن ابنها قاصر، فإذا ما بلغ سن الرشد ينقل إليه الميراث . وحتى على الرغم من بلوغ تليماخوس لسن الرشد فإننا نجد بنيلوبى تعطى لنفسها الحق فى توبيخه.

وتكشف لنا الأشعار عن دوافع الزواج السائدة فى المجتمع الهومرى ، فنجد أن بعض الآباء من الأبطال الهومريين قد سعوا إلى تأمين قوة حربية إضافية وذلك بزيادة أتباعهم من الفرسان للدفاع عن أسرهم وممتلكاتهم وغالباً ما كان يتم تزويج هؤلاء الفرسان من بناتهم الكريمات المحتد لضمان ولائهم . فنجد أن أزواج بنات بريام الإثنى عشر قد التفوا حوله وكانوا يسكنون قصره ولذا نجد اسبرتون يزعم أن هيكتور كان يمكنه أن يحكم طروادة ويمسك بزمام الأمور بها دون حاجة إلى تجنيد قوات أو حلفاء ولكن فقط بأخوته وأزواج أخواته .

ونجد بعض القادة "الملوك" يقدمون وعوداً بتزويج بناتهم لمحاربين أفذاذ مقابل خدماتهم مثلما فعل بريام مع أورثنيوس ، وكما فعل أجاممنون فقد وعد أن يزوج أخيل

ذكراً ، قد وافقت منيلاوس على تطلعه أن يكون له ولد ، ولذا نجدها قد اشرفت بنفسها على زواجه أو علاقته بأمة وكان ثمرة هذه العلاقة انجاب ابنه غير الشرعى ميجابنثيس Megapenthes . ثالثاً : أن بعض الزوجات قد حصلن على رعاية شئون الأسرة فى غياب الزوج وعدم وجود ولد قد بلغ سن الرشد وإذا ما حاولنا تذكر قول أوديسيوس لزوجه عندما كان يجهز نفسه للذهاب للحرب فقد تصور إمكانية عدم عودته تماماً ولذا نجده قد أعطاها المسئولية عن الميراث وعن أقاربه وابنه حتى يبلغ سن الرشد إذ يقول " عندما تنظرين إلى ابنك ويصير رجلاً ذا لحية وتزوجيه المرأة التى يريدها ويترك منزلك ، فالأرملة تكون بمثابة سيدة الميراث وأن لم تكن وريثته ، طالما أن ابنها قاصر ، فإذا ما بلغ سن الرشد ينقل إليه الميراث . وحتى على الرغم من بلوغ تليماخوس لسن الرشد فإننا نجد بنيلوبى تعطى لنفسها الحق فى توبيخه.

وتكشف لنا الأشعار عن دوافع الزواج السائدة فى المجتمع الهومرى ، فنجد أن بعض الآباء من الأبطال الهومريين قد سعوا إلى تأمين قوة حربية إضافية وذلك بزيادة أتباعهم من الفرسان للدفاع عن أسرهم وممتلكاتهم وغالباً ما كان يتم تزويج هؤلاء الفرسان من بناتهم الكريمات المحتد لضمان ولائهم . فنجد أن أزواج بنات بريام الإثنى عشر قد التفوا حوله وكانوا يسكنون قصره ولذا نجد اسبرتون يزعم أن هيكتور كان يمكنه أن يحكم طروادة ويمسك بزمام الأمور بها دون حاجة إلى تجنيد قوات أو حلفاء ولكن فقط بأخوته وأزواج أخواته .

ونجد بعض القادة "الملوك" يقدمون وعوداً بتزويج بناتهم لمحاربين أفذاذ مقابل خدماتهم مثلما فعل بريام مع أورثنيوس ، وكما فعل أجاممنون فقد وعد أن يزوج أخيل

إحدى بناته بعد الحرب . وأبطال اخرون قد تم إهدائهم عرائس من قبل ابائهن لشجاعتهم مثل بيلليفرون ، وأوديسيوس الذى عرض عليه الكينوس أن يزوجه ابنته ناوسيكا .

ودافع آخر للبحث عن زوج للابنة هو الحرمان من الوالد سواء أكان شرعياً أم غير شرعى ، فقد سعى كيسيس Cisses والذى على ما يبدو لم يكن له ولد ، وقد سعى للحصول على وريث له وذلك بتربية حفيده إفيداماس Iphidumas وتزويجه إياه لابنته الثانية .

وتكشف لنا الأشعار عن أنماط للزواج ومنها :

١- أن والد البطل كان يذهب يبحث لابنه عن عروس ، وهذا ما قام به الملك منيلاوس من أجل ابنه ميجابنثيس ، ويدعى أخيل أن أباه سوف يبحث له عن عروس عندما يعود إلى وطنه بعد الحرب ، فهناك العديد من بنات القادة ، الذين يحكمون القلاع ، سوف أتزوج واحدة منهن والتى أرغبها ويقع عليها اختيارى ولكن من المفترض أن والد العروس فى هذه الحالة سيكون سعيداً لأن يعطى ابنته لأخيل كزوجة ونلاحظ هنا أن آراء البنات لم تذكر قط فى أى موقع .

٢- أن والد العروس كان يمنحها لقائد عظيم لتكون إحدى زوجاته وهذا النمط على ما يبدو كان قاصراً على طروادة وعلى الملك بريام وحده ، فقد أعطاه والد التيس Altes كزوجة له ولم تكن الزوجة الوحيدة . وقد قدم والدها لها الكثير من الهدايا .

٣- الزواج من السبايا مثل بريسيس Brises وأيضاً هيلينى وكليتمنسترا اللتان كانتا متزوجتين لازواج زناة هما باريس وأجاثيوس .

٤- الزواج من خلال المنافسة بين الخطاب ، فكان على الخاطب لنيل يـد ابنـة أحـد الأبطال ، أو زوجة بطل مجهول المصير أن يتنافس مع منافسيه فى مسـابقة مـن المسابقات . ومن الأمثلة على هذا حصول ميلبوس على بيرو Pero فى فوزه فـى المنافسة التى أعدها نيلوس والدها ، ومع ذلك لم يتزوجها ، بـل زوجـها لأخيـه . وكان على بنيلوبى أن تختار زوجها الثانى من خلال التنافس فى المسابقة بـالقوس بين ما يزيد على مائة خاطب والذين كانوا قد مكثوا فى بيتها أملين أن تختار واحـداً منهم . ويبدو أن العادة هى أن والد العروس عندما يقرر زواج ابنتـه فإنـه يعلـن الأمر ويدعو الخطاب كى يتقدموا لخطب ابنته ، وكان الخطاب من كافـة المنـاطق يزورون والد العروس الذى كان عليه أن يسكنهم ويستقبلهم كضيـوف ويقيـم لـهم وليمة ، وبالطبع لن يحضروا خالى الأيدى ، فقد يحضرون الطعـام لـرب البيـت وهدايا شخصية للخطيبة "ملابس وأغطية ، وحلى" . ويختلف كـم وكيـف الـهدايا والحفلات وفقاً للوضع الاجتماعى للأطراف صاحبة المصلحة . فنجـد أن بنيلوبـى تذكر خطابها بكل ما سبق ذكره بالتفصيل إذ تقول : " إن الرجـال الذيـن يـودون كسب ود امرأة نبيلة ، ابنة رجل ثرى ، يتنافسون مع بعضـهم بعضـاً ، ويجلبـون معهم من انعامهم ، ومن خرافهم وثيرانهم دون أن يطلب منهم ، حتى يقيموا الولائـم ويحتفلوا بأصدقاء السيدة ويقدمون لها الـهدايا الرائعـة . فأجابـها أحـد الخطـاب "أنطيتوس" تقبلى الهدايا التى نحضرها لك يا بنيلوبى إذ لا يليق أن ترفضى الهديـة ، ولكن اعلمى أننا لن نبرح ساحتك حتى تختارى أفضلنا زوجاً لك . وافق الخُطَّـاب على كلامه وأرسل كل رجل منهم تابعه ليأتى بهديته ، فكانت هدية أنطينوس ثوبـاً موشى فضفاضاً فى غاية الجمال ، مع اثنى عشر مشبكاً واثنى عشـرة رصيعـة ،

بينما كانت هدية أوريماخ سلسلة بديعة الصنع انتظمت فيها خرزات من الكهرمان ، وقدم أوريداموس قرطين تدلت منهما ثلاث حبات من اللؤلؤ ، وأهداها آخر حلية نفيسة ... الخ.

إن إدخال البهجة ، والسرور فى بيت العروس لم يكن إشارة مجاملة ، أو وسيلة للحصول على ثروة فحسب بل أيضاً كانت مناسبة للتنافس الحقيقى بين الخطاب ، فكانوا يلقون الخطب أو يغنون ، ويرقصون أو يتحدى بعضهم بعضاً فى الألعاب الرياضية لإبراز قوتهم العضلية ، ومهاراتهم الشخصية . ويبدو أن هذه العادة استمرت فى بلاد اليونان فيما بعد إذ يروى لنا هيرودوت أن كليسثينس Cleisthenes طاغية سيكيون Sicyon بعد انتصاره فى سباق العربات التى يجرها أربعة خيول فى أوليمبيا جعل منادياً يعلن أن كل الرجال الشباب الذين يرون فى أنفسهم أنهم يستحقون الزواج من ابنته أجاريستى Agareste ، فإنه سوف يستقبلهم بعد ستة أيام ، وبالفعل توافد عليه اثنى عشر خاطباً من زهرة شباب اليونان ، وحلوا ضيوفاً عليه لمدة عام أبهجهم فيها كليسثنيس ، فكان قد جهز حلبة المنافسات للمصارعة والجرى ، وكان غرضه من ذلك أن يدرسهم ويراقب تصرفاتهم ـ خاصة على المائدة ـ وشهامتهم وشخصيتهم ، وأحلامهم وتعليمهم . وفى نهاية العام فقد انحصر اختياره بين اثنين منهم هما ميجاكليس Megacles وهيبوكليديس Heppoclides مع ميله للأخير ، وعندما اقترب موعد إعلان اختياره النهائى ، فقد أقام وليمة رائعة ذبح فيها مائة ثور ؛ دعا فيها الخطاب ورجالات سيكيون وبعد شرب الخمر ، بدأوا يرقصون على أنغام الموسيقى ، ورقص هيبوكليديس الثمل على أنغام الفلوت ، وأخذ يقلد الاسبرطيين والأثينيين ، ثم قام بعمل نوع من الجسر بجسده ، بينما كان رأسه مستنداً على المنضدة وبدأ يومئ

برجليه فى الهواء ، ونتيجة رقصه وحركاته الماجنة أن صاح كليسثنيس لقد فقدت زواجك . وبعد ذلك طلب الهدوء وألقى خطبة قصيرة شكر فيها الخطاب وتأسف لمن لم يقع عليه اختياره منهم واعداً إياهم بأن كل واحد منهم سيحصل على مبلغاً قدره تالنتاً واحداً من الفضة . وأخيراً أعلن أنه اختار ميجاكليس ليكون زوجاً لابنته .

أما عن المهر ، والدوطة ، فكان الخاطب الذى يطلب يد خطيبة كريمة المحتد وابنة النبيل والمليحة الذكية ، من والدها ويتم الموافقة عليه ، كان يقدم مهرها ، أو هديتها Hedna ، وبعد أن يصحبها إلى داره الخاصة ، كان فى المقابل يتلقى من والدها دوطة (meilia) تناسب مركز الأسرة .

وكانت هذه الدوطة فى حالة طلاق ورجوع الزوجة إلى بيت أسرتها أو فى حالة وفاة زوجها وعودتها إلى بيت أهلها أيضاً من حق الزوجة ، فلم يهمل تليماخوس أن يذكر هذه الحقيقة إلى الخطاب الذين طلبوا منه أن يرسل أمه إلى أبيها .

إن الفتاة ، أو السيدة ذات الحسب ، والنسب ، والمواهب العظيمة كانت محل منافسة بين الخطاب ونسمع عن خطاب يتنافسون بالهدايا خاصة فى الأوديسة سعياً لطلب يد بنيلوبى . ولكن يجب أن نذكر أنه عندما تذكر hedna لبنيلوبى وبعد أن قال ابنها إن من يريد الزواج منها فليذهب إلى أبيها ليطلب منه . ومن المستنتج أنها ستذهب إلى منزل زوجها الجديد وأن هذا الزوج لن ينتقل إلى منزلها هى (أو منزل أوديسيوس).

وهكذا فمن الواضح أن مناسبة الزواج من هذا النوع كانت بالنسبة للأبطال الهومريين مماثلة لأى مناسبة من المناسبات الاجتماعية الأخرى والتى يتم فيها تبادل الهدايا .

ولكن عندما يكون البحث عن العريس من قبل والد العروس لابنته ، ففـــى هــذه الحالة فإننا لا نسمع عن أن العريس قد قدم hedna . ولعل مساهمة العريس بخدماته أو بمساعدة أسرته لأهل عروسه كانت أكثر قيمة من الهديـــــة hedna . ولعـــل عـــرض اجاممنون على أخيل أن يزوجه إحدى بناته ويعطيه الكثير من المدن دوطة لـــــها خـــير انموذج على هذا النوع من العلاقة .

وكانت مراسم الزواج تتكون بشكل رئيسى من النقل المقدس للعروس من مـــنزل والدها إلى منزل زوجها . وكان يسبق هذا الانتقال وليمة بهيجة eilepine يقيمها والـــد العروس ، وعندما يأتى المساء ، على الأقل بالنسبة للأسر الثرية ، تنتقل العروس إلـــى عربة على ضوء المشاعل ويصاحبها موكب ملائـــم لطبقـــة العروســـين ، وقـــد قـــدم هيفايستوس عدداً من هذه المواكب فى منظر من المناظر التى نقشها على درع أخيـــل ، والتى تقودنا إلى افتراض أنه ينبغى الاحتفال بالزواج ، ففى أحد المنـــاظر نجـــد حفلـــة زواج قد زين فيها مدينتان ، ففى إحداها كانت احتفالات الـــزواج تتـــم علـــى أضـــواء المشاعل المتوقدة ، وقد تم مصاحبة العروسين فى موكب عبر المدينة ، وكانوا يغنـــون فيه أغانى الزواج بصوت مرتفع ، بينما كان الفتيان يرقصون فى حلقات علـــى أنغـــام المزمار والقيثارة ، وبينما كان الموكب يمر عبر الشارع كانت النساء يقفن فى شـــرفات منازلهن .

وبعد انتهاء موكب الزواج والوصول إلى بيت العريس كانت الخطـــوة الأخـــيرة هى إدخالها إلى حجرة زفاف العريس .

وتكشف لنا الأشعار عن خيانات بعض زوجات الأبطال وتصفها بأنها فعل سيئ،

فنجد أن انتقاداً قد وجه إلى كليتمنسترا زوجة أجاممنون لعلاقتها الآثمة بأخى زوجها وزواجها منه فقد كانت زوجة لأخوين أجاممنون وأجاسيثوس Agesthus في وقت واحد. بل أنها تآمرت مع الأخير على قتل أجاممنون أخيه بعد عودته من حرب طروادة. وكان هذا الزواج يعد قبيح مقارنة بما حدث لهيلينى فى الالياذة وزواجها من باريس . ولم تكن الخيانة قاصرة على البشر فحسب بل نجدها بين الآلهة فقد قام الإله أريس Ares باغراء الإلهة افروديتى وكان هذا فعلاً فاضحاً ومشيناً . وكانت عقوبة جريمة الزنا هى القتل ، ولذا نجد أن العقوبة قد طبقت على اثنتى عشرة أمة من إماء أوديسيوس واللواتى أقمن علاقات آثمة مع خطاب بنيلوبى ولم يكن هذا الفعل المشين يشرف بيت أوديسيوس وأثار غضبه وأنزل بهم العقاب بعد ذبحه للخطاب الذين قيل عنهم أنهم ارتكبوا أعمالاً سيئة باغتصاب النساء . ومن الواضح أن بنيلوبى كانت ترى أن حب الخطاب كان يعد خطأ لأن زوجها لم يكن معروفاً إذا ما كان على قيد الحياة أم لا وكانت ترى أنها إذا ما تزوجت سترتكب خطأ آخر فى نظرها وفى نظر الناس ، وأن الخطاب يرتكبون الخطأ عندما يحاولون غوايتها وخاصة أن كل الدلائل قد أتت إليها مؤكدة العودة الآمنة لزوجها .ومن ثم كانت مماطلتها لهم مستخدمة فى ذلك الحيلة . ولعل تأكدها من أن زوجها مايزال على قيد الحياة هو الذى دفعها إلى ذلك ، وخاصة لم يكن هناك ما يمنعها من الزواج من رجل آخر لأن أوديسيوس نفسه عند وداعها وهو ذاهب إلى طروادة وأوصاها بالزواج بمن ترتضيه إذا لم يعد بعد مدة معينة ، وذلك عندما يشب وليدها ويصير رجلاً راشداً .

كان الغرض من الزواج أو اتخاذ خليلات عموماً هو إنجاب الأبناء الذكور الشرعيين وغير الشرعيين ، فقد كان واجب الزوجين هو تأكيد بقاء سرمدية الأسرة

بإنجابهما أبناء شرعيين ومن المفضل أن يكونوا أولاداً . إن دخول طفل جديد فى عالم الأسرة لم يكن عملاً بسيطاً ، فقد كان يصاحبه عدد من الطقوس والتى كان الغرض منها هو التأكيد ، فى حضور شهود ، على اندماجه فى الأسرة وقبوله للعبادة المنزلية فبعد أن تتم ولادة الطفل كان يتم غسله ، وهذه كانت عقيدة التطهير ، ويلف فى كتان أبيض جديد ويربط بقماط ويوضع فى مهد فى شكل سلة المحصول . وكان الطفل الوليد يقدم لوالده بعد ذلك والذى كان يمكن أن يرفضه لعجز جسدى به وذلك لأن العيوب تجعل الرجل غير مناسب لممارسة الطقوس الدينية المنزلية . وفى اليوم العاشر كان هناك احتفال آخر ، إذ تقدم فيه الكثير من الهدايا وتقام فيه وليمة ويتم تسمية الوليد فيها . ولدينا مقال على ذلك فعندما أتى أوتوكيكوس Autolycus لزيارة ابنته وزوجها لأرتيس بمناسبة ميلاد أوديسيوس ، فبعد المأدبة قامت ابنته انتيكليا بوضع وليدها على ركبتيه وسألته أن يسمسه وهكذا فإن ابن لأرتيس قد تم تسميته بأوديسيوس وقد تم إدخاله أخيراً وبشكل رسمى فى الأسرة ، والمدينة مع وعد بهدايا رائعة من جده الذى صار كافلاً godfather (أى فى العمادة) .

كان رب الأسرة هو القيم على الأسرة ولكن إذا ما غاب عنها لسفر ، أو لقتال فلمن كانت الوصاية ، أو الولاية ؟ إن غياب رب الأسرة لا يفقد الوصاية والقوامة طالما أنه ليس له ولد قد بلغ سن الرشد وله أتباع . فعلى الرغم من غياب أوديسيوس فإنه ظل قيم الأسرة وذلك لأنه لم يكن لتليماخوس اتباع وغير معروف إذا ما كان أوديسيوس حياً . فقد بقيت زوجه بنيلوبى بناء على طلبه فى منزله ، وكان من الممكن لها أن تعود إلى بيت أبيها وتدخل تحت وصايته . وعندما كبر تليماخوس وصار قادر على ادعائه بأنه قيم لبيت أوديسيوس فقد كان يمكنه أن يبعث بأمه إلى بيت أبيها "جده":

ولكن كان عليه إذا ما فعل ذلك أن يرد لها دوطتها ، كما كان يمكنـــه أن يســمح لــها بالبقاء والعيش فى منزله وهذا ما حدث بالفعل ، ولكن إذا ما ثبت أن والده أوديســيوس ليس حياً ومن ثم فإن بنيلوبى أرملة فكان لتليماخوس السلطة الكاملة فــى أن يتخلـص منها بالزواج كوصى عليها .

وعلى الرغم من انتقال الوصاية إلى الزوج عند زواج البنات ، فإنهن لا يفقــدن الاتصال تماماً بأسرهن ، فقد كان كل من البنت وأسرتها تحافظ علــى بقــاء الصــلات المتبادلة والاهتمام بشئون بعضهما البعض . إذ نجد أن جد أندروماخى يفتــدى ابنتــه ، فقد تم إرسال بيلليروفون Bellerphon لأسرة انتيــا Antia للعقــاب ؛ واللعنــة التــى استنزلتها أم مليجار عليه لقتل أخوتها .

لقد كانت عودة فارس غائب تمثل فرحة ما يعدلها فرحة أخرى ، فكــان الفــرح يعم جميع أفراد الأسرة فى الغالب الأعم وخير قصة على ذلك عودة أوديســيوس بعــد طول غياب وبعد مغامرات عديدة ، فقد كانت بنيلوبى امرأته تتحرق شـــوقاً لرؤيــاه ، فحسب قولها لقد ذهب روانها يوم سافر زوجها وزوى جمالها يوم مبارحة زوجها إلــى طروادة، ووالده الذى كان يأسى من أجل فراق ابنه ، وأمه التى ماتت غماً وحزناً علــى ولدها ؛ وابنه الذى أثقلت كاهله هموم الحزن .

وقد سر أوديسيوس عندما وجد أسرته بخير وسره ما سمعه من زوجته بنيلوبــى كى تحتال على الخطاب الذين تمنت لهم الموت والخلاص منهم فقد روت لأوديســيوس "المتنكر" حلمها . فكانت قد رأت سرباً من الإوز فى قصرها انقض عليه نســر وفتــك بــه، ولما جعلت تندب الأمر سمعت صوتاً يقول "ما الإوز إلا الخطاب وما النســر إلا

زوجك" . وعندما تعرّف تليماخوس على والده سر وارتمى على عنق أبيه يبكى ويذرف الدمع الغزير ، وسرت المربية أوريكليا هى الأخرى بالتعرف على أوديسيوس ولكنها كتمت سرورها بناء على طلب سيدها أوديسيوس . وانتظرت إلى أن قتل الخطاب وذهبت إلى مخدع سيدتها تحمل البشائر السارة وخاطبتها قائلة انهضى يا ابنتى العزيزة وانظرى بعينى رأسك ما أملته طويلاً فقد عاد أوديسيوس وفتك بالرجال الذين عاثوا فى ملكه ، وبعد حديث طويل بينهما تأكدت بنيلوبى من صدق المربية فابتهجت ووثبت على عنق المرأة العجوز وهى تبكى وتقول "أصدقينى الخبر الآن هل رجع حقاً إلى بيته وفتك بالخطاب وهو فرد وهم كثر ، وتستطرد قائلة إنك تعلمين أى سرور أجده بلقياه ، وبعد أن رأت أوديسيوس وتأكدت أنه هو ركضت إليه وطوقته بذراعيها وقبلته قائلة عفواً يا مولاى إذا كنت قد أبطأت التعرف إليك ، فإن للرجال مكايد كثيرة ، وكنت أخشى دائماً أن يخدعنى أحدهم ، فيزعم أنه زوجى ، وأما الآن فإنى أعلم إنك زوجى ولا أحد سواه وبكيا وهما متعانقان وتبادلا القبلات ...

وتكشف لنا الأشعار أنه عندما يموت الرجل فكان من حقه أن يدفن وأن تقام له جنازة ، فقد كانت الأسرة مكلفة بها فى الغالب الأعم ويقع عبئها على عاتق الزوجة والأم والابن والأب ، فكانوا يأخذون الأدوار الرئيسية فى الاجراءات الجنائزية والتى كانت تتباين بصورة كبيرة وذلك وفقاً لحالة الأسرة ومكانتها فكانت الأسر الكبيرة تعتبرها موكباً أو مسيرة عامة والتى تبرز فيها ثروتها وقوتها وكثرة أتباعها .

إن عدم دفن الميت والفشل فى أن يسترد الأقران وأهل المتوفى جثته يمثل عدم احترام لأقربائه وأصدقائه . وقد حفلت المبارزات الهومرية المصحوبة بالتهديد والوعيد

والسخرية وهى أن الكلاب (والنسور) سوف تحضر جثتك . فقد كان نكران الدفن يمثل أقصى عقوبة توقع على المتوفى وهى عقوبة كانت تفرض على الخونة والذين دنسوا المقدسات والمنتحرين . فأرواحهم أو أشباحهم قد حُكم عليها بالتجول والهيام دون راحة ، وقد تصبح خطرة فى بعض الأحيان .

فقد كان من الشعائر الجنائزية الشائعة حرق الجثة ، فقد كانت أرواح الموتى تتوسل من الركب بأن يتم حرق جثتهم ، فقد توسل شبح البنور وكان قد تكسرت رقبته نتيجة لسقوطه من شرفة منزل كيركى Circe لأنه كان ثملاً إلى أوديسيوس أن يحرق جثته وكل ما يملك عندما زار الأخير مملكة الموتى الواقعة خلف المحيط . وبنفس الطريقة فإن روح باتروكلوس تظهر لأخيل فى الحلم وتتوسل إليه أن يسارع فى حرق جثمانه . فالحرق وحده يعطى الراحة الأبدية لأرواح الراحلين حيث تفتح لهم أبواب هاديس ، وتشرح روح باتروكلوس ذلك الأمر على النحو التالى . فقد رأى أخيل فى منامه روح باتروكلوس التى خاطبته قائلة أتنام يا أخيل وتنسانى ! ألا ادفنى سريعاً ، إنهم يحجزوننى بعيداً ، إن أرواح الموتى لا تحتمل بقائى ولن تدعنى أختلط بهم فيما وراء النهر ، وأنا أهيم فى هاديس وحدى ، ساعدنى أتوسل إليك ، حيث أننى لن أعود مرة أخرى من هاديس ، عندما تحرقنى" . إن حرق الجثة يعنى أن الروح تترك عالم الأحياء وأصبح لا يخشى منها مرة أخرى .

ومما هو جدير بالقول أنه إذا ما كان الحرق هو الشائع عند هوميروس ، فإن الحفائر الأثرية قد كشفت أن بلاد اليونان فى العصور الهومرية قد عرفت عادة الدفن على نطاق واسع أيضاً ، فمقابر ديبلون Diplon فى أثينا كانت مخصصة لدفن الموتى،

ومن الجدير بالذكر أن الأسرة الكبيرة قد تحولت من عادة الدفن إلى الحرق .

ويقدم لنا هوميروس ثلاثة مشاهد لاجراءات الجنازة قبل حرق الجثة أولها : جنازة باتروكلوس فى الكتابين الثالث والرابع والعشرين من الالياذة وجنازة أخيل التى يصفها لنا أجاممنون فى الكتاب الأخير من الأوديسة وجنازة هيكتور ، وهذه المشاهد قد أكدتها رسوم المزهريات الجنائزية التى عثر عليها فى ديبلون . وكان هذا الطقس يتكون من المشاهد الآتية وهى غسل الجسد ودهنه وتغطيته بالكتان ووضعه على سرير ، وفرق المنشدين والأقارب من الرجال والنساء والأصدقاء والرفاق ، وغناء أنشودة حزينة والتى كان أثرها على الحضور الأنين ، والبكاء ، ففى جنازة هيكتور نجد أن اندروماخى زوجه تبدأ اللحن الحزين بالعويل قائلة : إيه زوجى ! لقد هلكت وأنت فى ميعة شبابك وتركتنى للأيم ... الخ ثم تولول أمه بقولها يا أحب أبنائى ... وبعد ذلك تبدأ هيلينى عويلها بقولها " يا أفضل من أحببت من أخوة زوجى .. " . وكانت النادبات النائحات تعول عويلاً طويلاً مع نهاية إنشاد كل بيتين من الأنشودة الحزينة .

وكان دفن الجثة يأخذ بعض الوقت ، فشبح باتروكلوس قد طلب ألا يكون الوقت طويلاً ، وجثة هيكتور قد ظلت تسعة أيام قبل حرقها بينما بقيت جثة أخيل سبعة عشر يوماً . وفى هذه الحالات فإن الجثث كانت تضمخ ، وكان يتم تقديم أضحية للميت وكان يسكب دمها فى أكواب حول الجثة . أما عن لحمها فكان يتم أكله فى مأدبة كبيرة . **والطقس الثانى** : كان يتمثل فى نقل الجثة فى موكب جنائزى إلى مكان الدفن ، فكانت الجثة توضع على عربة ذات عجلات أربع ، وتصاحبها النائحات السائرات على

الأقـدام ، بينما كان الرجال المصاحبون يركبون العربات إلى أن يصلوا إلـى مكـان الدفن . والطقس الثالث : وهو الحرق ، والدفن : فكان يأتى دور الأقـارب المقربيـن للمتوفى، فكانوا هم الذين يقومون بهذا الواجب ، فأقرب الناس وأحبهم للمتوفى هم الذيـن يجمعون الحطب ويعدون المحرقة ، ثم يضعون الجثة على كومـة الخشـب . وتقـدم الأضاحى مرة أخرى التى كانوا يأخذون دهنها لتغطية الجثة بينمـا يضعـون لحومـها وجرار العسل والزيت حول الجثة . فعند حرق جثة باتروكلوس فقـد ضحـى أخيـل بأربعة جياد واثنين من كلابه وباثنى عشر شاباً طروادياً وألقى بهم فى النـار . وبعـد انتهاء حرق الجثة فإن الخمر كان ينثر على الرماد لإخماده ، ثم تجمـع العظـام معـاً وتلف فى طبقتين من الدهن ثم توضع فى جرة ، وبعد لفها فى الثياب الأرجوانيـة يتـم وضعها فى المقبرة وتغطى المقبرة بالأحجار الكبيرة ثم يهال التراب عليها .

بعدها يعود أفراد الأسرة إلى منازلهم بعد أن يطهروا أنفسهم كانوا يشاركون فـى المأدبة الجنائزية التى يعدونها وكانوا يتصورون أن روح الميت تحضر هذه المأدبـة . وفى اليوم الثالث ، والتاسع كانت تقام مأدبة عند المقبرة للمتوفى نفسه . وهـذه كـانت نهاية فترة الحداد وهنا حسب تصورهم فإن روح المتوفى تكون قد أخذت مكانـها فـى العالم الآخر .

وقد جرت العادة أيضاً إقامة الألعاب العامة ، والجنائزية بمناسبة موت بطل مـن الأبطال فقد كان الناس مغرمين بالألعاب ، والمنافسات الرياضية ، أما عن المنافسـات الرياضية والبدنية فكانت تتكون من سباق العربـات ، وركـوب الخيـل ، والملاكمـة والمصارعة ورمى القرص ، والاقتتال مثل المبارزة ورمى السهام والرماح ، أما عـن

المنافسات الفنية فكانت تتكون . وتصور لنا الأشعار الهومرية أن سباق العربات كان يمثل الملمح الرئيسى فى اللعاب الجنائزية لباتروكلوس ، وكانت الآلهة تتدخل فيه وتتنافس مع بعضها البعض برعاية كل منها لبطل من الأبطال المتنافسين . والفنية من الغناء والرقص وقرض الشعر . والجزء الأكبر من الكتاب الثالث والعشرين من الالياذة يقدم لنا وصفاً حياً للألعاب التى أقامها أخيل بمناسبة موت رفيقه باتروكلوس ، كما يحتوى الكتاب الثامن من الأوديسة على وصف للألعاب العامة التى كان يصاحبها الرقص والغناء والتى حضرها أوديسيوس فى فياكيا . وتقدم لنا الأوديسة أيضاً الحديث بين شبحى كل من أجاممنون وأخيل والذى روى فيه شبح أجاممنون الألعاب التى عقدت بمناسبة موت أخيل وذكر فيه أن الشباب كانوا يتنافسون ويتبارون فى الرقص والملاكمة من أجل الحصول على الجوائز ، وأنه شهد الكثير من مآتم الأبطال والملوك ، ولكنه لم يشهد قط مأتماً يشبه مأتمه وفى سخاء الجوائز التى جاءت بها أمه ثيتيس . وتكشف لنا هذه الكلمات عن أن ممارسة اللعاب الجنائزية كانت عادة منتشرة فى بلاد اليونان ولعل أحاديث نستور فى الكتاب الثالث والعشرين من الالياذة تؤكد هذا فنجده يذكر انتصاراته عندما كان شاباً فى الألعاب التى أقيمت فى تكريم امارنيكيوس Amaryncus ملك الابيانيين وفى نفس الكتاب أيضاً اشارات إلى الألعاب التى تم الاحتفال بها فى طيبة بعد موت أوديب .

ومما هو جدير بالذكر أن إقامة الاحتفالات الجنائزية وما يصاحبها من منافسات لتكريم المتوفى كانت تسمح لأهله ولأخلافه وأصدقائه بأن يظهروا قوتهم وثروتهم وعظمتهم .

وتكشف لنا الأشعار الهومرية أن الثأر من القاتل أو المعتدى على شرف الأسرة كان من الأمور والقضايا العائلية ، وهذا الثأر يمتد إلى من قتلوا في المعارك وكان على أقارب القتلى أن يأخذوا بثأرهم حيث كان من الأفضل أن القريب *γνωτον* هو الذى ينتقم . بثأره من القاتل ، لقد كانت أندروماخى تخشى أن ابنها قد يقتله أحد أقارب من قاتلهم والده هيكتور وقتلهم . بل أن هيكتور نفسه بقتله لباتروكلوس قد أثار ثائرة أخيل رفيقه وجعله يخرج من عزلته وعزوفه عن القتال وينزل للثأر من هيكتور ويصرعه بالفعل انتقاماً لقتل رفيقه ، وربما يمتد الثأر إلى من قتلوا سواء مصادفة أو غير مصادفة، مثل قول نيستور لتليماخوس إنه لشيء محمود أن يكون هناك ابن يحيى رجلاً مات مثل أوريستيس الذى أخذ بثأره من قاتل والده .

وكان يمكن للرجل القاتل أن يدفع فدية لأقارب القتيل إذا ما قبلوا ونظير دفعه لها يحصل على سماحهم وعفوهم ومن ثم يمكنه العيش فى جماعته ، وكان الانتقام لانتهاك حرمة وشرف الأسرة من الأمور العائلية فقد انتقم أوديسيوس لانتهاك حرمة بيته واستنزاف موارده من قبل الخطاب . ورفض عرضهم بتعويضه عما استنزفوه والتهموه عشرين ضعفاً بل قال إن يدىّ لن تكفا عن الفتك حتى أخذ بثأرى منكم جميعاً، وعندما ذهب إلى والده كاشفاً له عن شخصيته ومخبراً إياه بنبأ قتله للخطاب فكانت فرحة والده غامرة ولكن كان يخشى أن تثير قبائلهم أهل إثياكا والجزر المجاورة عليهم . وبالفعل لما علم أهل الخطاب القتلى تنادوا للاجتماع فى ساحة السوق ووقف والد أنطينوس القتيل يخطب فيهم قائلاً "لا ريب فى أن هذا الرجل قد أنزل بهذه الأرض شراً عظيماً ، إذ استصحب كثيرين من الرفاق البسلاء إلى طروادة ، فأضاعهم جميعاً مع سفنهم وقد عاد الآن وقتل أمراء الشعب . وذلك عار علينا ، تصمنا به الأجيال

القادمة إذا لم ننتقم من هؤلاء الذين فتكوا بأبنائنا وأخوتنا . حقا إننى لا أرغب فى الحيلة إذا بقى عمل كهذا بلا انتقام . فتعالوا إذن نسرع لئلا يركبوا البحر وينجو بأنفسهم ، وبالفعل اقتتل أهل الخطاب من اثيكا مع أوديسيوس وصحبه ولكن أوقف الاقتتال بأمر من الربة أثينا . إذ صاحت عالياً وقالت كفوا عن القتال يا رجال اثيكا فإنه لشديد عليكم" .

ومثال آخر على ثورة الرجل لشرفه وكرامته . فعندما أخذت بريسيس من أخيل أهينت كرامته علانية ، وإذا ما ضاعت الكرامة مرة واحدة ، ضاع الوجود الأخلاقى لمن ضاعت كرامته . فالشرف لا يقاس كما تقاس البضائع فى السوق . والإهانة كانت تساوى ما تساويه الحرب ، فلم تكن بريسيس تساوى شيئاً .

ولكن أخذها من أخيل يساوى سبعة مقاعد لم توضع على النار اطلاقاً . وعشر تالنتات ذهبية ، وعشرين وعاء لامعاً واثنى عشر جواداً من تلك التى تفوز فى سباق الخيل ، وعشرين أسيراً طروادياً وسبع مدن وزوجة من إحدى بنات أجاممنون وبعض أشياء أخرى ، وهذا هو تقدير أجاممنون ولكن هل قبل أخيل هذه الترضية ؟ الإجابة أنه رفض الترضية والهدية . وذلك لأن شرفه وكرامته قد أهينت .

كما كان النفى بمحض الاختيار يمثل عقوبة للقتلة ويكون له اثار اقتصادية على أسرة المنفى ، فقد أصبح لا يعيل ولا يحمى أسرته ، وإذا ما كان صاحب مواهب ومهارات خاصة فأنه يمكنه أن يحيا حياة سعيدة مثل باتروكلوس كمقاتل ومثل كليمنوس كعراف. إن المنفى قد يمكن أن يكون كالغريب Xenus أو Xeinas ، ومن ثم يمكنه أن ينضم إلى أسرة جديدة قد تقبله نظير ما يقدمه لها من خدمات . وكان هؤلاء الغرباء

يتكونون من مقاتلين وعرافين وأطباء وصناع ومنشدين . وكانوا يمنحون الطعام والكساء نظير ما يقدمونه من خدمات . ويقول تليماخوس إن الشحاذ سوف يعمل لحسابه ، وأوديسيوس المتنكر فى ثوب شحاذ عجوز يمكنه أن يكسب قوت يومه من العمل الزراعى ، ولعل تحديه لأحد الخطاب فى أن يباريه فى العمل الزراعى من حرث وحصاد . هو خير شاهد على ذلك ، كما أنه فى تحديه يقول له أيضاً "إذا ما أثار زيوس معارك فى أى بقعة وكان لى درع ورمحين وخوذة برنزية لأضعها على وجنتى ومن ثم فسترانى فى مقدمتها بين القادة الأفذاذ . وهذا يعنى أيضاً أنه يمكنه أن يكون مقاتلاً . ومن الواضح أن الرجال المسلحين كانوا فئة هامة من الغرباء وكانوا يحصلون على ملبسهم وسكنهم لقاء خدماتهم . وحتى عابرى السبيل من الغرباء من السائلين المعونة مثل أوديسيوس والشحاذين مثل أوديسيوس المتنكر . كان يمكنهم أن يحصلوا على مأوى ومأكل إذا ما وصلوا إلى سيد البيت ، وإذا ما كانوا يحملون أنباء سارة فإنهم فضلاً من المبيت والمأكل كانوا يحصلون على هدايا من ملابس وأحذية وأى شيء قد يحتاجونه للطريق ، وكانت هناك شريحة عريضة من الغرباء وهم المسافرون من النبلاء . المسافرون فى أراض ليست أرضهم ، حلفاء حقيقيين فى الحرب ، وجرت عادة الأبطال الهومريين أن يوفروا أماكن لاراحة نبيل من النبلاء الذى يكون بعيداً عن وطنه فى زيارة عائلية أو لتجارة أو لأعمال قرصنة أو فى مهمة رسمية .لقد كان لأوديسيوس دائرة كاملة من الرفاق الذين يبادلهم الزيارات ، وكان تليماخوس قد استثمر هذه العلاقات عندما قام بسفرته باحثاً ومتقصياً لأخبار والده فقد استقبله كل من ملكى بيلوس واسبرطة بترحاب ، وفى اثيكا فقد استقبل تليماخوس مينتيس Mentes الكريتى وأوديسيوس المتنكر . وفى أسبرطة كان على كل من الملك منيلاوس

واتيونيوس Eteoneus تابعه أن يدخلا البهجة على الغرباء لأنهم كانوا غالباً ما يبهجونهم فى أسفارهم .

وتكشف لنا الأشعار عن أن الشك كان يراود بعض بيوت الأبطال فى الزوار وذلك لظروفها الخاصة ، فنجد أن عدم وجود سيد البيت ، كما هو الحال بالنسبة لأوديسيوس قد جعل ربة البيت بنيلوبى تتجاهل الزوار ، لقد كان الشك فى الزوار ليس غريباً فى عصر كان يصعب التمييز فيه بين التجار والقراصنة ، فبعض الأشخاص المسافرين "الغرباء" كانوا يعتبرون أن العنف شرعى للحصول على ممتلكات ، وحتى هؤلاء الذين استقبلوا بحفاوة وترحاب كان يمكنهم أن يغدروا بمن استقبلهم كما هو الحال بالنسبة لبارس ، فقد غادر أسبرطة ومعه زوجة مضيفة ونصف ممتلكاته ، كما أن التاجر الفينيقى قد حصل على ثلاثة كؤوس وأمة وابن الملك وولى الأدبار ، وكان نتيجة هذا بيع ابن الملك كعبد لأوديسيوس .

وكانت الضيافة محكومة بقوانين ثابتة ، فعندما يقدم غريب حسن الملامح نفسه ، فإن أحد أفراد الأسرة يقابله ويريحه من الرمح الذى يحمله الضيف الكريم دائماً ، ويمسك بيده اليمنى ويقوده إلى البهو حيث يجلسه على عرش يواجه الموقد . وتأتى امرأة ومعها إبريق وحوض لغسل يدى الضيف ، ثم تضع منضدة أمامه وتضع عليها خادمة كوب وسلة خبز ، ويحضر مقطع اللحم طبق لحم ، ويملئ حامل الكأس الكوب، وبعد أن يتناول وجبته يتم سؤال الزائر عن اسمه وأسرته وعن وطنه ، وغرض الرحلة، وإذا ما تملص الزائر من السؤال فإن مضيفه يكون حذراً فى ألا يصر على السؤال فى الحال حيث ستتم الاستفسارات فى ظروف أفضل فيما بعد مثلما حدث مع

أوديسيوس فى قصر الكينوس وكان الضيف يشارك الأسرة حياتها طوال فترة بقائه معها . فكان يتم إعداد سرير له فى المدخل المؤدى إلى البهو ، وعندما يغادر ، كان يحصل على هدايا تتلاءم مع مركزه ، ويقدم له كأس الرحيل ، وتسكب السوائل لإرضاء الآلهة ويتم توفير الوسائل والأدوات التى تمكنه من مواصلة الرحلة سواء بالعربة أو بالسفينة وأحياناً ما كان يصاحبه أحد أبناء الأسرة كما رتب نستور لتليماخوس أو بواسطة خادم .

لقد شاع فى المجتمع الهومرى عادة إقامة الولائم والمآدب والاحتفالات ، فقد كان من واجبات الأبطال دعوة ذوى القربى والجيران والأصدقاء ورجال من نفس الطبقة ، لحضور احتفالات الأسرة أو العامة أو بمناسبة زيارة ضيف هام ، فإقامة مثل هذه الحفلات كان يسبغ على السيد الهيبة والاحترام ، كما كان كرم الضيافة يمثل نوعاً من الاستثمار بالنسبة لبعض الأسر. كما نجد أن بعض نبلاء اتيكا والجزر المجاورة فرضوا أنفسهم على بيت أوديسيوس المفترض أنه قد مات وبينلوبى المفترض أنها أرملة . لقد تصرفوا كخطاب دائمين والذين تمت دعوتهم من قبل سيد البيت . لقد كانوا يحتفون ويقيمون الولائم طوال النهار ويستنزفون طعام السيد الغائب وثروته . لقد كانت تلك الاحتفالات وما يصاحبها من ولائم تكلف مقادير ، وكميات كبيرة من الأطعمة والمشروبات ، فقد كان الرجال يتناولون ثلاث وجبات يومياً ، والتى تتكون بشكل رئيسى من الخبز واللحم المنقوعة فى النبيذ . فكانوا يتناولون طعام الافطار (ariston) فى الصباح والغذاء (deeponon) فى وقت الظهيرة والعشاء (derposi) فى المساء . وعندما تقام الولائم فإن الحضور يتناولون وجبتى الغذاء والعشاء . والفترة الفاصلة بينهما كان يقام فيها الألعاب والأغانى والرقص وأنواع أخرى من التسلية والترويح .

وتقدم الأشعار وصفاً رائعاً لإقامة المآدب فكان يقوم الجزارون ، أو أحد أفراد الأسرة بذبح الحيوانات ، وسلخها ، وتقطيعها فى فناء المنزل وكانت عملية الذبح تمثل نوعاً من التضحية على شرف إله ما . فحينما كان يذبح حيوان فإن أحد الأشخاص الحاضرين كان يحتفظ ببعض شعرات من شعر رأس الذبيحة ، ويلقيها فى النار بينما كان يتضرع لصالح الحاضرين . وقد قام يومايوس بهذا العمل لإدخال البهجة ، والسرور على قلب أوديسيوس المتنكر وهو فى بيته . وكان يتم طهى الطعام - خاصة اللحوم - من قبل الرجال فى فناء المنزل فى الهواء الطلق ولكن إذا ما كان المناخ سيئاً فإن العملية كانت تتم فى بناية مسقوفة . وكانت النساء يقمن باعداد الخبز والكعك والشربة والحلوى .

وكان يتم استقبال الضيوف الأعلى مرتبة فى بهو منزل الكينوس وكان يتسع لخمسين ضيفاً ، بينما الضيوف الأدنى مرتبة فى المدخل والفناء الكبير . وكان الرجال المرموقون هم الذين يجلسون وأمامهم مناضد ، بينما الآخرون يجلسون على الجلود المفروشة على الأرض .

عندما يحين وقت تناول الطعام يأتى دور الفتيات ، فبعضهن كن يمسكن بأباريق وأحواض يصببن الماء على أيدى الضيوف ، وأخريات كن يحملن سلال الخبز وكأس لكل ضيف ، وكانت الكؤوس إما فضية وإما ذهبية وبعضها كان يزدان بالزخارف مثل كأس نستور ذات المقابض الأربعة باليمام . ثم يحضر مقطعو اللحم قطع اللحم على أطباق معدنية أو خشبية ، بينما كان حملة الأكواب والكؤوس يخلطون الخمر بالماء فى باطية كبيرة ذات مقبض وأرجل والتى كانت تُملئ منها الأكواب . وكان يتم تكريم

الضيف بتقديم طبق إليه من قبل رب البيت نفسه . وبينما كان يجرى تناول الطعام فـإن الشحاذين كانوا يحومون ويدورون حول المكان آملين فى الحصول علـى قطعـة مـن اللحم والخبز . وكان الحضور يتناولون طعامهم بأصابعهم .

وبعد الانتهاء من الطعام والشراب فى قصر الكينوس يبدأ التسلية والترفيه ويـأتى على رأسها انشاد الشعر من قبل المنشد المحلى مصحوبـاً بأنغـام قيثارتـه . ويعقـب الانشاد تسليات أخرى ، فبعض الضيوف كانوا يلعبون النرد ، بينما البعض الآخر كـانوا يتبارون فى فناء التكريم فى رمى القرص وقذف الرمح . وأحيانـاً كـان يتـم ادخـال السرور من خلال الحواة بألعابهم البهلوانية كما فعل مينلاوس فـى حفـل زواج ابـن وابنـة ، كما كان يتم اجراء منافسات فى المصارعة والملاكمة . فخطاب بينلوبى فـى ليلة طربهم ولهوهم قد حرضوا كل من أوديسيوس المتنكر فى هيئة شحاذ وبين الشـحاذ إروس Irus على التشاجر وحثهما على أن يتلاكمان ويتصارعان . وكان بعض الرجـال يمضون وقتهم فى جو من البهجة حيث كانوا يرقصون فالرقص كان جزءاً رئيسياً مـن تعليم وتربية النبلاء. ولم تخل وليمة أو حفلة من الرقص الذى كان يتبارى فيه الشـباب لابراز مواهبهم وبراعتهم الفنية . فكانوا يرقصون فى فنـاء المـنزل وسـط جمـوع المشاهدين الواقفين ، وكان الرقص مصحوباً بالموسيقى والأغـانى العذبـة . وكـانت الاحتفالات البهيجة تتوقف عند الغروب , ولكن هذا الجو البهيج كـان ينتـهى احيانـاً بمشاكل حيث كان بعض الحضور يسرفون فى الشراب ويفقدون السيطرة والتحكم فـى أنفسهم . ففى حالة غضب أحد الخطاب وكانت الخمر قد لعبت برأسه قد قذف كرسـيه على أوديسيوس المتنكر فى هيئة شحاذ . وأيضاً تلك المشادة بين كل مـن أوديسـيوس وأخيل والتى رددها ديمودوكوس فى إحدى أغانيه .

الحياة الاقتصادية :

ثروة الأسرة :

كان لأرباب oikos سلطة مطلقة فى تصريف شئونه الاقتصادية وثروته التى تتكون فى المقام الأول من الأرض والمنقولات والأنعام والعبيد والكنوز ، فقد كان النبلاء من أرباب الأراضى ، ونجد أن مفهوم الزراعة عند هوميروس كأساس للحضارة ، قد استخدم الأرض لزراعة الحبوب والفاكهة والأعناب والزيتون وزراعة الخضر ، كما استخدمت الأرض فى رعى القطعان . وكان يتم حساب ثروة كبار الملاك بعدد ما يملكونه من رؤوس الماشية وخاصة الثيران والأغنام والماعز والخنازير والعبيد وبجانب هذا فقد كان يوجد الكنوز المخزونة التى كانت تحفظ فى غرف خاصة فى المنزل أو القصر وكان يحفظ بها مخزون المواد الغذائية من الحبوب وجرار النبيذ والزيت والمواد الثمينة والمعادن النفيسة فى شكل ركائز وسبائك والأسلحة ، وكان الغرض من اكتناز المواد والمعادن النفيسة لإظهار الوجاهة وتحقيق المهابة وتحقيق المنافع بتبادلها مع الأقران وذلك بإهدائها لضيوف ينزلون عليهم . والطريقة التى اتبعها الأبطال الهوميريون للحصول على المعادن والعبيد عن طريق الحرب فالإغارات المنظمة بغرض الحصول على الأسلاب كانت شائعة عند هوميروس ونجد أنّ الأبطال الهوميريين قد اعتادوا الحديث عن تجاربهم ومغامراتهم . لقد بدأ أوديسيوس يروى قصته فى قصر الكينوس حول اسفاره من طروادة بالكلمات الآتية : من اليون قادتنى الرياح إلى اسماروس Ismaros وفى أرض الكيكونيين Ciconians دهمنا المدينة وقتلنا الرجال وسبينا النساء واستولينا على الكثير من كنوزهم وقسمناها بيننا وبهذه الطريقة لم يحرم أحد من نصيبه العادل من خلالى .

وهكذا فإن الغنائم التى تؤخذ من الأعداء كان ينبغى تقسيمها بين المشاركين فى الحملة وكان للقائد الحق فى الحصول على نصيب خاص .. ولم تكن الحرب وحدها هى الوسيلة الوحيدة للحصول على المواد النفيسة فكان من الضرورى اللجوء إلى نظام التبادل ونجد العديد من الأمثلة على ذلك للهدايا والهدايا المقابلة ، فالمرء لم يكن يعطى لإدخال البهجة والسرور ولكن يتطلع على المدى البعيد إلى خدمة أو هدية فى المقابل ، فالهدية تخلق التزام بهدية مقابلة فالأبطال يرون وهم يسعدون ضيوفهم ويقدمون لهم الهدايا (الأسلحة ، معادن ، اشياء نفيسة ... الخ) فإنهم كانوا يتوقعون فى المقابل شيئاً عينياً أو خدمة. وبهذه الطريقة فإن التبادل قد نظم وأتم معالجة الفجوة فى الاكتفاء الذاتى. وينبغى أن تؤكد على السمة غير التجارية لهذه المبادلات فالهدايا لكلا الطرفين ينبغى أن تحقق التوازن أو مساوية لبعضها البعض . إن هذا النظام يكون مناسباً لغير الارستقراطيين .

ولم يكن منح الهدايا والهبات حكراً على الرجال فحسب بل نجد أن هناك بعض النساء كن يعطين الهدايا والهبات وإن كانت فى الغالب الأعم من الأشياء التى صنعنها بأنفسهن أو صنعتها إمائهن (٦٦) ، فعلى سبيل المثال فقد أعطت هيلين تليماخوس ثوباً جميلاً لعروسه ، واختارت أرقى الملابس التي ستضعها فى صندوق أوديسيوس ، وعلى نحو أكثر تواضعاً فقد أعطت بنيلوبى لايومايوس مجموعة من الملابس .

ملكية الأرض والزراعة والرعى :

ولما كان اقتصاد اليونان فى هذه الفترة اقتصاداً زراعياً رعوياً ، فإن معرفة نظام الملكية وحيازة الأرض يكون ضرورياً لفهم حقيقى لأنماط حياتهم ولا نستطيع

الحصول على الحقيقة بالنسبة للقضايا الأساسية فى العصر المظلم فعندما دخل أسلاف الإغريق فى الألف الثانية فمن المعقول أن نفترض أنهم زرعوا الأرض ليسوا كأفراد وإنما كجماعة تربطها أواصر الدم والقربى بدرجة ما ، وكان نظام الزراعة والرعى يعتمد على الحقول المفتوحة إذْ كان قطاع من الأرض يزرع على نحو مشترك . وفى العصر الموكينى بنظامه البيروقراطى حدثت تغييرات عديدة فى وضع الأرض . وكما لاحظنا فى الفصل الخاص بالموكينيين أن المجموعة الخطية لم تقدم صورة جلية عن حيازة الأرض فى الفترة ما بين القرن الرابع عشر والقرن الثانى عشر ، ثم وصلنا إلى الغموض والفوضى الناجمة عن الغزو الدورى والفوضى والهجرة إلى آسيا الصغرى .

ومن المرجح أن اليونان فى العصر المظلم سواء أكانوا فى بلاد اليونان أم فى آسيا الصغرى ، قد عادوا إلى نظام العمل الزراعى المبكر وبالنسبة للقرن التاسع وربما فى فترة سابقة فإن الإلياذة والأوديسة تقدم لنا بعض الملاحظات منها : أنه فى الفقرة المشهورة فى الكتاب الثانى عشر من الإلياذة (Ibid 421 - 433) التى نجد بها الآخيين والطرواديين يقاتلون عبر سور أو حائط يفرق بينهم بالمقارنة بين صورة رجلين يتنازعان على الحدود ، فكان فى أيديهما قصبة المساح ، وفى حقل مشترك ، وعلى قطعة أرض صغيرة كانا يتنازعان للحصول على نصيب متساوٍ والصورة هنا هى ، من المرجح ، لحقل زراعى مشترك بين بعض الجماعات ، ومن المرجح مجموعة تربطها صلات القربى والتى يكون لها نصيب مساوٍ ومعروف قد خصص لكل رجل من خلال علامات الحدود من الصخور . والتفسير هنا يكون أنها تشير إلى نوع من نظام زراعة الحقول المفتوح . ويمكن تفسير فقرات أخرى – لتعضيد نفس الفكرة وخاصة المشهد المنقوش على درع أخيل حيث يكون العديد من الحراثين يقودون

أزواجهم من الثيران فى حقول كبيرة وغنية . ويمكن تفسير ذلك أنه فى فترة ما من العصر المظلم ومن المرجح فى بدايته أنّ بعض الأراضى الزراعية ، على الأقل ، قد زرعت وكانت حيازتها مشتركة للجماعة . وإذا نظرنا إلى بعض فقرات الأوديسة يكون انطباعنا أن الكثير من قطع الأراضى كانت فى أيدى الأسر oikoi ويمكن أن يكون ذلك قد حدث فى فترة مبكرة عندما استقر اليونان فى مناطق معينة ، وبمرور الوقت ونتيجة لضعف التضامن بين الجماعات فإن وضع الأسرة الاقتصادى قد بدأ يتضح كوحدة منفصلة . وأياً كان التفسير الصحيح للوضع الأصلى ، فإننا نجد الأسرة فى القرن التاسع قد صارت الوحدة الاقتصادية والاجتماعية . وكل أسرة تملك مساحة ما من الأرض الزراعية والتى استخدموها لزراعة الحبوب والحدائق والبساتين وكلما زاد عدد أفراد الأسرة فإن الأسرة كانت توسع مساحة الأرض التى تزرعها على حساب المناطق المجاورة لها وذلك بتحويل أرض المراعى أو الأرض الفضاء إلى أرض زراعية . وكانت الأسرة بحاجة إلى مراعى لرعى قطعانها ، ومسألة وضع أرض المراعى تكون غامضة ، فقد كانت أرض المراعى فى البداية ، أرض مشتركة للجميع ، ومن جهة أخرى فانه على ما يبدو أن الأسر ادعت ملكيتها لبعض قطع الأراضى التى ترعى عليها قطعانها . وحيث أنّ حدود أرض المراعى غير محددة فان اعتداءات الماشية على أراضى أخرى كان شيئاً مألوفاً وبدون شك فأن كثيراً من المشاجرات قد حدثت بين الأسر وذلك بسبب عدم وضوح الوضع حول أرض المراعى وحدودها .

وكانت الأرض مملوكة للأسرة ككل وتنتقل من جيل إلى جيل ، فالجيل الحالى لا يملك الأرض بالمعنى الحديث للكلمة "يملك" فالأرض تخص الأجيال السالفة والقادمة

بالتساوى والأحياء لهم حق الاستغلال فقط ، وارتبط بذلـك الواجـب المقـدس لحفـظ الأرض التى دفن فيها أسلافهم وأن ينقلوها إلى الجيل التالى . ولم يكـن التخلـى عـن الملكية موجوداً لأفراد الأسر .وكان عدة أجيال من أفراد الأسرة الواحدة مـن الرجـال والنساء والأطفال والعبيد والأتباع يعيشون ويعملون لرفاهية الجميع بالأسـرة . فكـان العمل الجماعى هو الأساس والهدف منه هو تحقيـق الاكتفـاء الذاتـى للأسـرة قـدر الامكان.

وعلى الرغم من أن الجانب الأكبر من الأرض الزراعية والرعوية كانت تحـت يد الأسر العريقة ، فقد وجد مزارعون مستقلون يزرعون أرضهم الخاصة . ويقدم لنـا هوميروس معلومات بسيطة عن هذه الفئة إذ نجده يذكر حالة مزارع يعيش فى أرضـه منعزلاً فلا جيران له ويحافظ على نار موقده ولعل هذه الأرض قد استصلحها صاحبـها لنفسه وكانت حياة مثل هذا المزارع صعبة .

وهكذا فإن مفهوم الملكية عند هوميروس كان ينصب على نوعين من الممتلكـات الثابتة والمنقولة أما عن الأولى فهى الأراضى والمبانى والثانية فهى العبيد والحيوانـات والمنقولات . وكانت هذه الممتلكات تنتقل إلى الابن الشرعى فـلا أحـد مـن خطـاب بنيلوبى ينكر على تليماخوس ابنها أن يخلف والده فى oikos إذ أن ميراث الأملاك كان يؤول إلى خلف شرعى ، فلا يوجد وصايا عند هوميروس ، والخلف عادة مـا يعنـى الذكور الشرعيين وأحياناً غير الشرعيين "ابن منيلاوس" وأيضاً أزواج البنات فى حالـة عدم وجود ابناء ذكور ، فقد سخر أخيل من أينياس لأنه لا يستطيع أن يتمنى أن يصبـح ملكاً على طروادة وذلك لأن بريام له ابناء ذكور من صلبه . ولكن عندمـا ذبـح قتـل

ديوميد كل من اكسانثوس Xanthus وتؤس Thoas ، فإن تركة والدهما قد اقتسمها أقارب بعيدين ، وكما نسمع عن أن والد دولون قد يسعده أن يفتدى ابنه الوحيد لأن أسرته مكونة من ستة أفراد ، بمعنى عتيق فى افتداء الوريث الشرعى .

وكان أصحاب الضياع الواسعة مثل الكينوس وأوديسيوس ، يهتمون بغرس أشجار الفاكهة من الأعناب والكمثرى والتفاح والتين والزيتون ..... الخ وكان زراع العنب أحياناً يقومون بتقليم الأغصان ويجمعون عناقيد العنب فى سلال ويتركونها لمدة خمسة عشر يوماً فى الهواء وعشرة الأيام الأولى منها تترك فى الشمس ثم خمسة الأيام الأخيرة تترك فى الظل ثم يقومون بعصره وبعد العصر كان يصب النبيذ فى جرار لحفظه .

والعناية بالحدائق والبساتين كانت دائمة فكان يتم عزق التربة تحت الأشجار ويتم رى الحدائق بالمياه التي تحتاجها ويبدو أنهم استعملوا السماد . كما زرعوا الحبوب القمح والشعير ، والصورة المنقوشة على درع آخيل تصور الحياة الزراعية فهناك الحصادون وجامعى العنب .

وكانت أساليب الزراعة وأدواتها المستعملة ما تزال بسيطة ولكنها كافية ، فقد لجأوا لمواجهة إنهاك التربة إلى زراعة قسم من الأرض ، وترك قسم آخر بدون زرع ويتم تبديل الوضع فى العام التالى ، فيزرع ما ترك ويترك ما كان قد زرع فى العام السابق . وكان يتم حرث الأرض بمحراث تجره الثيران أو البغال ، وكان يتم حرث أرض الحبوب حرثتين أو ثلاث وكانت الثالثة تتم بعد البذر لاختفاء البذور ، وبعدها كان يتم تزحيف الأرض لتغطية أى حبوب والتى تركها المحراث على السطح ، وكان

يتم تكسير قطع الطين الكبيرة بمدقات . وكان الحصادون يستخدمون المناجل ، وكـــانوا يجمعون السنابل فى حزم وتنقل فى عربات وتدرس فى البيت وتـــذرى فـــى الريـــاح ، واستخدمت الثيران والبغال لتدرس السنابل وكان يتم تقليبـــها بشـــكل دائـــم ولا تـــترك سنابل، وعندما تجمع الحبوب توضع فى جرار وتغلق . وكان الدقيق يطحـــن بالرحـــاة ويخزن فى أوعية من الجلد .

وبجانب الزراعة فإن تربية الحيوانات كانت المصدر الأساسى للثروة ويشيع فـــى الإلياذة والأوديسة ذكر الثيران والأبقار والعجول والخراف والنعاج والماعز وصغارهـــا والخيول والبغال والخنازير وكانت ترعى فى الأودية الخصيبة وعلى المنحدرات غـــير المزروعة وفى الغابات ومن هذه الحيوانات كان يتم الحصول على لحم الطعام والجلـــود والصوف للملابس واللبن وبعضها يستخدم للنقل وجر العربات ، كما يتم استغلال خلايـــا النحل فى الحصول على العسل والشمع وقد ربوا الطيور الداجنة وخاصة الاوز .

وكانت هذه القطعان تبقى خارج المنزل وخارج الحظائر فـــى فصـــل الصيـــف وحينما يحل الشتاء كان يتم ايوائها فى الحظائر التى تمتلئ بها وتقسم حســـب أنواعـــها وأحياناً تخصص حظائر لصغار الحيوانات .

وتكشف لنا الإلياذة والأوديسة عن الاهتمام بالصيد والذى كـــان مـــن مصـــادر السعادة للرجال فكانوا يصطادون الغزلان والماعز البريـــة والذئـــاب والفـــهود وحتـــى الاسود والطيور الحمام ، ويصطادون الأسماك .

فمن الذى كان يقوم بالعمل فى الزراعة والرعى ؟ .

١- أفراد الأسر :

كانت الأسرة الغنية والفقيرة أو الكبيرة والصغيرة تحاول أن تكون مكتفية ذاتيـــاً بمساعدة أعضائها المتباينين فى العدد ، فكل فرد فى الأسرة له نصيبه فى العمـــل ولـــم تكن هناك مهمة محددة فى البداية ولم تكن هناك بعد مهنة وضيعة تمنع الملوك والأفــراد والنبلاء من القيام بها فقد كان الملوك والأمراء يقومـــون بإنجـــاز الأعمـــال الزراعيـــة ورعى القطعان وكانوا يتفاخرون بأنهم يشتغلون بـــها ، لقـــد كـــانوا يحرثـــون الأرض ويبذرون البذر ويحصدون العشب وخير دليل على ذلك تحدى أوديسيوس المتنكر لأحـــد وجهاء اتيكا يوريماخوس Eurymachos "إذا أردنا التنافس فينبغى أنْ نعمل ونكد فـــى المروج فى الربيع فى الأيام الطويلة فينبغى أنْ يكون لدى المنجل المقـــوس وينبغـــى أن يكون لديك واحد مماثل ، وسوف تحصد دون ملل حتى ننتهى من أداء العمـــل طالمـــا بقى عشب وبدون طعام حتى المساء ، وإذا كان لزاماً أن نسوق زوجـــاً مـــن الثـــيران لحرث حقل مساحته أربعة أفدنة سوف ترى كيف أقود الماشية مباشرة فى شق خطـــوط مستقيمة" . وعندما قبل اوديسيوس هذه المنافسة فإنه بدون شك كان قد ســـئم أن يكـــون شحاذاً ولكن هل كان يجرؤ إذا لم يكن قادراً على تحمل الاختبار كفلاح وحراث ! علـــى كل حال فإن يوريماخوس الذى وُجه إليه التحدى كان من ملاك الأراضى ولدينا صـــورة رائعة عن حياة والد اوديسيوس لأرتيس الذى كان يملك ضيعة ريفية وتقع على مســـافة من المدينة وتمتد الضيعة حول منزل مبنى من الحجارة وتقع علـــى جانبـــه الحظـــائر ومبانى إيواء الخدم والعبيد وكان يسعد لأرتيس أنْ يعمل فى حديقته الواسعة التى تضـــم أشجار الأعناب والتين والكمثرى والتفاح والزيتون ونستدل على اتساعها عندمـــا نجـــد اوديسيوس يذكر والده بوعده فى طفولته بأنه سوف يعطيه عَشْرَ أشجار تفاحـــاً وثـــلاث

عشرة شجرة كمثرى وأربعين شجرة تيناً وخمسين صنفاً من الأعناب ، وكانت الحديقة محاطة بسور. ومن الجدير بالقول أن أوديسيوس عندما عاد والتقى بوالده وجده يعزق الأرض تحت شجرة ويرتدى ملابس قديمة قذرة ، وكان يحمى ساقيه بجلد ثور من الأشواك ويلبس قفازاً لحماية يديه ويغطى رأسه بقلنسوة من جلد كلب ، ويعاونه فى مزرعته اثنتا عشرة عبداً ، وأبناء الملك كانوا يشتغلون بالرعى بمحض إرادتهم كما كان الإله أبولو وكان المالك لا يستطيع العمل وحده فى العمل الزراعى بل كان يعاونه الأبناء والرجال الأجراء وأحياناً العبيد والأتباع وكانوا يعملون فى الحصاد وجمع الأعناب والزيتون ورعى القطعان . والرعاة من العبيد ومن الأحرار أيضاً . وكانت النساء يعملن فى الحقول إذ نجدهن يشاركن الشباب فى جمع العنب ويجلبن المياه من مسافات بعيدة وإعداد الطعام وكان إعداد الخبز والوجبات الأساسية وطحن الدقيق باستخدام الأرحاء . ولما كان الطحن من الاعمال المجهدة فقد قامت به الإماء والخادمات ، كما كان من واجبات المرأة نسج الملابس ، فكل عمليات الغزل والنسيج كانت تتم فى المنزل ، وكانت سيدة المنزل تسلم الصوف للخادمات والإماء للقيام بتنظيفه وندفه ثم يغزل وينسج تحت إشرافها وقام بهذا العمل نساء الملوك مثل بينلوبى وأرتى Arete زوجة الكينوس . وكان يصاحب مراحل النسج المختلفة الغناء كما كان على النساء غسل وتنظيف الملابس وهذا لم يكن واجب نساء الطبقات الدنيا فحسب بل نجد بنات الملوك يقمن بهذا العمل . فبالقرب من طروادة كان يوجد مكان فسيح عند صخرة حيث كانت زوجات وبنات الطرواديين يغسلن الملابس الغالية وتعرف الأميرة نوسيكا أنّ إخوتها كانوا يريدون ملابس نظيفة للرقص ومن ثم فقد حملتها ومعها خادماتها وكن يسقن العربات إلى مكان الغسيل . والمرأة المثالية هى التى تجمع بين

الجمال والثراء والذكاء مع يدين ماهرتين دون اهانة فى تذكيرها .

كما نجد أن الرجال النبلاء والوضعاء يقومون بأداء كل أنواع الحرف فى المنزل. فكل الواجبات والمهام تناسبهم ، فقد كانوا صناع صنادل وأحذية ، لقد صنع يومايوس الراعى لنفسه صندلاً وقطع أوديسيوس شريطاً من جلد بقرة وكان أوديسيوس بناءً ايضاً فقد بنى وحده منزله كما بنى يومايوس حظيرة خنازير وكانوا نجارين وصناع صناديق وبناة قوارب كما كانوا قاطعى خشب ، فنجد يومايوس يحيط مخدعه بحاجز من خشب شجر البلوط ، وصنع أوديسيوس ابواب منزله ثم اثثه ، وصنع من شجرة زيتون ضخمة سرير طعمه بالذهب والفضة والعاج ، كما نجده يصنع قاربه وكل فلاح كان يعرف طول قطعة الخشب التى يختارها لصنع رحاة وعجلة العربة وقوالب وأجزاء محراثه وأدوات الزراعة

٢- عمل العبيد والرعاة الأجراء ودورهم فى مجال الزراعة والرعى :

لم يشكل العمال الأجراء Thetcs نسبة كبيرة من العمال الزراعيين وعلى العكس من ذلك فقد شكل العبيد الجانب الأكبر من العاملين فى حقل الزراعة والرعى ولم تكن الصناعة والتجارة بحاجة إلى عبيد . فنجد أن أوديسيوس كان يملك عدداً كبيراً من العبيد فكان بيته يضم خمسين فتاة ، وكان يحرس قطعانه ثلاثون من الرعاة واثنتا عشر رجلاً اشتغلوا فى زراعة الحبوب والكروم ورعاية أشجار الفاكهة . أما والده لأرتيس الذى انسحب إلى الريف وعاش فى مزرعته فقد احتفظ بسيدة عجوز حتى ترعاه ودوليوس Dolius وستة من أبنائه وزوجته وبعض العبيد للقيام بأعمال الزراعة وكان عددهم اثنتا عشر عبداً . وكان الرجال الذين يعملون فى الحقول والرعى أقل

عدداً من عدد النساء فى المنزل وكان العمل المنزلى يقوم بـــه النســـاء فكـــن يطحـــن الحبوب ويعجن الدقيق ، ويخبزن الخبز ويجهزن الشربة ويغزلن وينســـجن ويخيطـــن ويطرزن تحت إشراف ربة البيت أو مديرة المنزل الملكى . وفى نفس الوقت كن فـــى الخدمة لإسعاد رب الدار . ولكن كن يذهبن إلى الحقول فى موســـم الحصـــاد لإعـــداد وجبات الحاصدين . أما الرجال فكانوا يكلفون باعمال قليلة فى المـــنزل مثـــل إعـــداد وتجهيز العربة لنوسيكا بناءً على أمر والدها ، وفى قصر أوديسيوس نجد عبداً يعـــاون الإماء بالحمام ، وكان الرجال يقطعون الخشب ويخدمون ويقطعون اللحوم فى الأعيـــاد والاحتفالات ، ففى أحد الأعياد وجدنا مربى الخنـــازير يومـــايوس يـــوزع الأكـــواب ، وراعى البقر يحمل الخبز ، وراعى المـــاعز كحـــامل للأكـــواب ، ونجدهـــم يعملـــون كمحترفين ، ولكن كانت العناية بقطعان الحيوانـــات الخاصـــة بـــالحمل أو الحيوانـــات الصغيرة ، وكان على البعض منهم القيـــام بالعمليـــات الزراعيـــة المختلفـــة ، ونقـــل المحصول وإعداد الخمر ، فقد كانوا فى الحقول مع مطلع الفجـــر ولا يعـــودون إلـــى المنازل إلا فى المساء ، وبعد تناولهم وجبة العشاء كانوا ينامون فى المبانى الخارجيـــة حول الفناء وفى الشتاء كانوا ينامون على الأرض فى القاعة الرئيســـية طلبـــاً للـــدفء وكان سيدهم ينام معهم أحياناً كما كان يفعل لاأرتيس .

ومع ذلك فإن عدداً كبيراً من العبيد لم يعيشوا فـــى المنـــازل ، لأنـــهم اشـــتغلوا واعتنوا بتربية ورعى الحيوانات لحساب سادتهم إذْ إنَّ بلاد اليونـــان الهومريـــة كـــانت أرضها الزراعية أقل من أراضى المراعى المشاعية وكانت المزارع محاطة بمســـاحات واسعة من الأرض المشتركة فقد كان يتمتع كل مواطن بحق رعى قطعانه بها . وكـــان العبيد الرعاة يحضرون لسادتهم الحيوانات المطلوبة للذبح ولعل هذا كان يحدث يوميـــاً

من قبل أرباب القصور أو فى المناسبات بالنسبة للأسر الفقيرة وفى المقابل كــان بيــت السيد يقدم الدقيق والخمر للعبيد وكانوا يذبحون أحياناً حيوانـــاً أو حيوانيــن لطعامــهم ولإطعام ضيوفهم مثلما فعل يومايوس عندما استقبل باحترام الضيف الذى أرسلته الآلهـة إليه وهذا الضيف هو اوديسيوس المتنكر فى هيئة شحاذ .

وكان هؤلاء الرعاة يعيشون بعيداً عن الأراضى المزروعة أى فـــى الأوديــة أو فى الأودية الضيقة إذْ توجد حظائر الدائمة للحيوانات التى كانت تأوى إليـــها القطعــان لحلبها ولإرضاع صغار الحيوانات ولحمايتها من الحيوانات المفترسة ولحمايتـــها مــن الرياح وكانت تقع الحظائر بالقرب من جداول المياه لسقى الحيوانات . وكانت تســتخدم الكهوف كحظائر فى بعض الأحيان . وكانت هذه الحظائر بسيطة فكــان يتــم فرشــها بالقش ويتم تسويرها . وكان الرعاة يستخدمون كلاب الحراسة الشرسة . أما عن بيــوت الرعاة فكانت بيوتاً بسيطة ، ومنزل يومايوس خير شاهد فكــان يتكــون مــن مدخــل وحجرة كبيرة وبها الموقد وكان أثاثه بسيطاً . فكان منضدة لتقطيــع اللحــوم ، وجلــود أغنام وماعز مفروشة على الأرض أمام الموقد وكان الرعاة يســتخدمونها فــى النــوم عليها . وفى مناطق الغابات كان الرعاة يعيشون فى مجموعــات صغــيرة يخضعــون لإشراف مشرف مسئول أمام المالك وكانت حياتهم خشنة إذْ كانوا ينامون فـــى الخــلاء ويحرسون القطعان من هجوم الحيوانات المفترسة مثل الذئاب والنمــور والأســود . أو من سطو رعاة آخرين، فنجد يومايوس بعد أنْ وفر أسباب الراحة لضيفـــه أوديســيوس المتنكر خرج فى الليل لتفقد القطعان خشية هذه الأعمال وكــان مرتديــاً قبعــة طويلــة ومعطفاً من جلد الماعز ومسلحاً بسيف ورمح مســنون . ونجــد منظــراً علــى درع اخيليوس لأربعة رعاة يحاولون ومعهم كلابهم أن يقضوا على أسدين كانا قد قتلا ثــوراً.

كما نجد أن هجوم المسلحين من المدن المجاورة والقراصنة الذين كانوا يأتون من أماكن بعيدة بغرض السطو والاستيلاء على القطعان .

إن دور الرعاة الاقتصادى فى المقام الأول هو تقديم اللحوم الطازجة والأصواف والجلود وعمل الجبن . وتقدم لنا الأوديسية على لسان أوديسيوس وصفاً مفصلاً عن صنع الجبن فى بيت الكوكلوبس إذ يقول " دخلنا الكهف فقدرنا أنه مسكن راع غنى حاذق ، إذْ كان هناك حظائر لصغار الغنم والماعز مقسمة حسب أعمارها ، وكانت هناك سلال ملأى بالجبن ، ودلاء طافحة باللبن صفت حذاء الحائط ..." وهناك الآنية التى تحلب فيها الحيوانات . وعملية تصنيع الجبن معروفة جيداً فى هذا العصر ، فقد كانت القطعان تخرج للرعى فى الصباح الباكر ، بعد إرضاع صغارها وتبقى الأخيرة فى المنزل ، وعندما يحل الظلام فإن القطعان من الأمهات كانت تعود إلى المنزل وضروعها ممتلئة وتنادى بجلبه على صغارها وكان صغارها يخرجون من عششهم ، وكان يتم حلب الأمهات قبل أن تعود إلى حظائرها وكان يترك جانب من لبنها فى ضروعها لإرضاع صغارها . وكان اللبن الحليب يستخدم للطعام ولصناعة الجبن حيث كان يخثر اللبن بسرعة واللبن المثر كان يوضع فى سلال الأسل كى يقطر وبعدها فإن الجبن يعجن ويضغط والجزء الصلب كان يوضع على أطباق مجدولة فى منطقة محمية حتى تتم عملية التجفيف .

أما عن أصل ومصدر العبيد فمنهم من فقد حريته نتيجة الأسر أو الشراء أو الاختطاف وأيضاً أبناء العبيد كانوا عبيداً ، أما العبيد بالمولد فلدينا مثال إذ نجد العبد دوليويس كان عنده سبعة أبناء من زوجته الصقلية وستة من هؤلاء عملوا لحساب

لأرتيس نفسه أما السابع ميلانثيوس فقد صار رئيسا لرعاة الماعز ولكنه خان سيده وانضم إلى جانب الخطاب وأخته ميلانثو Melantho قد سبق في منزل أوديسيوس وصارت خادمة هناك ولكنها هي الأخرى تصرفت على نحو سئ في إقامتها علاقات غير شرعية من الخطاب وبعض العبيد والإماء وكانوا من الأحرار وخاصة النساء وتم بيعهم من قبل أبائهم وكانت الإماء من هذا المصدر يتم احترامهم وتمييزهم من قبل ساداتهم لجمالهن ، ونعرف أن بعضهن قد تم شراؤهن بأثمان عالية فنجد لأرتيس يشتري ايوريكليا الكريمة المحتد بعدد لا يقل عن عشرين ثوراً ، فقد كرمها مثل ولكنه زوجته ولكنه لم يجرؤ على أن يجعلها خليلته خشية غضب زوجته انتيكليا Anticileia فقد كانت مربية أوديسيوس ثم من بعده تليماخوس ثم اختتمت حياتها كمديرة للمنزل . ومن مصادر العبودية الأسر ففي الحروب كان من التعارف عليه قتل أغلب الرجال ويؤخذ بعض النبلاء والذين قد يدفع عنهم فدية كبيرة فعلى سبيل المثال نجد ليكاؤن Lycaon بن برياموس كان قد بيع على يد اخيل بعدد مائة ثور وقد حقق مشتريه ربحاً كبيراً لأن ليكاؤن قد افتدى بثلاثة أضعاف الثمن الذي دفع . أما النساء والأطفال فكان يتم أخذهم لأنهم كانوا يشكلون غنيمة كبيرة . حيث كان يمكن بيعها في أسواق النخاسة الموجودة وخاصة السوق في جزيرة حيونس التي تخصصت في بيع النبيذ والعبيد وكانت القرصنة مصدراً من مصادر الحصول على العبيد .

لقد حقق التجار الفينيقيون شهرة كبيرة في هذا المجال ويخبرنا يومايوس كيف أن بعض التجار الفينيقيين الذين كانوا قد رسوا في سيروس Syros قد قبضوا عليه عندما كان طفلاً بمساعدة أمه وأبيه وكانت من مدينة صيدا وفي منطقة شمال بحر إيجة فإن رجال ليمنوس Lemnos قد هاجموا بانتظام سواحل تراقيا للحصول على العبيد

وفى الغرب كان التجار الأساسيين هم من التفنيين Tapheins والتليبونيـن Teleboens فكان هؤلاء القراصنة لا يترددون فى الهجوم على غنائم عندما تسنح لهم الفرصة ويخبرنا أوديسيوس بدون خجل كيف أنه عندما رفعت به الرياح إلى الساحل التراقى عند اسماروس فهاجمها وقتل بعض رجالها واستولى على بعض نسائها . وهكذا نجد أن هناك روافد للعبودية فى ظل المجتمع الهومرى والآن ما هو وضع العبد فى أسرة سيده . فنجد أن العبد بمجرد أن يدخل فى خدمة سيده فإن وضعه لم يكن سيئاً فقد أصبح جزءاً من الأسرة بنوع أدنى من التبنى ، وهذا الوضع يجعله فى وضع المعاون مثل التابع ولهذا فإن العبد لا يعد مثل الدواب وله شخصيته وبدون شك فإن السيد له حق إبقاء أو قتل عبده ولكن ليس أكثر مما للزوج على زوجته أو الأب على أولاده كرئيس للأسرة أن العبيد الشباب الذين يربون فى المنزل كانوا يعاملون بالحسنى فنجد يومايوس الذى تربى وكبر فى بيت لارتيس قد دعى أوديسيوس بأخيه المحترم ، إذ بقى فى المنزل إلى أن بلغ العشرين وبعدها أرسل للعمل بالرعى فى الحقول وقد منح ملابس جديدة ومعطفاً طويلاً ورداء وصندلاً ، وعندما يتكلم إلى أوديسيوس فإنه يمتدح لطف أمه انتيكليا التى استمرت تراقبه بشعور الأم من بعيد وعندما تموت انتيكليا فإن زوجة ابنها بنيلوبى تأخذ دورها فى الحماية وأيضاً نجدها أخذت ابنة العبد دوليوس كى تعيش معها وكانت قد أولتها بعنايتها ورعايتها كما لو كانت ابنتها . إنّ ما يتأسف عليه يومايوس هو سوء حظه الذى سببه الخطاب فيعلن أنه خسر كل شىء مع أنه كان لديه ما يكفى لطعامه وشرابه وحتى ما يمكنه إسعاد الضيوف ، ولكن يتأسى أنه لم يعد يسمع الكلمات العذبة لسيدته والعبيد يحتاجون أن تروى سيدتهم وأن يتحدثوا إليها ويطلبوا منها النصح وأن يأكلوا ويشربوا فى منزلها .

ان المعاملة الطيبة تولد الشعور بالامتنان وتجعل العبد ينسى ميلاده رويداً رويداً . ونتيجة لذلك فإن غياب أوديسيوس الطويل لم يضعف شعور الواجب لعبيد الريف وعندما عاد أوديسيوس وكشف عن شخصيته فإن عدداً كبيراً من عبيده لم يخف فرحتهم ومشاعرهم تجاه سيدهم ولعل كلمات يومايوس الموجهة إلى أوديسيوس المتنكر خير شاهد على الوفاء والحب كم سيكون سعيداً إذا ما كان أوديسيوس موجوداً فإنه سيمنحنى منزلاً وأرضاً وزوجة جميلة وكل الأشياء الطيبة التى يمكن لسيد أن يمنحها للعبد الذى يعمل بجد له والذى صار عمله مستمراً بواسطة الإله . وكل هذه الأمانى والرغبات قد تم الوفاء بها بعد عودة سيده . ونجد أن يومايوس قد تمكن من شراء عبد .

ومع استمرار ولاء الغالبية فإنّ عدداً قليلاً قد تمرد على سلطة ربة المنزل أثناء غياب زوجها وكانت عقوبتهم شديدة فقد تم قتل راعى الماعز ميلانثيوس وقتل اثنتى عشرة أمة كن قد عصين بينلوبى وأقمن علاقات غير شرعية مع الخطاب .

٣- العمال الأجراء : Thetes

وكانت بعض الأسر تحتاج إلى جهود عمال أجراء بالاضافة إلى أفرادها وعبيدها لإنجاز الأعمال الزراعية والرعوية ، وكان هؤلاء العمال الأجراء من الأحرار ويمثلون طبقة متواضعة تكسب لقمة عيشها بالكد والعرق ويحصلون لقاء عملهم على الأجرة ويتكون هؤلاء من المطرودين من أسرهم أو من الفارين من ثأر أو من الراغبين فى المغامرة والتغيير أو من العبيد الآبقين . وكانت أحوالهم سيئة وكان عليهم العمل الشاق كى يدافعوا عن وجودهم فالرجل بدون بيت لا يحسب كمواطن ولا حقوق له والغريب ، فوق كل هذا ، محروم من اللجوء للقضاء عند الاعتداء عليه وعند

المعاملة السيئة لأنه ليس له قيمة الإنسان . والبعض منهم احترف الشحاذة والتشرد .

وكان العمال الأجراء عمالاً فقراء لأنهم لا يملكون أرضاً ولا مهنة أو حرفة . وأغلبهم قد عمل فى حرفة الرعي ، فكان بعض رعاة الأغنام فى اثيكا من الغرباء الأجراء، وعندما ظهر أوديسيوس ، فقد كان فى ثوب شحاذ ، وكم سيكون يومايوس الراعى سعيداً لو احتفظ به كعامل مساعد كما نجد أن الراعى ميلانثيوس قد عرض اقتراحاً بأن يعمل مشرفاً على الحظيرة وتنظيفها ويحمل العلف إلى صغار الحيوانات . كما نجد البعض منهم عمل فى مجال الزراعة فى الضياع الكبرى وعند الملاك المتوسطين فنجد أحد الخطاب ايوريماخوس قد عرض على أوديسيوس العمل عنده قائلاً : أيها الغريب إذا أردت أنْ تعمل كعاملٍ أجير فسوف استأجرك ، سوف تعمل فى الجزء البعيد من أرضى ، لتبنى جسراً من الحجر ، وتغرس الأشجار . وفى مواسم العمل الزراعى فإن المزارع الصغيرة كانت تحتاج إلى عمل الأجراء . وسبق أن عرضنا الحوار الذى دار بين أوديسيوس وبين ايوريماخوس . كما نجد العمال الأجراء يعملون لدى الأسر الكبيرة ويقومون بأداء أنواع من الأعمال المختلفة فالبعض منهم عمل مجدفاً ، كما نجد أوديسيوس يعرض أن يقوم بأداء أى عمل يسند إليه بسرعة إذ نجده يقول "سوف أوقد النار وأقطع الخشب واللحم وأسلقه وأصب الخمر وأقوم بأداء كل عمل يقوم به الوضيع لحساب الرجال العظام .

ونجد أن النساء قد عملن كأجيرات فى المنازل ونادراً ما ذهبوا لإنجاز أعمال فى الحقول وإذا ما ذهبوا فكانوا يذهبون لإعداد الطعام للحصادين . وكانت القصور تحتوىَ على العديد من النساء الحرائر المأخوذات إذْ عمل بعض كمرصفات وخدم على

الموائد ويرتبن السرر ويجهزن الحمام ، ويغسلن الملابس ويقضين بقية الوقت فى الغزل والنسج وكانت مدد العمل تختلف وفقاً لارادة الأطراف ، فبعض الأعمال كان يتم انجازها بالمقاولة مثلما حدث فى الاتفاق بين أوجياس Augeias وهرقل حيث يقوم الأخير بتنظيف الحظائر ، كما نجد هرقل بقى مع او مفالى Omphale لمدة ثلاث سنوات ، والبعض الآخر كان يعمل لانجاز مهمة محددة مثلما فعل بوسيدون وأبوللون فى العمل لمدة عام لبناء سور طروادة .

وكانت الأجرة دائماً محدودة بشكل واضح ، فكان للعامل الحق فى الحصول على أجره الذى يتم الاتفاق عليه وكانت الأجرة عينية فقد وعد أوجياس هرقل بأن يحصل على عُشْر الماشية أى الحصول على حصة من الزيادة فى القطعان . ومن المرجح أن نفس الشيء قد حدث فى المواد التى يصنعونها ولكن كانت الحصة غير كبيرة فالمرأة التى تعمل فى حقل النسيج كانت تواجه صعوبة فى إطعام أطفالها من أجرها الزهيد والعامل الأجير لا يمكنه الاعتماد على وعد المؤجر ونجد الحوار بين أوديسيوس وايوريماخوس إذ نجد الأخير يخاطب الأول : أتقبل أن تكون أجيراً لى قالها إننى أقدم شروطاً جيدة فسوف أعطيك ملابس وأحذية ، وعندما تظاهر أوديسيوس برغبته فى أن يخدم الخطاب ، فلم يطلب أجراً ولكنه طلب طعامه فقط ، والأجير لا يكون متأكداً من حصوله على مؤنة كافية ومتنوعة نجد رجلاً يعد يرعى قطيعه من الماعز بأنه سيكبر ويسمن من شربه اللبن وحتى العمال المؤقتين لا يحصلون على أكثر من طعام عدة أيام، وفى وقت الحصاد كان الحصادون يحصلون على أجرتهم فقط من لحم الثور المذبوح بمناسبة الحصاد .

وكانت حالة خادمات المنازل الكبيرة أفضل ، فمع أنهن لم يتميزن عن الإماء إلا أنهن كن يقمن بالأعمال الجيدة وكن يعتبرن أنفسهن من أعضاء المنزل . وبعضهن عمل كمديرات للمنازل والبعض الآخر مارس الأعمال المنزلية المختلفة .

وعلى أية حال فكانت حالة الأجراء سيئة لقلة أجورهم وأيضاً عدم ضمان الوفاء بها فالعقد الذى يربطهم لا يربط سيدهم فلا حقوق لهم . فماذا يمكن فعله لو أن السيد لم يف بوعده ؟ عندما انتهى بوسيدون وابوللون من العمل لمدة عام عند لاوميدون وطالباه بالأجرة رفض الأخير إعطاءهما أجرتهما وهددهما بأنه إذا لم يرحلا بأسرع ما يمكن فإنه سيقطع أذنهم ، فاضطرا لمغادرة طروادة بقلوب متألمة وأيدى خالية . فماذا يمكنهما عمله ؟ لقد ضمن هرقل أجره لثلاث سنوات مقدماً من ادمفالى من خلال حق البيع الوهمى ولكن حالته كانت استثنائية وهرقل ذاته تعرض لخديعة ملك طروادة الذى وعده أن يعطيه مكافأة سخية عندما يقضى على الخطر الذى يهدد المدينة . وكان بعض هؤلاء العمال يضمنون مستقبلهم والبعض منهم مثلهم مثل الشحاذين.كانوا مهددين بأن يغلوا بالسلاسل ويباعوا كعبيد فى جزيرة بعيدة . والبعض منهم يتحول إلى شحاذ عندما لا توجد فرص عمل ولم يكن أمامهم سوى التسول والتشرد ، وكم من هؤلاء المتسولين نراهم فى الأوديسة ضعافاً ، شاحبى الوجوه ، جائعين قذرين . وكانوا يتجولون فى الريف وفى المدينة ويذهبون من منزل إلى منزل ويظلون أمام الأبواب انتظاراً لما يجود به صاحب المنزل أو الحصول على بقايا الطعام المتبقى على المائدة . وقد نظر إليهم على أنهم رسل زيوس حاميهم وقد استغل البعض منهم هذا وفضل هذا النوع من حياة التشرد والتسول ، وكانت المنازل الكبيرة لا تخلو من المتطفلين مثل إيروس Iros الشحاذ فى بيت أوديسيوس وسنتكلم عنهم فيما بعد عند الحديث عن الحرف والمهن .

الصناعة والحرفيون

احتلت الصناعة مكانة كبيرة بجانب الزراعة وتربية الماشية وصيد السمك وكان الغرض منها هو سد الاحتياجات المحلية ، وقد استخدم اليونان فى هذا العصر مواد البناء (الحجر والرخام) والمعادن (نحاس ، صفيح ، فضة ، ذهب) والمنسوجات (الصوف والكتان) والخشب والجلود والصلصال اللازم لصناعة الآنية الفخارية . ولا تقدم لنا المصادر معلومات عن استخدام المحاجر أو مناجم المعادن ولا نعرف إذا ما كان اليونان قد زرعوا الكتان أم لا ، وكانوا يحصلون على الصوف والجلود من الحيوانات التى يربونها والتى يصطادون البعض أحياناً وقد قدمت الغابات كميات وفيرة من الأخشاب . إن وصف الإلياذة للقصور الفخمة والمملوكة لبرياموس وأوديسيوس ونستور ومينلاوس والكينوس تقدم دليلاً على وجود المبانى الضخمة المزينة وأيضاً المبانى والمنازل العادية . وقد اشتغل نفر من السكان بصناعة وسبك وتشكيل المعادن الرخيصة والنفيسة فتكشف لنا الأشعار عن وجود الحدادين وصناع الأسلحة وصانعى الذهب ، وقد زين هؤلاء موادهم المصنعة بزخارف رائعة ومنها درع أخيل فى الإلياذة وحزام هرقل فى الأوديسة وأسلحة أجاممنون فى الإلياذة والكثير من المزهريات المعدنية (من الذهب والفضة والبرنز) وتكشف الإلياذة والأوديسة عن أن الحداد كان يعمل بأدوات هى : المنفاخ والسندان والشواكيش والملاقط . وقام صانعوا الذهب بنقش مشغولاتهم واستخدموا الطرق وطعموا منتجاتهم بالأحجار الكريمة وصناعة رقائق من الذهب وشكلوا منتجات مختلفة من العنبر والعاج ، والذهب . وقد انتشرت صناعة الملابس وكانت تتكون من غزل ونسج الكتان والصوف وحياكة الملابس وتطريزها وصناعة السجاد وسبق القول أن هذه العمليات كانت تتم فى المنازل .

أما عن صناعة الجلود فكان يتم دبغها وتنظيفها وبعد ذلك يتم استخدامها كمعاطف فى صناعة الدروع والأحذية .

وكانت صناعة الخشب متطورة فكان يتم قطع الأخشاب من الغابة وتنقل جذوع الأشجار على ظهور البغال وتقطع وكانت تستخدم فى بناء السفن وصنع الأثاث وأدوات الزراعة مثل المحاريث وغيرها . وكان النجارون ونجارو السفن يعملون تحت رعاية والهام الربة اثينا التى ألهمتهم اياها . كما ازدهرت صناعة الفخار فى هذا العصر واستخدم الفاخورية العجلة لصنع الآنية والمزهريات .

وبعض الصناعات السابقة كان يتم فى المنازل مثل النسيج وصنع الآنية والجلود وصنع المواد الخشبية ، فنجد النساء كن يقمن بغزل ونسج الصوف وحياكة الملابس وتطريزها وصناعة السجاد ، كما يتم صنع الصنادل فى المنازل كما فعل يومايوس ، كما كان أوديسيوس ماهراً فى النجارة فصنع أبواب بيته وصنع سريره من جذع شجرة زيتون عتيقة وبنى قارباً وقد يكون أوديسيوس استثناءً عن القاعدة فهناك صناعات وحرف تحتاج إلى متخصصين مثل صناعة المعادن وتشكيلها وبدون شك حرفة البناء وصناعة الفخار ، وهناك ذكر لحرفيين متخصصين فى صناعة الأسلحة مثل تيخيوس Tychios ولايركيس Laerces الذىالذى استدعى لتزين قرون ضحية بالذهب مقدمة من نستور للالهة اثينا وكان قد أحضر معه أدواته البرنزية مثل السندان والمطرقة والكماشة فقد طرق الذهب فى شكل رقائق ولف هذه الرقائق حول قرنى الضحية وقد عمل صانعوا الذهب تحت رعاية الإلهة أثينا والإله هيفايستوس وكان الأخير راعياً وحامياً لكل الحرف والصناعات التى يستخدم فيها النار وكان ملهماً

للحرفيين .

وكان يعمل الحرفى فى ورشته الخاصة وخاصة الحداد الذى وحدته ورشة حدادة وكانت ملتقى فى أيام البرد للمتعطلين والمتسكعين وقد نصح هيسيود الرجال بقوله إن على الرجل الجاد أنْ يمر عليهم دون أنْ يتوقف ، وكانت تتكون من موقد ومنفاخ من الجلد وسندان وصندوق أدوات ومطرقة وكماشات قصيرة وطويلة الأيدى لسك المعادن الساخنة الحمراء على السندان . وكان لبس الحداد بدون أكمام ومفتوح من الجانب الأيمن ليترك كتفه ونصف صدره حراً وكان يقوم بتشكيل المعدن سواء أكان من الحديد أو البرنز حسب طلب العميل . وفى بعض الحالات التى لا تحتاج لأى أدوات ثابتة أو ثقيلة كان صانعو المعادن يقومون بأداء العمل فى بيت العميل كما ذكرنا سابقاً عن صائع الذهب الذى أخذ أدواته معه . ومن الملاحظ أنه لا يوجد حد فاصل بين صناع المعادن مثلاً والحدادين وصائغى الذهب فنجد لايركيس أحد صناع المعادن وصف كحداد وكصائغ ذهب . وكانت هذه الحرفة تحتاج إلى كفاءة عالية ومهارة خاصة والتى لا تتأتى لصانع إلا بعد تدريب ، ولدينا بعض الإشارات عن حرفيين قد أنتجوا الآنية والمراجل وحلى الزينة والسلاسل والعقود والميداليات والدبابيس والتيجان وزينة الصدور .

وتقدم لنا الأشعار أيضاً إشارات عن صناع الأسلحة والأدوات العسكرية التى كانت تحتاج إلى متخصصين وخبراء فى صناعتها وتطعيمها وهناك أيضاً صناع تخصصوا فى صناعة الدروع والخوذ والتى كانت صناعتها معقدة . كما نجد صناع معادن قاموا بصنع الآنية ومن أشهرها الآنية ثلاثية الأرجل والتى كان يمكن وضعها

على النار ويتم استخدامها لنقل اللحم المسلوق من مكان الطبخ إلى حجرة الطعام وهناك وصف لإناء من هذا النوع قد صنعه الإله هيفايستوس لصديق له وكان له عجلاته من الذهب كما نجد أن أخيل قد خصص إناء من هذا النوع كجائزة للفائز في سباق العربات وكان اناءً ضخماً (اذان) سعته حوالى ١٧ جالوناً كما انتجوا كل أنواع المراجل والرواقيد والآنية الجنائزية وأوعية المطبخ وأكواب الشراب وكل هذه الأدوات صنعت من البرنز والنحاس ولكن البعض منها صنع من معادن نفيسة ويتم زخرفتها بالأشكال الزخرفية ، كما نجدهم يساهمون فى تزيين القصور ومنها قصر الكينوس الذى زينوه بأطباق من البرنز ذات الإفريز المطلى باللون الأزرق عند حافته العليا . وخططوا العتبة بالبرنز وغطوا أو كسوا الأجناب المدعمة والعتبة العليا للباب برقائق من الفضة والباب نفسه برقائق من الذهب وعرفوا أيضاً كيف يمكنهم نحت الخشب في شكل تماثيل وتغطيتها برقائق الذهب والفضة ومنها الكلاب الرائعة التى تحرس بوابة قصر الكينوس وحمالة المشاعل الذهبية التى تزين بهو القصر . كما نجد الحدادين كانوا يصنعون الأدوات الزراعية المختلفة من بلط وفؤوس ومناجل ومحاريث ... الخ .

كما نجد النجارين المتخصصين يعملون فى بناء السفن لحساب الأمير باريس أو صناعة الأدوات المختلفة سواء كانت منزلية أو زراعية ، فقد صنعوا الأثاث مثل الموائد والكراسى والسرر وكانت مقاعد الاحتفالات يتم تصنيعها على أيدى نجارين متخصصين ، كما نجد باريس يستخدم نجارين متخصصين لمساعدته فى بناء منزلين بجوار قصر والده الملك بريام .

وكان العملاء يقدمون سواء للحدادين وصائغى المعادن أو النجارين المواد الخام ويعاملون باحترام فى بيوتهم ، كما نجد أن للحرفيين أحياء خاصة بهم مثلما فى اسخيريا حيث كانت تتجمع ورش صنع الملابس والسجاد والأشرعة والمجاديف .

ويرى البعض أنه كان يتم تعويض هؤلاء العمال والحرفيين عندما يطلبون لأداء أعمال عامة وخدمات معينة للدولة أو المدينة بمنحهما قطاعات لتصبح وراثية لهم ووفقاً لهذا الرأى يكونون فى خدمة الجماعة وفى نفس الوقت الذى يكلفون به لأداء وإنجاز أعمال خاصة بالجماعة كان يمكنهم القيام بأداء وإنتاج الطلبيات الخاصة بالأفراد والتى سيحصلون من أصحابها على أجرتهم العينية وبعض الهدايا .

وكل الحرفيين على ما يبدو كانوا من الأحرار فلا يوجد فى الإلياذة والأوديسة ما يشير إلى أن العبد قد انخرط فى حرفة ذات مهارات ولهذا فلا يوجد شىء يحقر العمل بالنسبة للحرفيين وكانوا يلقون الرعاية والاحترام . وحقق البعض منهم شهرة عظيمة ولامعة ومن هذه الأسماء أسماء النجارين ابليوس Eplios فى المعسكر اليونانى وفيريكليوس الطروادى Phereclios صانع القوارب ، وايكماليوس Ikmalios صانع الكبائن فى أثيكا . ومن بين الحدادين هناك لايركيس صائغ الذهب والحداد فى بيلوس ومن بين صناع الجلود هناك ينخوس صانع الدروع فى هيلى Hyle وبولوبوس الذى الكور فى اسيخريا وكثيراً ما ذاعت شهرة الحرفيين خارج أسوار مدينتهم وكان يتم استدعاؤهم وانتقالهم من مدينة إلى مدينة لأداء عمل معين أو للإقامة الدائمة . وكان يعامل كضيف ذى حيثية ويتم رعايته وتكريمه ويمنح الهدايا التى تتناسب مع ثروة مستخدمه ووفقاً للخدمة التى أداها . وعموماً فإنّ الحرفيين لم يكونوا بالكثرة فى مدن

العصر الهوميرى وذلك لقلة الاحتياجات عموماً فكان حداد أو فخرانى واحد يكفى بأن يقوم بإنتاج احتياجات البلدة . إن النجارين وصناع الجلود كانوا معروفين على نطاق واسع فى مناطق بعيدة عن مساقط رأسهم ، لأن مثل هؤلاء الحرفيين لا يوجدون فى كل مكان ولذا كان يتم طلبهم للقيام بالواجبات والمهام الاستثنائية .

الأسفار والترحال والملاحة والقرصنة والتجارة :

نستخلص من الأشعار الهومرية أن روح المغامرة كانت تسود فى العالم اليونانى ، وأن أبطال ذلك العصر كانوا مغامرين وجائلين تركوا الموقد والموطن باحثين عن المغامرات مثل حملتهم على طروادة ومثل قصص كل من أوديسيوس ومينلاوس حول مغامرتهما فى طريق عودتهما إلى وطنيهما فقد أخبرانا أنهما قد ضلا طريق العودة فقد ظل أوديسيوس جائلاً لمدة عشرة أعوام لاقى فيها الأهوال قبل أن يصل إلى موطنه ومملكته إيثاكا ، بينما قضى مينلاوس سبع سنوات جائلاً من قبرص إلى فينيقيا إلى مصر قبل أن يعود هو الآخر إلى مملكته اسبرطة .

وتكشف لنا الأشعار عن اسباب عديدة للسفر والترحال : (١) فقد يكون المسافر فاراً من موطنه مثل العراف ثيوكليمنوس أو أن يكون قد نجى من سفينة غارقة مثل أوديسيوس (٢) الزيارات العائلية مثل زيارة أوتوليكوس Autolycus جد أوديسيوس لأمه فى إيثاكا بمناسبة ولادته وهى المناسبة التى اختار فيها اسم حفيده أو زيارة أوديسيوس إلى بلد جده (٣) زيارة الملك أو الأمير بغرض أداء الطقوس الدينية وتقديم القرابين للآلهة أو لاستجداء الإلهة مثل زيارة مينلاوس إلى طروادة وزيارة أوديسيوس المزعومة إلى دودنا (٤) زيارة الأمراء فى رحلات دبلوماسية فقد أرسل لأرتيس ابنه أوديسيوس إلى ميسينيا ليطالب بالتعويض عن سرقة ثلاثمائة نعجة ورعاتها من قبل

القراصنة الميسينيين . وذهاب أوديسيوس ومينلاوس بعد ذلك إلـــى طـــروادة للمطالبـــة بعودة هيلينا (٥) الاسفار بغرض التجارة مثل رحلة مينتيس ملك التفنيين إلـــى تميـــا Temea على شواطئ البحر التيرانى لمقايضة شحنة من الحديد بشحنة من الـــبرنز (٦) وقد تكون السفرة بغرض جمع المعلومات مثل رحلة أوديسيوس للكشف عن شـــخصية أخيل ورحلته لاحضار البطل فيلوكتيتيس . ورحلة ابنـــه تليمـــاخوس للبحـــث وجمـــع المعلومات عن والده وفقاً لنصيحة الربة أثينا راعيته فقد ذهب إلى بيلوس واسبرطة .

وفى الواقع ، يبدو أن بلاد اليونان الهومرية كان يجوبها المســـافرون فـــى كـــل الاتجاهات . وكان المسافرون يلتقون ويتبادلون الهدايا مثل تلقى أوديسيوس هديـــة مـــن إفيتوس Iphitos بن إيورتيوس Eurytos ملك أوخاليا Oechalia الذى كان قد أتى هـــو الآخر للبحث عن اثنتا عشرة فرسة شاردة وهديته كانت قوسه المشهور . والكثير مـــن هذه الرحلات والسفرات كانت بحرية .

لقد كان اليونان فى ذلك العصر أمة من الملاحين والبحارة . فكل واحد منـــهم ، بصورة كبيرة أو صغيرة ، كان ملاحاً خاصة سكان المدن البحرية ومن ثـــم لـــم يكـــن هناك متخصصون فى فن الملاحة ، بل نجد الملاحين يمثلون كل الطبقات الاجتماعيـــة ، فنعرف منهم الملوك وأبناء الملوك والنبلاء وأبناء النبلاء وملاك الأراضى وأبناء مـــلاك الأراضى ومنهم الأتباع والأجراء . وتقدم الأوديسة صورة للفـــاكيين كبحـــارة مـــهرة حذقوا فن الملاحة وأيضاً للبحارة الايثاكيين مع أنهم ملاحين مهرة أبحروا فـــى ظلمـــة الليل البهيم ولكن هذه السفرة كانت استثناء حيث أنها تمت تحت رعاية الربـــة أثينـــا ، فبحار ذلك العصر كان لا يملك دليلاً سوى الشمس والقمر والنجوم ونادراً مـــا جـــازف

وابحر فى الليل ، فعندما تغرب الشمس كان عليه أن يتوقف عن الابحار ، وأن يرسو على شاطئ قريب ، ثم يعاود الابحار فى فجر اليوم التالى . وكان البحارة يبحرون بمحاذاة السواحل ، ولم يذهبوا بعيداً عن شواطئهم إلا فما ندر ، حيث نجد ذكراً لرحلات طويلة استثنائية اضطروا إلى خوضها مثلما سبق أن ذكرنا ، واعتبروها مغامرات رائعة ، فالبحر كان مليئاً بالجزر التى مكنتهم من الابحار لمسافات طويلة دون أن تغيب اليابسة عن أعينهم ، وتكشف لنا قصيدة الأعمال والأيام لهسيودوس عن أن بعض اليونان كانوا على دراية بأوقات الابحار المناسبة ، أذ نجد هذا الشاعر يقدم نصائحه للبحارة بخصوص الفترات الملائمة فى العام للابحار ، وأنواع السفن التى يبحرون فيها .

وكانت رحلات وأسفار اليونان البحرية فى الغالب بغرض السلب والنهب والقرصنة وبغرض التجارة ، فقد كشفت الإلياذة والأوديسة عن أعمال قرصنة قام بها اليونان فى منطقة شرق البحر المتوسط وفى آسيا الصغرى ، ولعل روايات أوديسيوس خير شاهد على ذلك فقد تفاخر بقيامه بأعمال قرصنة ونهب هو ورفاقه فى إسماروس ، وفى مغامراته فى مصر هو ورجاله وما قاموا به من سلب ونهب ، ويكشف سؤال الكوكليبوس بوليفيموس لأوديسيوس وصحبه عندما اكتشف وجودهم فى كهفه "ألستم قراصنة" ؟ كما تكشف قصة ايومايوس فى نفس الوقت عن اشتغال الفينيقيين بالتجارة والقرصنة فى نفس الوقت ، فقد كان التجار يمارسون القرصنة عندما تسنح لهم الفرص ، وقصة أوديسيوس إنموذج مثالى على ذلك فقد كاد أن يقع فى براثن الاسترقاق ، لقد كان تجار هذا العصر يسلحون أنفسهم بدافع حماية ووقاية أنفسهم من هجوم مباغت عليهم من قراصنة اخرين ، وأيضاً يستخدمون اسلحتهم عندما تتاح لهم

الظروف فى سلب ونهب وأسر سكان بعض المناطق التى يمرون عليها . ففى رحلاتهم الطويلة ، فقد كان عليهم أن يوفروا احتياجاتهم بثمن زهيد كلما أمكنهم ذلك ، وكانوا يحققون هذا بالسلب والنهب .

وعندما يرسوا هؤلاء التجار والقراصنة فقد كانوا يتخيرون أماكن رسوهم فى الخلجان العميقة ذات الشواطئ الجيدة والتى يجذبون سفنهم اليها ، وتربط السفن فى الصخور وقبل أن يرسو كان على البحارة أن يرسلوا السفن السريعة ذات المجاديف لاستطلاع المكان وذلك للتنبيه للخطر إن وُجد والتعرف على الأماكن المناسبة للرسو . وكانت الجزر الصغيرة المهجورة أو التى يسكنها أفراد قلائل هى المفضلة لرسوهم وبالمثل الأراضى القارية المهجورة والقليلة السكان حيث يضمنون الحماية والأمان . فكان الرسو فى أرض معادية كثيرة السكان غير مناسب لهم بل خطراً عليهم . وقد استخدم اليونان نوعين من السفن أولهما سفن القتال والقرصنة وثانيهما السفن التجارية، والأولى كانت طويلة ضيقة ويمكن أن تشحن البضائع فى رحلة الذهاب والكثير من الغنائم قدر الإمكان فى رحلة العودة ، بينما الثانية كانت عريضة وقاعها مستدير وأجنابها واسعة ولم تكن سريعة وذلك لضخامة حجمها . ننتقل للحديث عن التجارة وهى تنقسم إلى قسمين تجارة داخلية فى المنطقة الواحدة وبين منطقة ومنطقة وتجارة بحرية بين المناطق وبعضها البعض وبلاد اليونان والبلاد الأجنبية القريبة والبعيدة .

فقد كان من غير الممكن لبعض الأسر أن تكون مكتفية اكتفاءً ذاتياً . فقد كانت تبادل ما يفيض عليها فى مقابل ما تحتاجه أو ما ينقصها ، وكانت نقطة الالتقاء لهذه الأسر سوق المدينة ، لقد كان تبادل الأشياء البسيطة يجمع المنتج والمستهلك معاً فكل

من الراعى والزارع والحرفى يقايض منتجاته بسلع يحتاج إليها ولا مكان لوسطاء بينهم. فكل واحد منهم يقوم ببيع أو شراء ما يحتاجه فعلاً . ولا يوجد مكان لحرفة التاجر هنا ، ولكن بمرور الوقت فإن هذا السوق الداخلى لم يعد قادراً على تلبية احتياجات كل الأسر الثرية وكان لابد من الوفاء بها من خارجها فنجد لاأتريس والد أوديسيوس عنده حوض استحمام وزيت عطرى ، كما أن خزائن النبلاء كانت تكتظ بالسلع والأدوات للمقايضة ، فالأسر الكبيرة لا يمكن أن تكون بدون خزائن ومواد مطرزة والسجاد الأحمر وسبائك البرونز والحديد والذهب والمجوهرات والمزهريات المزينة والأسلحة النادرة . ولما كانت بلاد اليونان لا يوجد بها هذه السلع ولا المادة الخام ولا الرجال الحرفيين لصنعها، فقد كان لزاماً عليهم أن يستوردوها أو يجلبوها من الخارج . وكان ذلك بوسائل عدة فمنها ما يتم سلبه فى الحرب ومنها ما يتم أخذه بالسطو واللصوصية والقرصنة ، ومنها ما يتم مقايضته . والملاحم الهومرية مليئة بقصص الاعتداءات والسطو من اليونان على بعضهم بعضاً . وبهذه الوسيلة فقد زادت القطعان وحصلوا على العبيد . بيد أن المعادن والسلع الثمينة كانت لا توجد فى بلاد اليونان ، وكان لابد من جلبها من الأقطار البعيدة خاصة فى الشرق والحصول عليها فى الغالب الأعم كان يتم من خلال الأجانب الذين تنقلوا بين المدن المختلفة وقد ساعد مفهوم اليونان عن الضيافة على تسهيل حركة السفر والترحال والتنقل بين بلاد اليونان المختلفة ، فقد نظر إلى حق الضيافة على أنه واجب دينى تمتع به الإله زيوس حامى الغرباء Zeus Xenios ، إله الضيوف ، ولذا نجد أن المسافر المار كان يدعى إلى المنزل دون سؤال ، فلا تنتهك حرمته من قبل الجماعة ويعطى الشراب والطعام قبل أن يتم سؤاله عن اسمه والغرض من الزيارة ، كما كان له الحق فى النوم والطعام

والإعالة طوال إقامته والمؤن أو الزاد أيضاً للاستمرار فى رحلته أو عودته إلى وطنه، فكان يعطى كل أنواع العطايا والهبات وفقاً لثروة مضيفه أو المدينة التى حل بملكها ضيفاً . فنجد تليماخوس قد نال كرم الضيافة فى بيلوس وفيراى Pherae واسبرطة ، وأوديسيوس نال كل صنوف التكريم فى بلاط الكنيوس ، وهكذا نجد أن الغريب كان يحظى بالحماية لشخصه ولا يُضايق ويمكنه أن يعوض مضيفه عن الهدايا التى حصل عليها منه حتى إن لم يستطع أن يقوم بذلك فى الحال فيمكنه القيام بذلك فى اللحظة المناسبة . وتذكر الإلياذة ذلك الرجل الثرى الذى يعيش بجوار الطريق فى منزل يرحب فيه بكل المسافرين وعابرى السبيل وهذا يدل أو يشير إلى تحول النظرة العدائية للغريب إلى الترحاب واللطف أو كما يقول الإغريق أن axenia قد تحولت إلى "auxenia". وهكذا فإن مفهوم اليونان عن الضيافة قد ساهم فى رواج التجارة وتبادل السلع بين مناطق اليونان .

إن مكانة التجارة البحرية عند هوميروس غير واضحة . إذ كان أغلب يونان ذلك العصر يعتمدون على كفاية أنفسهم بأنفسهم ، فعلى الرغم من أن الفاكيين كانوا بحارة اشتقت أسماؤهم من البحر والملاحة وأن مهارتهم الملاحية غير عادية وتفوق الخيال . إلا انهم يعملوا فى حرفة التجارة بل اعتمدوا على الزراعة والرعى ، وكانوا يشكون فى الغرباء ولا يحبونهم كثيراً ، كما نجد الملك أوديسيوس عندما سُئل هل هو تاجر استنكر الأمر ، وتفاخر بأنه سلب ونهب وسبى ، ولهذا فلا يوجد مصطلح محدد عند هوميروس لتعريف التجار وهم بالنسبة له "prektores" بشكل غامض بينما نجد مصطلح emporos عنده كان يعنى "المسافر بالسفينة" وهذا المصطلح الأخير قد تطور ليصبح معناه فيما بعد "التجار البحريين" . ونستخلص من الأشعار الهومرية وجود

تجار يونانيين إذ نجد فى الإلياذة أوديسيوس متنكراً فى لباس التاجر كحيلة للكشف عن آخيل المتنكر فى زى عذراء فى بلاط الملك ، ليكوميدس وقد وصفت الإلياذة أوديسيوس بأنه كان يحمل على ظهره العريض وكاهله حقيبة كبيرة جمع فيها من كتان مصر وأصباغها وعطورها ومن خز الشام وحريره وسموره الثمين وتصاوير فارس وقماقمها وسنجابها ومشرفيات الهند وتحف السند ، وطرف الصقلب ومن كل ما غلا وارتفع ثمنه من أدق صناعات العالم أجمع . وعندما وصل إلى حاضرة الملك ليكوميدس وبالقرب من قصره نادى على بضاعته بلهجة أهل المملكة ، لقد استحضرنا هنا حديثاً بضائع مصر والشام وفارس والهند والسند ونحن لا نبيع إلا للملوك وأبناء الملوك لأن الشعب فقير لا يقدر بضائعنا الغالية . ونحن معروفون فى مصر ولا يشترى فرعون مصر إلا منا وبالمثل فى الشام وفارس والهند .... ولما سمعت بنات الملك نداءه أرسلن فى طلبه فلما حضر اجتمعن حوله يتفرجن هذه تختار منديلاً من حرير الهند أو منطقة من خز الشام وتلك تشترى من أصباغ مصر وعطورها وخرزها وثالثة تفتتن بتصاوير فارس فتشترى كل ما مع الرجل ... ومن هذه الرواية نستخلص أن غالبية الشعب لم يكن لديهم القدرة على شراء السلع الأجنبية ولا يشتريها إلا الملوك وأبناؤهم. ونجد الملك نستور يسأل تليماخوس عندما وصل إلى بلاطه ما هى غايته أو التجارة التى أحضرته ؟ ونجد الربة أثينا تظهر متنكرة فى هيئة منيتيس ملك التفيين وأنه ذاهب بسفينته وأفراد طاقمه البحرى الكثير العدد لأرض تيمسى "Temese" أخذاً معه الحديد لمقايضته بالبرنز " وفى فترة لاحقة نجد هيسيود ينصح أخاه إذا ما كان يرغب فى القيام بالاتجار على نطاق ضيق ألا يكون طموحاً وأن يشحن قاربه بجانب من محصوله فقط . كما أن والد هيسيود نفسه كان تاجراً ولكن استقر به المطاف فى

أسكرا واشتغل بالزراعة .

وفى ضوء ما سبق فإننا يمكننا القول أن هناك اكتفاء ذاتى للغالبية العظمى من سكان الممالك اليونانية ولكن فى نفس الوقت فقد نمت التجارة وتطورت بين تلك الممالك، فكانوا يبادلون الفائض من منتجاتهم الزراعية والصناعية والحيوانات مقابل المعادن والسلع النفيسة التى جلبوها أو جلبت لهم .

لقد كان التجار الأصلاء من اليونان ومن الغرباء ، فقد اشتغل بالتجارة التفنيون وأهل ليمنوس "Lemmians" والكريتيون والفنيقيون الذين شاع ذكرهم فى الإلياذة والاوديسة فكان الفنيقيون يجلبون السلع النفيسة وكل ما لذ وطاب من المصنوعات ، والمواد النفيسة ، والعبيد . وقد اشتهر التاجر الفينيقى بالخداع والغش ، وكان سيئ السمعة فكان المرء يرحب ببضاعته ولكنه لا يثق به عموماً خشية أن يأخذه أسيراً إن كان مسافراً معه ، أو يخطف ابنه أو ابنته عند رحيله من المدينة التى رسى فيها قاربه بعد شحنه بالسلع التى قايضها . ولعل رواية أيومايوس خير شاهد على ذلك فقد روى أنه ابن ملك ولكن اختطفته أمة والده ، وسلمته للفينيقيين التجار الذين كانوا قد استقروا فى مملكته لمدة عام لبيع ما حملوه معهم وبعد أن باعوا بضاعتهم ، وشحنوا سفنهم فرت الأمة ومعها طفل وليها أيومايوس . كما نجد أوديسيوس نفسه كاد أن يقع فى براثن العبودية مرتين .

وفى ضوء ما سبق نجد أن اليونان كانوا على دراية ، ومعرفة بسلع بلدان كثيرة مجاورة ، وغير مجاورة فقد عرفوا بضائع ، وسلع المناطق القريبة منهم مثل : تراقيا وآسيا الصغرى ، والشام ومصر وقبرص ، وسلع وبضائع مناطق بعيدة منها فارس

والهند وسواحل بحر البلطيق وربما إفريقيا . فقد عرفوا العنبر ومن المرجح أنه وصلهم من سواحل بحر البلطيق براً إما إلى الشواطئ البحر الأسود وإما إلى سواحل البحر الأدرياتيكى ، حيث تمَّ شحنه فى سفن فينيقية ومن هناك وصل إلى بلاد اليونان ، كما عرف اليونان العاج ولعله هو الآخر قد وصلهم من إفريقيا عبر مصر ، أو من مكان آخر قد يكون الهند عبر إيران وغرب اسيا ، ووصل إلى المدن الفينيقية . كما قام الفينيقيون بنقل الصفيح إلى اليونان من كاستيريديس "Kassiterides" كما نجدهم حصلوا على الخمر ، والسيوف الجميلة من تراقيا ، ومن المدن الفينيقية حصلوا على الأردية الأرجوانية والسلاسل الفضية ، والحلى ، والسجاد ، والمزهريات الثلاثية الأرجل والسلاسل الفضية وحصلوا على النحاس من قبرص ،فقد حصلوا من مصر على المعادن النفيسة التى تأخذ شكل السبائك ، أو المصنوعات الفنية ، والعاج ، وبعض العقاقير والمراهم والملح والصودا والشب والالبستر والأصباغ . كما صدرت منطقة البحر الأسود إليهم الحبوب والعبيد والخشب ، وصدرت لهم ليديا وكاريا المنتجات العاجية المنحوتة والمرسوم عليها . ولعل ما دونته الإلياذة بشأن رحلة أوديسيوس المتنكر فى ثوب تاجر تكشف لنا عن سلع أخرى سواء أكانت من الحرير والأصباغ والتصاوير والسيوف ... الخ والبلدان التى سبق ذكرها خير دليل على اتساع معرفة العالم اليونانى بمناطق وبلدان نائية .

كان اليونان يدفعون أثمان وقيم مشترياتهم عن طريق المقايضة إما برؤوس الماشية وإمَّا بسبائك الحديد ، والبرنز . فنجد من بين الجوائز التى قدمها أخيل بمناسبة الألعاب الجنائزية التى أقامها فى تأبين ، وتكريم صديقه وتابعه باتروكلوس ، كأس ثلاثى الأرجل قدرت قيمته باثنى عشر ثوراً وأمة ، قدر ثمنها بأربعة ثيران ، وقطعة

سلاح كانت تساوى ما بين تسعة ثيران ومائة ثور ، ونجد أن اليونان كـــانوا يقـــايضون السلع والبضائع بالمعادن وإن كانت الحيوانات وخاصة الثيران هى معيار تقديـــر القيـــم والأسعار بالنسبة لليونان .

وكان الإغريق يصدرون الفخار ، والأسلحة ، والمنسوجات الصوفية ، والكتـــان وربما الخمر أيضاً والعبيد .

الحياة الدينية والفكرية :

١- الديانة :

سنحاول أن نعرض بإيجاز للديانة اليونانية فى ضوء الصورة التى رسمها هوميروس لها . وفى الواقع فإن ملحمتى الإلياذة والأوديسة تُعدان المصدر والينبوع الأول للديانة اليونانية ، فقد كان هوميروس أحد ينبوعين استمد منه القدماء والمحدثون معرفتهم بالديانة . أما عن الينبوع الثانى هو ملحمة أصل الآلهة Theogonia للشاعر هسيودوس . لقد جمع هوميروس فى خالدتيه التراث الدينى للآلهة للعصور السابقة عليه وللأفكار الدينية السائدة فى عصره وقدمه لنا فى نسق جميل ، ثم أتت ملحمة هسيودوس لتكمل لنا الصورة الدينية السائدة عند اليونان فى عصره والعصور السابقة عليه ، فمن الجدير بالذكر أن الفكر الدينى لا يتغير بسهولة بل تبقى الأفكار الدينية ثابتة راسخة بدون تغير .

وهكذا قد غدت ملحمتى الإلياذة والأوديسة وملحمة أصل الآلهة انجيلاً يرجع إليه اليونانيون فى كل ما يخص شئون دينهم .

لقد صور لنا هوميروس كيف وصلت الآلهة إلى السلطة على جبل الأوليمب فقد قدم وصفاً على لسان الإله بوسيدون يروى لنا قصة الصراع مع العمالقة والانتصار عليهم إذ يقول "لأننا ثلاثة إخوة ، أبناء كرونوس ولدتهم ريا ، زيوس وأنا وهاديس . وقد قسمنا كل شىء ثلاثة أقسام وحاز كل منا نصيبه الذى يتولى شرف رعايته ، وعندما اقترعنا أخذت البحر الأبيض لأستقر فيه إلى الأبد ، وأخذ هاديس الظلام المعتم، وأخذ زيوس السماء الشاسعة فى الهواء ، والسحب . أما الأرض واوليمبوس العالى فهما مشاعاً بيننا جميعاً .

لقد قدم هوميروس صورة للآلهة والإلـهات وهـم يعيشـون علـى ذرى جبـل الأوليمب فى حياة أسرية ، ويأتى على رأسها زيوس ، رب الأرباب ، سيد الآلهة أبـو البشر جميعاً ، رمز القوة والقانون ، وصاحب الكلمة العليا فى مجلس الآلهـة ، سـريع الانفعال ، حاد الغضب ، محباً للانتقام ، والآلهة تطيعه وتخافه لأنه أقواهـا ، ولكنـها كانت لا تحترمه ، فكثيراً ما سخرت منه لعناده المشوب بالغباء ، ولما كـان هـو الأخ الأكبر لأخوته فكان عليهم طاعته ، لأن طاعة الأخ الأكبر واجبة ، وقـد عاشـوا مـن حوله فى شكل أسرة ممتدة مكونة من أخويه بوسيدون وهاديس وأخته هـيرا وزوجتـه وبناته وأبنائه الشرعيين وغير الشرعيين هم هيفايستوس إله الحدادة والنار ، وأبوللو إلـه النور والشعر والموسيقى ، وأرتيميس إلهة القمر والليل والصيـد ، وأفروديتـى إلهـة الحب والجمال والاخصاب ، وديميتر إلهة القمح والحصاد ، وأثينا الربة الأثـيرة عنـد أبيها فلم تأت من مخالطة زيوس لإلهة من الآلهة ولم تتخلق من نطف أبيها فـى رحـم امرأة ، وإنما انبثقت من رأس أبيها ، فكانت إلهة الحكمـة والذكـاء وحاميـة العلـوم والآداب . وهكذا نلاحظ أن الآلهة السالفة الذكر كانت تعيش فى أسرة إلهيـة وأن كـل فرد فيها له تخصصه وإن كان هناك تداخل فى اختصاصاتـها وأن الديانـة الهومريـة كانت ديانة طبيعية تعبد فيها قوى الطبيعة عن رغبة وعن رهبة . ولا يمكنـا أن نـرى فيها قواعد أخلاقية ثابتة تحدد للإنسان ما ينبغى وما لا ينبغى أن يفعله ، بل أن فى هـذه الديانة هوة واسعة بين اللاهوت والأخلاق .

لقد صور هوميروس الآلهة تعيش على شـاكلة البشـر أو فـى هيئـة بشـرية Anthoropomorphism فصفاتهم وتصرفاتهم تشبه معظم صفات البشر وتصرفاتـهم . فنجدهم يأكلون ويشربون ويتزاوجون ويتناسلون ويمرضون ويشتهون فقد كان يقوم بيـن

بعضهم البعض ما يقوم بين البشر من عواطف الحب والغرام والغيرة والبغضاء ، وما يشجر بين هؤلاء من خلافات . بيد أنهم يختلفون عن البشر فى أنهم خالدون سرمديون أى منزهون عن الموت ولهم صفة القدرة حيث يستطيعون الإتيان بخوارق يعجز البشر عن الإتيان بها . وإن كانت تتباين فى قوتها وتختلف فيما بينها فى المجالات التى تستخدم فيها القوة ، إذ نجد قوة أفروديتى لا تقهر فى الأمور المتعلقة بالرغبات الغرامية ، ولكن عندما حاولت الاشتراك فى الصراع الحقيقى ، هاجمها ديوميديس وأصابها بجرح فى يدها لأنه يعرف أنها إلهة ضعيفة ، وذهبت باكية شاكية لابيها زيوس الذى قال لها "يا بنيتى ، إن الأعمال الحربية لم تمنح لك ولكن تتبعى أعمال الحب للمتزوجين وكل هذه الأمور سوف يرعاها إريس ذو القدم السريعة وأثينا" وعلى الرغم من ذلك فقد كانت القوة الإلهية خارقة للطبيعة فى أدق معانيها . إنها تفوق القوة الانسانية فى ماهيتها وفى سحرها . فإذا كان ديوميديس قد استطاع أن يهزم أفروديتى فى معركة مباشرة ويجرحها ، فكان يمكن للآلهة أن تغطيه بضباب كثيف وتخطفه بعيداً . وأخيل نفسه يقول ليس فى الامكان أن نجد وسيلة أمام هذه الحيل .

ويصور هوميروس الآلهة على أنها تتحكم فى حياة البشر تحكماً لا يخلو من الأهواء والنزوات دون اكتراث بهموم البشر ومشكلاتهم ، فقد تنزل الآلهة من عليائها يسعون بين الناس ويمشون فى الأسواق . وقد يقع أحدهم فى غرام فاتنة من بنات البشر وتستجيب له فيخالطها ويمنحها الخلود أو تتأبى عليه فيصب عليها جام غضبه مثلما فعل الإله أبوللو مع كاسندرا ابنة بريام فقد هام بها حباً ووعدها أن يمنحها موهبة الاستنباء وقد وهبها لها بالفعل ولكنها تأبت وتمنعت عليه ، فصب عليها غضبه إذ كتب عليها ألا يصدقها أحد على الرغم من أنها كانت تنطق الحق . ويصور هوميروس

نساء يتفاخرن بأنهن أنجبن أبناء من زيوس أو بوسيدون فعلى سبيل المثال كـــان أهـــل فاكيا يعتقدون أنهم من سلالة بوسيدون . ولكن العكس كان نادراً ، فقد شـــكت كالبســو من ذلك إذ نجدها تجنح وتقول "أيها الآلهة انكم غير رحماء ، تغارون بصورة لا تبـارى فتنقمون على الهات يتصلن بالرجال صراحة ، اذا اتخذت واحدة منهن من رجل عزيـز عليها شريكاً فى فراشها" . ومن ثمرة هذا الزواج والاتصال نذكر أخيـل بـن بيليـوس واينياس بن انخيثيس . فقد ولد الأول من الحورية ثيتيـس بينمـا الثـانى مـن الإلهـة أفروديتى .

ويصور لنا هوميروس أن الآلهة إذا حاق غضبها ببشر فإنـــها كـــانت تتبعـــه أو تدمره أو حتى يقدم التقديمات والاضاحى التى تعيدها إلى طبيعتها حتى تصفـــح عنـــه . وفى نفس الوقت نجد الآلهة تعاضد وتناصر بعض البشر فى أعمالهم وتقدم لهم الرعايـة والعناية فى كل نوائبهم . لقد كانت الآلهة تقف وجهاً لوجه نصرة الأبطال فى المعـــارك الحربية مثلما حدث بالنسبة لطروادة فقد تعرضت لغضبة كل من هـيرا وأثينـا نتيجـة لتصرف الأمير الطروادى باريس ولذا نجدهما قد عاضدا الآخييـن ووقـف بوســيدون يناصرهما . بينما نجد الإله زيوس يرسل اريس للإله بوسيدون يأمره بالانســحاب مــن الحرب ومساندة الآخيين . وأمام وقوف زيوس بجانب الطرواديين نجد أن الإلهة هـيرا قد حاولت أن تخدعه ، فقد أسرت إلى الآلهة انهم يمكنهم أن يخدعـــوا زيـوس لأنقـاذ الآخيين من المذبحة التى اعدت لهم . ونجد أن بوسيدون لم يرغب فى الاشتراك فيـــها بل اعترض على ذلك بقوله "أى هيرا الطائشة فى حديثـــها ، أى نـوع مـن الحديـث نطقت!! إننى لا أرغب فى أن نشتبك جميعاً فى حرب مع زيوس فهو يفوقنا إلـــى حـد كبير . ونموذج أخر لغضب الآلهة فقد غضب بوسيدون من أوديسيوس لأنه ثمل عيـن

الكوكليبوس ولم يتخلص من غضبه إلا بعد أن التمست الإلهة أثينا من أبيها أن يسانده ويرعاه فى العودة إلى وطنه إيثاكا . ورد عليها أبوها أن الإله بوسيدون هو الغاضب عليه ووعدها بأن يجمع الآلهة لوضع خطة لعودته وسوف يتخلى بعدها بوسيدون عن غضبه إذ لن يكون له حول ولا قوة أمام جميع الآلهة الخالدة ويجاهد وحده ضد إرادة الآلهة . لقد كان أوديسيوس محظوظاً إذ وقف كل من زيوس وأثينا لمناصرته فى أسفاره وفى الخلاص من الخطاب ووقف القتال مع أسر الخطاب .

ويصور لنا هوميروس أيضاً أن الآلهة وحدها كان لديها القدرة على سلب الإنسان وعيه وعقله واصابته بالأمراض . كما أن الآلهة قد وهبت البعض من البشر القدرة على العلاج والتطبيب وفى نفس الوقت قد منحت موهبة الإلهام للمنشدين والاستنباء للعرافين .

ويصور لنا هوميروس أن بعض الآلهة كانت تتشكل فى أشكال وصور مختلفة عندما تتصل بالإنسان وتتجلى له ، وخير دليل على ذلك هو تشكل أثينا فى هيئة منتور لتليماخوس وفى هيئة راعى لأوديسيوس وفى صورتها الأنثوية الحقيقية . وإذا كانت بعض الآلهة تتجلى أحياناً للبشر فإن زيوس احتفظ بالبعد الذى يفصله عن عالم البشر وهو الوحيد من عالم الآلهة بالأوليمبوس الذى لم يتدخل مباشرة فى الحديث أو العمل قط . ولكنه كان يتصل بالبشر عن طريق وسائل شفوية يحملها أريس أو عن طريق الرؤيا أو بواسطة الاشاعة أو أى إله آخر من الآلهة أو عن طريق الفأل وهو سبيل أقل من الناحية المباشرة مثل الرعد وطيران نسره .

ويصور هوميروس عقيدة الآخيين عن الموت والعالم السفلى على النحو التالى

وقد سبق أن تكلمنا عن الطقوس والجنازات والألعاب الجنائزية . فكان هـاديس يحكـم العالم السفلى والدار الآخرة حيث كان يذهب الموتى فلا يرجعون . والعالم السـفلى دار مظلمة تفصلها عن دار الأحياء أنهار عظيمة وسيول جارفة مهولة ومحيـط عظيـم لا سبيل إلى اجتيازه إلا فى فلك متين . فعندما يموت الانسان تنفصل روحه عن جسـده ، والروح تتحلل ولكنها لا تفنى . وكان اليونانيون يؤمنون فى امكانية اسـتدعاء الـروح كما فعل أوديسيوس فى رحلته إلى العالم الآخر ، فبعد تقديم القرابيـن كـانت تحضـر الأرواح ولكنها لا تتكلم إلا بعد أن تشرب من دماء القرابين . ويكشف لنا الحديث بيـن أوديسيوس وأرواح الموتى أن الدار الآخرة لم تكن محببة فقد قال أخيل لأوديسيوس أنـه يفضل ألا يكون ملكاً على الأموات ولكن يفضل العيش فى الحيـاة الدنيـا وأن يشـتغل أجيراً فى خدمة رجل آخر . وقد رأى فى رحلته أيضاً الأرواح الحزينة والمعذبـة فقـد رأى الملك مينوس المجيد بن زيوس ممسكاً بالصولجان الذهبى فـى يـده يحكـم بيـن الموتى وهو جالس فى مقعده ، بينما هم قيام حول الملك وقعود فى بيت هاديس المتسـع الباب يطلبون منه الحكم . ورأى روح أوريون يسوق الكاسرة ، عبر حقـل الـبروق ، كذلك رأى تيتوس بن جايا المجيد مستلقياً على الأرض ، ممدداً فـوق تسـع نتـوءات صخرية ، بينما يقبع نسران واحداً منهما عن كل جـانب ، ينهشـان كبـده ، ويمـدان منقاريهما فى أحشائه ، وهو لا يملك من نفسه دفعاً لهما بيديه وذلك لاستخدامه العنـف مع ليتو ، زوجة زيوس المجيدة ، بينما كانت ذاهبـة صـوب بوثـو Pytho خـلال بانوبيوس Panopeus ذات المروج الخلابة . كما رأى تانتالوس يعان أمـر العـذاب ، واقفاً فى مستنقع ، والمياه تبلغ الزبى ، وكان مع ذلك يشـكو الظمـأ ولا يسـتطيع أن يتناول من الماء القريب من فمه ويشرب ، فكلما انحنى ذلك الرجل العجـوز ، متلـهفاً

إلى اطفاء ظمئه انحسر الماء واختفى وظهرت الأرض السوداء عند قدميه ، إذ كان أحد الآلهة يجعل كل شيء جافاً ، كما كانت الأشجار الباسقة المورقة دانية القطوف فوق رأسه ، أشجار الكمثرى والرمان والتفاح ، بثمارها اليانعة اللامعة وتينها الحلو وزيتونها الغزير ، ولكن ذلك الكهل المسن كلما هم بالوصول إليها ليمسكها بيديه ، هبت عليها الرياح ودفعتها السحب الظليلة ، ورأى سيسوفوس Sisyphus فى عذاب مرير يحاول أن يرفع صخرة هائلة بكلتا يديه ، ملقياً بها فوق قمة تل ، بيد أنه كلما أوشك أن يقذف بها فوق القمة ، ردها الثقل إلى الوراء ، ثم إلى أسفل من جديد ، فتسقط الصخرة العاتية متدحرجة فوق السهل ، فيعاود المحاولة من جديد ، ويقذف بها ثانية والعرق يتصبب من أطرافه ، والغبار يتصاعد من رأسه .

وهكذا نرى أن الدار الآخرة عند هوميروس لم تكن محببة بل كانت كئيبة حيث تعذب فيها الأرواح .

٢- المهن :

لا تتكلم الإلياذة و الأوديسة عن طبقة وسطى بأدق معنى الكلمة ولكن يمكننا أن نجد فئة أو طبقة أدنى من النبلاء وكانت من حاشيتهم وتتكون من متخصصين فى مهنهم يكسبون الثراء والشرف من ممارسة مهنهم وقد نظر إليهم على أنهم قد تلقوا علومهم ومعارفهم من الإلهة نفسها وهذه الخاصية كان يتوارثها الخلف عن السلف داخل إطار الأسرة الواحدة ولكن قد يحدث أنْ يتلقى شخص ليس من تلك الأسر الإلهام مثلما للشاعر هيسيود . وهذه المهن هى : الكهنة والمتنبئون والأطباء والشعراء أو المنشدون . وكانوا قريبين من الملوك وبلاطهم لتقديم النصح ومساعدتهم فى ممارسة وظائفهم فكانوا بمثابة القيم مع إقامة الشعائر وصياغة الأغانى أو الأناشيد الدينية

وحفظه للشعائر والاحتفالات ومفسرى العلامات والأقوال الغامضة المبهمة والتى يصيغ بها الإلهة قراراتهم وتحذيراتهم . وأخيراً فقد كانوا حراساً لهذا العلم وبعض أسر المهنيين كانت تنحدر من سلالة ملكية ولم تكن هذه المهن مغلقة على فئة بعينها ولكن كانت مفتوحة ويمكن الالتحاق بها بل نجد أنّ البعض منها كان متداخلاً فنجد ماخون Machon الطبيب المشهور فى الجيش الآخى الذى كان فى نفس الوقت جندياً ، كابن لاسكليبيوس فإنه كان تقريباً متساوياً مع الأسر الملكية الدم ، وأيضاً فإنّ العراف ثيوكليمنوس المنحدر من أسرة ميلامبوس كان كريم المحتد . وبعض العاملين فى هذه المهن كان بحاجة إلى التنقل والترحال من مكان إلى مكان لممارسة مهمتهم . وسنحاول أنْ نلقى الضوء على هذه المهن :

ا ـ الكهنـة :

لم تكن هناك عبادة دائمة ومنتظمة يقوم بها الكاهن ولكن نجده كان مسئولاً عن الاحتفالات المرتبطة بتقديم الأضاحى فى مناسبات كانت تحتفل بها المدينة والجماعات وبعض هذه المناسبات فإن الشخص الذى كان يقوم بذلك لم يكن كاهناً بل كان رأس العشيرة أو القبيلة . ولكنه فى نظر عشيرته كاهناً لأنه مسئول عن عبادة الأسلاف .

إن دور الكاهن هو تنظيم وأداء الشعائر والطقوس على نحو دقيق وكان يقع على عاتقه أداء بعض المهام مثل ذبح الضحية وسلخها وتقطيعها والأشراف على طقوس طهيها وكان عليه تنظيم الترتيبات الخاصة بتقديم الأضاحى وتلاوة الصلاة الصحيحة التى تصاحبها .

ونجد كلمتين فى المفردات الهومرية تصفان دوره فهو hiereos أى المضحى

والذى يجعل الضحية مقبولة وهو أيضا areter أى المبتهل الذى يقوم بأداء الصلوات نيابة عن المتضرع فهو الوسيط الرمزى بين البشر والإلهة لأن لديه إذن للقرب منها . وكان تقديم الأضاحى لإرضاء الإله وتجنباً لغضبه ونقمته أو رفع بلائه ومثالنا على ذلك هو مقدم أوديسيوس ونفر من الآخيين إلى معبد الإله أبوللو فويبوس لتقديم أضحية من مائة ثور بغرض رفع ما حاق بهم من ضر وخراب وحزن نتيجة غضب الإله لأخذ ابنة كاهنة أسيرة من قبل أجاممنون . وبعد أن سلم أوديسيوس ومن معه ابنة الكاهن لأبيها طلبوا منه القيام بالصلاة وتقديم الابتهال للإله أبوللو عسى أن يرفع عنهم الضر والأذى وقام الكاهن بأداء الشعائر والطقوس بغرض جلب الخير ورفع الضر عن الآخيين كما نجده يشرف على التضحية بالثيران .

وتذكر القصائد الهومرية اشارات حول العديد من بيوت الإلهة . فنجد ذكر لما قام به الكاهن خيريسيس Chyrsis فى صلواته بوضع غطاء بيت الإله neas ، ونجد ايوريلوخوس Eurylochos فى الأوديسة يحصل على وعد من أقرانه الذين كانوا على وشك التضحية ببعض العجول إلى الإله هيلوس بأنهم سوف يبنون neos لتكريم الإله . ونسمع عن أن والد الملك الكينوس قد بنى العديد من البيوت neoi لتكريم آلهة المدينة ، وفى الإلياذة اشارة إلى أن النساء الطرواديات قد قمن بإصلاح بيت الإلهة أثينا ، وقدموا لها الكساء ، وأن الكاهنة ثيانو Theano قد قامت بفتح الأبواب ووضعت التضحية مع ركب التمثال بينما النساء كن يقمن بالشعائر والابتهال بأيديهن الممدودة إلى أثينا ثم قامت ثيانو بالصلاة ويوجد ذكر لبيت الإله أبوللو فى طروادة .

ولما كان الكاهن أميناً على المعبد فإنه كان يدير أملاك الإله والتى كان يحصل

عليـــها من عباده وكانت طقوس العبادة تتم من خلال الـــهبات العامـــة أو الخاصـــة أو بالشراء ، وكان يعاون الكاهن فى أداء واجباته الإدارية والدينية عدد من المساعدين مـــن طبقة الكهنة ، وكان لكل معبد وعبادة متخصصيها ، ففى كـــلاروس claros نجـد أنً كاهن أبوللو كان يعاونه متنبئ والذى كان يفسر كلام الإله وأيضاً منشد أو شاعر دينـــى theopiodas والذى كان ينظم الارادة الإلهية شعراً ، وفى افسوس نجد بالإضافة إلـــى الكاهن الأكبر لارتيميس زملاء كاهنات عذراوات وأطلق عليهن النمـــل "Melessai" وكخدمات للآلهة فقد شاركن فى الرقص والمواكب وبجانبهن زملاء متطـــهرين كـــانوا يعيشون فى محيط المعبد . وهكذا فبجانب كبار الكهنة كان هناك العديد مـــن أعضـــاء السلك الكهنوتى فى المعابد والذين اختلفت واجباتهم ومهامهم ، وكـــان هـــؤلاء الكهنـــة مساعدوهم يحصلون على هبات المعبد ويحصلون على حصة من الأضاحى .

ب ـ العرافون :

حظى فن العرافة والاستنباء بتقدير عظيم ، واحتل مكانة بـــارزة فـــى الشـــعر الهومرى ، فقد نال العرافون شهرة كبيرة وشاع ذكرهم فيه ، وفن العرافة والكهانة عنـــد اليونان هو محاولة اكتشاف الفكر الذى يدور فى العقـــل الإلـــهى المقـــدس والاتصـــال المباشر به وتفسير وتجلية الرموز والإشارات واستلهام المعرفة التى قد يكشـــف عنـــها الإله .

وقد نال بعض عرافى العصر الهومرى شهرة كبيرة ونذكـــر منـــهم : كالخـــاس عراف الجيش الآخـــى ، وهيلينـــوس وكاســـندرا ابنـــا بريـــام الملـــك الطـــروادى ، وهاليثيرســـيس (Halitheroes) الاتيكـــى وأيوريدامـــاس وبولدامـــاس وتيرســـياس وثيوكلمينوس .

وتكشف لنا الاشعار الهومرية انّ هؤلاء العرافين قد قـاموا بتفسـير الاشـارات المختلفة أو النذر التى تصدر عن الآلهة وإن حدث فى بعض الأحيان أن الآلهة كـانت تتجلى وتظهر بشكل طبيعى لبعض الأبطال مثل تجلى هرميس للملك بريام وارشاده فـى ذهابه إلى أخيل طلبا لجثمان إبنه هيكتور ، وتجليات أثينا المختلفة لكل من أوديسـيوس وابنه تليماخوس ومن هذه التجليات الضوء العظيم الذى لمع مـن اثينـا وأنـار مـنزل أوديسيوس عندما كان أوديسيوس وابنه تليماخوس يجمعان الأسلحة من بـهو المـنزل قبل قتل الخطاب ، وهذه كانت إشارة إلى رعاية الإلهة أثينـا لأوديسـيوس وولـده. أو مثلما ودع زيوس الأسطول الآخى المقلع من أوليس Aulio بصرخة مدوية ، أو إرسال نذير لليونان قبل إقلاعهم فعندما كان أجاممنون يقدم القرابين للإلهين زيـوس وأبوللـو ظهرت حية ضخمة زرقاء ، على ظهرها علامات حمراء اللـون مثـل لـون الـدم، خرجت الحية من تحت المحراب المقدس واتجهت من فورها نحو شجرة ضخمة كـانت قائمة بالقرب من الشاطئ وعلى أعلى فرع من فروع الشجرة كان يوجد عش عصفـور يرقد فيه ثمانية عصافير صغيرة بجوار أمهم ، والتهمت الحية الضخمة الصغـار والأم ، ثم رقدت مكانها دون حركة وسرعان ما حولها الإله زيوس إلى حجر أصم . أمام هـذا المشهد سيطرت الدهشة على كل الحاضرين وسألوا العراف كالخـاس تفسـيرا لـهذه الحادثة ، أعلن كالخاس على الفور أن ما حدث يؤكد ما تنبأ بـه الملـك انيـوس بـأن طروادة سوف تسقط ولكنها لن تسقط قبل مرور تسع سنوات كاملة سيقضيها الآخيـون فى الكفاح والنزال أمام أسوارها وسوف تسقط فى العام العاشر . وأرسل الإله زيـوس بارقة أضاءت كل أنحاء المكان . فعل زيوس ذلك تأكيداً لنبوءة كل من الملـك انيـوس وكالخاس . أيضاً تفسيره وإجابته على سؤال أخيل حول سبب غضـب الإلـه أبوللـو

فويبس على الآخيين وصبه وباء الطاعون عليهم الذى كاد أن يبيدهم . وكان أخيل قد عقد اجتماعا للمحاربين الآخيين وطلب منهم أنْ يسألوا كاهناً أو عرافاً أو واحداً ممن تأتيهم الأحلام والتى تأتى من الإله زيوس ، وكانت الإجابة هى أنّ غضب الإله سببه أخذ ابنه كاهنه سُبية من قبل أجاممنون ، ورفض الأخير إعادتها لأبيها العجوز فدعا ربه أبوللو بصب الطاعون على الآخيين ، ولرفع هذا الضر كان لابد من إعادتها إلى أبيها .

كانت النذر المقدسة فى الإلياذة والأوديسة تأخذ شكل الأحلام وتصرف الطير وحركاته والتفاؤلات الحسنة والسيئة (مثل الكلمات الصادرة جزافا أثناء الحديث أو العطاس أو الضحك ... الخ) . وكان اليونانيون يقومون بتفسير هذه النذر من خلال عرافين محترفين أو يقوم الأفراد العاديين بتفسيرها .

نظر اليونان إلى أن بعض الأحلام تأخذ شكلاً خداعاً لارتباطها بالليل والظلمة البهيمة والعالم السفلى ، إذ نجد أن بينلوبى تخاطب أوديسيوس قائلة إن الأحلام نوعان أولهما يكون محببا وموثوقا به والثانى يأتى من الضرس . ومن الأحلام الصادقة ما رأته بينلوبى فقد رأت حلمين ينذر أولهما بقرب اغتيال الخطاب بينما يبشرها ثانيهما بعودة تليماخوس , ومن الأحلام الكاذبة الحلم الذى أرسله زيوس إلى أجاممنون عن طريق إله الأحلام انتقاما منه وذلك لارضاء ثيتيس والدة أخيل , لما حاق به من إهانة على يد أجاممنون فقد أمر زيوس إله الأحلام بالذهاب إلى أجاممنون وأن يداعب عينيه وأن يجثم على قلبه وأن يقول له وهو يغط فى نومه العميق أن الآلهة تأمرك أن تصبح فتنفخ فى البوق ، حاضاً عساكرك على اقتحام طروادة فإن زيوس يبشرك بالمدينة

الخالدة ولا يكاد النهار ينتصف حتى تكون جنودك فى شوارع طروادة ظافرة منتصرة. وصدع إله الأحلام بما أمره سيد الأوليمب ، ألقى فى روع أجاممنون الحلم الكاذب وعاد أدراجه الى مولاه سيد الآلهة . ولكن كيف يمكن للمرء فى ذلك العصر أن يفرق بين الصادق والكاذب من الأحلام ؟ كان هناك مفسرو الأحلام (Oneiropoloi) ، وكان هؤلاء يصيبون ويخطئون فى تفسيراتهم ، ولذا نجد هوميروس كان لا يثق فيهم كثيرا فقد ازدرى إيوريداماس العجوز لفشله فى الكشف عن أخبار موت ولديه .

وإذا كان هوميروس لا يولى ثقة كبرى فى بعض الأحلام ومفسريها فقد أولى ذكر حركات وتصرفات الطيور الجارحة عناية خاصة ومنها النسور والصقور التى كانت بمثابة رسل الآلهة ترسل نذرها وإشاراتها المقدسة من خلالهم , وكانت حركات وتصرفات الطير تحتاج الى تفسير مفسر ، قد يكون متخصصاً أو غير متخصص ، ومن أمثلة هذه النذر وتفسيرها ، تفسير العراف بوليداماس للقتال بين النسر والتنين فوق الجيش الطروادى بأنه فأل سيء للطرواديين ، وتفسير بريام لظهور نسر بعد أن صلى صلاة طويلة لزيوس بغرض أن يحميه ويوقيه ويرشده إلى أخيل وأن يرسل إليه الرسول الذى وعد ويقوده الى معسكر أخيل ، ولم يكد ينهض من صلاته ويختم توسلاته حتى رفرف فوق رأسه نسر ظل يضرب بخافقيه ، ويحوم ويدوم ويرنق فى سماء الهيكل تارة ثم يستقر عند المذبح تارة أخرى ، حتى أيقن الملك وملؤه أنه الرسول المنتظر والقائد المنشود الذى سيقوده إلى معسكر أخيل حتى يسترد جثمان هكتور ، ومن النذر التى يذكرها الشاعر أيضا أنه أثناء انعقاد الجمعية الشعبية فى اتيكا بناء على طلب تليماخوس أن حلق نسران عظيمان أرسلهما سيد الأوليمب ، وتقاتلا فوق الاجتماع ، وقد فسر العراف هاليثيرسيس هذا النذير بقرب عوده أوديسيوس

وانتقامه إذ نجده يقول "أيها الناس يا أبناء أتيكا ، اسمعوا وعوا ! ليحذر الخطاب بما يخبئ لهم الغيب من شر أوشك أن ينقذف على رءوسهم ! إنّ أوديسيوس حي يرزق ، وأنه عائد إلى وطنه ، بل إنه ليغذ السير إلى هنا ! إنه ليحمل الموت الأحمر إلى خصومه والخير الأخضر إلى مواطنيه ، أنا هاليثيرسيس كاهنكم وعرافكم الذى لا يكذب قد أنبأه قبل أن يبحر إلى طروادة بذلك النبأ وأنه عائد إلى وطنه بعد أنْ ينتصر على أعدائه ويذيقهم ضعف ما صنعوا ولن يجديهم ان يتوبوا أو يندموا ,,,, وليأتينكم نبؤة بعد حين ! " وفى مناسبة أخرى عندما كان تليماخوس وبيزاستراتوس يهمان بمغادرة قصر مينلاوس وهيلينا فى اسبرطة ظهر نسر رف عن يمين تليماخوس وصحبه وهو يحمل بين مخالبه إوزة اختطفها من فناء الدواجن ، ولحقه الرجال والنساء يتصايحون فسأل بيزاستراتوس ما ظنك يا مينلاوس ؛ هل أرسل زيوس هذا النذير لك أو لنا ؟ وفيما كان مينلاوس يعمل الفكر ، قالت هيلينا "اصغوا إلى ما ألقته الأرباب فى روعى ، فكما انقض هذا النسر من الجبل الذى نشأ فيه ، واختطف الإوزة من المنزل ، هكذا سيعود أوديسيوس إلى بيته بعد تجوال طويل ، وينتقم لنفسه ، وإن قلبى ليحدثنى أنه الآن هناك يكيد للخطاب كيدا " و بعد عودة تليماخوس إلى وطنه واصطحابه العراف ثيوكليمينوس ، وبينما هما يتجاذبان أطراف الحديث طار عن يمين تليماخوس صقر يحمل بمخالبه حمامة ، ونتف الصقر ريش الحمامة ونثره على الأرض بين ثيوكليمينوس والسفينة ، وقد فسر ثيوكليمينوس هذا النذير على أنّ أسرة تليماخوس هى أقوى الأسر بأتيكا وأن ملكها سيدوم .

هكذا نرى أن هذه النذر والتجليات لها معانى فقد كانت ترتبط بحدث ما سواء أكان بمناسبة اجتماع معقود أم الرحيل أم الوصول أم تحول درامى فى القتال .

و يسجل لنا هوميروس أيضا بعض التفاؤلات مثل تفسير حالة العطاس المسموع والانفجار في الضحك أثناء الحديث ، فقد ذكر أنه بينما كانت بينلوبي تتناقش مع إيومايوس وعبرت بصوت مسموع عن أمنيتها بعودة أوديسيوس ، وأن يقضي على هؤلاء الخطاب ، وفي أثناء ذلك فقد عطس ابنها تليماخوس بصوت مرتفع وانفجرت هي في الضحك فتفاءلت بذلك ، وأعلنت أن القتل سيكون مصير الخطاب جميعا . ونلاحظ هنا أن بينلوبي هي التي فسرت هذا الفأل الحسن لها والسيئ للخطاب .

و نستخلص من هوميروس أن العرافين كان لديهم أساليب أخرى للكشف عما يجول في عقول الآلهة وتفسير ذلك . لقد كان هناك عرافون متخصصون في فحص أحشاء الأضاحي ، فقد وثق الملك بريام في كاهنة وتكهن هذا النوع من العرافين واعتبرهم مصدر ثقة ، ومن بين هؤلاء العرافين ليوداس الذي ورد ذكره في الأوديسة. و يضيف هوميروس إلى هذه الوسيلة للعرافة وسيلة أخرى وهي استدعاء أشباح الموتى سواء أكانوا من العرافين أم من غيرهم ، واستشارتهم ، فنجد أوديسيوس يستدعي روح تيرسياس بناء على نصيحة الساحرة كيركي للسؤال عن مستقبله وما تخفيه له الأيام من أحداث وأحداث . و قد أجابه شبح تيرسياس متنبئ وكاهن طيبه الجليل على تساؤلاته وأنار له طريقه وكشف له عما لاقاه وسيلاقيه من أهوال وأحداث قبل العودة إلى وطنه وما ينتظره فيه من شر . ويروي لنا أوديسيوس صورة اللقاء بأن العراف تيرسياس أقبل عليه وعرفه وخاطبه قائلاً "لما غادرت الدنيا الدافئة المشرقة أيها ذا التعس وقدمت لترى هؤلاء الموتى ولتضرب في ظلمات هذا العالم العبوس ؟ ولكن نح هذا السيف قليلاً حتى أتجرع من تلك الدماء ، وإني لمحدثك حديث الصدق عما جئت من أجله . "وبعد أن شرب العراف من الدماء قال لي "أوديسيوس ! إنك

تجتهد أن تعود أدراجك إلى بلادك غير أن طريقك إليها محفوف بالمكاره ، ممتلئ بالعقبات ، وإن لك فيها لعدواً لدوداً يتاثرك ؛ ذلك هو بوسيدون الذى اسخطته بما سملت عين ولده الكوكلوبوس على أنك واصل بعد أهوال جسام إلى وطنك ، فإنك واصل يوما إلى شطآن صقلية وتكون قد نجوت من روع اليم وأرزائه ، فإذا كنت هناك ، فاحذر ان عش قطعان هبييريون رب الشمس السامقة السائحة فى الجزيرة بأذى إن كنت جد حريص على العودة الى بلادك سالما ، مهما اقتحمت بعد ذلك من عباب وعقاب . فإذا مسها منكم أحد بأذى ، فويل لكم جميعا ! إن فلكك تغوص فى الأعماق ، ويفرق رجالك أجمعون ، أما أنت فتنجو بعد جهد ، وتلتقطك سفينة عابرة تعود بك بعد شقاء وبلاء وعناء إلى وطنك الذى ينتظرك فيه ألف ويل وويل ! ستجد قصرك المنيف محتلا بطغمة أشرار من خطاب زوجتك الوفية لك ، يريغون خيرك ويذبحون شاتك ، ويغرون بينلوبى بالعطايا والرّشى لتختار من بينهم بعلاً لها ... و لكنك ستنتقم منهم وتنتصف لما قدموا من سوء وستبيد جموعهم ، . . . . الخ .

ونجد ان شبح الكاهن يستمر فى مخاطبة أوديسيوس و يخبره بأنه إذا ترك أياً من هذه الأشباح المحيطة بهما "يرشف رشفة من الدم فإنه يتحدث إليه بعد ، وينبئه بما يشاء" فترك أوديسيوس شبح أمه يتذوق الدم فنطق ودار بينهما حديث عن أحوال ابنها وأحوالها ، وطلب منها ابنها أن تنبئه بكيفية موتها وعن أخبار والده وابنه وعن ملكه وعتاده وعن زوجه ألا تزال تعيش مع ولده أم تزوجت من أحد أمراء هيلاس ؟ وأجابه شبح أمه أنّ زوجه لا تزال وفية له مبقية على ذكراه ، مقيمة فى قصره ، قاضيه لياليها وأيامها فى حزن مضن عليه ، ودموعها جارية من أجله وآلام لا تنتهى لبعده ، أما أملاكه فلا تزال له وما يفتأ ولده يستغلها باسمه وما يفتأ يغشى الولائم فى أبهة

الأمراء . وأبوه ما زال يقيم فى مزارعه عزوفا عن المدينة وبهرجها ، وأن والده حزين عليه ، ودائم البكاء من أجله وأنها هى الأخرى قد ماتت كمدا وحزنا على فراقه.

و يسجل لنا هوميروس أنه كان يتم تفسير حفيف و خشخشة أوراق الشجر من قبل الكهان كما كان يحدث فى دودانا .

وتقدم لنا الإلياذة والأوديسة أيضا الأخبار عن عرافين وعرافات وهبتهم الآلهة فن العرافة والاستنباء ومن بين هؤلاء هيلينوس وكاسندرا وكالخاس ، وكان هذا النوع من العرافين والعرافات يتلقى الكشف المباشر من الإله ولا يحتاج الى علاقة محددة أو نذير محدد كما كان يحدث للأميرة كاسندرا التى وهبها الإله أبوللو القدرة على كشف الغيب والتنبؤ بما كان وما يكون ، فكانت تخبر الناس بماضيهم وحاضرهم وما يكون مستقبلهم وهم يسمعون ويعجبون ولما رفضت أنْ تكون زوجة للإله صب جام غضبه عليها وسلط عليها سخرية سامعيها فما تقول شيئاً ولا تتنبأ بشىء ولا تكشف غيباً إلا استهزأ بها الناس وعيروها بأنها تكذب وتخرف وتدعى ! ومن أمثلة تلك السخرية : عندما عاد الأمير باريس إلى قصر أبيه ، وتعرف عليه أبوه وأمه وأخوته صاحت كاسندرا ، أبى ، لتحذر هذا الأخ ، لتحذر باريس ، ولتذكر نبوءة الكاهنة فى معبد أبوللو .... ابنك يجر الخراب على مملكتك ويعرض شعبك للدمار وينشر الموت فى بيوت رعاياك . وهنا ينتقم أبوللو ويسخر من حبيبته الجافية ، لقد تضاحك الملك مستهزئا وغمزت الملكة ابنتها ، ولمزتها بكلام لاذع ، أما هكتور فقد عبث بأخته ومازحها مزاحاً ثقيلاً . ثم نجد الكاهن لاوكون يرفض دخول الحصان الخشبى ورأى أنه حيلة من حيل ومكيدة من مكائد الآخيين وطلب من الملك بريام أنْ يسأل ابنته

العزيزة كاسندرا فإن لديها سر السماء وحذرت كاسندرا قومها ولكن من يصدقها ، فـــلا تزال نقمة أبوللو تنصب فوق رأسها . و بعد أن حدثت الكارثة بفتح طـــروادة وإشـــعال الحرائق فيها تنبأت كاسندرا عندما كانت تخاطب أمها فتقول "أماه ليـــس حـــظ هـــؤلاء الغزاة المنتصرين بخير من حظ أبطالنا . هاأنذا اقرأ ألواح القضـــاء .... انظـــرى .... هاهو ذا مصرع أجاممنون بيد زوجته كليتمنسترا العاشقة . إنها تفضل اليـــوم ذراعـــى ايجستوس الآثم على جنة يكون فيها زوجها ... ! إنها ســـتقتله ، ســـتذبحه بيديـــها ... حينما تطأ قدماه أرض الوطن ! ... انظرى يا أماه ... هاهو ذا أوديسيوس تعصـــف به الريح . ويلعب به الموج ... و يؤرجحه البحر الثلجى ... والعشاق يتقـــاتلون مـــن حول زوجته ... وتليماخوس المسكين يضطرم غيرة ولا يستطيع ان يفعـــل شـــيئا ... انظرى يا أماه هاهو ذا مينلاوس ... لقد ظن المسكين أن هيلينا نقية كما هى ! لقد نســـى الشقى أنها تقلبت فى أحضان أزواج غيره ! ... انظرى إليه يقذفه البحر إلـــى شـــطآن مصر ... وانظرى إليه ذليلاً بين يدى هيلين يتوسل إليها وكان أحرى لو أنه قتلـــها ... وهذا هو العراف كالخاس لا يحتاج إلى نذير أو علاقة محددة لتفســـير غضـــب الإلـــه أبوللو .

كما نجد أن خاصية وموهبة الاستحياء والاستنباء وتفسير النذر كانت وقتية عنـــد بعض الأفراد العاديين وليسوا من العرافين والعرافات المحترفين . فنجد علـــى ســـبيل المثال بينلوبى تفسر أحلامها والفأل الحسن فى العطاس والانفجـــار والضحـــك أثنـــاء حديثها مع العبد ايومايوس ؛ وأيضا قدرة هيلينا على تفسير حادثة النسر الـــذى حمـــل إوزة . حين قالت اصغوا إلى ما ألقته الأرباب فى روعى ، فكما انقض هذا النسر مـــن الجبل واختطف الإوزة من المنزل ، هكذا سيعود أوديسيوس إلى بيتـــه بعـــد تجـــوال

طويل وينتقم لنفسه ، وأن قلبي ليحدثني أنه الآن هناك يكيد للخطاب كيدا" .

و يرد في ثنايا الملحمتين الهومريتين ذكر لمراكز ومهابط الوحي والنبوءة في دلفي ودودانا حيث وجد عرافون وعرافات محترفون يتنبأون ويستوحون وهم في حالة نشوة واتصال بإله النبؤة . فعلى سبيل المثال نجد ان ثيتيس والدة أخيل تسأل العرافات و كاشفات الغيب عن مستقبل ابنها ويجيبنها بأن ابنها سيكون محاربا عظيماً إذا ما غسلت ابنها في أمواج نهر الخلود الزاخر "ستيكس" وعملت بنصيحتهم وغسلته في أمواج نهر "ستيكس" إلا عقب قدمه اليسرى . وبعد ذلك نجدها تذهب إلى العرافات القدامى وكهنة المعبد ، فاستوحتهم ما عسى أن يكون في كتاب الغيب من حظ لابنها في الميدان ، وقال الكاهن الأكبر مؤمناً على ما تنبأت به العرافات ، من أنّ أخيل سيدعى للقتال في صفوف اليونان وأنه سيلقى حتفه تحت أسوار طروادة بسهم يرميه به ألد أعدائه ، يصيب منه مقتلاً في موضع دقيق في جسمه هو وا أسفاه !! عقب قدمه اليسرى التي لم تغمرها مياه "ستيكس" . وتكشف لنا الإلياذة عن سؤال الملك بريام لنبوءة أبوللو بشأن ابنه الوليد باريس ، وكان رد كاهنة المعبد أنّ ولده سيكون كارثة على قومه وعلى بلده وسيأتي من الاثم ما يجر الى ذويه وبني جلدته ويفضي إلى سقوط طروادة في يد أعدائها . ونجد العراف كالخاس يستوحي الهته في المعبد الذي مكث فيه غير قليل بناء على أمر أجاممنون لمعرفة ماذا تبغي الآلهة لتطلق الرياح . وعاد بقلب موهون ، وجسم مضعضع ، ووجه مغبر ، وجبين كاسف معقد وأطلق نبوءته "الآلهة عطشى الى الدماء" دماء افيجنيا ابنة أجاممنون لابد من تقديمها قربان ! لابد أن دمها على مذبح ديانا كي تطلق الرياح من عقالها . ولكي تكون فدى للجيش كله ولهيلاس جميعا . وبعد موت أخيل وانتحار أجاكس ؛ نجد كالخاس ينفرد ويرسل

نظرة فى النجوم ويناجى سكان السماء ثم يطلق نبوءته القائلة "سهام هرقل !! لابد من سهام هرقل ! لن يفتح عليكم طروادة إلا سهام هرقل" .

و كان بعض العرافين يتوارثون المهنة ، الخلف عن السلف ، ففى الأوديسة لدينا بعض التفاصيل عن شجرة عائلة ثيوكليمينوس المنحدر من ميلامبوس، فقد ورد ذكر اربعة اجيال من اسرته ومن بينهم اميفروؤس Amphearoas بطل طيبه ووفقا للأسطورة فإن ابنه وحفيد تريسياس قد ورثا الموهبة المقدسة . ونستخلص من الأشعار الهومرية أنّ بعض العرافين كانوا لا ينتقلون من مواطنهم ، بل كان يتم استشارتهم فيها ، بينما نجد عرافين مارسوا مهنتهم جائلين من مدينة إلى أخرى ومن بيت الى بيت بحثاً عن الرزق والاستزادة منه فنجد العراف ميلامبوس حفيد ثيوكليمينوس بعد خلافه مع الملك نيلوس كان عليه أن يرحل عن بيلوس إلى أرجوس حيث بنى هناك منزلاً وامتلك سفناً كثيرة أما عن حفيده فقد اضطره والده أن يهاجر إلى هيبريسيا (Hyperesia) فى اخيا ، أما عن حفيد حفيده فقد مارس العرافة فى أرجوس حتى اضطر إلى تركها نتيجة قتل موبسوس حفيد تريسياس العراف الطيبى .

و لدينا عرافون رسميون كانوا يعملون لخدمة الجماعة مثل هاليثيرسيس الذى كان يقوم بالتكهن والاستنباء فى الجمعية الشعبية فى أتيكا أو كالخاس الذى التحق بالجيش الآخى وذهب معه لحصار طروادة وأسدى للآخيين خدمات جليلة .

وتكشف لنا الأشعار عن أن العراف كان يلقى بعض المصاعب عندما يعلن قراره وتفسيره على الشعب أو على بعض الأسر أو الأفراد فقد كان قراره هذا يلقى

قبولا وترحيباً عند البعض بينما يسبب عدم الرضا لدى البعض الآخر وقد يخلق عداءً بين زبائنه ومستمعيه ومن الأمثلة على ذلك ما أعلنه كالخاس أن سبب غضب الإله أبوللو و صبه الضر على الآخين هو أخذ ابنة كاهنه سبية من قبل أجاممنون الذى رفض إرجاعها إلى أبيها الذى جاءه مستجديا ومتوسلا ولما وجد أعراضاً وصدوداً دعى ربه أن يصب البلايا على الآخين فاستجاب له ربه ، ولذا أعلن كالخاس أن رفع هذا الضر و البلاء لن يكون إلا بإعادة الفتاة إلى أبيها . فما كان إلا أن يصب أجاممنون غضبه وحنقه عليه . كما نجد أنَّ بوليداماس لم يرض الأمير هكتور بتفسيره نذير القتال بين النسر والتنين فوق الجيش الطروادى بأنَّ هذا فأل سيئ أو نذير شؤم للطروادين ؛ كما نجد العراف هاليثيرسيس عندما تنبأ فى الجمعية الشعبية فى أتيكا عن قرب عودة أوديسيوس وانتقامه من الخطاب وبهذا التكهن قد أغضب الخطاب لانه ضد رغباتهم مما عرضه لنهرهم وتهديدهم و توبيخهم . وإذا كان العرافون قد أغضبوا البعض أحيانا فإنهم كانوا يرضون البعض الآخر أحيانا أخرى ، ونتيجة ذلك ، فقد كانت مهنتهم مربحة فلم يأت إليهم زبائنهم خالين الوفاض بل كانوا يتحفونهم بالهدايا والهبات وقد حقق البعض منهم ثراءً عريضاً مثلما كان الحال بالنسبة لميلابوس .

جمله القول أن الاستنباء والتكهن قد شاع استخدامه عند الآخين والطروادين على حد سواء .

جـ ـ الأطباء والمشعوذون :

تقدم الاشعار الهومرية معلومات قليلة عن فن الطب والعلاج ومع ذلك فقد حظى الأطباء المحترفون بمكانة علية "فإن طبيباً واحداً يعدل رجالاً كثيرين" ومن هؤلاء الأطباء ماخون وبوداليريوس ، الأول كان جراحا والآخر طبيبا مجرباً وجراحاً ،

وكلاهما ابنا اسكلبيوس وقد ورثا عنه البراعة والحذق فى شفاء الأمراض ومعالجة الجروح وتشخيص الأمراض .

وتخبرنا الأشعار الهومرية أن الأطباء المحترفين كانوا ذوى خبرة وتجربة عملية فى تطبيب الجروح ومعرفة التأثيرات المختلفة الناجمة عن جروح معينة ومعرفة خواص الإغماء وأعراض التشنج الذى يصيب الإنسان عند الاحتضار ومعرفة أعراض الجنون والأمراض المقدسة "الصرع" وقد تفاخر بعض الأطباء بأن لهم قدرة إلهية . ووِرثة الماضى الغنى بالسحر و الشعوذة .

كان نفر من هؤلاء الأطباء قد خدموا فى صفوف الجيش الآخى كأطباء ومقاتلين فى نفس الوقت والبعض منهم جرح مثلما حدث لماخون بن اسكلبيوس الطبيب والمحارب . وكان واجب هؤلاء الأطباء المحدد فى حالة الطوارئ هو تغطية وربط الجروح والعناية بها . واتبعوا الخطوات الآتية فى تنظيف الجروح : فكانوا يفتحونها ثم يجعلونها تدمى ثم يغسلونها بماء دافئ ثم يستخدمون مساحيق ملطفة ثم يربطون العضو المجروح . وكان بعض الأطباء يقولون تعاويذ معينة لوقف نزيف الدم. ومن أمثلة هؤلاء الأطباء ماخون وبوداليريوس سالفى الذكر اذ نجدهما قد عالجا البطل فيلوكتيتيس الجريح والذى كان قد تركه الجيش الآخى فى جزيرة لمنوس ، وكان هذا البطل يحوز سهام هرقل . وقيل أن البطل هرقل قد أتاه فى منامه وأمره أنْ يرحل مع أوديسيوس وأخبره أنه سوف يبعث إليه فى طروادة واحداً من ولدى اسكلبيوس لعلاج جرحه ، وصدع فيلوكتيتيس لأمر هرقل ورحل مع أوديسيوس إلى طروادة ووصل إلى المعسكر الآخى ، وهناك اغتسل بمياه جارية ، ثم راح فى نوم عميق داخل

معبد الإله أبوللو ، واثناء نومه استأصل الجراح ماخون الجزء المتعفن من الجرح ثم صب كمية من النبيذ فى الجرح ووضع فوقه بعض الأعشاب الشافية وحجراً خاصاً اسماه اليونان حجر "الحية" وقيل أن بوداليريوس شقيق ماخون قد اشترك فى علاج جُرح فيلوكتيتيس .

وتكشف لنا الأشعار أن علاج الجروح فى ساحات القتال وفى أوقات السلم ورحلات الصيد لم تكن حكراً على الأطباء المحترفين بل نجد المحاربين والأبطال قد اتصفوا بحذقهم ومهارتهم فى عمل الأربطة والتعامل مع جروح الحرب ، وكان على المحاربين أن يساعد بعضهم بعضا فى أوقات الحاجة ، فعلى سبيل المثال نجد أوديسيوس يعالج بعض الجرحى من الأبطال . وقد تعرض هو نفسه فى شبابه لجرح فى فخده نتيجة عضة خنزير برى فى جبل بارناسوس فى أثناء رحلة صيد مع أخواله وقد عالجه أخواله ، كما نجد البطل باتروكلوس قد قام برعاية وعلاج ايوربيلوس (Eurypylos) الجريح وتطبيبه باستخدامه جذر مر بعد أن طحنه بين يديه والذى خفف الألم وجفف الجرح وأوقف النزيف . ولم يكن تطبيب الجروح والسجحات والكدمات حكراً على الرجال بل مارسته النساء أيضاً ، إذْ نجد أن المرأة كانت على دراية بكل فوائد النباتات ، وجمعها وإعداد العقاقير منها لعلاج الجروح والآلام ، ونجد أن بعض النساء قد عالجن بعض الحالات مثل علاج هيلينا للكدمات بجسد أوديسيوس بغسلها ومسحها بالزيت ، وبعد أن جرح باريس بسهام فيلوكتيتيس واشتد به الأم نجده يتذكر أن محبوبته الأولى الحورية ايونونيه كانت قد ذكرت له أنها تعرف من خواص الأعشاب المختلفة ما يشفى أقله أشد أوجاع الجروح وأنكاها وأن الإله أبوللو قد لقنها فن الطب وأنها كانت بارعة فى علاج الأمراض و تشفى كل عليل . إنها تعلمت فن

العرافة من الربة الكبرى الأم وكانت قادرة على التنبؤ بالغيب والكشف عـن المسـتقبل فأرسل فى طلبها ، بيد انها خذلته وتركته يموت . كما نجد هيلينا كانت قد جلبت طريقة إعداد الشراب المخدر المهدئ (Pharmacon nepentheos) من مصر إذ تقـول إنـها تعلمته على يد امرأة مصرية وتقول إنها عقاقير طيبة عظيمة إذا ما حفظت مع الخمـ يكون لها قدرة كبيرة لإزالة الألم والتعب وتؤدى إلى نسيان كل عرض ، وهـى قويـ المفعول فمن يشرب منها يكف عن البكاء ذلك النهار ولو مات أبوه أو ذبح أحد أخـ أو ولده أمام عينيه .

وتكشف الأشعار الهومرية أيضا عن أطباء مـهرة فـى تشـخيص وتوصيـف الأمراض ومن بين هؤلاء بوداليريوس الذى كان قـادراً علـى تشـخيص الأمـراض العقلية إذ نجده يصدق على أقوال العراف كالخاس بأن البطل أجاكس قد أصابـه مـس من الجنون وكان بوداليريوس هو أول منْ شخص حالة أجاكس المرضية عندما نظـر إلى عينيه الزائغتين . فقد أصابته الربة أثينا بمس من الجنون لغضبها عليه . كما نجـد أن بانداروس يشخص الخبل أو الجنون المؤقت لديوميد بفعل الإله ، ولكن لا يقدم لنـا هوميروس كيفية علاج هذه الحالات . وفى عصر هوميروس لم يكن اسـكلبيوس بـن أبوللو إلها بل طبيبا حاذقا فى التطبيب بفضل ما تلقنه من والده أبوللو وخيرون البـارع فى شتى المهن ، فقد لقنه الأخير فن الطب والعقاقير وشرح له فائدة الأعشاب البريـة وكيفية التمييز بينها فكل عشب له لون ورائحة وشكل خاص وله فائدة فى علاج مـرض من الأمراض وبعدها أصبح اسكلبيوس خبيراً فى العقاقير وتركيباتها وعليماً بكل فنـون السحر والشعوذة ، وذاعت شهرته فى كل أنحاء بلاد اليونان ، وأصبـح قـادراً علـى شفاء جميع الأمراض ، وتوافد عليه المرضى من كل بقاع أرض اليونـان ، وشـاعت

الأساطير حول علاجه لمشاهير وأبطال اليونان ومنهم هرقل ، بل وإحيائه للموتى .
وقد ازدهرت تعاليمه العلاجية فيما بعد فى عدد كبير من (Asclepieiea) وهى معابد ومشافى فى نفس الوقت ، وجد منها فى العالم اليونانى نحو ٣٢٠ مؤسسة ، وكانت تقع فى أماكن قريبة من الغابات أو الكهوف أو الينابيع المقدسة ، وكان يقوم بالإشراف عليها أطباء كهان أو أطباء عرافون وأطلق عليهم "الاسكليبيون" وكانوا يتوارثون احتراف المهنة الخلف منهم عن السلف . واشتملت تعاليمه على طقوس منها الصوم واغتسال الطهر ودهان الجسم بالزيت وبعدها يقدم المريض أضحية ، ويلى ذلك حضانة روحية له ، إذ كان عليه أن يقضى ليله نائماً على جلد أضحيته فى المعبد ، وفى السكون والظلمة البهيمة ، كانت الأرواح المقدسة تنزل بين النائمين فى المعبد ، وكان الإله يرسل للمريض الرؤى والأحلام أى أنه قد يسمع كلمات الإله ويتم ترجمتها بعد ذلك بشكل مناسب من قبل الأطباء الكهنة فى شكل وصفات طبية .

وكان الإله نفسه هو الذى يمنح هبة العلاج ويرفع الضر الذى يصيبه ويسلطه على البشر . ومن بين الأمراض العقلية التى تذكرها الأشعار الهومرية السهيجان والهذيان والمنخوليا ، والتى يكون سببها الآلهة التى تسلط عليه الشياطين (demon) التى تسبب له الجنون . وهكذا نجد أن بانداروس يشخص الخبل أو الجنون المؤقت لديوميد بفعل الإله ، وأجاكس قد أصابته الإلهة أثينا بمس من الجنون ، وهيلينا تعلن أن الربة أفروديتى قد أعمتها وقادتها من أرضها الحبيبة إلى طروادة تاركة ابنتها وغرفة زواجها وزوجها ، كما نجد أن الملك أجاممنون يقول إن الإلهين زيوس وارينيس (Erenyes) قد سلباه العقل وأصابا روحه بالجنون القاتل عندما استولى على مكافأة أخيل . وكانت الإلهة اتى (Atc) أيضا مسئولة عن الجنون والتهور والدوخان والعمى

والهذيان ولم يكن لها موضع قدم على الأرض ، لكن موقعها عقول النـــاس . إذا كـــان الجنون مرضا مقدسا ، ولدينا نص من عصر متأخر ــ وبدون شك كتبــه أحــد اتبــاع مدرسة أبقراط ــ ينتقد بشدة الممارسة الدينية السحرية المتبعة فـــى عــلاج المرضـــى والمرض المقدس والتى من الأرجح أنها عتيقة أو ضاربة فى القدم ، وربما وجدت فـــى العالم الهومرى وكانت خطوات العلاج بالطرق الدينية السحرية وهى : .

أولا :- تحديد مصدر المرض وذلك عن طريق تحديد الإله المسبب للمرض ، وتحديــد الإله يتم من خلال معرفة الحركات الصادرة مـــن المريــض فـالصراخ الــذى يصاحبه حركات تشنجية للأطراف يؤكد أو يشير إلى أن ســـبب المــرض هـــو وجود أم الآلهة ، كما أن الصرخات الصادرة من المريـــض الشـــبيهة بصـــهيل الخيل تشير إلى أن سبب المرض هو وجود الإلـــــه بوســـيدون ، والأصـــوات الصادرة من المريض والمقلدة لتغريد الطيور تؤكد أن سبب المرض هـــو الإلـــه أبوللو ، والرغوة على الفم تكشف عن أن سبب المرض هـــو وجــود أريـــس (Ares) بينما يكون سبب الهياج فى الليل أو المشى والشخص نائم هـــو وجــود هيكاتى (Hecate) أو وجود بعض أرواح الأبطال من العالم السفلى .

ثانيا :- إذا تم تشخيص سبب المرض فكان يتم اتباع الخطوات العلاجيـــة الآتيـــة : أنْ يتصالح المريض مع الإله مسبب المرض وأن يرضيه وأن يهدئ مـــن غضبـــه وذلك بالشكر والتطهر وتلاوة التعاويذ واتباع قواعـــد معينـــة خاصـــة بـــالأكل والملبس التى يصاحبها شعائر وطقوس معينة ، والغرض من كل هذا هو إعـــادة شخصية المريض إلى حالته الطبيعية . وكان العلاج ، وفقا لهذه الطريقة ، فـــى أيدى مطهرين جائلين وكهنة ومشعوذين ومَنْ اتبعوا طرقا سحرية ، وكما سبق

أن ذكرنا لعل هذه الممارسات كانت موجودة فى العالم الهومرى وأن هذا العالم كان يوجد به فئة من الأطباء المشعوذين وطاردى الأرواح والذين لم يكونوا من بين أعضاء الارستقراطية الطبية التى من الارجح أنْ تكون سببا فى أنَّ هوميروس قد ذكر حولها القليل .

د ـ المنشد المغنى :

نطالع فى الإلياذة أن الأسرة وأفرادها والجنود فى معسكراتهم وخيامهم كانوا يرتجلون الغناء ارتجالاً ، بينما فى الأوديسة نرى ذكراً للمنشدين المحترفين المبصرين وغير المبصرين الذين كرسوا جانباً من وقتهم للموسيقى ينشدون أغانيهم على الأنغام الموسيقية للقيثارة .

وتكشف الأشعار الهومرية عن أن المنشد المغنى كان فى نظر الإغريق رجلاً تلهمه الإلهة مثله فى ذلك مثل العراف والطبيب ، فكلماته نزلها عليه إما زيوس وإما أبوللو وإما ربات الفنون والآداب بنات زيوس ، فكانت الإلهة توحى إليه بكلمات الأغانى الحزينة والبهيجة ، ويؤكد أفلاطون على هذا الاتجاه إذ نجده يقول أن الإلهة هى التى تهب الإلهام الشعرى ، وتشير الأوديسة إلى ذلك ، ففى أحد المواضع نجد الشاعر يذكر "كان المنشد ذائع الصيت يغنى لهم وكانوا يجلسون فى صمت منصتين له ، كان يغنى لهم عن عودة الآخيين المفجعة من طروادة والتى أوجبتها الربة أثينا ، ولما كانت أغنيته محزنة وأبكت بينلوبى فقد خاطبت المنشد الربانى أى فيميوس إنك تعرف الإلهة المجيدة مما حفظه لنا المنشدون "غن لهم واحدة منها واجلس إلى جوارهم ودعهم يحتسون فى صمت كؤوس الخمر واترك هذه الأغنية الحزينة التى تجلب الأسى إلى أعماق قلبى حيث أن حزناً لا ينسى يسقط علىّ وأنا أتذكر متلهفة على رأس زوجى

الذى ذاع صيته فى هيلاس وأرجوس . فرد عليها تليماخوس لم تكرهين يا أماه أن يمتعنا المنشد المخلص بالطريقة التى تواتيه ؟ فلا لوم على المنشدين إنما زيوس هو الملوم فهو الذى يعطى كيفما شاء للبشر الساعين وراء أرزاقهم اليومية . فلا تثريب على الرجل أن يغنى مصير الدانائيين المؤسف ، لأن الناس فى الغالب يثنون على الأغنية التى تسبح إليهم نغماتهم للوهلة الأولى" وفى موضع اخر نجد تليماخوس يقول "دعونا الآن نله ونمرح ولا تحدثوا فيما بيننا شغباً فالاستماع إلى منشد صوته كصوت الإلهة لمن المتع المستحبة " ونستخلص من هذه الفقرات أن هوميروس يقدم أوصافاً للمنشد منها : أ- المنشد الربانى ، ب - المنشد ذائع الصيت ، جـ - أنه لا ينطق عن الهوى إنما يوحى إليه زيوس ، د - حلاوة وطلاوة صوت المنشد الشبيه بصوت الإلهة .

ويضيف هوميروس فى موضع اخر أنه بينما كان اوديمسيوس فى بلاط الملك الكينوس ، وجه الأخير دعوة إلى رجاله لحضور حفل تكريم أوديسيوس وطلب أن يحضر ديمودوكوس المنشد وجئ بالمنشد الذى أحبته ربات الفنون حباً جماً اللواتى أعطينه الخير والشر على السواء فقد منحنه نعمة الغناء الجميل ولكنهن سلبنه نور عينيه . ونجد أوديسيوس يقول واصفاً ديمودوكوس أن المنشد لخليق باكرام الناس ، لأن الهة الىن هى التى توحى إليه وتوليه الحب" وفى موضع أخر نجده يخاطبه قائلاً "ياديمودوكوس ألإلهة الفن هى التى توحى إليك ما تنشده أم أبوللو؟ ولكنك وأيم الحق تشيد بما عاناه الأخيين أمام طروادة العظيمة وما لاقوه من الأهوال كما لو شاهدت بنفسك فهلم الآن وغننا بذكر الحصان الخشبى . . . ." أجدْ غناء هذا فاشهدك بأنك المنشد الذى لقنته الإلهة" . "وغنى المنشد هذه الأغنية بإيحاء من الإلهة إذ تنزل أبوللو

على لسان المنشد فراح يقص الوقائع الطروادية" . إن هذه الفقرات تضيف للمنشد أوصافاً منها :-

(١) أن ربات الفنون قد منحته نعمة الغناء . (٢) أن الإلهة لقنته وأوحت له بالغناء .

فى ضوء ما سبق لقد كان المنشدون سادة فن الغناء والإيقاع والنغم ، وكان لهم دورهم فى أداء الطقوس والشعائر الدينية أى أنهم كانوا أعضاء فى الصفوة العقلية والدينية . فقد كانوا حفظة الأشعار المقدسة أى أنهم كانوا ينظمون الأغانى الشعرية المرتبطة بالإلهة وقصص الأبطال المؤلهين والأغانى التى تدخل البهجة والسرور على قلوب سامعيهم . وتقدم لنا الأوديسة فى بعض المواضع معلومات عن أغانى هؤلاء المنشدين التى أثارت شجون المستمعين والمنصتين ، وقد سبق أن ذكرنا أن غناء فيميوس قد أثار شجون بينلوبى لتذكيرها بزوجها الغائب كما نجد غناء المنشد ديمودوكوس قد أثار شجون وأحزان أوديسيوس وجعله يجهش بالبكاء ، وإذا كان أوديسيوس قد أبكاه ما رواه المنشد فنجد أن جمهور المستمعين طلبوا منه معاودة الغناء لاعجابهم به كما نجد أن الملك ألكينوس قد لاحظ بكاء أوديسيوس لسماعه المنشد فقد قال لجمهور الحضور من ضيوفه "دعوا ديمودوكوس يكف عن غنائه فمنذ وضع يده على القيثارة لم ينقطع هذا الغريب عن النحيب ليكف المنشد إذاً" .

وفى ضوء ما سبق نلاحظ أن جمهور المستمعين كان يفاضل بين أغنية وأغنية ونشيد ونشيد ، فهذا نشيد حزين يثير اللوعة والأسى وهذا نشيد بهيج يثير البهجة والسرور . كما نلاحظ أيضاً أن هناك منشدين كثيرين وأن بعضهم قد ذاع صيته وأنهم قد تفوقوا على أقرانهم وكان من بين هؤلاء كل من فيميوس الإيثاكى والذى كان المنشد

والمغنى فى بيت أوديسيوس والذى أطرب وأحزن أفراد البيت فقد أحزن بينلوبى بينما نجده يطرب تليماخوس والخطاب وكان إطرابه للخطاب عن كره لا عن رضى منه ولذا فقد نال عفو أوديسيوس عندما قتل الخطاب ، كما نجد أوديسيوس يطلب منه أن يبعث أصوات الموسيقى وبناء على ذلك فقد ضرب المنشد أوتاره ورقصت النساء . ولدينا أنموذج اخر هو ديمودوكوس المنشد الأعمى الذائع الصيت والذى لاقى احتراماً واهتماماً خاصاً من قبل الملك الكينوس وضيوفه ، فقد أجلسوه على كرسى من الفضة فى وسط الضيوف وعلقوا القيثارة على وتد فوق رأسه وأرشدوا يده عليه . ومرة أخرى نجدهم قد أجلسوه فى وسط الضيوف الجلوس فى الهواء الطلق ويأخذ مكاناً وسطاً بينهم . كما نجد قول أوديسيوس عندما أعطاه قطعة من اللحم إذ قال "إن المنشد لخليق بإكرام الناس لأن آلهة الفن هى التى توحى إليه وتوليه الحب" . لقد كان الاحتفاء بمنشد يأتى بعد الضيف وهكذا فقد لاقى المنشد كل الاحترام والتقدير .

كان المنشدون والمغنون لا يستقرون فى مكان بعينه بل كانوا جائلين ، مسافرين ورحالة عظام فكانوا يتنقلون من مدينة إلى مدينة ومن بيت إلى بيت داخل المدينة ويستقبلوا بالترحاب والإكرام فى قاعات الاحتفالات ، والبعض منهم أقام بشكل دائم فى القصور والبعض الآخر كان يتم استدعاؤه بناءً عى طلب صاحب القصر . لقد كان حضور المنشد يضيف الشهرة والبهاء وجو المرح والسرور على أجواء الاحتفالات وبذلك فقد ضمن المنشدون مكانة عليا فى المجتمع كما ضمنت لهم سبل الرزق والعيش الكريم ومخالطة علية القوم وعظمائهم .

كان المنشدون ليسوا من طبقة النبلاء ولا من طبقة العبيد بل كانوا يحتلون

مركزاً وسطاً كأصحاب مهنة تشبه مهنتي الأطباء والعرافين وأنهم كانوا من الرجال الأحرار الذين اكتسبوا احتراماً واعجاباً بسبب مهارتهم فى الغناء والانشاد وكانوا يعتمدون فى بقائهم واعاشتهم وحياتهم على رعاية الأمراء وأصحاب القصور ، كما كانت المعابد الكبرى تستعين بالمنشد ليلقى المراثى والتراتيل الدينية وكانت المدن تستدعيه لينشد فى احتفالاتها . وجملة القول أنهم خالطوا الصفوة وعلية القوم .

هـ- مهنة الشحاذة وحياة الشحاذين الغريبة

عد كل من هوميروس وهيسيودس الشحاذين بين الحرفيين demeourgoi فيذكر هوميروس أنه عندما يعدد أيومايوس الحرفيين الذين كان يبحث عنهم بين الغرباء نجده يعدد العرافين والأطباء والنجارين والشعراء ويضيف أنه لا يوجد شحاذين بينهم ولهذا فإنه يعتبر الشحاذين من الحرفين الأصلاء ، ويؤكد هذا قول هيسيودوس الذى يضع الشحاذ فى قائمة الحرفيين الذين ليسوا محل نقاش إذ نجد يقول "هكذا فإن الفاحوزى ينافس الفاحوزى ، والنجار ينافس النجار والشحاذ يغير من الشحاذ والمنشد يغير من المنشد" .

وقد سبق أن ذكرنا بعض أحوال الشحاذين ونظرة المجتمع إليهم ، ونضيف هنا ما يأتى : أن الأوديسة تقدم لنا وصفاً لحياة وطرق الشحاذ الرسمى فهو الذى يجمع الصدقات وكان نهماً لا يشبع وكثير الشراب عربيد ، وكان شاباً طويل القامة ذات ملامح خشنة وعلى الرغم من أنه كان يأكل جيداً ، إلا أن ملابسه كانت رثة ويحمل عصاً وكيس ويجلس عند الباب ويسند ظهره لعمود الباب ويحك أكتافه عليه انتظاراً أن يحضر له شخص حصته فى الخبز واللحم إذا ما كان هناك مأدبة وكان يتنقل من مأدبة إلى مأدبة .

وكان اليونانيون يعتقدون أن الشحاذين هم رسل الإله زيوس أو يكون الشحاذ هـو نفسه أحد الإلهة متنكراً والذى يذهب من مدينة إلى مدينة أخرى ليفحص قلوب الرجـال ومشاعر الانسانية والوعى بواجبات الضيافة ولذا ينبغى ألا يلحق به أذى أو ضـرر بـل ينبغى اكرامه .

وكان الشحاذ المحترف يوصف بالتعبير Opolymanter وهو يعنـى المطـهر ومعنى هذا أن الناس كانوا يعطونه الصدقات بغرض التطهر مـن الآثـام فـهو الـذى يأخذها ويزيلها وإذا كان يُحمل بالهدايا فى الاحتفالات الرسمية ، فقد كان يتلقى اللكمـات والاهانات ، وهذه هى طريقة نقل الآثام فى شعيرة التطهر . فقد صورت لنا الأوديسـة استقبال الشحاذين ، فى الموائد العامة ، بالإهانات واللكمات والقذف بالكراسى والكـوات وفى نفس الوقت كان يحصل على هبات من الطعام . وبحضـوره وتصرفـه كمطـهر يومى ، فإن الشحاذ كان مصدراً للأمان والازدهار فهو التضرع إلى الإله زيوس كـى يمنح الازدهار والرخاء لمن استقبلوه وأنه هو نفسه الصورة الجيدة للازدهار والرخاء.

وكان عليه أن يدافع عن منطقته إذا ما وصل إليها زميل له ولشـعوره بـالخطر مع وضعه فكان عليه أن يدفعه بعيداً ، خشية أن ينال الحظوة بدلاً منه وخير مثال علـى ذلك عندما يخاطب الشحاذ المحترف أروس أوديسيوس المتنكر وينهره ويطلـب منـه ترك المكان فيجيب عليه الأخير أن المكان يتسع لهما معاً إلا أن الأول رفـض وكـان على أوديسيوس أن ينازله ويصارعه وبعد أن نجح أوديسيوس وتغلب عليه طـرد أروس من المكان وحل أوديسيوس محله إلى حين .

العصر العتيق أو عصر الانتقال
الفترة الممتدة من القرن الثامن إلي نهاية القرن السادس

يُعد هذا العصر من أهم عصور التاريخ اليونانى فلا يمكننا فهم الكثير من مظاهر وسمات العصر الذهبى بمعزل عن العصر العتيق فقد شهد هذا العصر بداية الكثير من الظواهر والسمات الجديدة التى نمت وتطورت بل شهد البعض منها كماله ونضجه فى المجتمعات اليونانية فى العصر الذهبى .

إن تحديد بداية هذا العصر بدقة يمثل معضلة ، فلا يمكننا فى ضوء ما لدينا من معلومات أن نضع تاريخاً فاصلاً لبداية هذا العصر ولكن يمكننا القول أن العصر المظلم قد وصل إلى نهايته بالتدريج لدرجة أنه يصعب علينا أن نضع تاريخاً محددة لخاتمته ، ولكن فى ضوء المعلومات المتاحة عن العلاقات والصلات المتبادلة بين بلاد اليونان ومراكز الحضارة الفينيقية والآشورية والمصرية يمكننا القول أن العصر العتيق قد بدأ فى القرن الثامن .

ورغم وفرة القرائن والأدلة لهذا العصر فإننا نجد الغموض يلف الكثير من مظاهر تطور الحياة اليونانية فيه ، ويتجلى هذا الغموض عند نشأة وقيام المدنية الدولة (polis) ، فقد دار جدل بين العلماء حول تاريخ نشأة المدينة ، والتواريخ المقترحة من قبلهم تنحصر فى الفترة الممتدة بين القرن التاسع والقرن السادس ، كما دار الجدل أيضاً حول أى المناطق كان الأسبق فى نشأة المدينة هل هو ساحل أيونيا أم بلاد اليونان الأم !

إن نشأة المدينة الدولة تكون غامضة ومن العجب أن نحدد بدقة بدايتها ونشأتها بعد العصر الموكينى. ونود أن نقرر أن ظاهرة المدن الدول لم تكن تمثل

ظاهرة جديدة كل الجدة فى عالم بحر إيجة ، ففى العصر الموكينى قد وجدت مدن وممالك منفصلة عن بعضها البعض ويحكمها الملوك الذين توارثوا الملك الخلف عن السلف ، ولكن هذه الممالك تم تدمير مراكزها وانهار أغلبها أمام موجات الهجرة الدورية والعناصر الأخرى المهاجرة . والمنطقة التى نجت من الغزو والتدمير هى منطقة أتيكا قد شهدت استمراراً لنظمها وإن تطورت ولكن كان هذا التطور بطيئاً وذلك لموجات الهجرة ايها من المناطق المجاورة وأيضاً لانشغالها فى رد عدوان القبائل الدورية والقبائل المتحالفة معها .

أما عن بقية مناطق بلاد اليونان التى دُمرت مراكزها على يد الغزاة فقد كانت عملية إعادة الاستقرار والتوطن بها عملية بطيئة وذلك بسبب استمرار الهجرات إليها وما ترتب عليها من صراعات أدت إلى فرار الكثير من العناصر الايتولية وحتى الدورية إلى جزر بحر إيجة وسواحل اسيا الصغرى . ولكن عملية الاستقرار والتوطن فى تلك المناطق قد بدأت بشكل دائم فى الفترة الممتدة ما بين القرن العاشر والقرن الثامن وذلك بفضل أن بلاد اليونان لم تتعرض لغزوات خارجية كاسحة ، وإن كان هناك فى بعض الأحيان اشتباكات مؤقتة بين الجماعات المحلية ، فقد ساعد هذا السلام النسبى على تشجيع الاستقرار أكثر فأكثر وربما أدى إلى زيادة عدد السكان . بدأت بعض الجماعات تعرف الاستقرار فى المناطق التى كانت تفى باحتياجاتها من الأرض الزراعية والمراعى . وقد نزلت فى مناطق يسهل الدفاع عنها ، فقد كانوا يختارون التلال كملاذات يلجأون إليها هم وقطعانهم وهذه التلال كان يسهل تحصينها وتقويتها بتشييد اسوار حولها وصارت قلاعاً وكانت هذه القلاع بمثابة النواة لنشأة القرية التى ستتطور إلى مدينة فيما بعد . كما أنها ستصبح بيتاً لعبادة إله أو إلهة الجماعة . وعندما زاد عدد العائلات وأصبحت مساحة القلعة لا تكفيهم فقد بنى البعض منهم بيوتاً على منحدرات التلال أو فى

السهول المجاورة للقلعة ويلجأون إلى القلعة عند الشعور بالخطر . وفى البداية كان الناس يذهبون إلى حقولهم أو مراعيهم فى الصباح ثم يعودون إلى البيوت فى المساء سواء فى القلعة أو بجوارها . ولكن مع سيادة السلام فقد فضل أصحاب الأراضى البعيدة الاستقرار عليها مما سيشكل نواة لتجمعات سكانية جديدة . ويعكس هنا أرسطو ، بشكل صادق إلى حد ما ، تطور أحوال الاستقرار والتحضر في بلاد اليونان إذْ يقول "إن القرية كانت تتكون من أرباب العائلات أو اتحاد أرباب العائلات وأن المدينة قد نشأت من اتحاد القرى" . وفي الواقع فإن بعض القرى ستكون نواة لنشأة المدن إما لأنها قد نمت نمواً طبيعياً ، وإما نتيجة اتحاد واندماج بعض القرى مع بعضها البعض مشكلة مدينة وخير أنموذج على ذلك اسبرطة التى تشكلت من اتحاد خمس قرى والذى تم على مراحل ، وكما نعرف أن اسبرطة قد مدت نفوذها وسيطرتها على المدن الأخرى فى لاكونيا وكان سكان هذه المدن بمثابة مواطنين من الدرجة الثانية بينما سكان القرى الخمس قد تمتعوا بحقوق المواطنة الكاملة . والمثال الآخر هو اتحاد أثينا مع قرى سهل أتيكا ، ولعل الخطر الدورى هو الذى قرر شروط الوحدة بين قرى أتيكا وأثينا الحاضرة . فقد كان مواطنو القرى مواطنين أثينيين لهم نفس حقوق الأثيني المقيم فى منطقة الأكروبول .

وقد نمت تلك القرى تحت حكم الملوك الذين كانوا فى الحقيقة رؤساء قبائل وكانوا يعيشون فى الأكروبول إذْ يقول أرسطو "أن القلعة كانت مكاناً مناسباً لحكم الأسر الملكية والصفوة الارستقراطية والاوليجرخية" وقد ساعد على نمو القرى وارتفاع ظاهرة التحضر والتمدن بها عدة عوامل منها :

١- وجود ملك قوى راجح العقل عمل على تجميع أرباب الأسر الارستقراطية القوية حوله كى يكونوا تحت مراقبته هذا فضلاً عن تشجيع رعاياه للحياة

بجوار مركزه بدلاً من الحياة فى تجمعات صغيرة متناثرة . وإن كــــان بعــض الباحثين يرون أن فضل انشاء المدن يعود إلى الارستقراطية . وسنعود لمناقشــة ذلك فيما يلى من صفحات .

٢- شعور الجماعة إلى الحماية من اغارات الجيران الاعداء ولعل الوحدة بين أثينــا وقرى سهل أتيكا كان نتيجة لهجمات القبائل الدورية عليــــهم . كمــا أن ســكان الريف كانوا يلجأون إلى القلاع عند شعورهم بالخطر وطلب الحماية من الملـوك الذين كانوا قادة للجيش .

٣- أن الأكروبول لم يصبح مقراً للحكم فحسب بل صار بيتاً لإله أو آلهة البلدة ممـا اسبغ على المكان قداسة وجعل الجميع يرتبطون به كمركز دينى .

٤- إن زيادة اعداد العائلات قد خلق الحاجة لإيجاد نظام لتنظيم العلاقــــة بينـــهم . وهنا سنجد أن الملك قد قام بهذا الدور فى المرحلة الأولــــى فقــد كــان القــائد العسكرى والزعيم الدينى والقاضى فيما ينشب بينهم من منازعات .

٥- أنه من المرجح أن العديد من الحرفيين والأجراء قد عاشوا بشـــكل مؤقــت أو شبه دائم بجوار القلعة مما جعل الناس يرتبطون بمصالح القلعة وزمامها .

٦- لقد ساعد وجود الساحة أو السوق على تلاقى السكان ومناقشة ما يهمــــهم مــن قضايا ، هذا فضلاً عن تبادل المنافع المادية فيما بينهم بمقايضة ما يفيض عليــهم من منتجات بسلع مصنعة أو بسلع فائضة على غيرهم وكان من نتيجة هـــذا أن بعض الأسر قد فضلت العيش بجوار الساحة وهذا بـــدوره قــد نمــى ظــاهرة التحضر ونمو الشعور بالجماعة .

وهكذا فإن نشأة المدينة الدولة قد بدأت لبنتها الأولى بعد استقرار الـــهجرات فى تجمعات قروية منفصلة فى المناطق الســهلية الصغــيرة المســاحة والمحاطــة

بالتلال أو الجبال أو الأنهار والبحار وأن هذه التجمعات قـد بـدأت فـي التمـدن والتحضر بالتدريج تحت حكم الملوك ولم تصبح بين عشية وضحاها مدناً إلا بعـد مرور فترة من الزمن نمت خلالها بشكل طبيعي وبدون تخطيط سبق ، كما أن نمـو وتطور هذه المدن قد اختلف في درجته ومعدله . وإذا كانت المدينة الدولة قد نمـت فى أغلب مناطق اليونان فى القرنين العاشر والتاسع وأنه قـد اصبـح لـها نظـام سياسى واقتصادى واجتماعى واضح المعالم فى القرن الثامن .إلا أنـها لـم تـأخذ شكلها فى بعض أجزاء بلاد اليونان خاصة فى الغرب إلا بعد بضعة قـرون ومـن هذه المدن مدينة إيليس التى أنشئت فى حوالى ٤٧٠ ق.م وحتى بعد تأسيسها فـإن مواطنيها ظلوا يعيشون فى مزارعهم وضياعهم الريفية . وسنجد أن نظام المدينـة الدولة قد بدأ شكله فى القرن الثامن وهذا نعرفه من أن مدن القرن الثامن قد تولـت ارسال الاعداد الزائدة من سكانها إلى مناطق البحر المتوسط والبحر الأسود حيـث حلوا بها واقاموا مستوطنات علـى نسـق مدنـهم الأم فـى أجهزتـها التنفيذيـة والتشريعيـة .

ويختلف العلماء أيضاً حول أى المناطق أقدم فى معرفة نظام المدينة الدولـة هل هى سواحل اسيا الصغرى أم بلاد اليونان الأم ؟! يرى فريق مـن العلمـاء أن الإغريق الذين هاجروا إلى سواحل اسيا الصغرى ــ خاصة العنصر الأيونى ــ قـد سبقوا إغريق بلادهم الأم فى اعادة بعث الحضارة وتطوير المدينة واستند هذا النفـر من العلماء على الحجج الآتية :

١- أن الإغريق المهاجرين إلى اسيا لم يجربوا التوقف الحضارى مثل سكان بـلاد اليونان الذين كان عليهم أن يناضلوا لأجيال ضد الفوضى والاضطرابات التـى سببتها الهجرة الدورية .

٢- أن إغريق آسيا الصغرى كانوا على اتصال دائم بالحضارات المتقدمة فى الشرق وأنهم قد اتخذوا من المدن القديمة على سواحل اسيا الصغرى المينوية والكارية مثالاً يحتذى .

٣- أن ضغط جيرانهم الشرقيين عليهم قد أجبرهم على أن يطوروا المدينة بغرض أمور الدفاع .

ويرى فريق آخر من الدارسين أن بلاد اليونان الأم هى التى عرفت ظاهرة التمدن قبل سواحل آسيا الصغرى وقد اعتمد هذا لفريق على حجج هى :

١- أن نتائج الحفائر الأثرية فى بعض المناطق مثل ميليتوس وسامرنا القديمة قد أعطت الدليل على أن الأيونيين كانوا أكثر بطئاً فى التطور الثقافى ـ عدا الملاحم ـ عن أثينا أو الدول الدورية الناهضة .

٢- أنه كان على الإغريق المهاجرين لآسيا الصغرى أن يناضلوا لفترة طويلة قبل أن يحصلوا على درجة كافية من الأماكن المحصنة ، فقد كان استقرارهم الباكر فى مناطق محاطة بالمياه حتى يمكنهم أن التى يدافعوا عنها اضد السكان الأصليين ، كما أن بعض المهاجرين قد استرقوا بعض السكان الأصليين عندما نزلوا بسواحل آسيا الصغرى .

وفى ضوء ما سبق يرى هذا الفريق أن المدينة الدولة قد بدأت فى الظهور فى بلاد اليونان القارية - وكان ينبغى علينا أن نأخذ فى الحسبان العناصر المهاجرة بدون النساء إذ يحدثنا هيردوت عن المستوطنين الجدد فى ميلتوس والذين كان نساؤهم كاريات ، وفى مدينة تيوس فقد شارك السكان الأصليون المهاجرين الجدد فى ملكية الأراضى وهذه العناصر قد تكون قد خاضت حروباً فى البداية ووصلت إلى شروط معهم واستقرت الأحوال بعدها حيث بدأ التطور والازدهار

لهم وهذا يعنى أن بعض المستوطنات كانت الظروف مهيأة لنموها وتطورهــا مــن البداية . ولكن علينا أن نتذكر أيضاً أن منطقة أتيكا بزعامة مدينة أثينا قد حــافظت على استقلالها بعد نجاحها فى صد الغزاة الدوريين بل أنها نظمت حركــة الــهجرة للعناصر الأيونية من أتيكا إلى سواحل اسيا الصغرى مما يعنى أن مدينة أثينا كـانت مكتملة الأجهزة والتى جعلتها قادرة على تنظيم حركة الهجرة . وفى نفــس الوقــت الدفاع عن أتيكا . وهذا يشير إلى أن مدينة أثينا كانت تعد مــن أقــدم المــدن فــى اليونان وأن الظروف المحيطة بها من تهديدات قد أدى إلى تحقيــق الوحــدة بينــها وبين قرى سهل أتيكا .

أن أول شيء يمكن ملاحظته بالنسبة للمدن الدول أنها كانت بالمئات وأنــــها فى الغالب الأعم صغيرة المساحة فقد تراوحت مساحة أغلبــها مــا بيــن ٢٠٠٠ و ١٠٠٠٠ مواطن . وكانت كل من أسبرطة وأثينا من الاستثناءات التى وجدت فــى بلاد اليونان سواء فى مساحتهما أو عدد سكنتهما فلقد بلغت مساحة أسـبرطة ٣٢٠٠ ميلاً مربعاً ، بينما بلغت مساحة أثينا ١٠٦٠ ميلاً مربعاً وكانت مساحة كل منــهما فى نظر الإغريق بواسعة بصورة غير عادية ، كما أنهم نظروا إلى ضخامة عــدد السكان فى بعض المدن على أنه استثناء ، فقد بلغ عدد سكان أثينا ٣٥٠٠٠ نســمة وكان نصفهم من الغرباء والعبيد والنصف الآخر من المواطنين ، والمدن الأخــرى التى كان عدد سكانها كبيراً أرجوس وسيراكوز ، إذ بلغ عدد ســكان كــل منــهما عشرين ألفاً . وبلغ عدد سكان الأخيرة فى القرن الرابع أكثر مــن خمســين ألفــاً . فلماذا كان هذا العدد الكبير من المدن ولماذا كانت صغيرة المساحة ؟

إن العامل الجغرافى يقدم لنا تفسيراً جزئياً لهذين السؤالين فــأرض اليونــان وسواحل اسيا الصغرى كانت مقسمة إلى مناطق منفصلة عــن بعضــها البعــض بحدود طبيعية من الجبال والأنهار والبحار ، ولذا فقد كانت الظروف الطبيعية هــى

المسئولة إلى حد ما عن هذا التمزق والتشرذم . ومع ذلك لم يكن العامل الجغرافـــى
هو المسئول الوحيد عن تقسيم بلاد اليونان وأحياناً نجد دول مدن قد نمت وتطـورت
بشكل منفصل حتى على الرغم من عدم وجود حدود طبيعية تفصل بينـــها ، مثـل
كورينثة وسيكيـون ؛ وأيضاً المدن الأربع فى جزيرة كيوس Ceos الواقعة جنـوب
أتيكا ولعل السبب فى عدم اتحاد هذه المدن فى وحدة أكـــبر يعـود إلـى ظـروف
تاريخية فعلى ما يبدو بعد أن زال الخطر من قدوم هجرات جديـــدة وبعـد أن عـم
السلام النسبى بلاد اليونان أن بدأت الجماعات فى الاستقرار فـــى المنـــاطق التـى
نزلت بها وكل واحدة منها نظمت شئونها بحيث تكون مكتفية بذاتها تحت نظام حكـم
ملكى وظل الناس يعيشون جيلاً وراء جيل يزرعون أرضهم ويرعـــون قطعانـــهم
وأحياناً ما كانوا يستدعون لرد عدوان قادم من خلف الحدود فى مجتمعات الاكتفـاء
الذاتى فإن حباً عميقاً للأرض وما عليها من مظاهر والتى تعتمـــد عليــها حياتـــهم
نفسها ، ففى هذه الأرض المحدودة المساحة والتى كان بعضها لا يزيد على بضعـة
أميال طولاً وعرضاً يصبح سكانها أكثر ألفة لكل مظاهر الطبيعة ، مع كل تل وكـل
شجرة وكل جدول ماء وكل معبد أو مذبح خاص بالآلهـــة والحوريـــات والأبطـال
وعباءة الأرواح التى نمت وتطورت ومقابر الأسلاف المقدسة والأكروبــول حيـث
تعيش آلهته والتى هى أصلاً نفس الهة المدن والمنـــاطق المجـــاورة إلا أنـــها قـد
اكتسبت صفات محلية . ومن المؤكد أن الناس الذين عاشوا تحت هـــذه الظــروف
المألوفة جيلاً وراء جيل قد تأثروا بهذه المشاهد وصار شـعورهم واحـد وأن كـل
جماعة طورت من عاداتها وطرق حياتها والتى ارتبطت بشكل معين بالأرض التـى
يعيشون عليها والاقتناع بأن طريقة حياتها أفضل من طرق حياة التجمعات ، وهـــذا
قد أدى بالمواطنين بالتطرف والاسراف فى الوظيفة والرعية إلا يشاركهم أحد فـــى
تراثهم أو تغييره أو اضعافه عن طريق إدخال طرق حياة ونظم غريبة عليهم وكـان

السبب وراء عدم الوحدة والاندماج فى مناطق بلاد اليونـــان المختلفـــة . وبعـــد أن عرضنا لأسباب تعدد المدن الدول المستقلة عن بعضها البعض ننتقل للحديث عـــن أثر قيام المدنية فى تطور النظام السياسى فى بلاد اليونان .

لقد كانت نشأة وظهور ونهضة المدن هى من نتـــاج جـــهد الملـــوك الذيـــن وضعوا البنات الأولى لنظمها والتى تم تطويرها فى أغلب الأحوال فيما بعد علـــى يد حكومات الأرستقراط . فقد كان للملوك الفضل فى اتخاذ الكثير من الاجـــراءات والخطوات التى أدت إلى تكوين المدينة ، كان الملوك شيوخ قبائل وجدوا فى فـــترة الاضطرابات والفوضى وهذه الظروف قد ساعدتهم فى الامساك بمقـــاليد الســـلطة العسكرية وتولوا قيادة الجيش للدفاع عن المنطقة والأرض التى نزلـــوا بـــها ضـــد الاعتداءات الخارجية ، كما نجد أنهم بحكم موقعهم كشيوخ للقبائل قد كانوا يرعـــون طقوس العبادة لإله أو لآلهة القلعة وحماتها . فكانوا بمثابة كهنة وسدنة معابد الآلهـــة ومسئولين عن تقديم القرابين . وأيضاً بحكم أنهم شيوخ قبـــائل ، فقـــد كـــان مـــن الضرورى أن يسهروا على اقرار الأمن والسلام من خلال رعايـــة العدالـــة فـــى القرنين العاشر والتاسع ، خاصة بعد الاستقرار وما ترتب عليه من تزايـــد اعـــداد السكان حول القلعة وما نجم عن ذلك من تعقد ســـبل الحيـــاة ونشـــوب الخلافـــات والمنازعات بين الافراد ، فكان على الملك التدخل للفصل فيما شجر بينهم وإقـــرار العدالة وقد زادت سلطاتهم القضائية فى مقابل ســـلطة أربـــاب الأســـر . ونتيجـــة استتباب الأمن أن تزايدت اعداد السكان مما كان يتطلب المزيـــد مـــن الاشـــراف الإدارى من قبل الملك وأصبح فى حاجة إلى مشورة اقرانه من رؤساء الأسر ولمـــا كان الملك هو الأول بين الأقران Premus inter pares فلم يكن فى وضع يسمح له ببناء نظام إدارى على شاكلة النظام الموكينى . وإذا كان الملوك ، عندمـــا شـــجعوا أرباب الأسر القوية على الانتقال للعيش بجوار مقرهم وذلك بمراقبتـــهم والاطـــلاع

المسئولة إلى حد ما عن هذا التمزق والتشرذم . ومع ذلك لم يكن العامل الجغرافى هو المسئول الوحيد عن تقسيم بلاد اليونان وأحياناً نجد دول مدن قد نمت وتطورت بشكل منفصل حتى على الرغم من عدم وجود حدود طبيعية تفصل بينها ، مثل كورينثة وسيكيون ؛ وأيضاً المدن الأربع فى جزيرة كيوس Ceos الواقعة جنوب أتيكا ولعل السبب فى عدم اتحاد هذه المدن فى وحدة أكبر يعود إلى ظروف تاريخية فعلى ما يبدو بعد أن زال الخطر من قدوم هجرات جديدة وبعد أن عم السلام النسبى بلاد اليونان أن بدأت الجماعات فى الاستقرار فى المناطق التى نزلت بها وكل واحدة منها نظمت شئونها بحيث تكون مكتفية بذاتها تحت نظام حكم ملكى وظل الناس يعيشون جيلاً وراء جيل يزرعون أرضهم ويرعون قطعانهم وأحياناً ما كانوا يستدعون لرد عدوان قادم من خلف الحدود فى مجتمعات الاكتفاء الذاتى فإن حباً عميقاً للأرض وما عليها من مظاهر والتى تعتمد عليها حياتهم نفسها ، ففى هذه الأرض المحدودة المساحة والتى كان بعضها لا يزيد على بضعة أميال طولاً وعرضاً يصبح سكانها أكثر ألفة لكل مظاهر الطبيعة ، مع كل تل وكل شجرة وكل جدول ماء وكل معبد أو مذبح خاص بالآلهة والحوريات والأبطال وعباءة الأرواح التى نمت وتطورت ومقابر الأسلاف المقدسة والأكروبول حيث تعيش آلهته والتى هى أصلاً نفس الهة المدن والمناطق المجاورة إلا أنها قد اكتسبت صفات محلية . ومن المؤكد أن الناس الذين عاشوا تحت هذه الظروف المألوفة جيلاً وراء جيل قد تأثروا بهذه المشاهد وصار شعورهم واحد وأن كل جماعة طورت من عاداتها وطرق حياتها والتى ارتبطت بشكل معين بالأرض التى يعيشون عليها والاقتناع بأن طريقة حياتها أفضل من طرق حياة التجمعات ، وهذا قد أدى بالمواطنين بالتطرف والاسراف فى الوظيفة والرعية إلا يشاركهم أحد فى تراثهم أو تغييره أو اضعافه عن طريق إدخال طرق حياة ونظم غريبة عليهم وكان

السبب وراء عدم الوحدة والاندماج فى مناطق بلاد اليونان المختلفة . وبعد أن عرضنا لأسباب تعدد المدن الدول المستقلة عن بعضها البعض ننتقل للحديث عن أثر قيام المدنية فى تطور النظام السياسى فى بلاد اليونان .

لقد كانت نشأة وظهور ونهضة المدن هى من نتاج جهد الملوك الذين وضعوا البنات الأولى لنظمها والتى تم تطويرها فى أغلب الأحوال فيما بعد على يد حكومات الأرستقراط . فقد كان للملوك الفضل فى اتخاذ الكثير من الاجراءات والخطوات التى أدت إلى تكوين المدينة ، كان الملوك شيوخ قبائل وجدوا فى فترة الاضطرابات والفوضى وهذه الظروف قد ساعدتهم فى الامساك بمقاليد السلطة العسكرية وتولوا قيادة الجيش للدفاع عن المنطقة والأرض التى نزلوا بها ضد الاعتداءات الخارجية ، كما نجد أنهم بحكم موقعهم كشيوخ للقبائل قد كانوا يرعون طقوس العبادة لإله أو لآلهة القلعة وحماتها . فكانوا بمثابة كهنة وسدنة معابد الآلهة ومسئولين عن تقديم القرابين . وأيضاً بحكم أنهم شيوخ قبائل ، فقد كان من الضرورى أن يسهروا على اقرار الأمن والسلام من خلال رعاية العدالة فى القرنين العاشر والتاسع ، خاصة بعد الاستقرار وما ترتب عليه من تزايد اعداد السكان حول القلعة وما نجم عن ذلك من تعقد سبل الحياة ونشوب الخلافات والمنازعات بين الافراد ، فكان على الملك التدخل للفصل فيما شجر بينهم وإقرار العدالة وقد زادت سلطاتهم القضائية فى مقابل سلطة أرباب الأسر . ونتيجة استتباب الأمن أن تزايدت اعداد السكان مما كان يتطلب المزيد من الاشراف الإدارى من قبل الملك وأصبح فى حاجة إلى مشورة اقرانه من رؤساء الأسر ولما كان الملك هو الأول بين الأقران Premus inter pares فلم يكن فى وضع يسمح له ببناء نظام إدارى على شاكلة النظام الموكينى . وإذا كان الملوك ، عندما شجعوا أرباب الأسر القوية على الانتقال للعيش بجوار مقرهم وذلك بمراقبتهم والاطلاع

على انشطتهم وبذلك زادت سلطتهم وقوتهم بأن جعلوا الإدارة أكثر قدرة وكفاية إلا أنهم على المدى البعيد قد خسروا مقاعدهم الملكية على يد أرباب الأسر الارستقراطية الذين تفاهموا في التضامن والتكاتف لاسقاط الملوك والنظام الملكي وهذا التفاهم لم يكن ميسوراً لهم عندما كانوا يعيشون متباعدين مشتتين ولكن تجمعهم معاً مكنهم من تدبر الأمر والتخطيط لاسقاط الملكية والتحول إلى نظام الحكم الارستقراطي والذى لم تكن ظروفه واحدة فى كل المدن ، كما أن نتائجه كانت متباينة ، ففى بعض المدن كانت اخطاء الملك الجسيمة وغطرسته واستبداده قد تؤدى إلى ثورة عنيفة تسقط حكمه جملة ، وفى مدن أخرى كان اعتلاء طفل أو قاصر العرش يشجع النبلاء على الغاء الملكية ، كما نجد أن أفراد الأسرة أو العشيرة الملكية ككل فى بعض الحالات كانت تقتسم السلطة فيما بينها ، مثل عشيرة الملك باكخيس Bacchis فى كورينثة والتى تقلدت السلطة لعدة أجيال امتدت حوالى ٢٠٠ سنة ، وفى ميليتوس فإن الأسرة الحاكمة هى أسرة الملك نيليوس Nelius وفى ميتيلينى Mytilene كانت أسرة بينثيلوس Penthilus هى المسيطرة ، كما عرفت الارستقراطية الحاكمة فى كل من خيوس وأفسوس تعرف بأنها ملكية Basilidae أى أنها تنحدر من اسر ملكية سابقة . كما نجد أن سلطات الملوك فى بعض المدن من قبل الارستقراطية . وكان هذا التحديد يصل إلى حد أن يصبح الملك مجرد موظف وإن بقى له من الملكية اسمها ، ولنا فى مدينة اسبرطة مثل طيب فى بقاء الملكية مع تحديد سلطاتها وجعلها ثنائية يراقب فيها كل من الملكين الآخر . ولنا فى مدينة أثينا الأنموذج مع تحول الملكية وظيفة سنوية وهو ما سندرسه بتفصيل أكبر فى دراستنا لنظم المدينتين .

ويتبادر لنا السؤال التالى من هم هؤلاء الأرستقراط الذين حصلوا على السلطة فى بعض المدن طوال التاريخ اليونانى وفى بعضها الآخر طول القرنين

الثامن والسابع ؟ سبق أن ذكرنا أن بعض الأسر والعشائر الملكية وزعت السلطة فيما بينها وضربنا أمثلة مع بعضها ، ولكن من الصعب أن نعطى تفسيراً حول أصل وطبيعة الطبقة الاجتماعى وهذه الصعوبة تتعاظم عند البحث عن أصلها فى ماض لا يوجد به معلومات تاريخية ، وبعض الباحثين تجنبوا المشكلة عن طريق التأكيد بأن الطبقة الأرستقراطية قد بدا خلال العصر المظلم وأن الأرستقراط الذين حلوا محل الملوك كانوا أعضاء فى العشائر القوية الثرية ، ففى القرن التاسع على الأقل من المفترض أن الكثير من أرباب العائلات التى كانت لديها الثروة والوجاهة الاجتماعية قد اندمجوا فى مجموعات أكبر وهى العشائر ، وهكذا أصبحت هذه العشائر تسيطر على مساحات كبيرة من الأرض الزراعية والثروة الحيوانية ونتيجة لثروتها فقد سيطرت على أوجه الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية ، وكلما ازدادت قوة ازداد وعيها بتميزها الطبقى وأصلها النبيل وبدأت ترجع انسابها إلى بطل أو إله ، واعتبرت نفسها من الأفاضل arestoi وأن الحكومة التى كونتها قد أطلقوا عليها حكومة الأخيار .

ومن الواضح أن هناك اختلافات بين أنواع وأشكال الحكومات الأرستقراطية التى حكمت فى بلاد اليونان ولدينا أدلة وافرة فيما يخص كل من أثينا وأسبرطة والتى سنناقشها فيما بعد ، ولكن فيما يخص المدن فمعلوماتنا عنها شحيحة . ولكن يمكننا القول أنها كانت تمثل كل العشائر الثرية وفى بعض المدن الأخرى كان هناك عدد قليل من العشائر هو الذى يشارك فى الحكم وهو أقواها وفى بعضها الآخر كما سبق أن ذكرنا كانت العشيرة الملكية .

لقد استندت الحكومات الأرستقراطية فى حكمها على قواعد ثلاث هى :

١- العشيرة أو العشائر القوية التى هيمنت فى حكمها على الاقتصاد الأساسية

فكانت تملك مساحات واسعة من الأرض الزراعية الخصبة وحتى أراضى المراعى المشاعية فقد كان استغلالها فى الغالب الأعم من نصيب قطعانهم الكبيرة . أما المجموعات الصغيرة والفقيرة فكان لا حول لها ولا قوة .

٢- اعتمد الجيش فى تكوينه على الأرستقراطية من عصر هوميروس وحتى القرن السابع حيث كان لها القدرة على تحمل نفقات القتال والتسليح من أسلحة وخيول وعربات حربية ، بينما لم يكن فى مقدور الطبقات الوسطى والفقيرة القدرة على تحمل نفقات القتال والتسليح ، ومن ثم فقد أكد الأرستقراط على امتيازهم لأنهم حماة الجماعة والمدافعين عنها ، ولكن ابتداء من منتصف القرن السابع فقد حدث تطور فى أساليب وتقنيات القتال وذلك بالاعتماد على نظام الفيالق phalanx وجنودها المسلحين تسليحاً ثقيلاً hoplites . وهذا التطوير قد سمح لفئات من غير ملاك الأراضى للمساهمة والمشاركة فى الجيش ، فقد ساهم أفراد لديهم ثروات منقولة مثل التجار والصناع فى القتال ، وهذا التطور قد ساهم فى اضعاف سلطة الأرستقراط المطلقة على كل مظاهر الحياة فى الدولة لأن حاجة الجيش لهؤلاء المقاتلين الجدد جعل الأرستقراط مضطرين لقبولهم ومنحهم الامتيازات .

٣- اعتمدت قوة وسلطة الحكومات الأرستقراطية على اقرار العدالة فقد ورثت اختصاصات الملوك القضائية ، بل سنجد أنها قد زادت من هيمنتها على العدالة وإقرار النظام . لإنهاء الخلافات والمنازعات التى تمزق الحياة الاجتماعية وتؤثر بالتالى على أمن وسلامة الدولة ، وعلى الرغم من أن نظام المحكمين قد استمر طوال التاريخ اليونانى فإن إقرار العدالة قد أصبحت على نحو متزايد مسئولية الحكومة الأرستقراطية وأصبح الأرستقراط ، سواء أكانوا حكاماً أو أعضاء فى المجلس التشريعى ، دوراً فى سماع المشاكل والقضايا وأصدروا

فيها أحكاماً ، ولما لم يكن القانون مدوناً فقد كانت أحكامهم تعتمد على الأعراف والتقاليد القانونية الواجبة الاحترام لأنها ذات أصل مقدس ، ولكن على ما يبدو فإن أحكامهم كانت تصدر لصالح طبقتهم ، كما أنهم كانوا يرتشون وهذا ما رسمه لنا الشاعر هيسيودوس فى "قصيدته الأعمال والأيام" إذ يتحدث الشاعر عن نزاع نشب بينه وبين أخيه حول الميراث ، فبعد القسمة لم يرض أخوه بنصيبه فى ميراث أبيه ولجأ إلى الملوك المرتشين وضمن نصيباً أكبر ويرى البعض أن السبب فى الحكم من قبل الاشراف بحصوله على حصة أكبر هو أن القوانين كانت قد أباحت قسمة الأراضى ، ولكنها أبقت تحمل الأعباء العامة على كاهل الابن الأكبر فى الأسرة . وأن شكاية الأخ الأكبر لهيسيودوس قد استندت على عدم عدالة هذا الأمر . وبالتالى فإن قول الشاعر أن القضاة مرتشون يبدو أنه قد يحتوى على قدر من المبالغة ؛ ولكن القرائن تشير فى نفس الوقت إلى أن النبلاء كانوا يفضلونه فى المنازعات والقضايا وفقاً لصالح طبقتهم وكان الضحايا العاجزون الذين لا حول لهم ولا قوة ليس لهم الحق فى استئناف الأحكام فيما عدا الالتماس إلى زيوس واقتناعهم بأنه رب العدالة وأنه يعاقب هؤلاء على ما فعلوه من اثام .

وإذا كان الملوك لهم الفضل فى وضع اللبنات الأولى لنظم المدن وحياة التحضر فإن الحكومات الأرستقراطية قد طورت هذه النظم الوليدة ، ويمكن أن نجمل التطورات التى شهدتها المدن على النحو الآتى :

١- أنها استمرت فى النمو بطريقة عشوائية حول القلعة وأن بعضها قد تم تسويره فى القرن السادس .

٢- أن المدن استمرت عبارة عن تجمعات زراعية فى الأساس مع ظهور الصناعة

والتجارة وأن الساحة قد تطورت ببطء لتتحول إلى سوق كما نلمس استمرار ظاهرة العيش والسكنى لبعض السكان بعيداً عن المدن فى منزل منعزلة أو فى قرى صغيرة .

٣- أن القلاع قد صارت مقراً لحكم الطبقة الأرستقراطية وفى نفس الوقت بيوتاً للألهة بشكل دائم . كما أنها كانت تستخدم كملاذ دائم للحكام والمحكومين عند الخطر .

٤- أن الأرستقراط قد هيمنوا مع الشئون السياسية فى المدن وكانت أداتهم هى شغل الوظائف التنفيذية وعضويتهم للمجالس التشريعية المحدودة العدد والمشروطة بسن معينة . ومن المفترض أن الأرستقراط قد حاولوا الحد من سلطات الجمعيات والمجالس العامة للشعب واحتكار السلطة التنفيذية والتشريعية والقضائية . وهذا كله قد ساعد على حياة التحضر والتمدن وهذا ما يمكن أن نلمسه في المستوطنات التى أسسها اليونان حول سواحل البحرين الأبيض والأسود ، والتى كانت صورة لمدنهم الأم وهذا يشير إلى مساهمة الأرستقراط فى نشر نظام المدن خارج حدود اليونان . ولكن كان هناك خطوات كثيرة للوصول بنظم المدن إلى حد الكمال .

وقد شهد العصر العتيق سلسلة من الظواهر والتى سنجملها . فقد شهد زيادة فى السكان وتطوراً فى الصناعة والتجارة وما تبعها من حركة الهجرة الكبرى إلى خارج بلاد اليونان والتى كان لها أثارها ، هى الأخرى ، السياسية والاقتصادية والاجتماعية البعيدة المدى فى بلاد اليونان ، كما شهد هذا العصر تدوين القوانين التى كانت فى السابق عبارة عن أعراف ، وتقاليد قانونية تخضع للتفسير ، والتطبيق الاعتباطى من قبل الأرستقراط وانتقل الفرد من عصر ما قبل القوانين

predroit إلى مجتمع القوانين droit ، كما شهد هذا العصر تطور الجيش وأساليب القتال والاعتماد على نظام الفيالق المعتمد على جنود المشاة ثقيلى العدة . وسنحاول أن نعرض فى الصفحات التالية لتلك القضايا وإن كنا سنبدأ بالهجرة الكبرى .

حركة الاستعمار الكبرى :

تمثل حركة الهجرة الكبرى أهم سمات العصر العتيق ، وقد بدأت فى النصف الأول من القرن الثامن واستمرت حتى نهاية القرن السادس .

وقد سبق أن رأينا كيف انتشر اليونان على ضفتى بحر إيجة خلال الألف الثانى قبل الميلاد فى فترة الهجرات الدورية . والآن نعرض لحركة الاستعمار الكبرى التى بعد قرنين من الزمان على الأقل من استقرار اليونان بعد الهجرة إلى بد اليونان من قبل القبائل الدورية والقبائل المتحالفة معها والهجرة المضادة من قبل الأيونيين والأيوليين ومن بعد الدوريين . ولا يجب أن نخلط بالمرة بين الحركتين .

لقد سبقت حركة الهجرة الكبرى دون شك فترات استكشافات ومغامرات فى شمال بحر إيجة والبحر الأسود وفى غرب البحر المتوسط والتى سنتناول البعض منها فيما بعد .

إن أعقد المشاكل حول حركة الهجرة والاستيطان الكبرى هو تاريخ انشاء المستوطنات ، وفى الواقع فإن تواريخ انشاء المستوطنات فى معاهدة صقلية عند ثيوكيديس صحيحة إلى حد ما حيث أنها تتطابق مع نتائج التنقيبات الأثرية . كما أن التواريخ الواردة عن انشاء المستوطنات فى البحر الأسود عند Pseido Saymnus هى الأخرى صحيحة حيث أكدتها التنقيبات الأثرية ، ولكن فإن تواريخ انشاء المستوطنات فى مناطق أخرى غير دقيقة وذلك لأن المصادر التى تحدثت عنها متأخرة بفترة طويلة ومن هذه المصادر يوسالبى القيصرى (قرن ٤م.) فقد

ذكر تواريخ مبكرة للغاية وغير دقيقة لنشأة المدن فعلى سبيل المثال أنه ليس من المعقول أن مدينة كوماى فى جنوب إيطاليا على حد قوله قد تم تأسيسها سنة ١٠٥١ ق.م ، بينما يذكر كاتب آخر أنها تأسست ١٠٤٦ ق.م. وهذان التاريخان من المؤكد أنهما خطأ لأن تاريخ حركة الاستعمار فى ضوء نتائج التنقيبات الأثرية لم يبدأ ، على ما يبدو حتى بداية القرن الثامن وأقدم تاريخ لدينا عن المستوطنات فى الغرب هو سنة ٧٧٥ ق.م. وهو تاريخ انشاء مستوطنة فى جزيرة بيثكوساى Pithecusae (اسخيا Ischia) ، بينما أن التاريخ المقترح والمتعارف عليه لنشأة كوماى هو عام ٧٥٠ ق.م .

لقد بدأ إغريق بلاد اليونان وجزر بحر إيجة وساحل آسيا الصغرى أكبر حركة استيطانية منظمة فى تاريخهم وقد استمرت هذه الحركة ما يزيد على قرنين من الزمان وانتشرت خلالها مئات المستوطنات اليونانية من كرميا Cremia شمالاً (على البحر الأسود) إلى نقراطيس فى دلتا النيل جنوباً ومن القوقاز Caucosas شرقاً إلى أسبانيا غرباً . فقد انتشرت هذه المستوطنات حول شواطئ البحرين الأبيض والأسود وحول مضيق البسفور والدردنيل . وكان المستوطنات يختارون أماكن استيطانهم عند مصبات الأنهار وفى المناطق القريبة من المياه والتى يسهل الدفاع عنها . لقد انتشروا فى تلك المناطق مثل انتشار الضفادع حول بركة الماء .

ولما كانت حركة الهجرة الكبرى قد أنشأت مئات المدن فى خلال قرنين من الزمان ، فمن المعقول أن نقول ، فيما عدا بعض الحالات الاستثنائية ، أن هناك تشابه بين ظروف وأسباب مثل هذه الحركة الاستيطانية الواسعة ، كما سنجد أن بعض الظروف قد أعاقت التوسع والاستيطان فى بعض المناطق وذلك لوجود دول قوية ، وقوى شديدة المراس حدت بل منعت من هذا التوسع .

فقد كان هناك تشابه فى التركيبة السياسية ، والاقتصادية والاجتماعية فى أغلب المدن . فقد شهدت بلاد اليونان ، فى خلال القرن الثامن ، سلاماً وهدوءاً أو تطورت خلاله المدن وحلت الأرستقراطية محل الملوك فى أغلب مناطق بلاد اليونان وزادت أعداد السكان زيادة كبيرة ، وكانت فئات السكان هى نفسها تقريباً فى المدن وهذه الفئات هى :-

أ - فئة الأرستقراط : وكانت تتكون من الأسر القوية التى كانت تضع يدها على أخصب وأغلب مساحات الأرض الزراعية كما أن قطعانهم الكبيرة قد استغلت المراعى المشاعية فى الغالب الأعم . وأمسكت هذه الفئة بزمام ، ومقاليد الحكم في المدن .

ب - فئة صغار الملاك ، أو الزراع : وكانت هذه الفئة تملك مساحات قليلة من الأراضى الخصبة ولديها القليل من القطعان من الحيوانات .

جـ - فئة الحرفيين والصناع : وكانت هذه الفئة قليلة العدد وذلك لأن الصناعة والتجارة كانت بداياتهما الأولى .

د - فئة الأجراء : وهؤلاء كانوا لا يملكون أرضاً ولا ضرعاً ولا يمارسن حرفة وإنما يعملون بالأجر عند أصحاب الأراضى .

كانت زيادة السكان تمثل مشكلة خطيرة فى المجتمع اليونانى والذى كان اقتصاده يعتمد بشكل أساسى على الزراعة والرعى فقد كانت مساحة الأرض محدودة ومركزة فى أيدى حفنة قليلة من الأرستقراط ومن ثم فإن انتاج أغلب الأراضى كان حكراً عليهم ولذا فإن أية زيادة فى السكان تمثل عبئاً ثقيلاً على المدن لأن انتاجية الأرض لن تكفى لمزيد من الأفواه . وهنا سؤال يطرح نفسه كيف تصرف هؤلاء الناس من الأشراف والعامة والذين لم تعد الأرض تفى

باحتياجاتهم ؟ نجد أن البعض منهم قد عمل كمرتزقة عند الملوك الشرقيين ، فقد خدموا فى جيش الملك جبجيس الليدى وفى جيش الفرعون ابسماتيك ، واشتغل البعض منهم بالقرصنة ، فمن يقرأ الأوديسة سيجد هجوم القراصنة وإغاراتهم على المدن والسكان ومنها هجوم أوديسيوس على المدن والسكان ومنها هجوم أوديسيوس ومنيلاوس والذى سبق أن ذكرناه ، كما أن سؤال الملك نستور إلى تليماخوس واتباعه : من أنتم أيها الغرباء ؟ هل أبحرتم للاتجار أم لأعمال القرصنة التى كان القراصنة فيها يخاطرون بحياتهم ويجلبون الشر للآخرين ؟ كما أن نقشاً مسمارياً آشورياً يشير إلى طرد الآشوريين لملك مغامر يبدو أنه كان يونانياً يدعى أيامانى Iamani ووُصف بالملعون ، وكان ملكاً على أشدود الفلسطينية سنة ٧١١ ق.م. كما أن البعض منهم قد رحل عن بلاده واشتغل بالقرصنة ومن هؤلاء المهاجرين من فوكايا الذين استقروا فى كورسيكا . ومن الواضح أن بعض اليونان قد عمل بالتجارة ومبادلة منتجات النبيذ وزيت الزيتون بالحبوب وسلع الشرق .

ونلاحظ أن المستوطنات قد تركزت فى بعض المناطق بصورة كبيرة بينما قلت أو انعدمت فى بعض المناطق الأخرى . فما سبب ذلك ؟ لم يتوسع اليونان فى انشاء المستوطنات فى شرق البحر المتوسط وسواحله الجنوبية نظراً لوجود دول وقوى قوية لا يستطيعون استيطان مناطق منها والاقامة فى أراضيها إلا بعد سماحها ورضاها . فقد كان لوجود مملكة ليديا أثره الكبير على وقف توسع اليونان فى آسيا الصغرى .

ويقول استرابو أن أهل ميليتوس قد أسسوا مستوطنة أبيدوس على الساحل الآسيوى بموافقة الملك الليدى جيجيس . ويرى البعض السبب فى سماح ليديا بانشاء المستوطنة هو رغبتها أن تستخدم كدرع ضد حركة القرصنة فى المنطقة .

وإذا كان اليونان قد نزلوا بمدينة المنيا فى شمال سوريا فقد كانوا تجاراً ، وقد كانت مدينة المنيا بمثابة المركز التجارى فى المنطقة وقد قصده التجار اليونان من المناطق اليونانية المختلفة وأقاموا به حيث بادلوا سلعهم بالسلع الشرقية كما نقلوا الأفكار الشرقية إلى أوطانهم . أما بقية السواحل السورية فقد كانت فى الغالب الأعم تحت سيطرة المدن الفينيقية والتى كان لها دور هام فى تجارة البحر المتوسط فى الفترة الباكرة فى شرقه وفى الفترة المتأخرة فى غربه ، فتشير القرائن إلى أنه فى بداية الألف الأول كان لهم تجارتهم وصلاتهم مع قبرص وكريت ورودس ، كما نجد اشارات عنهم عند هوميروس . وإذا كان الفينيقيون قد بادلوا السلع الشرقية بالسلع اليونانية فإنهم قد كان لهم الفضل فى اطلاع اليونان على جوانب الحضارة الشرقية .

وإبان القرنين الثامن والسابع وهى فترة المد والانتشار اليونانى كان الآشوريون يمثلون أقوى الدول فى المنطقة ، فقد مدوا نفوذهم على المدن الفينيقية ومدوا نفوذهم أيضاً على جانب من آسيا الصغرى وتروى لنا المصادر أنهم قد اصطدموا باليونان هناك ، ودارت معركة بينهم فى عهد الملك سنحاريب ٧٠٥ ق.م . كما نجد أن الآشوريين قبل ذلك قد مدوا نفوذهم وسلطتهم على قبرص وفرضوا الجزية على مدنها سنة ٩٠٧ ق.م. وهكذا نجد أن كل من الليديين والفينيقيين ومن بعد الآشوريين قد حدوا من توسع اليونان فى سواحل آسيا الصغرى الجنوبية والسواحل السورية .

أما بالنسبة لمصر فقد خضعت مصر للآشوريين سنة ٦٧١ ق.م. ونجح الفرعون أبسماتيك فى طردهم وقد استعان هذا الفرعون بالمرتزقة الأيونيين والكاريين والذين كانوا كان قد أرسلهم إليه ملك ليديا فى كفاحه ونضاله لتحرير مصر من الآشوريين . وبعد إخراج الآشوريين فقد اقطع الفرعون هؤلاء المرتزقة

باحتياجاتهم ؟ نجد أن البعض منهم قد عمل كمرتزقة عند الملوك الشرفيين ، فقد خدموا فى جيش الملك جيجيس الليدى وفى جيش الفرعون ابسماتيك ، واشتغل البعض منهم بالقرصنة ، فمن يقرأ الأوديسة سيجد هجوم القراصنه وإغاراتهم على المدن والسكان ومنها هجوم أوديسيوس على المدن والسكان ومنها هجوم أوديسيوس ومنيلاوس والذى سبق أن ذكرناه ، كما أن سؤال الملك نستور إلى تليماخوس واتباعه : من أنتم أيها الغرباء ؟ هل أبحرتم للاتجار أم لأعمال القرصنة التى كان القراصنة فيها يخاطرون بحياتهم ويجلبون الشر للآخرين ؟ كما أن نقشاً مسمارياً آشورياً يشير إلى طرد الأشوريين لملك مغامر يبدو أنه كان يونانياً يدعى أيامانى Iamani ووُصف بالملعون ، وكان ملكاً على أشدود الفلسطينية سنة ٧١١ ق.م. كما أن البعض منهم قد رحل عن بلاده واشتغل بالقرصنة ومن هؤلاء المهاجرين من فوكايا الذين استقروا فى كورسيكا . ومن الواضح أن بعض اليونان قد عمل بالتجارة ومبادلة منتجات النبيذ وزيت الزيتون بالحبوب وسلع الشرق .

ونلاحظ أن المستوطنات قد تركزت فى بعض المناطق بصورة كبيرة بينما قلت أو انعدمت فى بعض المناطق الأخرى . فما سبب ذلك ؟ لم يتوسع اليونان فى انشاء المستوطنات فى شرق البحر المتوسط وسواحله الجنوبية نظراً لوجود دول وقوى قوية لا يستطيعون استيطان مناطق منها والاقامة فى أراضيها إلا بعد سماحها ورضاها . فقد كان لوجود مملكة ليديا أثره الكبير على وقف توسع اليونان فى اسيا الصغرى .

ويقول استرابو أن أهل ميليتوس قد أسسوا مستوطنة أبيدوس على الساحل الآسيوى بموافقة الملك الليدى جيجيس . ويرى البعض السبب فى سماح ليديا بانشاء المستوطنة هو رغبتها أن تستخدم كدرع ضد حركة القرصنة فى المنطقة .

وإذا كان اليونان قد نزلوا بمدينة المنيا فى شمال سوريا فقد كانوا تجاراً ، وقد كانت مدينة المنيا بمثابة المركز التجارى فى المنطقة وقد قصده التجار اليونان من المناطق اليونانية المختلفة وأقاموا به حيث بادلوا سلعهم بالسلع الشرقية كما نقلوا الأفكار الشرقية إلى أوطانهم . أما بقية السواحل السورية فقد كانت فى الغالب الأعم تحت سيطرة المدن الفينيقية والتى كان لها دور هام فى تجارة البحر المتوسط فى الفترة الباكرة فى شرقه وفى الفترة المتأخرة فى غربه ، فتشير القرائن إلى أنه فى بداية الألف الأول كان لهم تجارتهم وصلاتهم مع قبرص وكريت ورودس ، كما نجد اشارات عنهم عند هوميروس . وإذا كان الفينيقيون قد بادلوا السلع الشرقية بالسلع اليونانية فإنهم قد كان لهم الفضل فى اطلاع اليونان على جوانب الحضارة الشرقية .

وإبان القرنين الثامن والسابع وهى فترة المد والانتشار اليونانى كان الآشوريون يمثلون أقوى الدول فى المنطقة ، فقد مدوا نفوذهم على المدن الفينيقية ومدوا نفوذهم أيضاً على جانب من اسيا الصغرى وتروى لنا المصادر أنهم قد اصطدموا باليونان هناك ، ودارت معركة بينهم فى عهد الملك سنحاريب ٧٠٥ ق.م . كما نجد أن الآشوريين قبل ذلك قد مدوا نفوذهم وسلطتهم على قبرص وفرضوا الجزية على مدنها سنة ٩٠٧ ق.م. وهكذا نجد أن كل من الليديين والفينيقيين ومن بعد الآشوريين قد حدوا من توسع اليونان فى سواحل آسيا الصغرى الجنوبية والسواحل السورية .

أما بالنسبة لمصر فقد خضعت مصر للآشوريين سنة ٦٧١ ق.م. ونجح الفرعون أبسماتيك فى طردهم وقد استعان هذا الفرعون بالمرتزقة الأيونيين والكاريين والذين كانوا كان قد أرسلهم إليه ملك ليديا فى كفاحه ونضاله لتحرير مصر من الآشوريين . وبعد إخراج الآشوريين فقد اقطع الفرعون هؤلاء المرتزقة

فى مناطق مصر المختلفة اقطاعات من الأرض كمكافأة لهم نظير خدماتهم . وقد تبع هؤلاء المرتزقة التجار من اليونان .

فقد فتح أبسماتيك وخلفاؤه أبواب مصر أمام اليونان ، وإذا كان قد وجد لليونان مدينة فى مصر ، وهى مدينة نقراطيس ، فقد كانت تحت إشراف وسلطة فرعون مصر . وهذا يعنى أنهم قد استقروا بعد سماح الفرعون لهم .

وفى ضوء هذه الأحوال والظروف فإن اليونان قد اتجهوا شمالاً فى منطقة سواحل البحر الأسود وغرباً فى منطقة صقلية وجنوب ايطاليا وشواطئ فرنسا واسبانيا . وإذا كانوا نجحوا فى تأسيس قورينى فقد فشلت جهودهم فى تأسيس مستوطنات أخرى وذلك بسبب موقف قرطاج العدائى منهم . كانت أرض هذه المناطق تمثل الأرض البكر وكانت تقطنها جماعات متفرقة ولا تشكل دولاً قوية ، وهى على الرغم من وجود بعض المتاعب من القوى المحلية ، فقد كان من السهل على اليونان النزول بتلك المناطق والعيش فيها . ولكن بعد أن توسع اليونان فى شرق وجنوب وشمال صقلية وقفت لهم قرطاج بالمرصاد فى الغرب كما وقفت ضدهم فى جزيرة كورسيكا هى و الاتروسكيون وتم طرد المستوطنين منها والت سيادتها إلى الاتروسكيين . لقد كانت منطقة غرب البحر المتوسط منطقة نفوذ قرطاجى إلى حد كبير ، فقد سيطروا على غرب صقلية وجزيرة سردينيا وجزر البليار . وهكذا سنجد أن توسعهم فى الغرب قد حد منه بشكل كبير كل من القرطاجيين والاتروسكيين .

لقد وجدت عوامل داخلية سرعت من حركة الهجرة إلى حوض كل من البحر المتوسط والبحر الأسود هى :-

أولاً العوامل الاقتصادية :

١- نقص مساحة الأرض الزراعية :

يؤكد بعض الكتاب القدامى ، وخاصة ثيوكيديس وأفلاطون، على أن سبب الهجرة هو نقص الأرض *στενοχωρια*. ويرى فريق من الباحثين أن نقص الأرض يعود إلى زيادة السكان وكان هذا الرأى على الرغم من وجاهته يعارضه فريق آخر إذ يرون أنه غير محتمل ويرجع نقص الأرض إلى النظام القانونى الخاص بملكيته الأرض مستنداً فى ذلك على ما يأتى :-

١- أنه لا المصادر الأدبية ولا الحفائر الأثرية الحديثة تثبت أن المدن اليونانية فى القرنين التاسع والثامن قبل الميلاد قد ازدادت أعداد سكانها كثيراً عن موارد أراضيها .

٢- أن الكثير من المدن التى أقامت مستوطنات لها فى الخارج خلال تلك الفترة لم تكن إلا مدناً صغيرة قليلة السكان .

٣- أن العديد من المدن مثل ميليتوس وجالكيس كانت مراكز لأراضى خصبة ويمكنها اعاشة أعداد كبيرة من السكان يفوق سكانها فى بداية الألف الأول قبل الميلاد . وفى ضوء كل ما سبق فإنهم يرون أن السبب المباشر لنقص الأرض المصطنع هو النظام القانونى السائد الخاص بملكية الأرض ؛ فإذا ما كان بالمدن أعداد كبيرة من الرجال الذين لا ملكية لهم فإن الخطأ كان فى نظام الملكية . فقد كانت ملكية الأرض الزراعية للأسرة غير قابلة للقسمة أو التصرف واضطرت كل عائلة ممتدة حتى بالنسبة لأحفاد الأحفاد أن تزرع الأراضى المخصصة للأسرة بطريقة مشتركة . فكانت حيازة الأرض تنتقل إلى أكبر الأولاد ويعيش فى كنفه اخوته . ولذا فإن الأخوة الطموحين الذين لا يرضون بهذا الوضع اى أنهم كانوا يريدون أن يكون لهم أملاكهم الخاصة بهم وأن يستقلوا بأنفسهم . كما أن أفراد الأسر التى لم تمكنهم أحوال ميلادهم غير

الشرعى ، أو سوء تصرفاتهم مما أدى إلى نفيهم وحرمانهم من الميراث كما أن كل شخص لا ينتمى للأسرة أو العشيرة ليس له الحق فى التملك ولم يكن فى إمكانه أن يحصل على الأرض أبداً ، وهكذا حرم القانون الغرباء والأبناء غير الشرعيين والذين ارتكبوا جريمةً وحُكم عليهم بالنفى من الميراث . ولم يكن أمام هؤلاء إذا ما رغبوا فى الحصول على أرض زراعية ظل نقص الأرض $\sigma\delta\varepsilon\nu o\chi\omega\rho\iota\alpha$ فكان على البعض منهم أن يقوم باستصلاح الأراضى الفقيرة مثل والد هيسيودوس ، بينما البعض الآخر صار لصاً أو قرصاناً والبعض الآخر بحث عن الأرض خارج بلاد اليونان ومن بين هؤلاء الشاعر ارخيلوخوس ، من باروس ، الابن غير الشرعى للرجل النبيل تيلسيكليس Telesicles والأمة انيبو Enipo .

ويرى هذا الفريق أيضاً أنه حتى بعد انهيار النظام الأسرى ، أو العائلة الممتدة والسماح بمبدأ تقسيم الممتلكات فإن الأرض كانت لا تقسم ولا تنقل للابناء الذين ينتمون للأسر الكبيرة أو أبناء الرجال الذين استصلحوا الأراضى . ويستطرد هذا الفريق فى القول إن تقسيم الأرض فى حالة وفاة رب الأسرة قد خلق طبقة من ملاك الأراضى غير قادرة على إعاشة نفسها وذلك لصغر مساحة الأرض الموروثة .

وتعليقنا على هذا الرأى أنه قد أقر فى نقطته الأخيرة عدم كفاية انتاج الأرض لسد حاجات أصحابها وأسرهم مما يشير إلى الزيادة السكانية والتى حاول أصحاب هذا الرأى انكارها ومع ذلك فإنه يقدم بعض النقاط الوجيهة وهى أن الغرباء والمنفيين والأبناء غير الشرعيين كانوا لا يرثون ، كما أن نظام الملكية المشتركة – قبل إباحة التقسيم – قد دفع بعض أفراد الأسرة الطموحين الذين لا يرضون عن هذا الوضع إلى تركها والرحيل والبحث عن أرض جديدة يمكنهم أن

يبدءوا فيها حياة جديدة . وجملة القول أن هذا الرأى فى خاتمته يعطى بعض التأكيد على صحة الرأى القائل بأن نقص الأرض ناتج عن زيادة السكان وأن العامل الديموجرافى كان له الأهمية الأولى . فقد رأوا أن مناطق كثيرة قد عانت من ازدياد عدد سكانها وهذا ما يشهد عليه بشكل مباشر وغير مباشر الزيادة الكبيرة فى حجم وعدد المستوطنات التى كشفت عنها الحفائر ، لقد كان لانخفاض نسبة عدد الوفيات أثرها فى زيادة سكانية أدت إلى عدم كفاية انتاج الأرض لتغذية كل أفراد الأسرة الشباب . كما أن التوزيع غير العادل للأرض بين الأفراد حتى بعد إباحة تقسيم الممتلكات المحدودة المساحة والتى أعيد تقسيمها مرة أخرى مما جعلها لا تفى باحتياجات أصحابها الضرورية وعلاوة على ذلك فإن مساحة أرض اليونان محدودة . ويؤكد هذا قول الشاعر هيسيودوس "إن الطريق لازدهار صاحب البيت هو أن يكون به ولد واحد . لقد كان على الأفراد الهجرة الإجبارية أو الاختيارية التى نظمتها المدينة لهم والتى كان هدفها من وراء ذلك ألا ترهق نفسها بمطالب الأفواه التى لا تقدر على تغذيتها وتلبية احتياجاتها . ولعل خير أنموذج هو ما حدث فى مدينة ثيرا . ويروى هيردوت أن القصة تبدأ بنبوءة صادرة من دلفى والتى أمرت أهل ثيرا باستعمار ليبيا ، ويقول أن أهل ثيرا قد أهملوا هذه النبوءة ولذا فقد عُوقبوا بسبع سنوات لم يسقط فيها المطر ، اضطروا بعدها ارسال مواطنين لقورينى . وقد تم اختيار المستوطنين أخ من أخ بالقرعة ، ويروى أنهم بعد ذهابهم فى سفينتين غابت عنهم شجاعتهم وحاولوا العودة إلى وطنهم مرة أخرى فأبعدوا بالقوة مرة أخرى . ويتفق مع قول هيردوت السابق نقش من قورينى ، وإن كان من فترة متأخرة ، ولكنه يضيف ما يأتى : إذا رفض أحد المجبرين على الابحار فإن عقوبته الموت ، ويمكن للمستوطنين أن يعودوا فقط إلى وطنهم الأم إذا ما مرت عليهم خمس سنوات حاولوا فيها بجد التوطن ، ولكن إذا ما وضح فشلهم فى

المغامرة فإن لهم الحق فى العودة .

وهذه القصة تروى لنا أن الاستعمار إذن يحمل شهادة معبرة عن حجم الأزمة السكانية التى أثرت على أجزاء كثيرة من بلاد اليونان وأن الكثير من المدن قد ساهمت فى الهجرة بصورة مباشرة أو غير مباشرة فمن المؤكد أنه عند تأسيس مستعمرة جديدة تحت رعاية واشراف مدينة معينة فإنه كان يحدث غالباً أن رجالاً من مدن أخرى كانوا يشاركون فى عملية التنفيذ . وتعد مدينة ميليتوس مثالاً رائعاً على أن المدن المنظمة لحركة الهجرة إذ لا يعقل أنها كانت بمقدورها وحدها أن تؤسس هذا العدد الكبير من المستوطنات والذى بلغ أكثر من تسعين مدينة.

وفى الواقع فإن كل من الرأيين يحتوى على قدر من الحقيقة ، فنقص الأرض قد أتى من نظام الملكية المشتركة لأرض الأسرة دفع البعض إلى الهجرة ، كما أن تقسيم الممتلكات فيما بعد بين الورثة الشرعيين قد أدى إلى نقص الموارد بالنسبة للأعداد المتزايدة منهم وهذا دفع البعض منهم مختاراً أو مجبراً إلى الهجرة حيث توجد الأرض الخصبة . وتكشف لنا المصادر الأدبية والوثائقية أن هؤلاء المهاجرين قد اختاروا المناطق ذات التربة الخصبة والمراعى الكثيفة والمناخ المشابه لمناخ وطنهم . ومن هذه المناطق قورينى وسهول جنوب إيطاليا وصقلية . وإذا كان نقص الأرض أو الجوع للأرض وزيادة السكان من الأسباب الرئيسية للهجرة فإن هناك أسباب أخرى أدت إلى الهجرة منها التجارة وعدم الرضا بالوضع السياسى والاجتماعى وعدم الرغبة فى الخضوع لغزاة سواء من الإغريق أو الأجانب وأخيراً روح المغامرة .

التجارة :

يرى نفر من الباحثين أنه لا مجال للتجارة فى دفع حركة الاستعمار وأنه لم يكن لها أى أثر فى تأسيس المستوطنات ، بينما ركز بعض العلماء على أن الباعث

التجارى والرغبة فى الحصول على المواد الخام ، والحصول على أسـواق التـى يمكن أن يبيعوا منتجاتهم فيها كانت وراء حركة الاستعمار . وفى الواقع لا يمكننـا أن ننكر أو نغالى فى أثر التجارة فى دفع حركة الهجرة والاستيطان فقد كان البحـث عن أرض جديدة لم يكن هو الهدف الوحيد للمهاجرين ولا يوجـد أدنـى شـك أن الهجرة والاستقرار بين الشعوب الأجنبية كان بغرض التجارة فقد سـبق أن رأينـا كيف أن الأبطال الهوميريين لم يترددوا فى السفر بأنفسهم لجلـب وحمـل السـلع الضرورية . ومن المرجح أن المحطات التجارية والمستوطنات التجارية قد سـبقت حركة الاستعمار فى النصف الأول من القرن الثامن . ومـن الأمثلـة علـى هـذه المحطات التجارية ميناء المنيا فى شمال سوريا ، فكان نصف سكانها من اليونـان من أهل يوبويا . والنصف الآخر من السكان المحليين . كما أنه يمكننـا القـول أن التجار والقراصنة قد قدموا معلومات وتقارير عن استكشـافاتهم لشـواطئ البحـر المتوسط الغربية ولدينا أدلة فخارية من فخار يوبويا تم العثور عليها فى مدينة فيـى Veii الاتروسيكية وفى كابوا فى سهل كامبانيا وهذه القرائن يرجع تاريخـها إلـى عصر الهجرة للمنطقة وهذا يعنى أن التجار من جزيرة يوبويا قـد وصلـوا إلـى سواحل إيطاليا الغربية قبل أن تبدأ حركة الاستعمار وأنهم قد نقلوا ما شاهدون عـن المواقع الملائمة للاستيطان سواء أكانت صالحة للزراعة أو مراكز تجارية . ولـم تكن المستعمرات الأولى التى أسسها أهل يوبويا تقع فـى أقـرب أرض زراعيـة خصبة ، ولكن كانت قد احتلت مواقع ملائمة للتجارة مع ارتوريا . ومن أقدم هـذه مستعمرة فى جزيرة بيثكوساى Pithecusae سـنة ٧٧٥. وهـذه المسـتوطنة قـد دعمتها محطات عبر ممر ميسينيا ، ولعلهم قد قاموا أيضاً بجهود استكشـافية فـى جنوب فرنسا وشمال أفريقيا إذ يقول هيردوت أن أهل فوكايا Phocaea هم أول من قاموا برحلات بحرية طويلة وأنهم هم الذين اكتشـفوا أدريـا Adreia وثيرهينـا

وايبريا وتارثوس وأنهم لم يبحروا فى سفن تجارية بل فى سفن حربية Tyrhenia وأنهم عندما وصلوا إلى تارتوس فقد عاملهم ملكها ارجانثونيوس Arganthonios معاملة حسنة ومنحهم هدايا قيمة عند رحيلهم ، كما أن صداقتهم مع هذا الملك قد جلب لهم الكثير من الفضة التى استخدموها فى بناء سور حول مدينتهم لحمايتها وهذا السور هو السور الوحيد على ما يبدو فى ايونيا .

لقد كان الطلب على المواد والسلع الخام مثل الحديد والنحاس والرصاص وراء انشاء بعض المستوطنات ومنها بيثكوساس وفيما بعد فقد أه فوكايا ماساليا واستغلت ميناء تجارى مع الغال وللحصول على الرصاص والصفيح ، كما أنشأ المستوطنون بدورهم عدد المحطات الصغيرة فى شرق الساحل الاسبانى ؛ كما نجد أن عدداً كبيراً من المستوطنات فى منطقة البحر الأسود كانت فى بدايتها عبارة عن محطات تجارية حيث كان اليونان يبحثون عن السلع والمواد الناقصة فى بلادهم مثل السمك والمعادن والخشب والحبوب ومن هذه المستوطنات أولبيا وفاسيس وديوسكورياس وسينوب . ولو اتجهنا جنوباً صوب سواحل البحر المتوسط الجنوبية وفى دلتا النيل بمصر فقد أسس اليونان مستعمرة تجارية وقد أسسها عدد من التجار الذين وفدوا ، فى الغالب الأعم ، من آسيا الصغرى والجزر المجاورة والعناصر بعد أخذ اذن الفرعون المصرى على ذلك . ونقراطيس هى المثال المعروف جيداً كميناء تجارى حيث أطلق عليها "Polanyi" وكان يتم فيه تنظيم عمليات التبادل التجارى بين مجتمعين مختلفين (المصرى واليونانى) ، فى النظم الاقتصادية . وفى الواقع وأن كل صادرات وواردات اليونان من وإلى مصر كانت تمر عبر هذا الميناء .

جملة القول أن الحافز والباعث التجارى والبحث عن المواد الخام كان وراء حركة الاستيطان بل من العوامل التى ساعدت على معرفة طبيعة الكثير من

المناطق الصالحة لسكنى اليونان وبالتالى فقد ذهبوا إليها وهم على دراية بمواردها وأهميتها .

الاضطرابات السياسية وعدم الرضا الاجتماعى :

يبدو أن حياة المدن قد شهدت اضطرابات كبيرة خلال الفترة التالية لانهيار الملكية . إذ اشتعلت الصراعات بين العائلات الملكية والعائلات الأرستقراطية ، فلم تتخل الأسر الملكية بسهولة عن السلطة وهذا قد أدى إلى قيام الصراعات الداخلية والثورات .

ويظهر أثر هذه الصراعات فى الكتاب الأخير من الأوديسة . وكما أن ذكرنا فإن السلطة الملكية لبيت أوديسيوس كانت قد نوهت للخطر وأن محاولته الدفاع عن سلطانه ولكن قد أعقبها اقتتال فى المدينة .

والأوضاع السياسية فى المدن اليونانية فى القرنين الثامن والسابع فى ظل الحكم الأرستقراطى كانت تدفع كثيراً من أهلها إلى تركها تبرماً وسخطاً وأملاً فى أن يجدوا فى أرض جديدة وفرصة الاشتراك فى الحكم ، فيروى لنا المؤرخون أن أفراد الأسرة البنثيليدية Penthilidis الحاكمة فى ميتلينى عاصمة جزيرة لسبوس كانوا يتجولون فى الشوارع وبأيديهم السياط يضربون المارة فكان الذين يأنفون من هذه الحالة يتركون موطنهم ويشتركون مع أمثالهم فى تأسيس مدينة جديدة يتولون هم أنفسهم الحكم فيها ، كما نجد أن عدد من المستوطنات قد أنشأتها الثائرة على أوضاعها المدنية ومن بين هؤلاء جماعة Pareheniai وهم من الواضح جماعة الرجال الذين كانوا غير راضين عن وصفهم السياسى والمدنى فى أسبرطة ووفقاً للروايات فإنهم هم أبناء الاسبرطيات غير الشرعيين فى فترة الحرب الميسينية وأنهم كانوا قد اجتمعوا فى بلدة اميكلاى ونظموا أنفسهم وأصبحوا ثواراً ولكنهم فى النهاية قد تم اقناعهم أن يرحلوا إلى تراس وتارنتوم ، ويرى البعض أن بعض

الثوار كانوا من السكان الأصليين . كما أن اسم إحدى هذه المستوطنات وهو ديكاياخويا (Δικαιαρχια) أى المدينة التى يسودها العدل ، وقد أسسها الرجال الذين عزلوا من مدينة كوماى . وكذلك أفراد الطبقة الأرستقراطية فى بعض المدن قد حرموا هم أيضاً الفرصة لتولى الحكم إلى حكم اوليجرخى ، ومثل هذه العناصر كانت تستشعر السخط وتأمل فى أن تجد وضعاً سياسياً أفضل فى أرض جديدة .

ويقول منديس Mendes وكان أحد أبناء برقة وكتب تاريخاً لليبيا حوالى منتصف القرن الثانى قبل الميلاد . أن إنشاء قورينى يرجع إلى وقوع اضطرابات سياسية فى ثيرا من جراء انقسام أهلها إلى فئتين ووقع بينهما صدام أدى إلى طرد إحداهما ، وهى التى يتزعمها باتوس فذهبت هذه الفئة لاستشارة وحى دلفى عم إذا كان عليها أن تتبع الصراع أم تقوم بانشاء مستعمرة وقد نهاها الوحى عن الاتجاه الأول . وفضل الاتجاه الثانى ، ولكن هذا الرأى لا أساس له من الصحة وهو ما قد دحض ما ورد فى نقش لوحة المؤسسين . ولعل الاستقبال غير الودى للمهاجرين من قبل أهل ثيرا يعود إلى أنهم لم يمضوا خمس سنوات بل عادوا قبل ذلك وكذلك كان لابد من ردهم .. ولكن هذه الرواية تعكس مدى الخلافات بين أفراد الأسرة الحاكمة وأن بعضها كان عليه الخروج من المدينة .

الهجرة بسبب غزو أرض بعض المدن اليونانية :

لدينا نموذجان رائعان عن هجرة بعض أو كل سكان المناطق ، أو المدن وعدم الرغبة فى الخضوع ، والاستسلام للغزاة فبعض الروايات القديمة تقص أن بعض الميسينيين قد تركوا ميسينيا بعد الحرب الميسينية الأولى لأنهم لم يكونوا راغبين فى الاتفاق مع الأسبرطيين واشتركوا مع أهل حالكيس فى استيطان ريجيوم ، كما نجد أن أهل فوكويا قد فروا من غزو الفرس وتركوا المدينة وهاجروا إلى اللاليا Alalia فى كورسيكا ، كما نجد مهاجرين من تيوس قد أعادوا

استعمار أبديرا Abdera . لأنهم وهؤلاء المهاجرون كانوا قد رفضوا الخضوع والعيش تحت الحكم الفارسى ، وبقية السكان قد اتجهوا شمالاً وأسسوا مستوطنة فاماجوريا على الساحل الشمالى للبحر الأسود .

روح المغامرة عند اليونان :

فى النهاية لم يكن لحركة الاستيطان اليونانى أن تتم دون وجود روح المغامرة ، ولعل دافع الفقر ودافع التجارة سعيا وراء الثراء قد نشطا روح المغامرة التى تأصلت منذ فترة باكرة عند اليونان ، وتظهر هذه الروح فى العديد من المظاهر السائدة فى بلاد اليونان المبكرة وأدت نفس هذه الدوافع إلى دفع بعض الرجال لانشاء مدن جديدة فى بلاد بعيدة ، ولكنها دفعت بعض المغامرين الآخرين إلى البحث عن حياة المغامرة والخطر والقرصنة ، ويقدم هوميروس وصفاً دقيقاً لحب هؤلاء الخارجين على القانون لحياة السفن ، والمعارك والسيوف والرماح بعيداً عن حياة المجهود الشاق والربح العادى فوق اليابسة ، فقد كانت أعمال القرصنة فى منطقة بحر إيجة حيث المدن الساحلية غير المحصنة وقد ساعد ذلك القراصنة على نهب ثرواتها فكانوا يحملون ما يستطيعون حمله من حبوب ومواشى ومنتجات مصنعة بل والبشر أيضاً ، كما يظهر على الأوانى الأثينية من القرن الثامن نساء يحملهن قراصنة إلى سفن جاهزة للإبحار وحينما أدى تقدم الحضارة إلى إنهاء القرصنة تحول الإغريق إلى الخدمة كمرتزقة لإرضاء روح المغامرة والخطر من جهة ولكسب أرزاقهم من جهة أخرى .

وبعد أن عرضنا لأسباب ودوافع حركة الاستيطان الكبرى سنحاول الآن أن نستعرض أهم المناطق التى انطبقت عليها حركة الهجرة الاستيطانية فى الفترة الممتدة من القرن الثامن إلى نهاية القرن السادس وأهم المدن التى شاركت فيها كما سنضع قائمة بالمدن ومستوطناتها فى النهاية ولن نتكلم عنها جميعاً لأنه لن يكون واجباً سهلاً .

الاستعمار اليونانى فى الغرب :

إيطاليا وصقلية وفرنسا واسبانيا وموقف القرطاجيين

عزف الكريتيون والموكينيون طريقهم إلى صقلية وجنوب إيطاليا إذ تكشف التنقيبات الأثرية عن انتشار الفخار الموكيني هناك وتأثيره على الفخار المحلى ، كما نجد أن فن بناء المقابر الموكينى قد انتقل إلى صقلية فى ثابسوس Thapsus بالقرب من اجراجنتوم Agragentum ولكن الأدلة والقارئن الخاصة بالعلاقات الكريتية مع الغرب قليلة وما لدينا عنها هو أسطورة ديادالاس الذى فر من الملك مينوس وبحث عن ملاذ عند الملك كوكالوس Cocalus ملك صقلية الذى قتل وهو يقاتل الملك مينوس . ومن المرجح أن العلاقات بين اليونان وصقلية وإيطاليا قد توقفت تماماً أبان العصر المظلم ، ولكن مع بداية القرن الثامن ق.م فإن نوعاً ما من العلاقات بينهما قد بدأ وهذا ما كشفت عنه اللقى الأثرية حيث عثر على آنية فخارية يونانية فى المقابر الأتروسكية كما عثر على كسر من الفخار اليونانى فى المناطق التى تقيم فيها الشعوب الإيطالية . ويمكن للدارس أن يستخدم الأوديسة كدليل على تجديد المعرفة بالغرب وهذا ما توضحه الكتب من ٩ ــ ١٢ من الأوديسة . فقد أوردت بعض القصص والتى تعكس ما رواه المغامرون والتجار .

وعلى الرغم من أن تواريخ انشاء المستوطنات الغربية ليست محددة بالضبط كما يرغب المرء فإن العلماء يتفقون على أنه بعد تأسيس مستعمرة فى جزيرة بيثكوساى (اسخيا) سنة٧٧٥ ق.م فقد قاموا بتأسيس مستوطنة كوماى سنة ٧٥٠ ق.م وقد وفد مستعمرو بيثكوساى من كل من مدينتى خالكيس وارتريا بجزيرة يوبويا . ويقول استرابون أن المهاجرون من أهل خالكيس وارتريا قد تصارعوا وأن أهل ارتريا قد هاجروا من المستوطنة . ويضيف أن المستوطنين قد تركوا الجزيرة بعد ذلك نتيجة لثورة بركانية تعرضت لها الجزيرة . ويفترض أن

الجزيرة تم استيطانها لوجود مناجم للذهب بها ، ويرى البعض أنه من السخف أن نفترض أن هذه الجزيرة قد تم استيطانها لتربتها الزراعية البركانية الحصينة ، ويرجع سبب استيطانها إلى مركزها التجارى .

وقد وفد مستوطنو كوماى من خالكيس وارتريا وكيمى فى ايوتيس وقد اتخذ المستوطنة اسم المدينة الأم . وهذه المدينة كانت قريبة من منطقة النفوذ الاتروسكى . ويعجب الباحث من أن هؤلاء المستوطنين لم يستقروا فى بعض المناطق القريبة من بلاد اليونان سواء فى صقلية أو جنوب ايطاليا والتى مروا عليها حيث يوجد العديد من المواقع ذات الأرض الخصبة . بدلاً من الجرأة فى التوجه نحو خليج ميسنا والاتجاه إلى ساحل إيطاليا الغربى ، ولذا فمن المرجح أن قادة المستوطنين لمستوطنة بيثكوساى كانوا يبحثون عن موضع يكون له ميزة فى الحصول على المعادن خاصة النحاس والحديد من الاتروسكيين والذين ، من المرجح ، كانوا قد وفدوا من الشرق واستقروا فى سهل اتروريا شمال روما حيث ازدهرت حضارتهم . وتكشف لنا اللقى الأثرية عن وجود سلع شرقية والتى تذكرنا بأن الاتروسكيين قد شاركوا اليونان الاتجار مع المنيا السورى من نهاية القرن التاسع ق.م . وهذا يعنى أنها استخدمت للتبادل التجارى ، كما أن المستوطنين على ما يبدو قد أدركوا أهميتها فى أن تكون قاعدة للقرصنة بجانب التجارة وفوق كل هذا فإنهم قد وجدوا بها تربة خصبة صالحة للزراعة .

أما عن كوماى فتقع على الأرض المواجهة لجزيرة بيثكوساى وعلى بعد ١٢ كم غرب نابلى وكان لها قلعة حصينة ، وتقع جبابتها الباكرة فى شمالها وأغلبها قد أجرى به حفائر وتم العثور بها على فخار محلى ويونانى وسلع مصرية . وقد كان للمدينة دورا هاماً فى نقل مظاهر الحضارة اليونانية إلى شبه الجزيرة الإيطالية ، فقد كانت مدينة يونانية اتصل بها الاتروسكيين ومن بعدهم

الرومان ، وقد استخدم أهل كوماى صيغة خالكيس فى الأبجدية اليونانية وهى الأبجدية التى اقتبسها الاتروسكيين ثم انتقلت إلى الرومان وأول مثال لأبجدية خالكيس قد عثر عليه فى جزيرة بيثكوساى على كأس من الطراز الهندسى من عام ٧٣٠ ق.م مكتوب عليه ثلاثة أسطر من اليمين إلى الشمال وترجمتها : "إن نستور عنده أثمن كأس ولكن من يشرب من كأسى يفتن فى التو بالربة افروديتى المتوجة" ، كما نجدهم أصحاب الفضل فى تعريف الشعوب الإيطالية المجاورة بالديانة اليونانية حتى ذاعت أسماء الآلهة والأبطال عند هذه الشعوب . كما نجد أنه كان من بين مستوطنين كوماى جماعة أطلق عليها Griei ولما كان هؤلاء من أوائل اليونان الذين تعرف عليهم الرومان فعلى ما يبدو فإن الرومان قد أطلقوا اسمهم على كل اليونانيين . وهكذا فإن الإغريق قد اشتق من هنا . وقد قام مستوطنو كوماى بتأسيس مستوطنة جديدة هى نيابوليس (نابلى الحالية) .

وبعد تأسيس كوماى فقد بدأت الهجرات تفد على جزيرة صقلية أولاً ثم جنوب إيطاليا ثانياً . وكان أهل خالكيس من أنشط المستعمرين فى المنطقة إذ نجدهم قد أسسوا ناكسوس على الساحل الشرقى صقلية سنة ٧٣٤ وهى أول مستوطنة يونانية فى جزيرة صقلية ، واسم المدينة يشير إلى أنه قد وفد عليها مستوطنون من جزيرة ناكسوس فى بحر إيجة . ونظراً لضيق مساحة ناكسوس الزراعية فقد قام مواطنوها بتأسيس مستوطنتين ذات أراضى خصبة هما ليونتنى Leonteni وكاتانا Catana . والمستوطنة الأولى قد اسستها ناكسوس بعد ست سنوات من تأسيسها ، وكان يقيم بالمدينة صقليون تم طردهم ، وكانت هذه المستوطنة مستوطنة زراعية . أما عن كاتانا فكانت تقع على الشاطئ وتتمتع بميناء رائع .

أسس أهل خالكيس بعد بضعة سنوات مستوطنتين هما تزانكلى Zancle فى

الجانب الصقلى وريجنتوم فى الجانب الإيطالى من خليج ميسنا Messina وهكــذا فقد سيطروا على الممر المائى . وبالتأكيد فإن هــاتين المســتوطنتين قــد تأسستا لأسباب اقتصادية وسياسية لأنهما لا تملكان ظهير من الأرض الزراعيــة ، ولمــا كانت مشكلة إمدادات الغذاء خطيرة . فقد وجدنا أن تزانكلى بعد عشر سنوات مــن تأسيسها قد قامت بتأسيس مستوطنة ميلاى Mylae وكانت تقع على بعد عشـــرين ميلاً غرباً وكان لهذه المدينة سهل خصيب ، وقد قام نفر من مستوطنيها أيضاً قــد قاموا بالاشتراك مع مهاجرين من ميسينيا بتأسيس ربجبيوم وقد اختاروها لسـيطرتها على الممر المائى . وقد تأسست المدينة حوالى سنة ٧٣٠ ق.م بينما قام نفر آخــر من أهلها سنة ٦٤٨ بالاشتراك مع مستوطنين من مدن أخرى باســتيطان هيمــيرا Hemera والتى ربطت بين الاغريق والقرطاجيين فى غرب صقلية .

ويذكر ثيوكيديديس أن كورينثة قد أسست مستعمرة سيراكوز بعد عــام مــن تأسيس خالكيس لمدينة ناكسوس من الواضح بعد سنة ٧٢٣ . وفــى نفــس الوقــت تقريباً فقد أسست كورينثة مستوطنة فى جزيــرة كوركــورا Coecyro "كورفــو الحالية" بعد أن طردت الارتريين منها والذين كانوا قد سبقوهم فى احتلالها . وبــهذا فقد سيطروا على موقع هام على الطريق إلى صقلية . وكــانت علاقــة كوركــورا بكورينثة طيبة فى البداية ، إذ نجدها قد طلبت من كورينثة ارسال قــائد ackete قبل ارسال مستوطنين إلى ابيدامنوس Epidamnus فى النصف الثــانى ، أو فــى نهاية القرن السابع ولكن ساءت العلاقات بينــهما ودارت بينــهما معركــة بحريــة وصفها ثيــوكيديس بأنها أول معركة بحرية دارت قبل ٢٦٠ عاماً من نهاية حــرب البلوبونيز . أى قبل منتصف القرن السابع . وقد أمن الكورنثيــون صلاتــهم مــع الغرب من خلال بناء سلسلة من المستوطنات تمتد من خليج كورينثة إلــى البحــر الأيونى وكانت هذه المحطات تابعة لكورينثة فى ادارتها .

كان موقع سيراكوز إذ كان به ضياء طبيعي ، وقد صارت سيراكوز فيما بعد أغنى وأقوى مدن الجزيرة ولما كان أغلب المستوطنين الكورنثيين من سهل تينا Tenea بكورينثة وهذا قد يعنى أنهم قد ذهبوا إلى صقلية بحثاً عن الأرض الزراعية ، ولكن هذا لا يكفى إذ أن الاوليرخية الباكخية كانت تفكر أيضاً فى فرص التجارة . فسيراكوزا من أول نشأتها كان بها التجار بالإضافة إلى الزراع .

وقد ألحقت جزيرة أورتيجا Ortygia (الموقع الأول للاستيطان) عن طريق جسر ، ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت سيراكوز أكبر مدينة فى صقلية وذلك بفضل مينائها الرائع وظهير من السهل الخصيب .

وقامت ميجار بتأسيس مستعمرة ميجارا هيبلايا Megara Hyblaea بعد سنوات قليلة من تأسيس سيراكوز وكانت تقع شمالها بمسافة قصيرة . ونظراً لموقعها بين مدينتين كبيرتين هما سيراكوز وليونتينى فإنها لم تزدهر ، ولكن نجدها بعد قرن من تأسيسها تؤسس مستوطنة جديدة هى سيلينوس Selinus فى الأراضى الخصبة فى غرب صقلية .

وقد أسس جيلا Gela مستوطنون من رودس وكريت وكان ذلك بعد ٤٥ عاماً من تأسيس سيراكوز وقد توسعت هذه المدينة كثيراً وفى عام ٥٨٠ نجدها قد أسست إلى الغرب منها مستعمرة زراعية هى اكراجاس Acragas والتى تفوقت بعد فترة قصيرة على المدينة الأم فى حجمها وثرائها . وقد أتى هؤلاء المستوطنون على سكان صقلية فمن هم هؤلاء السكان ؟

كان يسكن جزيرة صقلية قبل قدوم الإغريق إليها أقوام هى : السيكانيون Sicans والايليميون Elymians والصقليون Sicels والفينيقيون ويخبرنا ثيوكيديس أن السيكانيين كانوا من العنصر الاليرى ، وأن الصقليين قد طردوهم إلى الجزء

الجنوبى والغربى من الجزيرة وأن الصقليين قد أتوا فى أعداد كبيرة إلى الجزيرة من جنوب إيطاليا ويرى جل الباحثين الآن أن السيكانيين والصقليين وأيضاً سكان جنوب إيطاليا كانوا من منطقة اليريا وأنهم قد وفدوا على عناصر من سلالة البحر الأبيض المتوسط . وقد تأثر هؤلاء بالحضارة الموكينية كما سبق أن ذكرنا فى مجال الفخار وبناء المقابر . وإذا ما كانوا من العنصر الاليرى فإن لغتهم كانت هندوأوربية وأنهم هم أنفسهم كانوا يتشابهون كثيراً فى كثير من الأمور مع الشعب الاليرى فى أرض بلاد اليونان ومع ذلك فقد كانوا فى نظر الاغريق أجانب وقد طردت بعض المستوطنات السكان الأصليين من مناطق المستوطنات على طول الساحل . وبينما نجد أن بعض المستوطنات قد انزلت السكان المحليين أصحاب الأرض فى زمامها إلى مرتبة عبيد الأرض .

وفى أقصى غرب الجزيرة ، فيما عدا الساحل ، كانت المنطقة موطناً لجماعة الاليميين المتحضرة وأهم مدنهم مدينتى سيجستا Segest وهاليكياى Halicyae . ويعتقد ثيوكيديديس أنهم من الطرواديين الذين أبحروا غرباً بعد سقوط طروادة ، وكانت ثقافتهم عالية ، ولذا نجدهم قد توافقوا بسهولة مع التأثيرات الاغريقية والفينيقية .

ومن الشعوب الأخرى التى استقرت فى صقلية الفينيقيون ، ويعول ثيوكيديديس أنهم استقروا فى الجزر الصغيرة والكبيرة المحيطة بصقلية ولكن عندما قد الاغريق مهاجرين إلى الجزيرة انسحبوا غرباً ، واستوطنوا موتيا Motya وبانورموس Panormus وصولويس Sololis فى الشمال الغربى للجزيرة . ولكن هذا القول محل شك فلا توجد اثار وقرائن ولا روايات تشير إلى تواجد الفينيقيين فى شرق صقلية وإلى وجود نزاع بين الإغريق ، والفينيقيين إبان القرنين الثامن والسابع ويقول أفوروس وقد تبعه استرابون أن اليونان عند ظهورهم فى الغرب فقد

وجدوا أنفسهم فى علاقات غذائية مع القرطاجيين ولكن يبـــدو أن افــوروس كــان متأثراً بما كان يجرى من أحداث وصراعات فى القرن الرابع . ويبـــدو أن بدايــة الاحتكاك بين الإغريق ، والقرطاجيين قد بدأ مع تأسيس هيمـــيرا Hemera ســنة ٦٤٨ وسيلينوس سنة ٦٢٨ ق.م ومع ذلك ليس لدينا ما يدل على عـــداء بينـــهما . ولكن أول ذكر للصدام بين اغريق وفينيقيين هو الرواية التى ذكرهـــا ديـــودوروس وباسينياس حول بنتاثلوس Pentathlos الكندوسى الذى قام مع نفر من أهل كنـدوس ورودس بالاستقرار والاستيطان فى ليلبايوم فى غرب صقلية ، ويبدو أن بنتـــاثلوس بعد تأسيس مستعمرته قد ساعد سيلينوس فى الهجوم على مدينة سيجســـتا الاليميــة ولكن تمت هزيمته وقتله وفرار أتباعه فى سفنهم إلى جزيرة ليبارا Lipara وأقاموا بها ، وبينما قام الاليميون بمساعدة القرطاجيين بتدمير مستعمرة ليلبـــايوم . ويـــرى أن البعض أن انشاء هذه المستعمرة أن تحل محل مستعمرة موتيا الفينيقية التى كــان الهدف من إنشائها أن تكون نقطة ارتكاز ليس للتجارة فى صقلية فقط ولكن كنقطـــة بداية للسفن للاتجار مع الاتروسكيين . والسفن المبحرة إلى اسبانيا للحصول علـــى المعادن وسنجد أن العداء قد بدأ يظهر فى القرن السادس وســـنعود إليـــه بعـــد أن نستعرض جهود الاغريق الاستيطانية فى فرنسا واسبانيا .

لقد بدأت علاقات اليونان بفرنسا وإسبانيا من خلال مواطنى فوكايا وسـلموس إذ يقول هيردوت أنهم هم أول الاغريق الذين قاموا برحلات بحرية طويلـــة وأنـــهم هم الذين اكتشفوا أدريا وتيرهينا وايبريا وتارتوس وهـــذه الرحـــلات الاستكشـــافية يمكن أن تؤرخ بمنتصف القرن السابع ، ويروى لنا هيردوت أيضاً قصـــة التـــاجر اليونانى من ساموس والمدعو كولايوس الذى كان يملك سفينة والتى ابحـــرت إلـــى الساحل الليبى ثم إلى مصر وأن ريحاً شرقية معاكسة قد قادته إلى الاتجاه المعـــاكس وحيث أن الرياح لم تهدأ فقد أبحر عبر مضيق صخرة هرقل بمساعدة الآلهة إلـــى

تارتوس . وأن هذا التاجر قد اكتشف سوقاً بكراً وعاد إلى ساموس محملاً بالأموال ويبدو أن هذه الرحلة كانت حوالى ٦٣٨ ق.م .

وقد كان أول استيطان فى فرنسا من قبل مستوطنين من فوكويا الذين أسسوا مستوطنة ماساليا سنة ٦٠٠ ق.م وقامت ماساليا بدورها بانشاء العديد من المحطات التجارية على الساحل الفرنسي وشرق الساحل الاسبانى . وقد أقامت ماساليا علاقات تجارية مع القبائل المحلية المقيمة فى الظهير الاراضى .. وكونت ثراء عريضاً من التجارة . ولم يقف القرطاجيون صفاً لمنعهم فى البداية ولكن سنجد أن القرطاجيين قد تحركوا عندما بدأت تمس وتضار مصالحهم إذ نجدهم قد وقفوا وناصروا مدينة سيجستا الاليمية فى صقلية ودمروا ليبايوم التى رأى فيها القرطاجيون خطراً على مصالحهم وقد رأى البعض أن غرض اليونان من تأسيس هذه المستعمرة أن تحل محل الميناء القرطاجى المجاور فى صقلية فى الاتجار مع فرنسا واسبانيا . ولكن هذا الرأى فيه مبالغة لأن الاغريق لم يكونوا يداً واحدة بل كانوا ينتقلون مع بعضهم البعض ولم يكن هناك ما يجمعهم لقتال القرطاجيين بل سنجد أن مصالح البعض منهم قد جعلتهم يقفون مع الاتروسكيين القرطاجيين ضد بنى جلدتهم إذ نجد أن مصالح الاتروسكيين قد تهددت نتيجة إقامة مستوطنة ليبارا والتى عمل أهلها بالقرصنة ونظراً للمصالح المشتركة للفوكايين مع الاتروسكيين فقد تحالفوا معهم ضد ليبارا . كما نجد أن أهل فوكايا الذين نزلوا بالاليا Alalia وعملوا بالقرصنة وهددوا بذلك صوالح الاتروسكيين والقرطاجيين لم ينقذهم بنو جلدتهم من القرطاجيين والاتروسكيين الذين نجحوا فى إخراجهم من الجزيرة كما نجد أن قرطاج تصدت بشكل مباشر عندما هددت مصالحها ، أو حاول بعض الاغريق التعدى على مناطق نفوذها وهذا ما حدث مع دوريوس شقيق الملك الاسبرطى كليومنيس والذى كان قد حصل على إذن رسمى لتأسيس مستعمرة

واتجه أولاً إلى الساحل الافريقى فى المنطقة الواقعة بين قورينى وقرطاج واستقر بها عامين ولكن طرده القرطاجيون والسكان المحليون ثم بعد عودته بفترة بسيطة إلى أسبرطة فقد خرج فى مغامرة ثانية سنة ٥١١ - ٥١٠ كى يؤسس مستوطنة فى منحدر جبل اريكس Eryx . وهنا مرة أخرى فقد كان تأسيس هذه المستوطنة يدخل فى منطقة النفوذ القرطاجى ولذا فقد وقفت قرطاج فى وجه المحاولة بمساعدة الصقليين والاليميين وخاضوا معاً معركة ضد دوريوس إذ ان النصر حليفاً للقرطاجيين وحلفائهم وقتل دوريوس ومن الجدير بالقول أن مستوطنة سيلينوس لم تقف بجانب دوريوس وتساعده لأن تجارتها كانت رائجة مع القرطاجيين .

وفى ضوء هذه الحقائق نقول أن قرطاج وقفت تدافع عن مناطق نفوذها التى هددتها بعض المحاولات الفردية من بعض المدن اليونانية . إذ نجدها تهاجم ليلبايوم وتدمرها عندما شعرت أنها تهدد مصالحها وتشارك فى طرد مستوطنى الاليا Alalia فى كورسيكا لاشتغالهم بالقرصنة وطرد دوراوس الاسبرطى من ليبيا ومن بعدها قتاله فى صقلية عندما حاول تأسيس مستوطنة فى غرب صقلية . وسنجد أن هذه المصادمات لم تكن بين قرطاج واليونان جميعاً ولكن مع جماعات منفصلة عن بعضها البعض بل سنجد أن اليونان ساعدوا كل من القرطاجيين الأتروسكيين ضد بنى جلدتهم . لقد كان القرطاجيون يسيطرون على غرب صقلية وسردينيا وجزر البليار وأنه فى نفس هذا الوقت فقد نجح القرطاجيون فى منع الاغريق من الابحار عبر مضيق جبل طارق وأن يكون لهم مدخل للحصول على معادن كارتسوس وذلك بتأسيسهم مستعمرة فى كارتيا Carteia الواقعة فى خليج جبرالتار Gibraltar .

أما بالنسبة لايطاليا فقد استمرت حركة الاستعمار اليونانى بنشاط بها وقد شارك بها مدن عديدة منها خالكيس وارتريا وكيمى وكورينثة والدول الآخية

الصغيرة على الساحل الجنوبى لخليج كورينثة وغيرها .

قامت مجموعة من الآخيين بتأسيس سيباريس Sybaris سنة ٧٢٠ ق.م فى منطقة القدم الايطالى وكانت هذه المستوطنة على قدر كبير من الثراء نظراً لخصوبة تربتها ووفرة انتاجها وأيضاً لاشتغال أهلها بالتجارة ويبدو أنها قد قامت بدور الوسيط التجارى بين الاتروسكيين من جهة وميلينوس فى أسيا الصغرى من جهة أخرى . وحققت من وراء ذلك ثروة كانت مضرباً للأمثال وكانت سبباً لغيرة وعداء جيرانها . وانشأت سيباريس مستوطنة بوسيدونيا Posidonia باستيوم Paestum سنة ٧٠٠ على الغربى لايطاليا وتقع جنوب مستوطنة كوماى . كانت بوسيدونيا مدينة غنية وذات ثراء عريق وتعكس معابدها الفخمة هذا الثراء .

قام الآخيون أيضاً بتأسيس مستوطنة كروتون Croton سنة ٧٠٨ وكانت حقولها خصبة وفيرة المحاصيل ونالت شهرة عظيمة بفضل مصاريعها وأطبائها والمدرسة الفيثاغورثية ، والجدير بالذكر أن العداء كان مستحكماً بين كل من مستوطنة سيباريس وكريتون ونجحت الأخيرة فى تدمير الأولى سنة ٥١١ – ٥١٠ وساعدها على ذلك أنها أنها قد تعرضت لسلسلة من الاضطرابات الداخلية .

وقد أسس الآخيون مستوطنة زراعية فى منطقة القدم الايطالى هى ميتابونتوم Metapontum والواقعة غرب تاراس . وكانت أرضها خصبة وافرة الانتاج .

قام الاسبرطيون الناقمون على سياسة بلدهم بالهجرة إلى مستوطنة تاراس سنة ٧٠٦ وكانت تقع على بعد عشرين ميلاً من ميتابونتوم . وهى المستعمرة الوحيدة التى اسسها الاسبرطيون فى الغرب . وقد تطورت على نحو مضطرد إلى أن صارت أقوى المدن الإغريقية فى جنوب إيطاليا .

وقد قام مهاجرون من لوكريس فى سنة ٦٧٣ بتأسيس مستوْطنة لوكرى ابيزيفيرى Locri Epizephyrii بالقرب من كعب الحذاء الإيطالى فى الجانب الشرقى . وقد ظهر بها المشرع الإغريقى الشهير زياليكوس بعد جيل من تأسيسها.

وقام أهل فوكايا بتاسيس مستوطنة ايليا Elea وتقع على مسافة عشرين ميلاً جنوب بوسيدنيا على الساحل الغربى وقد لجأ إليها مستوطنو الأليا بعد أن طردهم الاترسكيون والقرطاجيون من كورسيكا وكانت مدينة ايليا مدينة زاهرة كما كانت مقراً لمدرسة فلسفية .

وابتداءً من النصف الثانى من القرن السادس فإن اليونان قد بدأوا فى اقامة علاقات مع الساحل الايطالى عبر الادرياتيكى حيث كانت تنتشر عدة مدن اتروسكية . وقد أجريت حفائر سنة ١٩٥٠ فى ميناء اسبينا Spina القديم وعثر على لقى اثرية مدهشة . والميناء يقع فى منطقة جنوب مصب نهر البو po وقد عثر على فخار اثيلى والذى يؤكد أنها قد انشئت فى الفترة الباكرة من العصر العتيق ، وقد بلغت أوج اذدهارها فى العصور الكلاسيكية فكانت مركزاً تجارياً هاماً حيث عاش المستوطنون الاغريق جنباً إلى جنب مع الاترسكيون والفينتى Veneti المحليين .

جملة القول أن المستوطنات اليونانية كانت قد انتشرت على نطاق واسع شرق ، وشمال صقلية وجنوب إيطاليا وأصبح يطلق على هذه المنطقة اسم ذو دلالة وهو بلاد اليونان الكبرى . وكان مقدراً لكثير من المستوطنات أن تثرى وتزدهر وأن تسهم فى الحضارة اليونانية إسهامات طيبة . ومن الأسماء الخالدة التى لمعت فى الغرب فيثاغورس واكسينيفون وزياكيوس .

ونجد أن أهل فوكايا قد أسسوا مستوطنة مساليا شرق نهر الرون حوالى سنة

٦٠٠ وقبل ذلك يبدو أن أهل رودوس كانوا قد استكشفوا غـرب البحـر المتوسـط وأسسوا مستوطنة رودى Rhode على الساحل الشمالى الشرقى لأسبانيا واطلقـوا اسمهم على نهر الرون وقد قام الماساليون باعادة تأسـيس رودى واطلقـوا اسـماً جديداً عليها هو إمبورياى Emporiae . واقاموا عدة محطات تجارية أخرى علـى الساحل الفرنسى والساحل الشـرقى والجنوبـى لإسـبانيا هـى الونـاى Alonae وهيميروسكوبيوم Hemerscopeum وأجـاثى Agathae وتورويـس Touroeis واولبيا Olbia واثينوبوليس وانتيبوليس ونيكايا ، وكان الغرض منها حماية طريـق تجارة المعادن مع تارتوس ، ومع نهاية القرن السادس كما ذكرنـا سـابقاً ، فـإن القرطاجيين قد نجحوا فى ايقاف الإغريق عن المرور عبر جبل طـارق . ولكـن ماساليا كان قد صارت مدينة تجارية كبيرة ووصلتها الخامات من المناطق الداخليـة لتدر إلى العالم اليونانى ؛ كما وصلت منتجات اليونان من خلالها للسكان المحليين.

ثانياً : الاستيطان فى حوض بحر إيجة والبحر الأسود

بدأت المراحل الأولى لحركة الاستعمار فى بحر إيجة على يد مدينة خالكيس التى انشأت عدداً من المستوطنات فى شبه جـزر الخلكيدكـى ، كمـا أن ارتريـا وجزيرة اندروس قد ساهمتا فى حركة الاستيطان أحياناً ، والرأى المعتاد أن أهـل خالكيس قد اسسوا أغلب هذه المستوطنات إما بالتزامن مع تأسيسـهم للمسـتعمرات فى الغرب أو بعد توقف نشاطهم فى الغرب . وتاريخ نشـأة المسـتعمرات غـير معروف ولكن تخبرنا أحد المصادر أن المستوطنات الخالكيسية قد قدمـت العـون لمدينتهم الأم خالكيس فى حربها الضروس سنة ٧٠٠ ق.م مع ارتريا حول السـهل الفاصل بينهما وهو سهل ليلانتنى ، وليس من المعقـول أن ترسـل المسـتوطنات مساعدات إذا لم تكن قد استقرت أوضاعها ومن المرجح أن يكون قـد مـر عليـها فترة من الوقت نظمت فيها احوالها ورتبت أوضاعها . ويرى البعـض أنـه مـن

الصعب الاعتقاد أنه كان عند خالكيس زيادة سكانية كبيرة ولديها القوة لإرسال مئات أو آلاف المستعمرين إلى الغرب والشمال فى نفس الوقت . ولكن يمكن أن تكون المدينة منظمة فقط لحركة الهجرة وتدعو لها فى بلاد اليونان ، وكما نعلم أن مستوطناتها الأولى فى إيطاليا شارك فيها أكثر من مدينة مثل كوماى . ولذا يمكن أن نقول أن خالكيس قد اسست أولى مستوطناتها فى شبه جزيرة خالكيدكى فى فترة باكرة من القرن الثامن .

وأقامت كورينثة مستوطنة لها فى نفس المنطقى حوالى سنة ٦٠٠ ق.م وأقام الايونيون وخاصة أهل ميليتوس سلسلة من المستوطنات فى ساحل تراقيا ومنطقة المضايق والبحر الأسود . وفى الواقع فإن معلوماتنا قليلة عن الأيونيين في القرون الثلاثة الأولى من هجرتهم إلى ساحل آسيا الصغرى ، ومع خواتيم القرن التاسع نجد أن المدن الأيونية قد نظمت نفسها فى حلف مع مركز دينى له فى بانيونيون وكانت هذه المدن يحكمها ملوك ، والذين كانوا من الواضح ، مرتبطين بعلاقة شبه اقطاعية مع ملك اكثر قوة هو ملك افسوس . ولعل الصورة التى رسمها هوميروس لمشاكل أجاممنون وأقرانه غير المسيطر عليهم كانت انعكاساً للحالة غير المستقرة فى أيونيا فى القرنيين التاسع والثامن فإن هذه المدن قد بدأت تنمو وتتطور فيما يسمى دولة المدينة وأن الأرستقراطية قد بدأت تحل محل النظم الملكية . وفى بداية القرن التاسع فمن المرجح أن سكان هذه المدن قد زاد زيادة كبيرة وبالتالى فإن المجتمعات التى تعتمد فى حياتها على الزراعة بشكل اساسى ، كانت تشعر بحاجتها إلى الأرض وتوسيع رقعتها فى المناطق الداخلية لآسيا الصغرى وكان ذلك غير ممكناً وذلك لأن مملكة ليديا قد نهضت فى ذلك الوقت ووقفت بالمرصاد للتوسع واقامت حاجزاً ضد الإغريق هناك إلا لمن سمحت لهم بإقامة مستوطنة . ولحل مشكلة نقص الأرض كان على الايونيين البحث عن حل فيما وراء حدودهم

المبشرة وقد ولوا وجوههم شطر تراقيا حيث قام أهل يوبويا والايونيون باســـتيطان منطقة خالكيدكى .

وقد قام أيونيو بحر إيجة فى حوالى سنة ٧٠٠ ق.م ومنـــهم أهــل جزيــرة باروس بارسال مستوطنين إلى الساحل التراقى . لقد أرسلت بــاروس مســتوطنين لاستيطان جزيرة تاسوس سنة ٦٨٠ ق.م ولم يكن الاستيلاء عليها ســهلاً إذ يشــكو الشاعر أرخيلوخوس أنه كان عليه أن يكون على أهبة الاستعداد بشكل دائم للقتــلا ، فكان عليه أن يعجن خبزه بالحربة ويعصر خمره بنفس الطريقة وحتى عندما كــان يشربها كان يتكئ على حربته . وفى قصيدة أخرى يقر أن قد فقد درعه عندا كــان يقاتل التراقيين ، وفى موضع اخر نجده يلعن صديقاً له كان قد خانه ويتمنـــى لــه نهاية غير سعيدة على يد التراقيين ، ويكشف لنا هذا الشاعر أن التراقيين لم يكونــوا لينى العريكة ولم يتم اخضاعهم بسهولة .

وفى الربع الأول من القرن السابع ارسلت جزيرة خيوس Chios مستوطنين إلى مارونيا Maronea وتقع تقريباً فى منتصف الطريق بين مصبى نهر نســتوس وهبروس .

وفى منتصف القرن الســابع اســـت مدينــة كلازوميــناى Clazomenae مستوطنة ابديرا Abdera شرق مصب نهر نستوس ، ولكن هــذه المســتوطنة قــد عانت الاضطرابات العديدة نتيجة لاعتداءات وهجمات التراقيين مما اضطر اهلـــها إلى تركها وأعاد مستوطنون من تيوس Teos بناءهاوهؤلاء هم بعــض مســتوطنو تيوس الذين رفضوا العيش تحت نير الفرس . وكان الدافع لاستيطان المنطقة كــثرة أخشابها .وكما نعرف أن أبديرا كانت موطناً لاثنيين من أهم فلاسفة القرن الخــامس والسوفسطائين وهما ديموكريتوس ، وبروتاجوراس . بينما انتقل البعض الآخر مــن

أهل تيوس إلى الساحل الشمالى للبحـــر الأســود واسســوا مســتعمرة فاناجوريــا . Phangoria

وقد أسس مجموعة من الأيوليين ؛ نحو نهاية القـــرن الســابع ، مســتعمرة أينوس Aenos فى دلتا نهر هيبروس Hebrus. وهذه المستوطنات كان أغلبــها أو كلها مستوطنات زراعية ولكن بمرور الزمن صارت من المراكز التجارية الهامة .

إن إستيطان الهليسبونت والبردبونتيس كان مقدمة للتوسع الكبير فى منطقـــة البحر الاسود . لقد بدأ أول نشاط استيطانى مـــن قبــل مواطنـــى مدينـــة لســبوس Lesbos . فقد اسسوا العديد من المستوطنات الزراعية فى طروادة فـــى الســاحل الجنوبى من الهليسبونت فى القرن الثامن وبواكير القرن السابع وقد كشفت الحفــائر عن أن استقرار الإغريق فى موقع طروادة كان على الاقل بشكل جزئى تجارى .

وقد نشطت ميليتوس فى حوالى سنة ٧٠٠ ق.م وهذا هو التــاريخ التقريبــى لانشاء مستوطنة كوزيكوس Cyzicus مع مينائها الرائع وأرضــها الخصبــة فــى الساحل الجنوبى للبسفور . ويقول استرابون إن أهل ميليتوس قد اسسوا مســـتوطنة ابيدوس فى النصف الأول من القرن السابع على الســاحل الأســيوى للهليســبونت بموافقة الملك الليدى جيجيس .

واسست ميجارا ، فى الربع الثالث من القرن الســـابع ، بيــن مســتعمرات أخرى، خلقيدونيا وبيزنطة على الجانبين الأسيوى والأوربى علـــى التوالـــى مـــن مضيق البسفور . ووفقاً لهيرودوت فإن خلقيدونيا قد تم تأسيســها ســنة ٦٧٧ قبــل بيزنطة التى تأسست سنة ٦٦٠ ق.م . وقد تعجب هيرودوت واسترابو وتـــاكيتوس وبوليبيوس من عدم استيطان بيزنطة أولاً لأنها ميناء رائع ، ولأن موقعــها يمكنــها من التحكم فى المرور من وإلى البسفور . والتفسير أنه عند تأسيس خلقيدونيـــا لـــم

تكن الامكانات التجارية الكبيرة للبحر الأسود قد عرفت بشكل تام . وأن خلقيدونيا قد اجتذبت الميجاريين لتربتها الخصبة وأيضاً من الممكن أنه كان بالجزر التابعة لخلقيدونيا وخالكيس مناجم نحاس .

وقد أسس أهل ساموس ، فى حوالى نهاية القرن السابع ، سلسلة من المستوطنات على الساحل الشمالى للبسفور ومن أهمها بيرنثوس Perinthus ، ومرة أخرى كما كان الحال بالنسبة لبيزنطة فإن سبب تأسيس هذه المستوطنات يبحث عنه بشكل اولى فى فتح منطقة البحر الأسود للتجارة الإغريقية ..

وكان للإمكانات التجارية أثرها فى تطور خيرسونيسى Chersonese التراقية ، وسستوس التى كانت فى الأصل مدينة تراقية ولكن صارت بعد ذلك مستوطنة أيولية وصارت لها أهميتها مثل ابيدوس على الجانب الأسيوى ، لموقعها الاستراتيجى على الهليسبونت .

وقد أسس الأثينيون حوالى سنة ٦٠٠ ق.م ايلايوس Elaious عند رأس خيرسونيسى التراقية . وبذلت جهوداً كبيرة للتحكم فى سيجيوم الآسيوية قبالة مدخل الهليسبونت , فقد دار قتال شديد بين متيلينى وأثينا فى نهاية القرن السابع وقد انتهى الصراع نتيجة لوساطة طاغية كورينثة بيرياندر Periander الذى حكم بينهما إذ نجده قد منح الاثينيين حق استيطان سيجيوم واعطى ميتلينى القلعة التى كانت تسيطر على المدخل إلى الساحل ، ويبدو أن الأثينيين لم تكن لهم السيطرة الكاملة على سيجيوم حتى عهد بيزاستراتوس . .

تطلع اليونان إلى استعمار شواطئ البحر الأسود وذلك بسبب الزيادة السكانية ونقص الأراضى فى بلاد اليونان هذا فضلاً عن الحاجة لمواد وسلع غير متاحة فى بلاد اليونان كانت الدافع للاستيطان فى حوض البحر الأسود .

إن العلاقات الباكرة بين الإغريق والبحر الأسود غير معروفة ولكن من الممكن أن الموكينيين قد وصلوا إلى المنطقة وهذا ما كشفت عنه اللقى الأثرية القليلة التى عثر عليها فى القوقاز . كما أن قصة ياسون والسفينة أرجو Argo المشار إليها فى الأوديسة وبالتأكيد اسطورة أرجوناوتس Argonauts فى تطورها تعكس المغامرات للبحارة الأوائل فى البحر الأسود . ومن الواضح أن حركة الاستيطان فى هذه المنطقة لم تبدأ بشكل مناسب إلا فى الربع الخير من القرن السابع . ويقدم لنا أحد الكتاب القدامى معلومات دقيقة عن تاريخ تأسيس المستوطنات فى القرنيين السابع والسادس وهذا ما أكدته التنقيبات الأثرية .

كانت ميليتوس أكثر المدن نشاطاً فقد أنشأت أكثر من تسعين مستوطنة فى المناطق المختلفة عموماً على حد قول بلينى . وعلى الرغم من أننا نعتبر أن هذا العدد فيه مبالغة لأنه ليس من المعقول أن سكانها يكفون لتأسيس هذا العدد الكبير من المستعمرات ذات الطابع الزراعى ويبدو أنها تغلبت على ذلك بالاعلان والدعوة لانشاء مستوطنة ما فى بلاد اليونان المختلفة . والملاحظ أن أغلب المستوطنات فى حوض البحر الأسود كانت فى البداية محطات تجارية فقد كان الإغريق يبحثون عن السلع والمواد التى تكون شحيحة فى بلادهم وقد استقروا فى الأماكن التى يسهل الحصول على تلك المواد سواء أكانت أسماك ، أخشاب ، حبوب ، معادن .

ولن نحاول أن نعدد كل المستوطنات فى منطقة البحر الأسود ولكن سنقصر حديثنا على أهمها ليس وفقاً لتواريخ انشائها ولكن وفقاً للمناطق الواقعة فيها . ونبدأ بأهم مستوطنات الساحل الغربى شمال مضيق البسفور حيث توجد مستوطنات أبوللونيا Apollonia وميسمبريا Mesemberia وتومبس Tomis والتى نفى فيها أوفيد سنة ٩م . وكتب بها Trestia وستروس Istrus وهى ليست بعيدة عن دلتا

نهر استر Ister وتراس Tras.

وعلى الساحل الشمالى فقد وجدت أولبيا Olbia وقد تأسست فى الربع الخير من القرن السابع أو النصف الأول من القرن السادس عند نهر بوج Bug وقد أصبحت مركزاً هاماً لتجارة الحبوب فى العالم اليونانى .وفى الشرق منها تأسست مستوطنة تاوريك خيرسونسى Tauric chersonese "كريما Crema" ويرى البعض أن أهل ميليتوس قد أسسوا مستوطنة بانتيكابايوم Banticapaeum حوالى نهاية القرن السابع ، ولكن لدينا رواية يوساب النقيرى الذى يرى أنها تأسست فى منتصف القرن السابع , ولدينا لقى أثرية أقدم تعود إلى نفس الفترة . وقد قامت هذه المستوطنة بالتجارة مع السكان المحلين وهذا ما تؤكده اللقى الأثرية فى منطقة تراقيا . وقد ترك بعض المستوطنين مدينتهم وأسسوا مستوطنة ثيودوسيا Theodosia على الساحل الجنوبى . كما قامت فى نفس المنطقة مستوطنة ابوللونيا وقد تبعها فى حوالى منتصف القرن السادس تأسيس مستعمرتين هما أوديسيوس وتومى . وهنا تصادمت ميجارا وميليتوس مؤسسة كل هذه المدن . وفى القرن الخامس فقد اتخذت هذه المستعمرات وكونت مملكة البسفور وعاصمتها بانتيكابايوم وهذه المملكة تكونت من الاسكيثيين والإغريق . وحلت تلك المدينة فى القرن الرابع محل أولبيا كمركز تجارى واستمرت فى البقاء واقصى مستوطنة فى الشمال والتى أصبحت جزءً من مملكة البسفور هى تانايس Tanais عند مصب نهر تانايس (دون Don) وعلى الساحل الشرقى حيث تبعد جبال القوقاز قليلاً عن البحر، قام أهل ميليتوس بتأسيس مستعمرات تجارية أمها فاسيس Phasis وديوسكاسوس أرض أسطورة ميديا .

وعلى الساحل الجنوبى للبحر الأسود وتقريباً فى منتصفه قام أهل ميليتوس بتأسيس سينوب ويرجع تاريخها إلى القرن الثامن وفقاً للروايات اليونانية ، وكان

لمدينة سينوب ميناء جيد ؛ ولذا فقد ازدهرت تجارتها وكان من بين مواطنيها المرموقين ديوجينيس الفيلسوف والشاعر الكوميدى دفيلوس . وفى منتصف القرن أسست سينوب مستوطنة ترابزوس Trapezus ، وهى المكان الذى وصل إليه اكسينيفون ورفاقه فى رحلته من بلاد الفرس إلى بلاد اليونان وكانت مستوطنة تجارية كما نجدها قامت بتأسيس مستوطنات تجارية صغيرة هى كيراسوس Cerasus وكوتيورا .

وكانت مستوطنة أميسوس تقع شرق سينوب بقليل أو تقع بين سينوب وترابيزوس وقد تم تأسيسها على يد أهل ميليتوس وأهل فوكايا حوالى منتصف القرن السادس وسرعان ما أصبحت مركزاً هاماً ورئيسياً لتصدير الحديد الذى كان جيرانها الخالوبيس Chalybes يصهرونه من الصخور المستخرجة من مناجم المنطقة .

وأخر مستوطنة نذكرها على الساحل الجنوبى هى هيراقليا بونتيكا فى بيثينيا، وقد تم بتأسيسها فى النصف الول من القرن السادس على يد الميجاريين والبؤتيين من تاناجرا Tangra وكان لها ميناء رائع ، وكانت مستوطنة غنية بثروتها السمكية وخاصة اسماك التونة ، وغنية بالخشب ، وفى نهاية القرن أسست هذه المستوطنة بدورها مستوطنتين هما كاللاتيس Kallates على الساحل الغربى للبحر الأسود وخرسونيسوس Chersonesus فى الجنوب الغربى من كريميا بالقرب من اسطنبول .

وهكذا قد سار البحر الأسود جزءً نشطاً فى العالم اليونانى ، وكان تأثير الحضارة اليونانية كبير على الشعوب القاطنة حول البحر الأسود وفى المقابل فإن الإغريق قد نقلوا أفكاراً جديدة خاصة بالديانة والفن . وكان مصدراً للحبوب

والأسماك المجففة والمملحة ولامدادات المعادن والعبيد . وفى المقابل فقد صدر الإغريق إلى مناطق البحر الأسود الفخار ومنتجات صناع المعادن .

سواحل البحر المتوسط الجنوبية :

لقد رأينا أن حركة الاستيطان كانت نشطة للغاية فى الغرب ، والشمال والشمال الشرقى ، ولكن الحركة فى سواحل أفريقيا أقل نشاطاً وقد انحصرت فى انشاء مدينتين هما نقراطيس وقورينى ولكن ينبغى أن ننوه أن هاتين المدينتين قد لعبتا دوراً هاماً فى التاريخ اليونانى .

عرف اليونان مصر منذ فترة باكرة للغاية ـــ كما سبق أن ذكرنا فى الفصول السابقة ـــ وفى فترة الاستعمار اليونانى نجد الأوديسة تورد مغامرات أوديسيوس ووصوله إلى مصر مما يشير إلى أن اليونان قد عرفوا طريقهم إلى مصر كتجار وقراصنة وهذا ما يؤكده قول استرابو أن المصريين قد وضعوا حامية فى راكوتيس بالقرب من مصب الفرع الكانوبى لمنع المهاجمين الأجانب وكدليل على انتشار القرصنة فى القرنين التاسع والثامن على ما يرجح ، وقصة هيرودوت التى سبق ذكرها حول التاجر كولايوس الذى ابحر من مصر سنة ٦٣٨ تؤكد أن التجار اليونان قد عرفوا طريقهم إليها وهذا ما أكدته اللقى الأثرية من البرنز المصرى الذى عثر عليها فى كل من كريت وساموس . كما تشير الروايات إلى اقامة واستقرار اليونان فى مصر بشكل دائم . فقد خدموا فى جيش ابسماتيك كجند مرتزقة ، ويقول هيرودوت إن ابسماتيك فى جهوده لهزيمة الأحد عشر أميراً فى منطقة الدلتا قد استخدم قراصنة ايونيين وكاريين والذين كانوا يهاجمون المنطقة وقد كافأهم وأقطعهم الأرض المعروفى بكامبس Camps الواقعة عند مصب فرع النيل البلوزى ، وقد بقى هؤلاء الجنود واخلافهم يعيشون فى المنطقة كما نجد أن البعض منهم قد استقر فى دافناى Daphnai "تل دفنه" فى شرق الدلتا وكانت هذه

المدينة قد انشئت كقلعة فى زمن ابسماتيك لحماية مصر من خطر الاعتداءات من قبل بلاد العرب وسوريا وكان اليهود والإغريق هم العنصر الغالب بين سكانها . . وقد تم نقل اليونان من دافناى فى عهد الفرعون أمازيس Amasis إلى ممفيس ليحمى نفسه من المصريين الساخطين عليه .

ويقول هيرودوت إنه عندما هزم امازيس سلفه ابريس وتوج فرعوناً ، فإن ثلاثين ألفاً من الايونيين والكاريين كانوا يحاربون مع الجيش المهزوم والعدد قد يكون مبالغاً فيه ، ولكن على ما يبدو أن الظروف الاقتصادية ، والاجتماعية فى بلاد اليونان قد دفعت بأعداد كبيرة من اليونانيين للرحيل إلى مصر للعمل كجند مرتزقة . كما أن أبسماتيك قد استعان بهم لحاجته إليهم لتأمين البلاد داخلياً ولطرد الآشوريين من مصر ويبدو أنه قد أعلن فى بلاد اليونان وكاريا عن حاجته لجند مرتزقة وأنه سيكافئهم بقطع من الأرض . وهكذا فقد تقاطر على مصر اليونان زرافات كجند مرتزقة وكمهاجرين مستوطنين فى نفس الوقت .

وتكشف لنا النقوش أن الفرعون أبسماتيك الثانى كان يعتمد على الجنود الاغريق ولعلهم كانوا من اخلاف الأيونيين والكاريين الذين استقروا فى مصر فى زمن أبسماتيك الأول وكانوا قد منحوا حق الزواج من مصريات . فقد نقش هؤلاء الاغريق اسماءهم على رجلى تمثال رمسيس الثانى أمام معبد أبو سمبل فى النوبة وكان ذلك بمناسبة اشتراكهم فى غزو النوبة سنة ٥٨١ بقيادة الفرعون أبسماتيك الثانى . وتكشف لنا نصوص العصر المتأخر "الهلينستى" عن وجود جاليتين فى ممفيس هما هيللنوممفيتاى Hellenomemphitae والكريوممفيتاى Caromemphitae . وهؤلاء كانوا من سلالة الايونيين والكاريين الذين خدموا فى جيش أبسماتيك الأول .

لقد تبع التجار والحرفيون الجنود المرتزقة فى القدوم إلى مصر وقد أسسوا نقراطيس على فرع النيل الكانوبى ، ويرى البعض أنه من المرجح أن أبسماتيك الأول هو الذى منحهم الاذن بالاستقرار فى هذه المنطقة وذلك بسبب أن التجار الاغريق يمكنهم التحول بسهولة إلى قراصنة وأنه قد رأى أنه من الأفضل بكثير لمملكته أن كل هؤلاء الأجانب يجمعون فى منطقة أو بقعة واحدة . ويستندون في ذلك على اللقى الأثرية من الربع الأخير من القرن السابع . ولكن هيردوت يقول أن الفرعون أمازيس الذى كان محباً ومناصراً للاغريق هو الذى منح للاغريق الذين يفدون للتجارة فى مصر حق العيش فى نقراطيس واعطاهم أرضاً ليقيموا عليها مذابح ومعابد آلهتهم ولكن هذا الرأى لا يمكن قبوله لأن أغلب المبانى التى كشف عنها الآثاريون فى نقراطيس تثبت أن الإغريق قد بدأوا فى الاستقرار هناك قبل حكم أمازيس بعدة عقود .

لقد اجتمع كثير من التجار من المدن اليونانية فى نقراطيس وهم :-
١- الأيونيون من خيوس ، تيوس ، فوكايا وكلازومنياى . ٢- الدوريين من رودس ، كندوس ، هاليكارنسوس ، فاسبيس . ٣- الايوليون من ميتلينى (السبوس) وأقاموا جميعاً المعبد المسمى هيلينيون Hellenion ، بينما أقام اغريق أخرون من ايجينا وساموس وميلتوس معبداً لزيوس ، وهيرا وأبوللو وكان هؤلاء التجار قد استقروا فى المدينة ، كما عرفت نقراطيس الحرفيين اليونانيين فقد تم العثور على أختام على شكل جعارين من صنعهم .. وفد على المدينة أيضاً تجار عابرين وكانوا يقيمون فى السوق emporion يعاملوا كمواطنين فى نقراطيس .

فى الواقع عندما يمحص الدارس المعلومات المتفرقة والغامضة حول نقراطيس يدرك أنه لم يكن هناك مستعمرة إغريقية نمطية بالمرة ، حيث أنها قد تأسست على يد التجار من مختلف المدن ، ولم تكن هناك مدينة أم على الرغم من

أنه بعد عدة قرون ادعت ميلينوس هذا الشرف كما أن المستعمرة الاغريقية كانت مدينة مستقلة لها سيادتها وشخصيتها الاعتبارية ، ولم تكن في الغالب مرتبطة بروابط تبعية بالمدينة المؤسسة لها ، أما بالنسبة لنقراطيس فقد تأسست فقط بعد السماح بذلك من قبل ابسماتيك . كما نجد أن جماعة مصرية كانت تقيم بالمدينة ، كما نجد أن الدولة وقد بذلت جهوداً لمنع الزواج بين المصريات والاغريق وهذا قد يعنى تشجيع اليونان على جلب زوجاتهم للاقامة فى مصر ، كما نجد أن منطقة نقراطيس كانت تدفع ضريبة العشر لمعبد مصرى وهذا ما كشف عنه نقش من القرن الرابع . كما كشفت الحفائر عن وجود قلعة كبيرة بالمنطقة . وكل هذا يشير إلى تبعيتها لمصر وأن اليونان المستقرين بها كانوا بمثابة جالية تجارية لعبت دوراً هاماً فى تنشيط التجارة بين مصر وبلاد اليونان فقد تم استيراد مصر الخم وزيت الزيتون بينما صدرت مصر الحبوب وربما البردى والكتان والادوات والسلع البرنزية ولم تكن نقراطيس معبراً تجارياً فحسب بل مرت من خلالها الأفكار والفنون المصرية إلى بلاد اليونان مباشرة ودون وسيط . وقد سبق أن عرضنا لهذا فى فصل سابق .

وهكذا فقد انتشر اليونان وعاشوا فى مصر تحت سيادة الفرعون المصرى ، وننتقل الآن لحديث عن قورينى .

كانت قورينى المستعمرة اليونانية الوحيدة بأدق معنى الكلمة . عرف اليونان الشاطئ الليبى منذ العصور الباكرة حيث أن الرياح الشمالية قادت سفنهم إلى هناك عندما أرادوا الذهاب إلى مصر . ولحسن الحظ فإن المصادر الأدبية قد قدمت لنا معلومات ضافية عنها وقد أكدتها ودعمتها نتائج التنقيبات الأثرية والنقوش .

قامت جزيرة ثيرا سنة ٦٣١ بتنظيم حركة استيطان المدينة ويروى لنا

هيردوت الظروف التى أدت بأهل ثيرا لخروجهم وتأسيسهم لقورينى . فقد عانت جزيرة ثيرا من الجفاف الطويل نتيجة عدم اطاعة نبوءة دلفية تأمرهم بالخروج لاستيطان ليبيا . وفى الحقيقة إن ذكر هيردوت للجفاف الطويل يشير إلى عدم كفاية موارد الجزيرة لسد حاجة سكانها المتزايدة ، وهذا ما كشفت عنه خطة أهل الجزيرة والتى ذكرها هيردوت وما أكده نقش لوحة المؤسسين فى الخلاص من الزيادة الحالية والمستقبلية فى السكان . فقد استقر الأمر على : ١- أن يتم اختيار أخ من أسرة بالجزيرة . ٢- إذا نجح المهاجرون لإقامة مستعمرة فإن من ينضم إليهم بعد ذلك من مواطنيهم يتمتع بكل الحقوق المدنية والسياسية . ٣- إذا ما فشل المهاجرون فى إقامة مستعمرة فى ليبيا خلال خمس سنوات فإنهم يستطيعون عندئذ العودة إلى ثيرا واستعادة ممتلكاتهم وحقوقهم السياسية . ٤- إذا رفض أحد ممن وقع عليهم الاختيار الذهاب إلى انشاء المستوطنة فإنه يكون عرضة للحكم عليه بالاعدام ومصادرة أملاكه وأن ذلك يكون أيضاً شأن من يأويه . ٥- إن موقف أهل الجزيرة الصارم والمضاد لعودة المهاجرين بعد عامين من هجرتهم والاقامة فى جزيرة بلاتيا يكشف عمق الأزمة التى كانت تعانيها ثيرا . كما أنه يكشف التزام أهل ثيرا بالعهد والقسم ألا يقبلوهم إلا بعد خمس سنوات من هجرتهم .

لقد نظمت جزيرة ثيرا هجرة المواطنين فقدمت لهم سفينتين حملتا مائتى مهاجر بقيادة باتوس (أرسطو) وقد أثار اسم باتوس مشكلة والتى لها على الأقل ثلاثة احتمالات لحلها . فلعل الاسم هو الاسم الحقيقى للمؤسس أو لعله لقب أو كنية ومعناها المتلعثم التى تنطبق على أرسطو ، أو كما يعتقد هيردوت أن المؤسس قد لقب بهذا اللقب لأن كلمة باتوس كلمة ليبية وتعنى الملك . وإذا ما كان تفسير هيردوت صحيحاً ، فمن ثم فإن الإغريق ، ومن بينهم أسرة باتوس ، قد توقفوا عن التفكير فى الكلمة كلقب واستعملوها كاسم علم معتاد .

أبحر باتوس وأتباعه إلى اتانا Itana على الشاطئ الشرقي لكريت حيث استأجروا كريتي كمرشد لهم ، ومن المؤكد أن هذا المرشد كان على معرفة ودراية بالساحل الليبي . استقر المهاجرون ، في البداية ، في جزيرة بلاتيا الصغيرة بالقرب من الساحل * ، لمدة عامين ولكن لم يطب لهم العيش بها وأصابهم اليأس فقرروا العودة إلى ثيرا ولكن أهل ثيرا منعوا نزولهم بساحل الجزيرة ، فاضطروا للعودة إلى جزيرة بلاتيا ثانية ولكنهم استقروا في جنوب الجزيرة وامضوا هناك ست سنوات ولما كانت علاقتهم بالسكان الليبيين حسنة فقد نجحوا بفضل مساعدتهم للوصول إلى مكان قوريني وعند وصولهم قال لهم الأهالي هنا أيها الاغريق يلائمكم السكن لأنه يوجد ثقب في السماء وفي هذا دلالة أكيدة على كثرة المطر في المنطقة وملاءمتها للزراعة .

إن اسم قوريني Cyrana في الدورية من الواضح أنه مشتق من الكلمة الليبية Kura وتعني نبات البرداق وكان هذا النبات يكثر بالفعل في قوريني . ويقول يوساب القصيري نقلاً عن المؤرخ الموسوعي أراتوستنيس Eratosthenes القوريني أنه قد تم تأسيس قوريني سنة ٦٣٠ ق.م وقد أكد أقدم الأدلة واللقى الأثرية هذا التاريخ .

أصبح باتوس زعيم المستوطنين ملكاً على المستوطنة الجديدة ، وأسس أسرة ملكية بها ووفقاً للقرائن فإن قوريني كانت هي المستوطنة الوحيدة التي كان

---

* وكان من عادة المستوطنين أن يستقروا بشكل أولي على جزيرة قريبة من الشاطئ حتى يتمكنوا من الدفاع عن أنفسهم والتحصين بالمكان قبل محاولتهم التعرف على موقف السكان المحليين . وسنجد مثال مشابه في سيراكوز حيث أن جزيرة أورتيجا قد استقر بها الكورنثيون أولاً وهذا ما حدث قبل ذلك في جزيرة بيتكوساي المواجهة لكوماي في إيطاليا.

بها أسرة ملكية مثل مدينتها الأم التى كانت تحت الحكم الملكى ويتوارث حكمها الخلف عن السلف . وفى خلال عهدى باتوس الأول وابنه أركسيلاوس فقد وفد مستوطنون من ثيرا ومن الممكن أن بعض النساء قد حضرت مع الوافدين الجدد . ولما كان عدد المهاجرين الأول مائتى مستوطن فمن المرجح أنهم قد تناكحوا نساء ليبيات . واستمر وفود المهاجرين فى عهد باتوس الثانى سنة ٥٨٠ ثالث ملوك الأسرة والذى كان قد وعد المهاجرين بقطع من الأرض فى ليبيا والجدير بالذكر أن المهاجرين الذين كانوا وصلوا إلى قورينى كانوا من البلوبونيز وكريت والجزر وهذا يعنى أنه وجد نشر الدعوة فى بلاد اليونان ككل لمن يرغب فى الهجرة واعداً اياه بقطع أرض . ونتيجة لوصول أعداد من المهاجرين ، كان عليه أن يدبر قطع الأراضى التى سيمنحهم إياها نظراً لنقصها فى زمام مدينته ولذا نجده استولى على أراضى الوطنيين وكان هذا بداية للعداء معهم . ودارت الحروب بينهم وطلب الليبيون العون من الفرعون ابريس الذى أجابهم وسار بجيشه غرباً لنصرتهم والتقى بجيش باكوس حوالى سنة ٥٧٠ بالقرب من مدينتهم ودارت معركة منى فيها الفرعون بهزيمة قاسية وفى عهد أركسيلاس الثانى ابن باتوس الثانى حدثت سلسلة من المنازعات السياسية بينه وبين أخوته . واستمرت المنازعات فى عهد باكوس الثالث وتشير الروايات أن الأطراف المتنازعة قد حكمت بينها ديموناكس الاركادى وقد اقترح هذا الوسيط أولاً : الغاء تقسيم السكان وفقاً للقبائل الدورية الثلاث . وأحل محله تقسيم السكان إلى ثلاثة أقسام :

١- الثيرانيين والجيران Preoikai ويرى البعض أن الجيران كانوا من سلالة المؤسسين الأول من مدينة ثيرا وجيرانها أو كانوا إغريقاً لأن الإغريق لا يدخلون فى عداد مواطنيهم العناصر غير الإغريقية . ويخالف هذا الرأى باحث آخر ويرى أن الحلفاء أو الجيران كانوا من السكان المحليين الذين خالطهم

الثيرانيون وأن ديموناكس قد وصفهم ضمن الطبقة الأولـــى لتصحيـح وضـع خاطئ وأن ديموناكس جاء بعد انتصار أخوة الملك وأنصارهم الليبيين .

٢- المهاجرون البلوبونيز وكريت .

٣-المهاجرون من الجزر .

وثانياً : إقترح تقليص السلطة الملكية ومن الممكن أن يكون قد قصر سلطتها علـــى الشئون الدينية ووضع السلطة الحقيقية فى الدولة فى أيـــدى مـــن أسـماهم هيردوت الشـــعب Lemas ومـــن الجديـــر بـــالقول أن الـــهيئات التنفيذيـــة والتشريعية قد تشكلت من الطبقة الغنية والعليا فقط أى الطبقة الارســـتقراطية أو الاوليجرخية .

فمن القول لقد كانت قورينى مستوطنة زراعية وفد عليها المـــهاجرون مـــن ثيرا على مراحل كما وفد عليها آخرون من البلوبونيز وكريت والجزر وهذا يعنـــى أن المستوطنة كانت غنية وذات ثراء عريـــض . وأن اكتمـــال ســـكانها اليونـــان والمهاجرون إليها استمر فترة طويلة استمرت عدة عقود .

ونستعرض الآن قائمة بأسماء المستوطنات والمدن التى أسستها .

أسماء المستعمرات الأيونية *

١	ميناس	Minacc	حاضرتها أو المدينة المؤسسة مساليا Massalia
٢	ألوناى	Alonac	حاضرتها أو المدينة المؤسسة مساليا Massalia
٣	هيميروسكوبيوم	Hemeroscopeum	حاضرتها أو المدينة المؤسسة مساليا Massalia
٥	أجاثى	Agathe	اسمها الآن أجدى Agde وأنشأتها مدينة مساليا

* تشير الأرقام إلى موضع المدينة على الخريطة .

٦	مساليا	Messalia	اسمها باللاتينية Massilia واسمها المعاصر الآن Masseille وأنشأتها مدينة فوكيا Phocaea
٧	توروبس	Taurocis	اسمها باللاتينية تورونتوم Tauroentum وأنشأتها مدينة مساليا Massalia
٨	أولبيا	Olbia	أنشأتها مدينة مساليا Massalia
٩	أثينوبوليس	Athenopolis	أنشأتها مدينة مساليا Massalia
١٠	أنتيبوليس	Antipolis	اسمها الآن أنتيبس Antibes وأنشأتها مدينة مساليا Massalia
١١	نيكايا	Nicaea	وهى الآن مدينة نيس Nice الفرنسية الشهيرة وأنشأتها مدينة مساليا Massalia
١٢	ألاليا	Alalia	أنشأتها مدينة فوكيا Phocaea
١٣	كومى	Cyme	باللاتينية كوماى Cumae وأنشأتها خالكيس Chalchis
١٤	بيتى كوزاى	Phithecusae	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
١٥	ديخايرخيا	Dicaearchia	أنشأتها مدينة كومى Cyme
١٦	نيابوليس	Neapolis	مدينة نابولى الإيطالية الشهيرة الآن أنشأتها مدينة كومى Cyme
١٨	إليا	Elea	فيليا Velia باللاتينية أنشأتها مدينة فوكيا Phocaea
٢٤	ريجيوم	Rhegium	مدينة ريجيو الشهير الآن Reggio – أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis.
٢٥	زانكلى	Zancle	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis ثم تغير اسمها

			باللهجة الدورية وأصبح ميسانا Messana
٢٧	هيميرا	Himera	أنشأتها مدينة زانكلى Zancle
٣٦	ليونتينى	Leontini	مدينة لنتينى الحالية Lentini ، أنشأتها مدينة خالكيس
٣٧	كتانا	Catana	مدينة كتانيا الإيطالية الشهيرة الآن Catania ، أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٣٨	ناكسوس	Naxos	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٤٣	سيريس	Siris	أنشأتها مدينة كولوفون Colophon
٥٥	ميثونى	Methone	أنشأتها مدينة اريتريا Eretria
٥٦	ثيرما	Therma	
٥٩	مندى	Mende	أنشأتها مدينة اريتريا Eretria
٦٠	ميسى برنا	Mecyberna	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٦٢	سمرلى	Semerle	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٦٣	جالبسوس	Galepsus	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis .
٦٤	تورونى	Torone	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٦٥	سينجوس	Singos	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٦٦	أستا	Assa	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
٦٧	سانى	Sane	أنشأتها مدينة أندروس Andros
٦٨	أكانثوث	Acanthus	أنشأتها مدينة أندروس Andros
٦٩	ستاجيروس	Stagirus	أنشأتها مدينة أندروس Andros
٧٠	أرجيلوس	Argilus	أنشأتها مدينة أندروس Andros
٧١	جاليبسوس	Galypsus	أنشأتها مدينة ثاسوس Thasos

٧٢	أويسيمى	Oesyme	أنشأتها مدينة ثاسوس Thasos
٧٣	نيابوليس	Neapolis	أنشأتها مدينة ثاسوس Thasos
٧٤	ثاسوس	Thsosh	أنشأتها مدينة باروس Paros
٧٥	أبديرا	Abdera	أنشأتها مدينة كلازوميناى Clazomenae
٧٦	مارونيا	Maronea	أنشأتها مدينة خيوس Chios
٧٧	كارديا	Cardia	أنشأتها مدينتى ميليتوس Miletus وكلازوميناى Clazomenae
٨٠	ليمناى	Limnae	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٨١	ايلاوس	Elaus	أنشأتها مدينة تيوس Teos
٨٤	باكتييه	Pactye	أنشأتها مدينة أثينا Athens
٨٥	بيزنثى	Pisanthe	أنشأتها مدينة ساموس Samos
٨٦	بيرنثوس	Perinthus	أنشأتها مدينة ساموس Samos
٨٧	أبولونيا	Apollonia	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩١	أوديسوس	Odessus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٢	كالاتيس	Calatis	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٣	توميس	Tomis	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٤	إيستروس	Istrus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٥	تيراس	Tyras	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٦	أولبيا	Olbia	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٨	ثيودوزيا	Theodosia	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
٩٩	بانتيكابايوم	Panticapaeum	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠٠	تانياس	Tanias	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus

١٠١	فاناجوريا	Phanagorea	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠٢	بيتيوس	Pityus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠٣	ديوسفورياس	Dioscrias	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠٤	فاسيس	Phasis	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠٥	ترابيزوس	Trapezus	وهى مدينة تربيزوند Trebizond البيزنطية فى العصور الوسطى ــ أما اسمها التركى الآن فهو ترابزوند Trabzond وأنشأتها مدينة سينوبى Sinope
١٠٦	كيراسوس	Cerasus	أنشأتها مدينة سينوبى Sinope
١٠٧	كوتيورا	Cotyora	أنشأتها مدينة سينوبى Sinope
١٠٨	أميسوس	Amisus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٠٩	سينوبى	Sinope	وهى مدينة سينوبى Sinope التركية الحديثة ، وأنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١١٠	سيتوروس	Cytorus	
١١١	تييوم	Tieum	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١١٥	سيوس	Cius	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١١٦	ميرليا	Myrlea	أنشأتها مدينة كولوفون Colophon
١١٧	ميليتوبوليس	Miletopolis	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١١٨	كيزيكوس	Cyzicus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١١٩	بروكونيسوس	Proconnesus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٢٠	بريابوس	Priapus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus أو مدينة كوزيكوس

١٢١	باريوم	Parium	أنشأتها مدينة باروس Paros
١٢٢	كولوناى	Colonae	حاضرتها مدينة ميليتوس Miletus
١٢٣	بايسوس	Paesus	حاضرتها مدينة ميليتوس Miletus
١٢٤	لامبساكوس	Lampsacus	مدينة لابزاكى Lapsaki اليوم و أنشأتها مدينة فوكايا Phocaea
١٢٦	أبيدوس	Abydus	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٣٢	سكيبيس	Scepis	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus
١٣٥	ناجيدوس	Nagidus	أنشأتها مدينة ساموس Samos
١٣٦	سيلنديريس	Celenderis	مدينة جيليندير ة Gilindire الآن أنشأتها مدينة ساموس Samos
١٣٨	بوزيديوم	Posideum	أنشأتها مدينة خالكيس Chalchis
١٤٢	نوقراطيس	Noucratis	أنشأتها مدينة ميليتوس Miletus

المستعمرات الآخية Achiain Colonies

١٣	بوزيدونيا	Posidones	مدينة بايستوم باللاتينية
١٩	سكيدروس	Scidrus	
٢٠	لايوس	Laus	
٢١	تيرينا	Terina	
٢٢	كولونيا	Caulonia	
٤١	كرتون	Croton	باللاتينية كروتونا Crotona وبالايطالية Crotona
٤٢	سيباريس	Sybaris	

٤٤	ميتابونتوم	Metapontum	بالايطالية الآن ميتابونتو Metaponto
٦٠	سيونى	Scione	

المستعمرات اللوكرية Locrian Colnies

٢٢	هيبونيوم	Hipponium	أنشأتها مدينة لوكرى ابفزيفيرى Locri Epizephyrii
٢٣	مدما	Medma	
٣٩	لوكرى ابفزيفرى	Locri Epizephyrii	

المستعمرات الدورية Doriam Colonies

٤	امبوراى	Emporac	أنشأتها مدينة امبورياس Amporias التى أنشأتها بدورها جزيرة رودس Rhodes
٢٤	رودا	Rhode	الآن روزاس Rosas وأنشأتها جزيرة رودس
٢٥	رودانوسيا	Rhodanosia	أو رودى Rhode أنشأتها جزيرة رودس
٢٦	ليبارا	Lipara	الآن بالايطالية ليبارا Lipara وأنشأتها كيندوس Cindos وجزيرة رودس
٢٨	سيلينوس	Selinus	أنشأتها ميجارا هيبالايا Megara Hyblaea
٢٩	أكراجاس	Acragas	باللاتينية أجريجنتوم Agrigantum وبالايطالية الآن أجريجنتو Agrigento أو جريجنتى Girgenti
٣٠	جيلا	Gela	أنشأتها كنيدوس Cnidos ورودس

٣١	كاماريتا	Camarina	أنشأتها ميراتوزا
٣٢	كاميناى	Camenae	أنشأتها ميراتوزا
٣٣	أكراى	Acrae	أنشأتها ميراتوزا
٣٤	سيراقوزا	Syracusa	بالايطالية الآن سيراقوزا وانشأتها مدينة كورنثى
٤٥	تاراس	Taras	باللاتينية تارانتوم وبالايطالية الآن تازنتو Tasanto أنشأتها مدينة أسبرطة
٤٦	كاليبوليس	Callipoles	الآن جاليبولى Gallipoli وأنشأتها تاراس Taras
٤٧	هيدروس	Hydrus	باللاتينية هيدرونتوم Hydruntum وبالايطالية أوترانتو Otranto وأنشأتها ربما تاراس ؟ Taras
٤٨	ابيدامنوس	Epidamnus	باللاتينية ديرهاخيوم Dyrrhachium والآن بالايطالية دورازو Durazzo وبالالبانية دوريش Durrce وأنشأتها مدينة كوريزا Coryza
٤٩	أبوللونيا	Apollonia	الآن بالايطالية بوللينا Pollina وبالالبانية بوجان Pojan وأنشأتها مدينة كورنثى
٥٠	كورسيرا	Corcyra	أنشأتها كورنثى
٥١	أمبراسيا	Ambracia	أنشأتها كورنثى
٥٢	أناكتوريوم	Anactorium	أنشأتها كورنثى وكورسيرا
٥٣	لوكاس	Leucas	أنشأتها كورنثى
٥٤	سولليوم	Sollium	أنشأتها كورنثى وكورسيرا
٥٧	أينيا	Aenea	أنشأتها كورنثى

٥٨	بوتيديا	Potidea	أنشأتها كورنثى
٨٧	سيليمبريا	Selimbria	الآن سيليفرى Silivri و أنشأتها ميجارا Megara
٨٨	بيزنطة	Byzantium	أنشأتها ميجارا Megara
٩٠	ميسيمبريا	Mesembria	أنشأتها ميجارا Megara
٩٧	خرسونيوس	Chersonesus	أنشأتها هيراكليا Heraclia
١١٢	هيراكليا	Heraclea	الآن اريكلى Erekli وأنشأتها ميجارا Megara
١١٣	كالخيدون	Calchedon	الآن كـــاديكوى Kadikoi أنشـــأتها ميجـــــارا Megara
١١٤	أستاكوس	Astacus	أنشأتها ميجارا Megara
١٣٣	فاسيليس	Phaselis	أنشأتها رودس Rhodes
١٣٧	سولى	Soli	أنشأتها رودس Rhodes
١٤٢	قورينى	Cyrene	أنشأتها ثيرا Thera
١٤٤	برقة	Barca	أنشأتها قورينى Cyrene
١٤٥	توخيرا	Touchira	الآن توكرا Tohra وأنشأتها برقة Barca
١٤٦	يوسبريدس	Eusperides	أنشأتها قورينى ربما ؟ Cyrene

المستعمرات الأيولية Aeolian Colonia

٧٧	اينوس	Aenus	أنشأتها ميتيلينـــى Mytilene وأليبوكونيســوس Alepoconesus
٧٩	ألوبيكونيوس	Alopeconesus	أنشأتها ميتيلينى Mytilene
٨٢	ماديتوس	Madytus	الآن مايتو Maito
٨٣	سيستوس	Sestus	

١٢٧	داردانوس	Dardanus	
١٢٨	سيجيوم	Sigeum	
١٢٩	تنيدوس	Tenedos	
١٣٠	أسوس	Assus	
١٣٢	أمتاندروس	Amtandrus	
١٣٤	سيدى	Side	

مستعمرات فى قبرص

١٣٩	سلاميس	Salamis	
١٤٠	سولى	Soli	
١٤١	بافوس	Paphos	. .

وبعد أن عرضنا لأهم المستوطنات نعرض الآن لأهم مظاهر وسمات حركة الاستعمار وهى :

١- لم تشترك كل الشعوب الإغريقية بنفس النسبة فى حركة الاستعمار فلم يشترك الاليريون والمقدونيون ، إلا فى الفترة المتأخرة بعد غزوات الاسكندر ، فى غزو وارتياد البحار ، ولكن أنشأت بعض الشعوب اليونانية التى تعيش حياة القبائل الرعوية مثل أهل كل من لوكرى وآخيا مستوطنات زاهرة . وإن كانت المدن العامرة فى بلاد اليونان هى التى قامت بالدور الأكبر فى حركة الاستعمار فبعد أن استقرت أحوالها تماماً فى أراضيها وتعلمت وسائل ارتياد البحار وكانت قد بلغت فى تنظيماتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية درجة من التطور مثل كورينثة وخالكيس وارتريا وميجار وناكسوس وباروس

وميليتوس .

٢- اختلفت سياسة المستعمرات تجاه السكان المحليين أو الوطنيين اختلافاً كبيراً وذلك تبعاً لقوة ووفرة أعداد المستعمرين ، ووفقاً للقوة العسكرية ولثروة وحضارة السكان المحليين والذين سيصبحون سادتهم أو جيرانهم ، فعندما كان الإغريق متعددو المواهب يتعاملون مع القبائل البدائية كانوا يعرفون كيف يجعلون أنفسهم مرحباً بهم ، فكان الاغريقي يحضر معه الهدايا التي ترضي وتسر وكان يجد الكلمة أو الاشارة التي تسحر ، فكان يتحدث مع الرجال ويقيم علاقات جنسية مع النساء وكان يحصل من خلال المناقشة على الاتفاق الذي يريده مثل الحق في فتح سوق أو احتلال شريط من الأرض للتوطن فيه ومن الأمثلة على ذلك عندما رسى أهل فى فوكايا على أراضى قبيلة ليجورية نجد أن ابنة زعيم القبيلة قد اتخذها زعيم المهاجرين زوجة له وتم تأسيس ماساليا وعندما نزل أهل ثيرا فى جزيرة بلاتيا أقاموا علاقات طيبة مع الليبيين ومن خلال ذلك فقد ساعدوهم على الانتقال واستيطان قوريني وعاشوا معاً فى سلام ولكن عندما زادت قوتهم استولوا على أراضى الوطنيين مما سبب العداء بينهم. وفى شمال البحر الأسود فان اكيميريين Cemmerians والاسكيثيين والسارماتيين قد استقبلوا التجار الايونيين استقبالاً طيباً . وبمجرد استقرار الاغريق فى أغلب البلاد التى نزلوا بها نجدهم يحاولون أن يتوسعوا وغالباً ما كانوا يستخدمون القوة حيناً ، وبعون من الخديعة والخيانة حيناً آخر أو كلاهما معاً . فالكثير من المستوطنات قد أنشأت على مناطق مفتوحة عنوة مثل سيراكوز وليونتيون وامبراكيا ونجد أن اللوكريين عندما نزلوا فى إيطاليا قد عقدوا معاهدة صداقة مع السكان المحليين ثم لجأوا إلى الخديعة وطردوهم . وأيضاً ما قام به القوريناثيون مع السكان المحليين فى الاستيلاء على أراضيهم وطردهم .

ونجد أيضاً أن بعض المدن ووفقاً لجذروها لم تطرد السكان المحليين ولكن انزلتهم إلى مرتبة العبودية لأنها وجدت من الأفضل أن تستثمر الأراضى من خلال أصحابها الأصليين ، والأمثلة على ذلك قيام المستوطنون فى سيراكوز وبيزنطة وهيراقليا بونتيقا بربط أعداد كبيرة من السكان المحليين بالأرض وجعلوهم يحرثونها ويزرعونها . ولكن نجد أن الشعوب المحلية فى المناطق الداخلية قد وقفت ضد المستوطنات وحاربتها وأوقفت توسعها . ومن بين هذه الشعوب السكان المحليين فى غرب صقلية والقبائل والشعوب المحلية فى منطقة البحر الأسود . وكما نعرف أنهم قد أقاموا ببعض الدول القوية بعد الحصول على تصريح مثل ليديا مصر . وفى ضوء ما سبق فقد نجح الكثير من المهاجرين فى تأسيس مستوطنات ولكن فشل البعض فى محاولاتهم نتيجة للمتاعب التى سببها السكان المحليون ومن ذلك ابديرا .

٣- لدينا أمثلة عديدة عن مستعمرات أسست هى الأخرى مستعمرات بعد سنوات قليلة من تأسيسها عندما ضاقت أرضها أو لأنها محرومة من الظهير الزراعى. أو للاضطرابات والنزاعات بين المهاجرين ، بينما نجد أن بعض المستوطنات الأخرى نظراً لقلة سكانها ولاتساع رقعة الأرض الزراعية المجاورة لها تدعو اليونان إلى الهجرة إليها جيل وراء جيل مثل قورينى .

٤- إن مفهوم حركة الاستعمار اليونانية فى العصر العتيق يختلف فى معناه فى الغالب الأعم عن مفهوم الاستعمار الحديث . فقد كان جل المستوطنات تنشأ وتتطور بشكل مستقل عن المدينة الأم فكانت هذه المستوطنات مدناً مستقلة بشكل كامل عن المدينة الأم فلا تبعية سياسية لها . ومع ذلك فقد وجدت بعض الأمثلة والاستثناءات التى ربطت فيها المدن المستعمرة مستعمراتها بها وتشدها إليها بأوثق الروابط ومن هذه المدن كورينثة التى أسست سلسلة من

المستعمرات على الشاطئ الشمالى الغربى لليونان وجعلتها تحت سيطرتها وحكمها المباشر ، والمثال الثانى هو أثينا وتأسيسها مستوطنة فى منطقة الهليسبونت فى القرن السادس .

٥- أن المستوطنين ملاك أو حائزى قطع الأرض سيحبون العنصر الارستقراطى على عكس المستوطنين الذين يفدون إلى المستوطنة فيما بعد فى الغالب الأعم ، وأعضاء الطبقات الحرفية . فهؤلاء الأرستقراط ، والذين كان الكثيرون من أجدادهم من الفقراء ، هم الآن ينتمون إلى طبقة الموسرين وطبقاً للطبيعة الانسانية فقد نسوا ما عانوه هم أو آباؤهم أو أجدادهم فى بلادهم الأصلية ولم يظهروا عطفاً على الأشخاص الأقل حظاً والذين زادوا بمرور الوقت فى المستوطنات .

٦- من المرجح أن الاجراءات التى اتخذتها المدن بشأن تنظيم وإرسال مستوطنين وتأسيس مستوطنات قد اختلفت مع بعضها البعض خاصة فى الفترة الباكرة ، ووفقاً لرواية هيردوت ونقش لوحة المؤسسين لمدينة قورينى كانت الدولة تشرف على حركة الهجرة بل تنظمها وتمولها ، ولعل بعض المبادرات قد أتت من بعض القادة ومن بين هؤلاء دوريوس شقيق الملك الاسبرطى كليومينيس ، وفى الغالب الأعم فإن الطبقة الارستقراطية أو الاليجرخية الحاكمة هى التى أرسلت المستوطنين كحل للمشاكل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى تقلق الحكومة . وقبل القيام بالاستيطان كان لابد من الحصول على رضاء ومباركة لاقامة مستوطنة وذلك بسؤال وحى دلفى ودورنا قبل القيام بالعمل أو حتى بعده بغرض حض وحث المواطنين بالمدينة ومواطنى المدن الأخرى على الهجرة . وبعد أن تقرر مدينة تأسيس مستعمرة فإنه من الراجح المتبع أنها كانت تدعو الراغبين للهجرة للتجمع ولكن من الواضح أن الاجراء المتبع فى تأسيس

قورينى أنه إذا لم يأت راغبون كافون فى الهجرة فإنه كان يتم استخدام الارغام على الهجرة وفي نفس الوقت ترك الباب للراغبين بمحض ارادتهم . ومن الواضح أيضاً أن الدولة هى التى كانت تعين قائد المستوطنين aekistis وتحت اشرافه كانت تؤسس المستوطنة الجديدة وكان واجبه الأول هو تخصيص قطع الأرض للمستوطنين . وبعد موته كان يدفن فى مكان مميز فى المستوطنة حيث يلقى التكريم كبطل وكمؤسس مبجل للمدينة .

٧- على الرغم من أن غالبية المستوطنات كانت مستقلة عن المدن الأم وأنها كان من حقها أن تقيم علاقات مع كل بلاد اليونان دون تدخل من مدينتها الأم . إلا أننا نجدها تقيم وتحتفظ بعلاقات قوية مع مدينتها الأم ، وأبدت احتراماً بأبطالها، فكانت ترسل السفراء فى المناسبات الخاصة ، كما استبعدت النزاعات فيما بينها فى الغالب ما وسعها إلى ذلك سبيلاً وإن كان هناك استثناءات مثل الحرب بين كورينثة وكوركورا . كما نجدها قد عقدت معاهدات تجارية ومحالفات عسكرية فيما بينها . وهذا قد قوى الروابط فيما بينهم ، وقد زاد من قوة الروابط أن المستوطنين فى الغالب كانوا قد نقلوا المؤسسات السياسية والدينية مثل نظام الحكم ، التقسيم القبلى ، وكانوا يأخذون جذوة من النار المقدسة وتتبعهم آلهة المدينة الأم لحمياتها ، والابجدية واللغة ونظام التأريخ ، كما أنه صار من العرف والتقاليد أنه عندما تنوى المستوطنة بانشاء مستوطنة جديدة أن ترسل إلى مدينتها الأم لترشح لها قائد aekistes للمهاجرين . فعلى سبيل المثال عندما أسست كوركورا المستعمرة الكورينثة مستعمرة لها وهى ابيداموس فقد أرسلت مستوطنيها تحت قيادة زعيم أو قائد من كورينثة .

٨ – لقد حد من حركة الهجرة والاستيطان للاغريق موقف الأمم المتحضرة الأخرى (قرطاج) والتى أوقفتها بشكل تام فى الغرب ، كما نجد الظروف الداخلية فى بلاد اليونان قد فعلت فعلها فى الحد من الهجرة ومن هذه الأحوال اقرا مبدأ الملكية الفردية بدلاً من الملكية المشاعية للأسرة وحق الابن الأكبر فى الميراث ، كما أن نمو الصناعة والتجارة قد خلق فرص جديدة للعمل فى بلاد اليونان وانعدام البواعث التى جعلت أمثالهم يرحلون فى الماضى خارج أوطانهم بحثاً عن الرزق والعمل ، كما أدت الثورات الشعبية إلى تحسين أحوال الجماهير وأصبحت الظروف سانحة لهم للحصول على الأرض الزراعية . ولذا سنجد أن حركة الهجرة قد بدأت شبه متوقفة فى القرن الخامس ، وإن كان خروج الإغريق مستمراً للعمل كجند مرتزقة سواء فى مصر أو فى فارس .

نتائج حركة الاستعمار :

١– انتشار الإغريق على سواحل البحر المتوسط والبحر الأسود ، وقامت المئات من المدن الدول وعلى الرغم من أن بعضها قد تأثر بالاحوال المحلية فإن أغلب هذه المدن قد تطور على نفس نسق المدن الأم ولكن نلاحظ أن المدن الجديدة كانت أكثر تنظيماً وثراء من المدن الأم وبالتالى فقد أثر هذا على المدن الأم .

٢– لقد عمقت حركة الاستعمار التى خلقت مئات المدن الدول الجديدة ميل الاغريق وتفضيلهم العيش فى تجمعات صغيرة مكفية ذاتياً ، وزادت وكرست الانعزالية السياسية عندهم بشكل كبير .

٣– أن عيش وإقامة اليونان فى المستعمرات قد ولد فكرة التضامن الهلينى Panhellenism بصورة كبيرة عما كان عليه الحال فى بلاد اليونان ، فالمدينة الجديدة عادة ما تؤسسها عناصر من مدن مختلفة وسرعان ما يشعر هؤلاء

نتيجة لإقامتهم بين شعوب أجنبية تماماً أنهم من أبناء شعب واحد ومن هذه المستوطنات قوريني ونقراطيس . لقد شعروا بالفروق الواضحة بينهم وبين مختلف الشعوب بينما كانت الفروق غير واضحة ، والمستوطنون سواء أكانوا من كورينثة أو ميلنوس أو كوريس أو خالكيس أو ميجارا فإنهم جميعاً يتكلم لغة واحدة ولهم نفس التقاليد الموروثة من عصر الأبطال ويشتركون في ديانة وأفكار دينية واحدة وطرق الحياة وعلى الرغم من أن الاغريق قد تصاهروا مع بعض السكان المحليين فى صقلية وتراقيا وليبيا ، فإن أغلبهم ظل منغلقاً على نفسه وكلما مرت السنون وتطورت الحياة فى مدنهم على العكس من التقاليد القبلية وتقاليد المجتمعات المجاورة لهم فإن الاغريق قد بدأوا يفكرون فى أنهم مختلفون عن هؤلاء الناس الآخرين وأصبحوا مدركين أكثر فأكثر أنهم وحدة واحدة وأصبح يطلق عليهم هيلينيون Hellene فى مقابل Birbariana .

٤- لقد ولدت حركة الاستعمار الشعور بالوحدة بين الاغريق من جهة أخرى وذلك من خلال المشاركة فى الالعاب الأوليمبية التى أقيمت سنة ٧٧٦ وفى الاحتفالات بمناسبة الاعياد الهلينية الأخرى ، البيثية ، والاسثمية والنمية ، ويبدو أن هذه الاعياد كانت أعياد محلية فى البداية ولكن بمرور الوقت فقد أصبحت هلينية لكل الاغريق والفضل فى ذلك يرجع إلى المستوطنات فقد كان المهاجرون سعداء فى أن يعودوا بين الحين والحين إلى المدن فى بلاد اليونان . وفى شهر أغسطس كل أربع سنوات كانوا يذهبون زرافات إلى أوليمبيا لمشاهدة مسابقات الأبطال من كل المدن وللمشاركة فى الاحتفالات الرياضية وأيضاً لعقد بعض الصفقات التجارية وللمشاركة فى الاحتفالات الدينية أمام معبد زيوس وهيرا . وهكذا فقد حافظت هذه المناسبات على روح الوحدة بين الإغريق بل عمقتها .

٥- إن بعض المدن الجديدة خاصة مدن صقلية وجنوب إيطاليا نظـراً لمـا كـانت تتمتع به من ثراء عريض قد ساهمت فى دفع وتطور الشعر فقد ظـهر الشـعر الغنائى وظهرت التراجيديا والكوميديـا وظـهرت النظريـات الفلسـفية مـن فيثاغورثية وسوفسطائية ، كما ازدهرت العلوم وتطور الفكر السياسى الذى جاء نتيجة للتغييرات الاقتصادية الهائلة وما نتج عنها من تغييرات اجتماعية . وهـو ما سنناقشه فى الصفحات التالية . وكان ازدهار العلوم والآداب راجع إلى نقـل اليونان للابجدية الفينيقية ومعرفة الكتابة التى أحدثت ثورة فى الحيـاة العقليـة اليونانية ، وفى الواقع فقد دافعهم لاستخدام الكتابة هو اجراء وتسجيل العمليـات التجارية .

التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الناجمة عن حركة الاستعمار.

التطورات الاقتصادية

عندما بدأت حركة الاستعمار كان اقتصاد المدن اليونانية اقتصـاداً زراعيـاً رعوياً فى المقام الأول بينما لعبت التجارة والصناعة فيـه دوراً هامشـياً . ولكـن بدأت أهمية التجارة والصناعة فى التعاظم مع انتشار المستعمرات اليونانيـة علـى نطاق واسع فى حوضى البحرين المتوسط والأسود ، وهذا قد أدى إلى خلق سـوقى البحرين المتوسط والأسود تشجيع تقسيم العمل وإقامة حركة تجارية نشـطة بيـن مدنهما المختلفة وقد ساعدت عدة عوامل على ذلك منها :

١- أن السوق agore كانت أرضاً مقدسة محايدة فى الأصل حيث كان يفد عليـها مختلف أفراد الأسر لاجراء تعاملاتهم التجارية أو عندما زادت سـيادة المدنيـة على منطقة كبيرة ، فقد كانت هناك أسواق التخوم والتى تحميها القوانين الدينيـة ضد العنف .

٢- كانت مواسم انعقاد الاعياد الدينية مواسم حرم يعم فيها السلام والأمان وهذا قـد

ضمن وأكد حماية الآلهة للتجار وتجارتهم ، كما أن قوانين المعابد قد ضمنت وكفلت الحماية لكل المشاركين من مختلف البلدان فى أعياد الآلهة المعقودة فى دلفى واوليمبيا ونيميا واستموس وتيثوريا Tithorea وفوكيس واندانيا Andania فى ميسنيا . فكان من يخرق قانون الحماية معرضاً لعقوبة الحرمان من عضوية الجماعة والموت ، وبمجرد اعلان هدنة الاله ekeileiria فإن الناس كانوا يتوافدون من كل فج عميق وهم آمين ليحضرن الأعياد ويشاهدون المباريات والمسابقات ، وفى نفس الوقت لتبادل المنافع التجارية فيما بينهم . وكما هو معروف فإن الجموع الكبيرة من الحاضرين لتلك الأعياد كانوا بحاجة إلى طعام وأضاحى ، وهدايا والسلع النافعة ومن هنا كان يتم تبادل السلع والمواد وهذا قد خلق أسواقاً رائجة بجوار المعابد . كما أن الحماية التى تتمتع بها الأجانب فى الأسواق بالقرب من المعابد قد امتدت غالباً إلى الموانئ التى كانت تقع على حدود السوق وفى أجوار المعبد . ففى نقراطيس فإن السوق كان له اله خاص . وفى افسوس فى الميناء المقدس بالقرب من المخازن والاسواق كان يوجد معبد ربة المدينة ارتيميس . إن قداسة الموانئ وملحقاتها قد جعلتها أماكن حقيقية للجوء asylum فقد كان ممارسة حق الاسر والقرصنة المسموح بهما فى البحار يمكن أن يمنع فى الموانئ .

٣- زادت حكومات المدن الاهتمام بتشييد الطرق الداخلية والعناية بها وتأمينها وذلك نتيجة زيادة أهمية المعابد الكبرى . وقد استخدمت هذه الطرق لنقل السلع والبضائع سواء على ظهور البغال أو بالعربات . أو على ظهور الأفراد كما فعل أهل ايجيا فى كل أنحاء البلوبونيز وهم حاملين شنطهم .

٤- تطور فن بناء السفن وفن الملاحة ، فقد عرف اليونان بناء السفن التجارية الكبيرة والمستعدة لرحلات طويلة . كما اعتنوا ببناء السفن الحربية السريعة

الحركة والمناورة . وبفضل هذه المدن فقد نجحوا فى الحد من القرصنة وتـأمين البحار . وهذا قد سهل حركة التجارة بشكل كبير .

٥- إبتكار العملة قد سهل كثيراً العمليات التجارية المختلفة . كانت بـلاد اليونـان بحاجة إلى المواد الخام والحبوب وبدأت هذه المنتجات تصب فيها بكميات كبيرة من كل مناطق البحرين الأبيض والأسود . فقد شحنت الحبـوب مـن صقليـة وايطاليا وكريميا عبر أوليمبيا ، ومن الراجح من مصر عبر نقراطيـس ، كمـا ضمت بلاد اليونان شحن المعادن التى كانت شحيحة فيها فقد ضمنت وصولـها من مصادر كثيرة : فمن ليديا ومصر وثاسوس وتراقيا حصلوا على الذهـب ، ومن ثاسوس وتراقيا واسبانيا حصلوا على الفضة ومن قبرص حصلـوا علـى النحاس ومن قبرص وكيليكيا واتروريا وفى نهاية القرن السـابع مـن السـاحل الجنوبى للبحر الأسود حصلوا على الحديد . ومن أفريقيا العـاج ومـن تراقيـا ومقدونيا حصلوا على الخشب ومن المحطات التجارية علـى البحـر الأسـود حصلوا على الأسماك المجففة والمملحة ومن المرجح مواد رفاهيـة أخـرى ، ومن قورينى السلفيوم ومن الشرق مختلف التوابل وخاصة البخور الذى صـار ضرورياً للاغراض الدينية وطقوس العبادة .. هذه المواد والسلع قـد أصبحـت بشكل دائم جزءاً من الحياة اليونانية . ولدفع ثمن هذه الواردات كان على بـلاد اليونان أن تنمى صادراتها ، فقد بدأ اليونان فى العناية بغرس الكروم والزيتـون، كما زادوا من انتاج ورشهم المختلفة وتصديره هو الآخر لسـكان المسـتوطنات والشعوب المجاورة والذين أصبحوا زبائن دائمين للمنتجات اليونانية والتى مـن أهمها المنتجات الفخارية والخزفية التى استخدموها فى كافة الأغـراض مثـل الجرار الكبيرة لحفظ الزيت والنبيذ والاطباق وآنية الطـهى وآنيـة العطـور . وكان يتم انتاج الفخار فى كل مكان يوجد به مواد خام جيدة . وكان من أشـهر

مراكز صناعة الفخار كورينثة فكانت المركز الأول فى العالم اليونانى ابان القرن السابع وحلت أثينا محلها كمركز لتصنيعه فى القرن السادس وبعد الفاخورية والخزافية يأتى صناع المعادن وعمال النسيج وهم من الراجح كانوا أكثر الحرفيين نشاطاً فقد أصبحت ميليتوس من أشهر مراكز انتاج المنسوجات الصوفية وهناك العديد من المدن التى أنتجت المصنوعات المعدنية والاسلحة وكانت خالكيس أهم مراكزها . وهكذا فقد صار لكل من التجارة والصناعة أهمية ومكانة خاصة عند اليونان إذ نجدهما قد قدمتا فرصاً جديدة ليس لكسب لقمة العيش لليونانيين الاحرار فقط بل جعلتا الثروة المنقولة تفيض فى أيديهم .

لقد كانت التجارة فى المجتمع الهومرى وكما سبق أن ذكرنا غالباً فى أيدى الفينيقيين ، وأن أصحاب الحرف والمهن كانوا أدنى مرتبة من ملاك الأراضى الكريمى المحتد . ومع تطور المدينة فى العصر الأرخى ونمو الانتاج فقد قام الناس بمبادلة ما يفيض عليهم من منتجات بمنتجات أخرى ، وهذا ما رواه لنا هيسيود من أن الرجل كان يشحن ما يفيض على حاجته سواء أكانت زراعية أو مواد مصنعة لتصريفه فى الخارج . ونعرف أن بعض كبار الزراع كانوا يقومون بمبادلة ما يفيض من انتاج أراضيهم من النبيذ وزيت الزيتون بسلع أقطار أخرى ، فقد كانت ملكية السفن الضخمة فى أيدى الأرستقراط كبار ملاك الاراضى ، ففى خالكيس فإن طبقة الفرسان Hippobotae الذين كانوا يرقبون خيولهم تجرى فى السهل كانوا يشرفون فى نفس الوقت على العمل فى مناجم النحاس ويرسلون ما يستخرجوه إلى المستعمرات . وفى كورينثة فإن الأسرة الحاكمة الباكخياوية قد جعلت من حرفة التجارة تقليداً عائلياً ثم استولت على حكومة المدينة نفسها . كما نجد من نبلاء بعض المدن من اشتغل بالتجارة ومن بين هؤلاء خاراكسوس Charaxos من لسبوس ، وكان أخاً للشاعرة سافو ، فقد اعتاد هذا النبيل الذهاب

إلى مصر مع شحنات النبيذ . كما نجد الزراع البسطاء كانوا يشحنون ما يفيض عليهم من منتجات ويبادلونها بمنتجات هم بحاجة إليها وكان من بين هؤلاء أخو هيسيودوس .

كما نجد أن هناك فئة من التجار كانوا صناعاً وتجاراً ، فقد صار الكثير من طبقة الحرفيين تجاراً فى الموسم الذى كان الابحار فيه مأموناً (من ابريل إلى سبتمبر) حيث تكون البحار هادئة . فقد كان هؤلاء يعملون كحرفيين خلال الجزء الأكبر من السنة خلال فصلى الخريف والشتاء . وعندما تصبح الملاحة مأمونة العواقب فإنهم أو بعض أفراد أسرهم كانوا يشحنون منتجاتهم التى أنتجوها على متن سفينة تجارية ويبحرون لتصريفها فى الموانئ الاجنبية . وابتداء من عصر هيسيود فإن الكثير من الرجال قد بدأوا فى اعتبار التجارة مهنتهم الأساسية وليست مهنة موسمية . فعندما بدأت المستعمرات فى التطور والنمو وصار من المعروف أن مدينة ما يكون عندها فائض فى القمح بينما مدينة أخرى مجاورة يكون خشبها جيداً وأخرى قريبة من المناجم التى تستخرج منها المعادن ، بينما مدينة أخرى يكون لها منفذ على السلع الكمالية مثل الذهب والعاج . ولأن التجارة قد اعتمدت على نظام المقايضة إلى أن تم اختراع العملة ، فقد كان على التاجر أن يعرف شحنته ويبادلها بسلع ومواد أخرى ، وحيث أنه لم يكن هناك أسواقاً اغريقية عندها اكتفاء ذاتى ، فيما عدا على ما يبدو فى مراحل تاريخها الأولى ، فإنها كانت أسواقاً لبعض الواردات وبمرور الزمن فإن التجار قد عرفوا بصورة جيدة ما هى الواردات التى تحتاجها المدن المختلفة وما هى المواد المنتجة التى تكون متاحة للتصدير ، إن هؤلاء التجار لم يختلفوا فى أساليب تعاملاتهم التجارية الكثيرة عن الفينيقيين . فكانوا يشحنون سفنهم من الأماكن التى يجدون فيها شحنات نافعة ومربحة ويبحرون بها إلى الموانئ الأخرى حيث يحدوهم الأمل أن يفرغوا تلك

الشحنات ويحصلون فى المقابل على شحنات أخرى مربحة ، ولعل سنوات كانت تمر قبل عودتهم إلى مدينتهم الأم . ومع ذلك فإن بعض التجار كانوا مرتبطين بشكل كبير بتلبية احتياجات مدنهم فعلى سبيل المثال كان مالك السفينة من ميليتوس naukleras على علم باحتياجات مدينته من السلع الغذائية وبالتالى كان يقوم بشحن المنسوجات الصوفية والآنية الفخارية المنتجة فى مدينته وإذا ما بقى فراغ فى سفينته كان يأخذ معه تاجر emporas أخر وشحنته ثم يبحران معاً إلى أوليمبيا حيث يستبدلون شحنتيهما بشحنة من القمح والسمك المحفوظ . ولا يوجد لدينا دليل حول طرق وكيفية استبدال هؤلاء التجار لبضاعتهم ، ومن الراجح كان عليهم البقاء فى الميناء إذا ما أتى عليهم فصل الشتاء وهذا يعنى أن يقيمون حتى يبيعوا سلعهم بالتجزئة ، ومن جهة أخرى قد يكون فى مقدورهم العودة فى فترة الابحار المأمون وهذا يعنى أنهم قد باعوا بضاعتهم للتجار المحليين .

وقد قاموا تجار ميليتوس والمدن الايولية بالمتاجرة مع منطقة البسفور والدردنيل والبحر الأسود ومصر عبر نقراطيس . وقام تجار فوكايا بالتجارة مع مستوطنات الغرب ، بينما قام التجار الكورينثيون بالتجارة مع الغرب ابتداء من منتصف القرن السابع وقام تجار خالكيس بالتجارة مع صقلية وايطاليا ومنطقة الخالكيدكى . وابتداء من القرن السادس فقد دخلت اثينا مجال التجارة وكان لها تجارتها مع منطقة البسفور والدردنيل .

وإذا كانت التجارة قد نمت فإن الصناعة هى الأخرى قد نمت وتطورت فقد ظهر فى المدن طبقة الحرفيين demiourgoi منذ بدء نشأتها ولكن نظراً للاحتياجات الكبيرة للمنتجات المصنعة . فقد زادت أعدادهم وأصبحوا يعملون فى ورشهم ergasteria الصغيرة الحجم وبمساعدة عدد من الاجراء thetes والعبيد ولكن بمرور الوقت زاد الاعتماد على العبيد وصاروا أهم عنصر فى الحياة

الصناعية . ونتيجة لرواج التجارة والطلب على المنتجات المصنعة فقد حقق هؤلاء ثروات كبيرة . وهذه الثروات كانت ثروات منقوله سواء أكانت في شكل سبائك ذهبية أو فضية أو سلع مصنعة وأن بعض الحرفيين والتجار قد صاروا أكثر ثراء من الأرستقراط . وقد زاد هذا الأمر مع اختراع العملة . وهذا يدفعنا للحديث عن التغيرات الاجتماعية كنتيجة للتغيرات الاقتصادية .

التغييرات الاجتماعية :

ا ـ الطبقة الأرستقراطية :

قد أدى التطور التجارى والصناعى إلى تغييرات فى التركيبة الاجتماعية والعلاقة بين مختلف الطبقات ، وكما سبق أن ذكرنا فإن المجتمع الهومرى كان ينقسم إلى طبقات وهى طبقة الاشراف والحرفيين وطبقة صغار الزراع وطبقة الأجراء والعبيد .. وسنجد أن هذا التقسيم فى العصر الارخى قد استمر مع حدوث تغيير فى الوضع الاجتماعى صعوداً وهبوطاً بالنسبة لبعض الفئات .

كانت الطبقة الأرستقراطية هى المهيمنة على مقالبد الأمور منذ نهاية العصور الهومرية واتخذ رؤساء الأسر طراز الملوك فهم جميعاً أبناء زيوس ولهم الحق جميعاً فى حمل الصولجان وكانوا يلتقون فى المجلس كى تتم الموافقة على القرارات التى يعلنوها للشعب وكونوا محكمة المحلفين التى كان مقرها السوق . وقد استندت قوتهم وسلطتهم على ما كانوا يملكونه من الأراضى ومن قطعان الحيوانات . وإذا كان الأرستقراط قد اعتمدوا على سياسة الاكتفاء الذاتى بالنسبة لاسرهم فى البداية إلا أنهم بمرور الزمن مع قيامهم باستصلاح كل الأراضى التى يمكن استصلاحها وغرسها بالكروم والزيتون . وهذا قد أدى إلى فائض فى الانتاج والذى كان يتم بيعه حيناً واقراضه حيناً أخر لصغار الزراع المحتاجين والحصول على فائدة قدرها ٥٠ % من قيمة الكميات المقرضة وبضمان ممتلكات المقترض

وشخصه وزوجته وابنائه .

لقد بدأت ظاهرة جديدة أيضاً وهى أن كبار الملاك وأولادهم واتباعهم كانوا فى العصر الهومرى يعملون فى الأرض الزراعية وفى الحرف الأخرى أصبحوا الأن سادة يشرفون على الأرض بها ففى ظل النظم الشبيهة بالنظم الاسبرطية فقد وزعت الأرض بين الغزاة وأنزل السكان الأصليون إلى مرتبة المزارعين المربوطين بالأرض ، ويحصل حائزى الاقطاعات على حصص محددة من الانتاج ، أما فى المدن الأخرى نجد أن كبار الملاك كانوا يعتمدون فى ادارة ضياعهم والقيام وانجاز الاعمال الزراعية المختلفة على العمال الأجراء الأحوار أو العبيد أو من أنزلوا فى درك العبودية نتيجة عجزهم عن سداد ديونهم . وقد كرس الأرستقراط وقتهم للخدمة العامة والتدريب العسكرى الذى توارثوه عن الآباء والأجداد.فقد كان الشريف وحده هو الذى عنده عدة وأسلحة القتال كاملة والتى تجعله رجلاً من البرنز ، العربة والاتباع والحصان الذى يؤكد السمو فى ميدان المعركة ويقول أرسطو أن قيام النظام الاوليجرفى كان طبيعياً والأرستقراط أصحاب الخيول كان لهم امتياز حمل السيف ، وعندما يموت الشريف كان يتم دفن أسلحته معه فى قبره .

ونتيجة للسيطرة على مصادر الثروة والقوة فقد أمسكوا بزمام السلطة السياسية وتصريف شئون الدولة العامة ، ولكن مع نمو التجارة والصناعة وما نتج عنهما من تزايد الثروات المنقولة فى ايدى الصناع والتجار بدأت المطالبة أو التطلع للمشاركة فى الحياة السياسية والخدمة العسكرية . وبالفعل فقد حدث تطور فى أساليب القتال والتسليح فقد ظهر نظام جنود المشاة ثقيلى العدة hoplites ونظم الفيالق . وتشير الأدلة الأثرية من مقبرة فى أرجوس من نهاية القرن الثامن وبداية القرن السابع على وجود ملابس مشاة ودروع وآنية فخارية تعرض لطرق القتال

الجديدة والقديمة ، كما تشير المصادر إلى أن فيدون طاغية أرجوس هو أول من أدخل نظام الفيالق فى بلاد اليونان وقد استخدمه بالفعل ضد جيش أسبرطة فى موقعة هيسياى حوالى سنة ٦٦٨ ق.م وبدأ جيش المشاة فى ثوبه الجديد فى أغلب مناطق بلاد اليونان يكون هو الجيش النظام وصار من الممكن لرجاله الادعاء بأنهم حماة الدولة . وكان يمكن لأصحاب الثروات المنقولة فى المساهمة فى هذا الجيش بل يمكن القول أغلب رجاله قد صاروا من هذه الطبقة ولذا فقد هددوا الوجاهة الاجتماعية والسياسية للأرستقراط . لأنهم شاركوهم فى الحياة السياسية ، وتحالفوا معاً ضد الأرستقراط ونجحوا فى الحصول على حقوق سياسية متساوية معهم وحقوقاً متساوية للثروة المنقولة والثابتة ولم يعد يفرق القانون بين النوعين من الثروة . ولكن سنجدهم يحاولون الحصول على ملكية الأرض لأنها رمز للوجاهة والنبالة . وقد حدث تزاوج بين طبقة الأرستقراط كريمة المحتد وبين طبقة الأغنياء الجديدة . فالنقود قد خلطت الطبقات ولكن سنجد أن بعض الاشراف قد استنكروا هذا الامتزاج وقد عبر عن هذا الشاعر ثيوجنيس بقوله لم يزد الرجال أن يتزاوجوا من امرأة وضيعة ابنة رجل وضيع ، لتجلب لهم أموالاً طائلة . فالأموال هى التى يقدروها ولا المرأة تزدرى المرأة الكريمة المحتد النوم فى سرير رجل وضيع المنبت إذا كان ثرياً ولكن تكون مسرورة أن يكون غنياً بدلاً من أن يكون طيب المحتد .. وقد عبر هيسيود هو الآخر بقوله أن الفضيلة والعظمة يتبعان الثراء ويؤيد الشاعر الكايوس بقوله "إن المال يصنع الرجال" .

لقد كان الاندماج بين الطبقتين قد أدى إلى نوع من حكم الأثرياء أو الحكم الثيموقراطى. والمثال على ذلك والذى سنعرض له هو أثينا. plutocracy

لقد ظهرت ايات تراكم الثروة فى طرق حياة هذه الطبقة فى السلع والمواد النفيسة المستوردة مثل السجاد الشرقى والصور والسرر المطعمة والمناضد

المنقوشة والمقاعد المغلفة بالبرنز والفضة والذهب والعبيد الذين يحملون الأكواب المليئة بالمشروبات النادرة والفاكهة الأجنبية والنبيذ المعتق ، والملابس البديعة من معاطف وأروية طويلة ومشابك ذهبية تثبت الشعر الملفوف والأساور البديعة الصنعة والعطور النفاذة الرائحة وكانت النسوة يلبسن الخيطون الطرز ومن خلاله يمكن التعرف على بنات العائلات اللائى كن يحصلن على دوطهن من الأرض الطيبة بينما قد أعطاهن الآباء ثروة منقولة كبيرة ، كما نجد أن الأسر كانت تبالغ في التباهى فى الاحتفالات وفى المآتم وطقوس الدفن ، فكان يلف الميت فى أقمشة رائعة ومعه قوارير العطور والجواهر وكانوا يضعون فى قبره تماثيل لمصففى الشعر ولخبازات وطباخين وعلى قبره كان يسكب الخمر من القارورات .

ب ـ الطبقة الوسطى :

كانت هذه الطبقة تتكون من مواطنين يكسبون قوتهم من الأرض الزراعية ومن الحرف التى يمارسونها . فقد تكونت من صغار الزراع الريفيين وكان يطلق عليهم فى أتيكا طبقة الزيوجيتاى Zeugitai لأنهم يملكون زوج من الثيران الضروريين لانتاج مائتى مكيال من الحبوب . وفى المدن فعن الطبقة الوسطى كانت تتكون من الحرفيين المهرة وقد نجح بعض أفراد هذه الفئة فى تكوين ثروات طائلة وانضموا إلى الطبقة الارستقراطية كما سبق أن ذكرنا ، بينما الفئة التى لم يحالفها الحظ والنجاح فى تحقيق الثراء فقد بقيت على حالتها المتدنية وكان من بين هؤلاء الحرفيين الاجراء وتجار التجزئة والبحارة ، كما شملت هذه الطبقة على الرعاة .

لقد كان لتقسيم الأراضى واستخدام النقود آثاره المدمرة على الشريحة الفقيرة من الطبقة الوسطى ، فقد كان من الصعب على الرجل الذى عنده ما يكفيه بالكاد فى السنوات جيدة الانتاج أن يدبر أموره فى السنوات سيئة الانتاج وأن

يواجه مطالب أسرته ولما كان كل شيء يشترى ويباع فقد قـــام بـــالاقتراض مـــن المالك الكبير ، أو من أصحاب الثروات . وكان الاقتراض هنا مصحوبـــاً برهـــن لممتلكات المدين وشخصه وكل أفراد أسرته لتأمين حق الدائن . وكان المدين يعـــد محظوظاً لو قبل الدائن برهن ممتلكاته فقط . وإذا ما حان موعد السداد ولم يكن فـــى استطاعته رد الدين كانت تئول الملكية المرهونة للدائن ، وإذا ما كان هـــو وأفـــراد ضامنين أيضاً للدين فإنه يتم سلب حريتهم ويصبح من حق الدائن بيعهم فى ســـوق النخاسة فى الخارج . وكثيراً ما كان يترك الدائن أو المالك الجديد المـــالك الســـابق فى الأرض لاستغلالها مقابل حصوله على سدد المحصول وكان وضع هؤلاء فـــى اتيكا سيئاً للغاية . وقد أدى هذا إلى كراهية شديدة بين الطبقـــة الثريـــة والطبقـــات الفقيرة .

لقد كان الأرستقراط يملكون كل مظاهر السلطة السياسية والدينية والعســكرية والقضائية . وقد فسروا الأعراف والتقاليد القانونية لصوالحهم وقد عـــبر الشـــاعر هيسيودوس عن هذا خير تعبير فنسمع فى شعره صيحة الأجيـــال التعســـة فقـــانون الأقوى هو الذى يسود وقد شبه الضعفاء بالعندليب بينما الأغنيـــاء بـــالصقر . وأن الصقر ينقض على العندليب فينشب مخالبه فيه دون أن يستطيع أن يفعل له شـــيئاً . وقد حاول هيسيودوس جاهداً أن يذكر الأغنياء بأن الإله زيوس يرســـل ٣٠ ألـــف رسول ليراقبوا الأحياء وأن ابنته العدالة المعصوبـــة تبلغـــه كـــل الآثـــام والظلـــم المرتكب. وقد حاولت بعض المدن أن تسن التشريعات وأن تدون القوانين التى تحـــد من تفاقم المشاكل مثل أثينا بينما استمسكت الارستقراطية فى بعض المدن بالســـلطة؛ ولذا فقد قامت عليها ثورات جامحة اطاحت بها . وسنعود للحديـــث عـــن تدويـــن القوانين بعد أن نعرض بإيجاز لحال الطبقة الوضيعة فى المجتمعات اليونانية .

جـ - طبقة الأجراء والمزارعين المربوطين بالأرض والعبيد :

كانت الأعراف تضع الأجراء الأحرار فى منزلة وسط بين المواطنين كـاملى الأهلية وغير المواطنين أو بعبارة أخرى وضعت الأجراء فى طبقـة وسـط بيـن الرجل الحر والعبد . فقد كان صغار الملاك يستغيثون بهم فى الزراعة كما نجدهـم قد عملوا فى المنازل كما عملوا فى الصناعة وكان وضع هؤلاء العمـال الأجـراء سيئاً للغاية .

عرفت المجتمعات الدورية على نطاق واسع نظام استعمال السكان المحلييـن لزراعة الأرض . فقد ربط الغزاة الدوريون السكان المحليين بالأرض ، فقد وجـد فى اسبرطة طبقة الهيلوتس وفـى كريـت المينويتـاى Menoitai والكلاروتـاى Clarotae وفى تساليا البنستاى Penestae وفى مناطق أخرى من اليونان وسـنعود إليهم عند الحديث عن اسبرطة .

كانت الطبقة الحاكمة من الغزاة الدوريين تحتفـظ بحـق حيـازة وامتـلاك الاراضى ورفضت العمل بها وأجبرت السكان المحليين على الارتبـاط بـالأرض وفلاحتها ونظير ذلك يحصلون على حصص ثابتة متفق عليها . وسنجد أن بعـض هذه الطبقات قد قامت بثورات عارمة ارهقت المدن الدول ، كما سنجد أن البعـض منهم قد انضم إلى الشخصيات الناقمة على الحكم الارستقراطى والاطاحة به وهـو ما سنعرض له فى الصفحات التالية .

وبالاضافة إلى المزارعين المربوطين بالارض وجد العبيد الذين احضـروا إما من حملة خارجية ، أو تم شراؤهم من القراصنة فـى أسـواق النخاسـة التـى انتشرت فى طول وعرض بلاد الإغريق وبالذات فى أيونيا أو الذين اسـترقوا فـى الدين ونلمس هذا فى لعنات أنبياء اليهود على الإغريق الذين يحضرون العبيد إلـى طرابلس وعلى الفينيقيين الذين سلموا أولاد اليهود للأيونيين .

وقد سبق الحديث عن العبيد وعملهم فى العصور الهومرية . وكـــان عملـــهم هناك رعى الحيوانات والخدمة فى المنـــازل والمعاونـــة فـــى أعمـــال الزراعـــة والمساهمة فى غزل وإنتاج ما يحتاجه بيت السيد من أدوات وسلع . ولكن بعـــد أن تطورت الصناعة وأصبح الانتاج موجه للسوق فقد وجدنا العبيد والعمال الاجـــراء يعملون فى الورش . ولكن بمرور القت فقد اعتمدت الصناعة بشكل اساسى علـــى عمل العبيد مما قلص فرص العمل أمام الأحرار . وكان عليهم البحث عن مصـــدر رزق لهم وكان عليهم الهجرة والعمل فى صفوف المرتزقـــة فـــى خدمـــة الـــدول الأجنبية . ولكن كانت أحوال هذه الطبقة أسوأ من أحوال العبيد فكان العبـــد علـــى علاقة طيبة بسيده وعائلته وكان يمكن له أن ينال حريته وكان يتـــم معاملتـــه دون قسوة وتمتع بقدر محدود من الحرية بالذات فى الأعمال الريفية كما كان بإمكانـــه أن يقتصد رأسمال صغير لنفسه ولذلك كانت أوضاع العبيد فى العصـــر العتيـــق فـــى اليونان أفضل من أحوالهم فى عصر كاتو فى روما . ولكن على العموم فإن أحـــوال الطبقات الحرة كانت تتسم بالبؤس وتعالت الصيحات بإعادة توزيع الـــثروة والأرض الزراعية بين الأفراد . كما سنجد المطالبة بتدوين القوانين ، وذلك لكثرة المشـــاكل التى كانت تواجهها المجتمعات نظراً لتعقد سبل الحياة ونتيجة لاتساع المبـــادلات . ولكن تدوين القوانين غير المكتوبة كان له آثاره على سيطرة الارستقراطية .

كانت القوانين عند اليونان قبل تدوينها عبارة عن أعراف وعادات الأســـلاف والاحكام القضائية التى انتقلت من جيل إلى جيل لتنظيم المجتمع وتعاملاته وجعـــل الحياة المتحضرة ممكنة . وقـــد اطلـــق هومـــيروس علـــى الأعـــراف القانونيـــة themestes أو dikai والسمة التى ميزت الكوكلوبيـــس Cyclopes هـــى أنـــهم لا يوجد عندهم قانون themestes ، ويثير هيسيودوس نفس النقطة عندمـــا يقـــول أن الإله زيوس يمنح القانون dike للإنسان وليس للسمك ولا للحيوان ولا للطـــير فقـــد

كان تفسير هذه القوانين غير المكتوبة فى ظل الحكم الملكى ، والارستقراطى كـــان مقصوراً عليهم . وكانت هيمنة الأرستقراط على إدارة العدالة والقضاء هى احـــدى الدعامات التى اعتمدوا عليها ومن المعروف أنهم قد استخدموا هذه السيطرة لخدمـــة صوالحهم . وهذا ما تشير إليه الإلياذة إذ كان الإله زيوس يغضـــب مـــن الرجـــال الذين يصدرون أحكاماً معللة temestes فى المجلس ويبعدون عن العدالـــة dike . ويشير هيسيودوس إلى نفس النقطة مستنكراً أفعـــال الأمـــراء الأرســـتقراط الذيـــن يأكلون الرشا ويصدرون الاحكام الجائرة منحازة . ولا عجب أن ضحايا الاحكـــام الجائرة شعروا أن القوانين ، مهما كانت قسوتها ، ينبغى أن تخرج عـــن ســـريتها وغموضها . وقد عبر عن ذلك يوربيديس بعد عدة قرون عندما كتب القوانين فـــإن الفقراء ، والاغنياء قد تساووا فى العدالة أمام القانون . ودائماً ما يقـــال إن ضغـــط الجماهير هى التى أجبرت الأرستقراط على أن يذعنوا ويقبلوا قسراً نشر القوانيـــن وبالتأكيد فإن عدم رضاهم كان عاملاً مثمراً ولكن الجموع كانت ، من الراجح ، مـــا تزال غير منتظمة وبدون قوة وأمية ، ومن المحتمل أن الضغط على الارســـتقراط قد أتى من المواطنين من الطبقة الوسطى الذين من خلال الـــثروة المنقولـــة الحـــق بالخدمة العسكرية كجند مشاة ، وهذا ما يؤكده قول ارسطو أن أغلب المشرعين قـــد أتوا من الطبقة الوسطى ، كما أن ازدياد موارد الثروة وتنوع مصادرها ومـــا نتـــج عن ذلك من تعقد سبل الحياة والمعاملات التجارية كانت من العوامل التى شـــجعت على تدوين القوانين . كما أن من العوامل التى ساعدت على تدوين القوانين هـــى أن المهاجرين كانوا يواجهون الكثير من المشاكل غير المسبوقة نظراً لاختلاف قوانيـــن المدن التى أتوا منها . وكان من الضرورى أن يتم صياغة قانون يكون مقبولاً مـــن الجميع .

ومن المرجح أن غالبية المدن قامت بتنظيم ، وتدوين ونشـــر القوانيـــن فـــى

خلال القرنين السابع والسادس (ق.م) ، وكانت القوانين تنقش بشـــكل دائـــم علـــى الخشب والبرونز والواح من الصخر وعل جدران المعابد والمبانى العامة . وحيــث إن هذه القوانين تعكس بدرجة كبيرة العرف المقدس للأسلاف عبر الزمن فإنه مـــن الطبيعى أن نسمع عن القصص المثارة بأن الكثير من المشرعين قد ألهمت القوانيــن له بصورة مقدسة وهذا الشعور بالورع وأن القوانين كانت وحياً فقد يســـاعد هــذا على تفسير أن اليونان كانوا يعارضون تغيير قوانينهم ويــروى لنــا ديموســثينيس Demosthenes وآخرون رواية معروفة عن مدينة لوكريس بأنـــه إذا مــا رغــب شخص فى إدخال قانون جديد أو عدل قانوناً قديماً ، كان عليه المثول أمام هيئة مــع حبل المشنقة حول عنقه ، فإذا ما رفض اقتراحه فإنه كان يتم شنقه فى الحال ووفقــاً لهذه الرواية لم يتم تغيير إلا قانون واحد فى غضون قرنين من الزمـــان . ولســوء الحظ فإن أغلب هذه القوانين قد ضاع ولم يبق منه إلا القليل وهو المدون منها فـــى المصادر الأدبية وهى عبارة عن الأحكام والعقوبات الصارمة لمختلف الاعتــداءات ويقول الخطيب ديماديس Demades إن قوانين دراكون لم تكتــب بــالحبر ولكــن بـــالدم. كما أن هذه القوانين عالجت قضايا المواريث وزواج البنت من الأقارب فــى حالة عدم وجود وريث ذكر . وقوانيــن تخص معاملة العبيد والخدمة والإنفــاق ، . .. الخ . ووفقاً للروايات العامة فإن راكيلــوس هــو أول الشـــرعين وخــاروندلس Charondas من كاتانا بصقلية وقد قيل عنه أنه كان معـــاصر لراكيلــوس ولكــن نعرف أنه عاش بعده بجيل أو جيلين . وقد ادعت العديد من المدن فى إيطاليا نســب قونينها لواحد من المشرعين السابقين ولكن من المرجح أن قوانين لوكريس وكاتانــا قد اقتبستها المدن الأخرى بدلاً من أن راكيلوس أو خاروندلس هما اللذان قد شـــرعا قوانين خاصة لها. ولدينا عدد من اسماء المشرعين فقط ولكن ما يوجد عندنــا مــن معلومات عنهم هم بيتاكوس Pittacus من متيلينى فى جزيرة لبســوس ودراكــون

وصولون من أثينا وليكورجوس من اسبرطة . لقد كان بيتاكوس ودراكون وصولون يشغلون مناصب تنفيذية فى حكومات مدنهم عن طريق الانتخاب عندما قاموا بسن تشريعاتهم .

وبعد أن عرضنا لسن القوانين ننتقل إلى ظاهرة من أهم ظواهر العصر العتيق ألا وهى ظاهرة حكم الطغاة الذين لعبوا دوراً فعالاً فى اضعاف سلطة وامتيازات الارستقراطية .

قيام حكم الطغاة

إذا كانت حركة الهجرة قد خففت التذمر السياسى ، والقلق الاجتماعى فى بلاد اليونان وأبقت لفترة طويلة على نظام الحكم الأرستقراطى ، فإنها قد أدت إلى نمو وتطور اقتصادى تبعه تغير فى التركيبة الاجتماعية فى أغلب المدن الدول ، كما أن اقرار النظام العسكرى الجديد فى المدن اليونانية قد ساعد هو الآخر على منح بعض الحقوق لبعض الفئات من المواطنين ، فقد قدم الحكم الأرستقراطى تنازلات منها إشراك الحرفيين ، والتجار فى الحكم نظراً لما حققوه من ثروة فاقت ثروة الأرستقراط بالمولد ، وقدم أيضاً الأرستقراط تنازلاً مهماً وذلك عندما سمحوا بتدوين القوانين ، ولكن بالرغم من هذه التنازلات فقد استمرت حالة عدم الرضا فى المجتمعات اليونانية وكان صراع بين الأرستقراط والطبقات الأخرى وبين الأرستقراط والأرستقراط وهذه الصراعات قد أضعفت الحكم الأرستقراطى لأن الفئات الأقل قوة قد انضمت إلى الطبقات الدنيا الأخرى التى حرمت من الكثير من الحقوق السياسية وليس عجباً أن بعض الأفراد الطموحين (عادة من الأرستقراط) قد عملوا على اقتناص الفرص للاستيلاء على السلطة بالقوة وأسماهم الاغريق بالحكام الاتوقراط (autocrats) الطغاة .

ولسوء الحظ تنقصنا المصادر الكافية لفهم نظام الطغاة الباكر وقد أطلق

البعض على تلك الفترة "عصر الطغاة " وهذه التسمية مقبولة بشكل جزئى لأن حكم الطغاة كان منتشراً فى العالم اليونانى ، فقد عرفته مدن كثيرة مثل كورينثة وسيكيون وميجارا وأثينا ومتيلينى وميليتيوس وأفسوس وساموس ، وناكسوس وفى بلاد اليونان الكبرى فى إيطاليا وصقلية فقد ظهروا فى ليوتينى واجريجنتوم وكوماى وسيبارس وفى المدن القوية والثرية مثل سيراكوز ... الخ . وفى الواقع فإن نظام الطغاة قد انتشر فى فترتين أولهما عصر الطغاة الكبار الباكر والذى استمر فى الفترة من منتصف القرن السابع إلى نهاية القرن السادس على الرغم من أنه استمر فى صقلية حتى عام ٤٦١ ق.م وثانيهما عصر الطغاة المتأخرين والذى يبدأ بظهور قوة ريونيسيوس الأول فى سيراكوز سنة ٤٠٥ واستمر حتى الغزو الرومانى للجزيرة فى القرن الثانى ق.م . وظاهرته الأولى أنه قد نشأ نتيجة لانكسار النظم الأرستقراطية بينما فى ظاهرته الثانية كان يمثل علامة على انهيار دولة المدينة .

لم تكن تسمية الطغيان Tyranny سيئة المعنى عند اليونان أول الأمر إذ لا يحمل معناها فى اللغة اليونانية أبداً أفكار الظلم والطغيان مثل لغاتنا الحديثة بل تعنى ببساطة لغوياً "حكم الرجل الواحد" ولكن ليس استناداً إلى حق الحكم الالهى والوراثة مثلما كان الحال فى الماضى استناداً لأحقية قانونية ، ولكن فقط استناداً إلى هيبتهم وقوتهم الشخصية ، كما اعتمدوا كذلك على وفاء الطبقات الشعبية الدنيا. وقوة عسكرية كبيرة مقاتلة لتدعيمهم . وكان أرخيلوخوس هو أول من ذكر مصطلح طغيان عندما تكلم عن الملك جيجيس الليدى بقوله "أننى لا أهتم بثراء وذهب جيجيس الكثير ، أنا لست غيوراً من أعمال الآلهة وليس لدى الرغبة للطغيان العظيم" إن الكلمة هنا توضح الحكم المطلق خاصة وأن جيجيس قد اعتلى العرش اغتصاباً . وحيث أن الكلمة دخيلة على اللغة اليونانية وكانت كلمة ليدية

والتى تعنى ملكاً وكذلك فهى تشير إلى أن اليونان ربطوها بالثراء الشرقى فإنه من الممكن أنها قد اقتبست من الليديين والذين كان لهم مع اليونان صلات وطيدة ، وفى بداية القرن السادس استخدم الشاعر الكايوس كلمة طاغية كى يصف بيتاكوس خصمه ولما كان بيتاكوس من الموظفين المنتخبين وليس طاغية بالمعنى الفنى المتأخر فإن الكايوس قد استخدم المصطلح كمصطلح سباب . وفى نفس القرن فإن صولون وثيوجنيس قد استخدما الكلمة ليصفوا أى شخص يملك سلطة مطلقة وأصبح مفهوم الكلمة بعد القضاء على طغيان أسرة بيزاستراتوس وبعد صد القوة الطاغوتية الفارسية التى كان قد تعاون معها أحد أبناء بيزاستراتوس . وهكذا فإن فكرة السلطة التى تتركز فى يد رجل واحد قد أصبحت مكروهة على نحو متزايد . وعلى الرغم من ذلك فإن مصادر القرن الخامس الأدبية وخاصة الشعرية عندما كانت تستخدم الكلمة Tyrant كبديل لكلمة ملك . وإن كانت تعنى فى بعض الأحيان "الشر" وقد وصف فلاسفة القرن الرابع نظام الطغيان بأنه شكل من الحكومة الشريرة والتى سيطر فيها رجل على السلطة بالقوة وحكم مطلق غير مسئول أمام أى سلطة وبدون الأخذ فى الاعتبار قوانين الدولة . ويصفون الطاغية بأنه ديماجوجى demagogue ، قائد الجموع ، وقد أمسك بالسلطة العليا وفى الواقع فإنهم قد تأثروا بالنسبة لهذا المفهوم بحكم الطغاة فى عصرهم فى صقلية . ويبدو من المؤكد أن من المفارقة التاريخية أن نتحدث عن الديماجوجى فى القرنين السابع والسادس لسبب بسيط أن الشعب demos لم يكن حتى الآن قد نظم على نحو كاف كى يقدم اتباع للزعيم الديماجوجى . وهكذا فقد اكتسب مصطلح طاغية مضامين معقدة .

وأمام ظاهرة الانتشار الواسع لحكم الطغاة على الرغم من أن الظروف تختلف من مكان إلى مكان فإنه من المعقول أن ننظر إلى بعض أسباب ظهوره

وهى :

١- يرى البعض أن السبب الرئيسى وراء انتشار حكم الطغاة كان معاداة الاحتكـــار السياسى والاقتصادى والاجتماعى والدينى للطبقة الأرستقراطية .

٢- يرى البعض الآخر أنه فى مدن البلوبونيز قد نجح عنصر السكان الأصليين فـى الوصول إلى سدة الحكم من خلال بعض الطغاة الذيـــن كـــانوا كأبطـــال لـــهم وقادوهم فى صدامهم وصراعهم مع الأرستقراطية الدورية .

٣- يرى البعض أيضاً أن ظهور Hopletes قد جعل من شـــاركوا فيـــه يطـــالبون بالمشاركة فى شئون مدنهم وذلك من خلال رجال ناضلوا من أجل هذه الطبقـــة الحديثة الثراء فى الصراع من أجل كسر شوكة الأرســـتقراط والقضـــاء علـــى امتيازاتهم وهؤلاء الرجال هم الطغاة .

٤- ويرى البعض الآخر أن الطاغية هو نبيل نهاز للفرص الـــذى يمســـك بزمـــام السلطة نتيجة للصراعات بين الأسر الأرستقراطية .

٥- نظر المؤرخون الماركسيون إلى الطغاة على أنهم القادة الملهمين الذيـــن قـــادوا اتباعهم من العامة فى انتفاضة ناجحة ضد سادتهم الرأسماليين .

٦- ويرى البعض الآخر أنهم كانوا من النبلاء وأحياناً كانوا مـــن العامـــة والذيـــن تولوا السلطة كقادة للجمهور وهذا هو الديماجوجى .

وبعد عرض هذه الآراء نقول أن طبيعة المصادر القديمة كانت وراء تعـــدد الآراء فيمكن لأى من أصحابها أن يجد فيها ما يعضد آرائه وتفسيراته . ولذا ينبغـى أن نتناول معلومات تلك المصادر بحيطة وأناة ، فعلى سبيل المثال ، نجد هـــيردوت قد قدم وصفاً للعديد من الطغاة ، ولكن هذا الوصف لم يكن لطغاة معاصرين له بـــل

كان قد مر على طرد بعضهم ثلاثة أجيال ، أو أكثر وبعضهم كان قد مر على طرده جيلين مثل أسرة بيزاستراتوس . وما وصل لهيردوت هو روايات مصطنعة إلى حد ما ومركزة حول حياة الطغاة كما نجد في كتابات كل من أفلاطون وأرسطو كثيراً من المناقشات حول الطغاة ولكن ينبغي استخدامها بحذر وحرص شديدين فكل منهما كان متأثراً في مفهومه حول الطغاة بطراز الطاغية الديماجوجي المعاصر لهما . . وعندما تكون طبيعة المصادر على هذا النحو فإنه من السهل أن نفهم لماذا تكون المادة المكتوبة والتفسيرات حول الطغاة المبكرين والتي قدمها الباحثون المحدثون قد تباينت بشكل كبير ولمعرفة أسباب الطغيان علينا أن ندرس بعض شخصيات الطغاة المعروفة جيداً إلى حد ما . وهذا قد يؤدي إلى معرفة البيئة التي عاشوا فيها والظروف التي أدت إلى إمساكهم بزمام السلطة . وبعدها نعرض لاسباب وصول وقيام حكم الطغاة .

اختلف الدارسون حول تاريخ نشأة نظام حكم الطغاة فالبعض يرى أنه قد بدأ في كل من كورينثة وسيكيون سنة ٦٥٠ وفي ميمارة سنة ٦٣٠ ، ويرى البعض الآخر أن هذا النظام د نشأ في كورينثة سنة ٦٢٠ وأنه قد نشأ واسمر في سيكيون في الفترة من ٦٥٥ – ٥٥٥ ق.م تقريباً . ولكن وثيقة بردية نشرت سنة ١٩١١ تقدم دليلاً وإن كان غير مقنع على أن تاريخ نشأة النظام وبقائه في سيكيون ينحصر في الفترة من ٦١٠ و ٥١٠ ق.م . وسنحاول أن نبدأ بالحديث عن نشأة النظام في كورينثة .

بعد قضاء العشيرية الباكخيادية Bacchiads على سلطة الأسرة الملكية . فقد حلت محلها في السلطة وبالامساك بزمام الأمور واعتمدت الطبقة الحاكمة على التقاليد والثروة التي يستخرجونها من الأرض . وإبان فترة حكمهم فقد أرسلت كورينثيين مستعمرين إلى كوركورا وسيراكوز سنة ٧٣٤ وهي الخطوة التي حلت

مشكلة نقص الأرض . وقد ازدهرت صناعتها وهـذا ما كشـف عنـه الفخـار الكورينثى الهندسى وقد عثر عليه فى المينا فى الشرق واتروريا فى الغرب . وكان الفخار الكورينثى هو المهيمن فى الغـرب وينبغـى أن تكـون ثـروات الحكـام الباكخاويين قد زادت على نحو كبير سواء من التجـارة ؛ أو الصناعـة ، أو مـن الرسوم التى حصلوها على الواردات والصادرات ولكن من المرجح أن هناك فئـات كورنثية أخرى اشتغلت بالتجارة والصناعة .

بدأت الأسرة الباكخاوية تلاقى بعض المتاعب والصعاب ابتداء من النصـف الأول من القرن السابع . فقد استرجعت ميجارا بعض الأراضى التى كانت تستولى عليها كورينثة ، ومن الممكن أن الكورنثيين قد عانوا في صراعهم مع فيدون حـاكم أرجوس ، وفى سنة ٦٦٠ خاضوا حربا بحرية مـع كوركـورا هـذه المصـاعب والنكبات التى لاقتها لعلها قد تكون قد أثرت بشكل كبير على تجارة كورينثـة مـع زيادة السكان وما نتج عنها من مشاكل . وفى ظل هذه الظروف كـانت الأحـوال مهيأة للقضاء على الأسرة الأوليخرخية الحاكمة . وكان ذلك علـى يـد الطاغيـة كيبسيلوس "Cypselus" والذى أسس أسرة حكمت ما يزيد على سبعين عاماً وكـان كيبسيلوس ابناً لامرأة تدعى لبدا من أسرة باكخيدية وكانت أمه عرجاء ونتيجة لـهذا فقد رفض الزواج منها رجال عائلتها ، ولذا تزوجت مـن رجـل يدعـى اينيـون Aetion اللابيثى Lipith الأصل يرجع أنه كان من السكان الأصليين قبـل الغـزو الدورى . ويقول هيردوت ونيقولاس الدمشقى أن النبـوءة قـد حـذرت الأسـرة الباكخاوية من أن وليد لبدا وأيتيون سوف يكون سبباً فى القضاء عليها . ومـن ثـم فقد حاولت الأسرة الحاكمة قتل الطفل ، ولكنهم قد سأموا من الأم التى نجحت فـى إخفاء وليدها فى جرة ، أو صندوق kypsele وقد فر بعد صباه ووصل إلى طـور الرجولة فى أوليمبيا وعندما عاد إلى كورينثة فقـد أصبـح البوليمـارخ "الحـاكم

العسكرى" ووفقاً لهذه الوظيفة كان على كيبسيلوس وطبقاً للقانون أن يسجن النـــاس الذين أدانتهم محكمة وكان يفرض الغرامات المناســبة ولكـن بمعاملتــه اللطيفــة للمذنبين فقد قرب نفسه للناس ، وأنه قد استغل الكراهية للأسرة الحاكمة ككل وقــام بتنظيم مجموعة من الاتباع وتحتل الحاكم ثم عينه الشعب ملكاً . ويضيف هــيردوت أنه قد عاقب الكثير من الكورنثيين وصادر ممتلكاتهم وبعد حكم استمر ثلاثين عامــاً فقد مات موتة سعيدة وترك الحكم لابنه بيرياندر Periander ومن هــذه العبــارات نستخلص النقطتين التاليتين :

١- أن كيبسيلوس لم ينظر إليه كطاغية ولكن كخليفة للحاكم من الأسرة الباكخياديــة ومن الممكن أن هدفه أن يعيد الملكية إلى الشكل الوراثى الذى كان عليــه مــن قبل أن تصبح وظيفة سنوية ومحتكرة من العشيرة الباكخيادية .

٢- أن كيبسيلوس قد تملق الشعب فكان يرمى أن يستولى علـــى الحكـم . وبعــد استيلائه على السلطة فقد صادر أملاك الكثير من الكورنثيين والمقصــود هنــا أفراد الأسرة الحاكمة السابقة .

خلفه ابنه بيرياندر من بعده وقام ببرنامج انشائى كبير فى كورينثة ، كما قــام بدور الوسيط أو المحكم فى النزاع بين ميتيلينى وأثينا فيما يتعلق بسيجيوم .

ونجد أن حاكم هذه الأسرة قد أصدروا عدداً من القوانين التى تمنــع شــراء العبيد والتى تحد من الانفاق والاسراف . وكان الهدف منها بالنسبة للأسرة هو منــع التفاخر بين الأثرياء وهو مشابه لما صدر على يد مشرعين آخرين ، كما أن منـــع بيرياندر لاقتناء العبيد لم يكن اجراءاً موجهاً ضد الأغنياء ففى الحقيقة أنــه ووالــده من قبله قد أرسلوا مهاجرين إلى مختلف المستوطنات . وهذا دليــل علــى زيــادة السكان وعدم وجود فرص عمل فى كورينثة فى ذلك الوقت ولذا فإن محاولة الحــد

من قوة عمل العبيد كان الهدف منها ، من المرجح ، أن يجعل العمل متاحاً للعامل الحر .

خلف بيرياندر فى الحكم ابن أخيه أو أخته الذى اغتيل بعد سنوات قليلة على يد الكورنثيين وقام الشعب بهدم بيوت الطغاة وحفر قبورهم وحطم عظامهم وأقام دستوراً جديد على حد قول نيقولاس الدمشقى . ولكن مما نعرفه عن كورينثة فيما بعد يمكن القول أن حكومة أوليجرخية ذات قاعدة الأسر الباكخيادية السابقة ، حلت محل أسرة كيبسيلوس ، ولهذا فإنه يجب أن يفهم أن الشعب demos الذى ساعد أسرة كيبسيلوس والشعب demos الذى تولى القضاء على حكم هذه الأسرة فى كلا الحالتين ينبغى أن يكون المقصود به الطبقة العليا فى المجتمع ومن بينها طبقة hoplites أى أن طبيعة الحكم هنا هو الحكم التيموقراطى . الذى خلط النبلاء الكريمى المحتد بالأثرياء من الطبقة الوسطى .

وقد قام حكم الطغاة فى مدينة سيكيون واستمر بها قرناً من الزمان ، فقد قامت أسرة أورثاجوراس Orthagoras بالاستيلاء على الحكم كما سبق أن ذكرنا فى حوالى ٦٥٠ أو فى ٦١٠ . ووفقاً لوثيقة بردية والتى من المرجح أن كاتبها قد نسخها من أفوروس ، فإن مؤسس الأسرة أورثاجوراس كان ولده جزاراً megerias ويدعى اندرياس Anderias . ولكن يخبرنا بارسيناس أن أخاه ميرون Myron كان بطلاً فى سباق العربات فى الألعاب الأوليمبية سنة ٨٤٦ . وهذا يعنى أنه من أسرة ثرية وأن وصف والده بجزار افتراء متعمد من قبل الأرستقراط خصوم حكم الطغاة . كما أن البردية تشير إلى شجاعة أورثاجوراس العسكرية وبسببها قد أصبح بوليمارخ . ولسوء الحظ فإن البردية تنتهى بكلمة demos . ويبدو أن تكملة الجملة هى أن الشعب مكن أورثاجوراس من أن يصبح طاغية . وليس لدينا معلومات عن شغله للمنصب .

خلفه فى الحكم كليسثينيس حفيد ابن أخيه وكان واحداً من القادة المرموقيـــن فى الربع الأول من القرن السادس وأنه تولى الحكم لمدة ٣١ عاما . ولكـــن نظـــراً لقلة المعلومات عنه فى المصادر فإننا لا يمكننا أن نصف أنشطته بتسلسل ولكن مـن أهم أدواره هو دخول الحرب المقدسة الأولى بشأن دلفـــى ســنة ٥٩٠ ق.م والتـــى تورط بها الكثير من المدن اليونانية منها سيكيون وأثينا وتساليا . والتى كـــان مـــن نتائجها تدمير كيرها Cerrha وابادة سكانها . ووفقاً للمصــادر فــإن الســـبب فـــى الحرب أن أهل كيرها كانوا يتدخلون في وظائف معبد دلفى ووحى الاله أبوللـــو ، ونعرف أن دلفى كانت قد عارضت سياسة كليسثينيس الدينية . وأن كليسثينيس قـــد حاصر ميناءها بأسطوله ، وحيث أن كيرها كانت مشهورة باهتماماتـــها البحريـــة ، ولذا فإن تدخله قد يكون وراءه أسباب تجارية وليست دينيـــة . كمـــا نعـــرف مـــن هيردوت أن كليسثينيس قد شارك سباق العربات فى الألعاب الأوليمبية وكسبه ســـنة ٥٧٦ وأنه أعلن جموع الحاضرين أن أى اغريقى يعتبر نفسه يســـتحق أن يكـــون زوجاً لابنته اجاريستى Agriste عليه الحضور إلى سيكيون فى خلال ستين يومـــاً ووصل ثلاثة عشر خاطباً ، اثنان منهم من أثينا والباقى من احدى عشرة مدينـــة ، وقدم كليسثينيس كل صنوف البهجة لهؤلاء الخطاب لمدة عام كان يلاحـــظ خلالـــها شجاعتهم وأدائهم فى الألعاب البدنية وعلاقاتهم الاجتماعية . وقد أعجبـــه تصـــرف وأداء رجلى أثينا . ولكن فى اليوم الذى سيتم فيه اختيار العريس لابنتـــه ، خســـر أحدهما الفرصة لتصرفاته غير المسئولة ووقع الاختيار على ميجاكليس Megacles بن الكمايون الذى قاد القوات الأثينية فى الحرب المقدســـة ضـــد كيرهـــا . وبقيـــة الخطاب قد استبعدوا مع شكرهم على تكرمهم بالحضور إلى بلاط كليسثينيس ومنـــح كل منهم تالنتا من الفضة كهدية .

ونفهم من هذه القصة أن شباباً من اثنتى عشرة مدينة من النبلاء قـــد قبلـــوا

ضيافة الطاغية وتطلعوا إلى الزواج من ابنته أو اقامــة أســرية معــه والخطيبــان الأثينيان قد انحدرا من أسرتين أرستقراطيتين كبيرتين ، ويقول هيردوت أن تمــيز وشهرة أسرة الكمايون قد زاد فى بلاد اليونان من خلال زواج ميجاكليس من ابنــة طاغية سيكيون . كما كان من بين الخطاب ليوكيديس Leocedes بن فيدون طاغية أرجوس ومع ذلك لم يقع الاختيار عليه . ونستخلص مما سبق أن الطغاة لم يقفــوا بالمرصاد للأرستقراط ومحاولة القضاء عليهم وإنما سنجد أنهم قد تصاهروا معــاً . ولماذا لم يزوج كليسثينيس ابنته إلى ليوكيديس بن فيدون الطاغية فهل هــذا راجــع للعداء بين سيكيون وأرجوس ؟ أم أن الاختيار كان قد تم وفقاً للمعايير التى وضعــها كليسثينيس ؟ يبدو أنه شبه مؤكد أن الاختيار قد تم وفقاً للمعــايير التــى وضعــها كليسثينيس . ولم يكن للعداء بينه وبين طغاة أرجوس هو المانع . وقــد كــان هــذا العداء رجع إلى موقف كليسثينيس من إزالة عبادة البطــل الاســطورى ادراتــوس الدورى من سيكيون . وكان قد طلب ذلك من وحــى دلفــى ولكــن طلبــه قوبــل بالرفض، وأمام هذا فقد أقام عبادة لميلانبيوس Melanippus العــدو الأســطورى لاداراتوس ونقل إليه كل مظاهر التكريم والأضاحى التى كانت تخص الأخير .

كما نجد أن كليسثينيس كان قد غير أسماء القبائل الدورية الثــلاث هيليــس وبــاجفيلى وديمــانيس إلــى بيجمــن Pigmen وأســمن Assmen ، واســونيمن sainemen بينما سمى قبيلته ارخيلاى . ونعرف من هذا أنه كان يوجد فى سـيكيون قبيلة رابعة من السكان الأصليين وسواء وجدت قبــل كليســثينيس أو علــى يديــه بالاضافة للقبائل الثلاث الدورية . وقد يثير هذا التساؤل حول هــل تولــى بعــض الطغاة فى البلوبونيز بفضل تأييد غير الدوريين ؟ فــى حالــة أســرة أورثــابورس السيكية فإن هذا لا ينطبق على اورثاجوراس ولكن وفقاً لهيردوت فإن كليســثينيس كان قد طلب العون من السكان غير الدوريين . وأن هذا يشير إلى وجود عنــاصر

محرومة من الامتيازات بين السكان الأحرار وكان لها دور مؤيد لطغـــاة القرنيـن السابع و السادس .

وقد انتهى حكم الطغاة فى سيكيون بطرد اسخينيس من سـيكيون علـى يـد الاسبرطيين والغاء تسميات كليسثينيس للقبائل والعودة إلى التسميات الأصلية ، كمـا تم تغيير تسمية القبيلة الرابعة من ارخيلاوى Archilai إلى ايجالياى Aigialai .

وقد عرفت أرجوس هى الأخرى نظام الطغاة ومعلوماتنا عنه شحيحة . ومـن أشهر طغاتها فيدون الذى كان حاكماً قوياً ونجح فى أن يقود أهــل أرجـوس فـى حربهم الناجحة ضد أسبرطة فى معركة هيسياى سنة ٦٦٩ وكان سبب نجاحه هـو استخدام نظام الفيالق فى الجيش . كما ينسب إليه اختراع الموازين .

قام حكم الطغاة على يد Theagenes فى حوالى سنة ٦٢٠ ق.م وقد دامـت فترة حكمه ثلاثين عاماً . وقد سجل أرسطو تفسيراً حول كيفية توليه السلطة . فقـد ناقش كيف كان الديماجوجى عديم الضمير يقدر على الاطاحة بالديمقراطيـة ، وأن الديماجوجى الذى لديه قدرات عسكرية أو أنه يتولى سلطة عسكرية فإنه دائمـاً مـا يصبح طاغية بإقناعه الشعب أن يكره الأرستقراط . وقد قدم لنا ثيـاجينيس كمثـال على ذلك إذ إنه ذبح الناس الأغنياء الذين يرعون بجوار النهر .

لقد نجح ثياجينيس فى الوصول إلى السلطة من خلال تملقه للفقراء وتنديـده بالأغنياء ، ثم قاد جماهير الغوغاء الجياع إلى مراعى الأغنياء أصحاب الانعـام ، وأفلح على عمل العامة أن يؤلفوا له حرساً خاصاً ، ونجح من خلال الأتبـاع فـى اسقاط الحكومة الارستقراطية القائمة . لقد حرر الزراع وأذل الاغنياء وذلـك مـن خلال ذبح الخراف والقطعان ويرى البعض أنه كان يريد احتكار صناعة الصـوف، ولكن ذبحه لقطعان الاغنام كان يحرمه من مصدر هام للصوف . ويـرى البعـض

الآخر أنه قصد من ذبحه للخراف أنه اراد القضاء على القطعان التى كانت تدمـــر المحاصيل فى أرض الزراع وبهذا فإنه من الممكن قد أصبح بطلاً وقدم لهم الكثـير من اللحوم .

كان ثياجينيس من الاشراف فقد زوج ابنته من شريف اثينى هو كيلون الـذى حاول اقامة نظام حكم طغيان فى أثينا ولكنه فشل . إن حركة الطغيان فى الواقع لـم تكن حركة للقضاء على الاشراف وإنما تعكس الصراعات والمنازعـــات بينـهم . وهذا ما كشف عنه الشاعر الميجارى الارستقراطى ثيوجينيس . فقد اشار إلـــى أن ميجارا كانت مسرحاً لاضطرابات اجتماعية في القـــرن الســادس وأنـــه قـد تـم الاعتراف بالثروات المنقولة ، ونتيجة هذا فقد حدث تزاوج بين الاشـراف بـالمولد وطبقة الاشراف الجديدة وكان الدافع وراء هذا الزواج هو البحث عن الثراء فقـط . كما يكشف عن ضيقه وضجره واستنكاره حول تطور الاوضاع الجديدة من تـزاوج بين الاشراف وغير الاشراف ويبين أن المدينة ما تزال مدينة ولكن اناسها رجـــال آخرون والذين لم يكونوا يعرفون فى السابق الاحكام والقوانين . وهذا يعنى تحســن أحوال الزراع والفقراء .

ولكن الاغنياء انزلوه عن عرش المدينة عام ٦٠٠ . ولكن قامت ثورة شـعبية صادرت املاك الاغنياء والغت الديون واصدرت قراراً يحتم على اصحاب الأمـوال أن يردوا إلى المدينين ما استولوا عليه من فوائد .

عرفت المدن اليونانية ، على ساحل أسيا الصغرى والجزر المجاورة ، حكـم الطغاة عند نهاية القرن السابع وفى القرن السادس . فقد بـــدأ فـــى ميتيلينـــى فـــى لسبوس. فعندما طردت الاسرة المالكة من ميتيلينى ، من المرجـــح فـــى منتصـــف القرن الثامن ، فإن السلطة قد آلت إلى عشيرة بنثيلـــوس الملكيـــة وقـــد زاد فســاد

العشيرة الملكية الاوليجرخية على نطاق واسع وأنها كانت قاسية ويذكــر أرسـطو كيف أنهم كانوا يضربون الناس . ولذا قد تم التخلص منـها علـى يـد الاشـراف وسيطر الحكم الارستقراطى على السلطة ولكن لم تمض سنوات كثيرة حتى كـانت المدينة تحت حكم الطغاة ولعـل السـبب ذلـك الصـراع بيـن اعضـاء الاسـر الارستقراطية الحاكمة . فقد تولى حكمها الطاغيـة ميلانخـروس Melanchrus ، واجبر علي التخلص من السلطة على يد مجموعة من الرجال وكان من بينهم اخـوه الشاعر الكايوس وبيتاكوس Pittacus وهو الرجل الذى قضى على متاعب ميتيلينى الداخلية ، ولكن لم يمض وقت طويل حتى استولى طاغية أخـر هـو ميرسـيلوس Myrsilus وقد اقسم كل من بيتاكوس والكايوس ونبلاء أخرون على عزلـه ولكـن لاسباب غير معروفة فقد غير يتاكوس موقفه وانضم إلى ميرسيلوس وبهذا فقد نـال كراهية وازدراء الكايوس ، وبعد فترة من الزمن مـات ميرسـيلوس وقـد فـرح الكايوس بموته إذ يقول "ينبغى على الرجل أن يسكر الآن ويشرب بشراهة حيث أن ميرسيلوس قد مات" بيد أن فرحته كانت لمدة قصيرة واجبر هو واخوته على تـرك ليسبوس ، ولكنهم حاولوا العودة بالقوة بدعم من ملك ليديا ، وكان هذا يمثل خطـراً على المدينة لدرجة أن الارستقراط قد انتخبوا بيتاكوس لمواجهـة تلـك الأحـوال والقضاء عليها . وقد وصف الكايوس بيتاكوس بأنه طاغية وبالغ فى ابراز مفاسـده وأن أصله وضيع ، ولكن هذا قول موتور لأن بيتاكوس كان من النبلاء وذلك لأنـه كان قد تضامن مع الكايوس واخوته ونبلاء اخرون علي طرد الطاغية ولو كان مـن العامة ما قبلوه معهم ، كما أن بيتاكوس كان متزوجاً من امرأة من عشيرة بينثيلـوس الملكية ، ويقول ارسطو أنه قد تم انتخاب بيتاكوس ليشـغل وظيفـة aisymnetes وكانت هذه الوظيفة سنوية فى بعض المدن اليونانيـة الشـرقية ، ولكـن يبـدو أن شـاغلها كان له سلطات واسعة . ولكنه تخلى عن الوظيفة بعـد عشـر سـنوات

(٥٩٠ – ٥٨٠) من شغله لها بمحض اختياره ومع ذلك ، فإن وصفه كرجل دولـــة قد جعله يكتسب مكانة كواحد من الحكماء السبعة ، ومعلوماتنا عن انشطته قليلـــة ، ومنها أنه وضع دستوراً جديداً وشرع القوانين ومنها الحد من نفقـــات الجنـــازات . ويظهر لنا شعر الكايوس أن المدينة بعد طرد الحكم الاوليجرخـــى قـــد وجـــد فـــى المدينة مجلس للشورى وجمعية . وبالتأكيد فـــإن بيتـــاكوس قـــد اســـتعمل هذيـــن المجلسيـــن . ومن المرجح أنه كان قد فتح عضويتهما إلى فئات جديدة .

وفى نهاية القرن السابع اصبحت ميليتوس تحـــت حكـــم الطغـــاة فقـــد قـــام ثراسيبولوس Thresybulus بالاستيلاء على السلطة وكان قبلها يشغل وظيفة عامـــة فى الدولة وقد استغلها على حد قول أرسطو واستولى على السلطة .

وفى الواقع فإنه بجانب الظروف الداخلية التى قد ساعدت بعـــض الرجـــال على تولى حكم الطغاة قد وجدت ظروف خارجية ساعدت على قيام مثل هذا الحكـــم فكانت حاجة المدن لحكومات قوية تمكنها من رد الاعتداءات الليدية ســـبباً فـــى أن العديد من الرجال قد منحوا سلطات عسكرية واسعة . ولهذا فإن الاتجاه نحو حكـــم الطغيان كان أمراً سهلاً . وبالتأكيد فإن ثراسيبولوس كان قد بذل جهداً كبـــيراً فـــى الدفاع عن ميليتوس ضد الليديين وبالمثل فإن محاولة المنفيين العودة مـــن منفـــاهم بالقوة وبتعضيد من ليديـــا كـــانت وراء تعيـــن بيتـــاكوس فـــى وظيفـــة واســـعة الاختصاصات من قبل أهل مدينته .

وقد حكم فى افسوس عدد من الطغاة ، ومن الراجـــح ، أنـــهم كـــانوا مـــن الارستقراطية المعادية للحكم الاوليجرخى من قبل العشيرة البازيليديـــة Baslidae . ولا نعرف إلا القليل عن حكم طغاة افسوس فيما عدا أنهم قد حلوا المشكلة مع ليديـــا خلال الزواج من العائلة المالكة بليديا . وكان نتيجة ذلك أن افسوس قـــد اصبحـــت

تحت النفوذ الليدى أكثر من غيرها من المدن اليونانية الشرقية ويبدو أن الطغاة قد قاموا باجراء تغييرات فى البناء القبلى بالمدينة . ففى القرون الأولى من نشأتها كان السكان ينقسمون إلى اربعة قبائل هى : ارجاديس Argagis وجيليونتيس Geleontes وهوبليتيس Hopletes وايجيكوريس Aigikoreis وقد اضيف اليها قبيلتان بمرور الزمن وهما بوريس Boreis واونوبيس . ومن المرجح انهما قد ضمتا العناصر غير الايونية التى اتت إلى افسوس بعد الهجرة الاصلية .

وفى فترة متأخرة ربما تحت حكم الطغاة فى القرن السادس فإن تعديلاً فى التنظيم القبلى قد تم فبدلاً من أن المواطنين كانوا مقسمين بين ستة قبائل قد اصبحوا مقسمين إلى خمسة قبائل . وكان الغرض من هذا التقسيم ، على ما يرجح ، هو مكافأة السكان المحلين والاغريق الذين لم يتم قبولهم فى مواطنة مدينة افسوس لتعضيدهم لحكم الطغاة وذلك بمنحهم حق المواطنة الكاملة الاهلية .

وقد عرفت جزيرة ساموس نظام حكم الطغاة ، وكانت قد شاركت فى حركة الاستعمار مثل بقية المدن اليونانية وكما سبق أن ذكرت أن الفضل يعود لاحد تجارها بوصوله إلى تارتسوس ونتيجة لتجارة المعادن المربحة معها ، وقد شارك أهل ساموس فى تأسيس نقراطيس بمصر واسسوا سلسلة من المستوطنات الأخرى فى البسفور . ومن المرجح أن حركة الاستعمار بالنسبة لجزيرة ساموس قد اعقبها وصاحبها رواج تجارى وصناعى مما ترتب عليه زيادة الثروة المنقولة فى أيدى فئات جديدة وهذا بدوره قد أدى إلى خلق مشاكل اجتماعية وسياسية فى ساموس مثل بقية المدن اليونانية الأخرى . وأول دليل على تلك الاضطرابات قد ذكره بلوتارخ . فنقرأ عنده أن ملاك الارض كانوا يسيطرون على الحكومة بعد قتل ديموتيليس Demoteles والقضاء على اسرته . وحيث إننا لا نعرف عنه شيئاً ، فإن من المرجح أنه قد نجح فى اقامة نوع من حكم الطغاة ، ويقول ايضاً عندما

ارسل الميجاريون حملة ضد مستوطنة برنثوس Prenthus ؛ فإن أرستقراط ساموس قد ارسلوا تسعة قواد لتقديم العون لمستعمريهم . وبعد تحقيق اهدافهم فقد عاد هؤلاء القادة العسكريون إلى ساموس . وبمساعدة الاسرى الميجاريون الذين جلبوهم معهم فقد نجحوا فى قتل اغلب ملاك الارض الذين كانوا مجتمعين فى قاعة المجلس . ولكن ليس من الواضح ما هو نوع الحكم الذى جاء بعد الحكم الاوليجرخى . ولكن هذه الاخبار الغامضة تكشف عن أن ساموس قد عانت من اضطرابات اجتماعية وسياسية فى هذه الفترة . وقد تولى بولوكراتيس كطاغية سنة ٥٣٢ - ٥٣١ ق.م بتعضيد من ١٥ جندى مشاة ويقول هيرودوت أنه بعد استيلائه على السلطة فقد شاركه فيها أخزاه ولكن بعد قتل واحد منهما ونفى الآخر وتشير الروايات إلى قوته البحرية ونجاحه الدائم . وأنه أول إغريقى ، إن لم يحسب الملك مينوس ، جطط ليصبح سيداً على البحر . وبدون شك فقد زاد من قطع اسطوله . لقد قام بدور زعيم المقاومة ضد الفرس . كما نجده قد تحالف مع أمازيس فرعون مصر . ولعل هذا الحلف كان موجهاً للفرس . كما نجده قد شجع الأدباء والفنانين ، فقد كان بلاطه الرائع المحاط برجال مثل الشاعر ابيكوس Ibycus من ريجيوم واناكريون Anacreon من تيوس . وكان مسئولاً عن تنفيذ برنامج انشائى ضخم ومن أهم هذه المنشآت بناء ميناء ضخم لتأمين السفن التجارية والحربية وبناء معبداً ضخماً للإلهة هيرا . كما أنه قد شق قناة طولها حوالى نصف ميل لنقل المياه إلى مدينة ساموس . وكانت القناة تنقل المياه من نبع فى جبل امبيلوس Ampelos .

وعلى الرغم من الروايات الكثيرة حول بولوكراتيس ، فإن الكتاب القدامى لم يناقشوا الأسباب الرئيسية لتوليه الحكم . فقد كان بولوكراتيس ارستقراطى المنبت ، فلم نسمع حول اصله نميمة مثلما كان الحال بالنسبة إلى كيبسيلوس واورثاجوراس . ونفهم من المصادر أنه قد عامل الأرستقراط بقسوة ، ولكن ظلوا

اقوياء لدرجة أنهم قد عادوا للسلطة ولكن بشكل مؤقت . ولا يوجد سبب للاعتقاد أنه كان زعيماً شعبياً على الرغم من أن مشروعات قد خلقت الفرص الكثيرة من العمل للحرفيين والعمال . ولعل استمراره فى السلطة وتوليه لها كان بسبب الخطر الفارسى الماثل على الابواب وكان الفرس لا يحبذون فكرة دولة يونانية قوية مجاورة لاراضى آسيا الصغرى . فدبروا أمر اغتياله وبعدها ضمت ساموس للحكم الفارسى .

كما نجد أن حكم الطغاة قد عرف عن طريق مدن كثيرة نتيجة للصراع الاجتماعى مثل كولوفون واريثيراى Erythrae وخيوس ، وليندوس فى رودوس ، وناكسوس . وفى الروايات المتأخرة كان كليوبولوس Cleobulus ، طاغية ليندوس من الحكماء السبعة وكان ليجداميس Lygdemis ، طاغية ناكسوس ، معروفاً بصداقته ككل من الطاغية بيزاستراتوس الاثينى وبولوكراتيس الساموسى . كما وجد نظام الطغاة فى كل من خالكيس وارتريا لفترة قصيرة من القرن السادس .

وتختلف الظروف التى نشأ فيها نظام الطغاة فى المستعمرات اليونانية فى الغرب ـــ صقلية وإيطاليا ـــ حيث إن الروابط والعلاقات الاسرية لم تكن هامة مثلما هى فى بلاد اليونان الام . وكان على المستعمرين أن يواجهوا ويتعاملوا مع السكان المحليين أيضاً فى ظل تنافسهم مع الاتروسكيين والقرطاجيين ؛ ولذا كان ينبغى عليهم أن يكونوا فى حالة استنفار عسكرى دائم والذى كان فرصة رائعة للقادة الطموحين ليمسكوا بزمام السلطة وحدهم ولدينا العديد من اسماء الطغاة الذين حكموا فى العصر العتيق وكان من اشهرهم فالاريس Phalares الذى حكم اكراجاس فى الربع الثانى من القرن السادس . فقد قاتل ضد السيكيين وحاول أن يمد نفوذه للمستوطنات اليونانية المجاورة .

ونكتفى هنا بالحديث عن الطغاة ولكن سنعود للحديث عنهم فى اثينا وعند تناول الحروب الفارسية . وبعد أن عرضنا لعدد من الطغاة وظروف توليهم السلطة وما قدموه لمجتمعاتهم نحاول الآن تذكر الاسباب الحقيقية وراء قيام هذا النظام . يمكننا القول أن الطغاة قد وجدوا فى عصر اضطرابات وتغيرات سياسية واقتصادية واجتماعية ، وحيث أن نظام الطغاة قد وجدوا فى مدن كانت تجارتها وصناعتها فى نمو مضطرد مثل كورينثة وميليتوس وساموس وميجارا فمن المعقول أن نستنتج أن الطغاة قد لقوا تعضيداً وتأيداً من التجار والصناع والذين كانت لديهم ثروات منقولة بدلاً من الارض التى كانت معياراً للثروة والمدخل للسلطة والامتيازات ، كما أنهم كجند مشاة ثقيلى العدة كانوا مستاءين من السيطرة الكاملة على شئون الدولة من قبل الأرستقراط ملاك الاراضى ، ولم يكن الطغاة انفسهم من طبقة العمال والحرفيين ولا ينبغى أن نفكر فى اعتبارهم زعماء لثورة عمالية فعلى العكس لقد كانوا عادةً من النبلاء الطموحين والذين كانوا فى صراع مع نبلاء آخرين ، وعلى الرغم من أن بعضهم كان ينتمى إلى الطبقة الاجتماعية المتدنية ، وفى نفس الوقت لا ينبغى أن نقول أنه لم تدعمهم الجموع ، لقد كان وصولهم للسلطة إن لم يكن دائماً ، بدعم من المؤيدين العسكريين ومن الراجح كقواد عسكريين لجند المشاة ،. ونجد أن البعض منهم قد استمر فى السلطة التى كان قد تم انتخابهم لها ولكنهم لم يتقاعدوا بمجرد انتهاء المدة . ولعل الظروف الداخلية والخارجية هى التى ساعدتهم على الاستمرار فى تولى السلطة وما ينتج عنها من البطش بالخصوم بالنفى والتشريد حيناً وبالنفى ومصادرة الممتلكات حيناً آخر . ويمكن أن نقدم بعض الملاحظات حول طبيعة الفترة التى حكموا فيها وهى:

١ – إذا كان الطغاة قد عاملوا نفراً من الأرستقراط بقسوة وشدة بالقتل والنفى والمصادرة فإن العلاقة كانت بين الأرستقراط والطغاة طيبة . وإذا كان الطغاة

قد صادروا الاملاك فإنهم قد وزعوها على اتباعهم ولصغار الملاك .

٢ - من الواضح أن الطغاة لم يُدخلوا تعديلات جوهرية على ادارة الحكم التشريعية فى المدن المختلفة . إن التغير الأساسى يقع فى وضعهم الوظيفى هم انفسهم والبعض منهم قد استمر بشكل غير دستورى فى الوظيفة التى كان يشغلها ومن بين هؤلاء كيبسيلوس وأروثاجوراس . ومع ذلك فإن قوتهم كانت تعتمد على شخصيتهم الناجحة فى قيادة الطبقة المتذمرة من الأرستقراط والطبقتين الوسطى والدنيا . إن التغير الأساسى الذى ادخلوه فى الادارة التنفيذية هى أنهم رشحوا اتباعهم واعوانهم لشغل الوظائف الهامة واصبحوا اعضاء فى المجلس .

٣ - اتسمت فترة حكم الطغاة فى مرحلتها الباكرة بالنشاط وحل ومواجهة المشاكل الاقتصادية والاجتماعية . فقد كان الطغاة بناءين عظام ، ففى مختلف المدن شُيدت المعابد وتطورت الموانئ وعُبدت الطرق . . .

٤ - اهتم الطغاة بالحياة الثقافية والحضارية ، فقد أقاموا أو أعادوا تنظيم الاحتفالات للآلهة المختلفة . وشجعوا اشهر الفنانين والمعماريين والأدباء .

٥ - لقد كانت انجازاتهم قوة رائعة لنمو وتطور المدن ونظمها . فقد اهتموا بشئونها الداخلية والخارجية .

٦ - لقد مثل الطغاة مرحلة حتمية بالنسبة لتطور نظم الحياة فى المدن المختلفة . فقد كان وجودهم ضرورة لحل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ولكن كلما ازدادوا نجاحاً كلما قلت الحاجة اليهم . فقد كان نظام الطغيان يمثل مرحلة انتقالية وعندما يحاول أن يكون دائماً كان يسقط فبعد انجاز الواجبات الانتقالية ، فقد كان يتم اسقاطه وذلك من خلال الأرستقراط المنفيين احياناً ومن

خلال الطبقة الوسطى المؤيدة له ، والذين ليس لديهم الرغبة فى السماح لظـاهرة انتقالية أن تصبح دائمة . كما أن اسبرطة لعبت دوراً فى اسقاط نظم الطغاة فـى بلاد اليونان .

٧ – يلاحظ أن الجيل الأول كان أكثر نجاحاً وتوفيقاً وذلك للظروف التى تولوا فيـها السلطة يعود ايضاً إلى طبيعة اشخاصهم ؛ ولذا كانت قسوته أقـل مـن الجيـل الثانى فى الصرامة وكان عليه عادة أن يحافظ على وضعه ووظيفته من خـلال حراس شخصيته .

٨ – لقد وسع الطغاة قاعدة الحكم فى كثير من المدن وذلك بضم الطبقـة الوسـطى فى بعض الاحيان وبضم العناصر السكانية الاصلية فى احيان أخرى .

شهد العصر العتيق ابتكاراً عظيماً ، وهو اختراع العملة . وقد واكب ظـهور العملة "عصر الطغاة" وكان ظهورها مواكباً لـتراكم الـثروات المنقولـة . كـانت المقايضة هى وسيلة التبادل فى العصر العتيق وهذا اكدته اللقى الأثرية فى المقـابر وما قدمته لنا الاشعار الهومرية من معلومات فقد كانت مخـازن الابطـال مكتظـة بالآنية الفخارية والمعدنية الجميلة ومختلف المواد المصنعـة مـن الذهـب ، مثـل الكؤوس والاطباق ، والمصنوعات أو المشـغولات الذهبيـة والملابـس الجميلـة وسبائك الذهب والفضة والبرونز والحديد وكلما زادت ثـروة الشـخص المنقولـة زادت واجهته . وحيث إن التجارة اعتمدت على المقايضة فإن هذه المـواد يمكـن تبادلها بمواد أخرى وأحياناً كان يتم استخدام سـبائك الذهـب والفضـة والنحـاس والحديد وفى هذه الحالة فإن الحاجة لمعرفة الوزن والنقاء إن أمكـن وفـى بعـض مناطق البلوبونيز فإن عملة حديدية من فئة الأوبل والست أوبلات كـانت مقبولـة . ووفقاً لبعض الروايات فقد قدم فيدون لمعبد الربة هيرا بعض هذه العملات. ويـرى

البعض أن هو الذى ابتكر الاوزان والعملة المقروبة من الفضة ، ولكن من المؤكـد أن فيدون لم يخترع العملة . فهناك اتفاق بين عدد كبير من البـاحثين مـن علمـاء العملة أن أول اصداراتها قد سُك فى اسيا الصغرى .

كما يوجد الآن شك حول رواية كل مـن اكسـينيفون وهـيرودوت حـول روايتهما بأن أول سك للعملة الذهبية والفضية كان بمملكة ليديا لأن لدينا عملات تـم العثور عليها فى افسوس والتى تؤرخ بالثلث الأخير من القرن السـابع . والمـدن الأيونية لا تقدم دليلاً مشابهاً ولكن يمكن أن نرجح أنها قد عرفت العملة فـى نفـس فترة معرفة افسوس لها . ثم انتقل سك العملة إلى ايجينيا سنة ٥٩٠ وفى كورينثـة ظهرت أول عملة لها سنة ٥٧٥ بينما أول عملة اثينية تعود إلى سنة ٥٦٠ . وكـان نتيجة ادخال والاعتراف بالعملات تغيرات اقتصادية واجتماعية هامـة . وأصبـح الاقتصاد النقدى هاماً ، ومع ذلك فإن الاقتصاد الطبيعى – المقايضة – لم ينته فـى كثير من مناطق بلاد اليونان .

وقد رأى البعض أن الغرض من اختراع العملة كان الرغبـة فـى تسـهيل التجارة المحلية ولكن رأى العلماء حديثاً فى ضوء فئة أو نوعية العملة يدحض هـذا الرأى . إن غياب الفئات الصغيرة من العملة بالمدن الكثيرة يؤكد أن اختراع العملـة لم يكن بهدف تسهيل التجارة المحلية ، وعلاوة على ذلك فإن فئات العملة الكبـيرة لا يبدو أنها قد شاع استخدامها على نطاق واسع خارج مناطق اصدارها مثـل العملـة الصغيرة . إن فئات العملة الصغيرة كانت لا تخدم تسهيل الأعمال اليومية ، فـأجرة العامل فى اثينا فى القرن الخامس هى دراخمة واحدة فى اليوم ، بينما كانت فئـات العملة هى فئة الدراخمتين أو الأربعة دراخمات . وهذه العمـلات تكـون عديمـة الفائدة للتجارة الداخلية وللأنشطة الأخرى . ولكن الرأى الأقـرب إلـى الواقـع أن هناك حاجة إليها لدفع رواتب المرتزقة كما كانت تصدر كميات كبيرة إلـى مصـر

وقد نُظر إليها كمعدن لا كعملة كما استخدم سك العملة لاظهار الاستقلال السياســـى فكانت تحمل شعار المدينة ، كما أن سك العملة كان يخدم الغرض العام بالدولة مــن رسوم وضرائب وانفاق على المشروعات العامة ولكن كان ذلك فى نهايـــة القــرن الخامس .

اسـبرطـة

إن دارس تاريخ اليونان يواجه معضلة نقص المصادر بالنسبة للفترة البـاكرة من تاريخ اليونان خاصة فى فترة العصور المظلمـة أى بعـد انـهيار الحضـارة الموكينية ، لذا لا يجد الباحث أمامه سبيل سوى استخدام المادة المتاحة لوصف أهـم الأحداث ، والتطورات التى مرت بها بلاد اليونان ، بيد أنـه ابتـداء مـن القـرن السادس فقد بدأت المصادر تجود بفيض من المعلومات حول أجزاء بـلاد اليونـان المختلفة مما يمكن الباحث من دراسة مناطقها المختلفة دراسة مسهبة .

ونتيجة لكثرة المادة العلمية فإنه لا يوجد كتاب جامع يعالج بإسـهاب شـئون المدن اليونانية . وأمام هذا فإننا لا نستطيع أن ندرس أحوال تلـك المـدن جميعـها وإنما سنحاول أن نخص بالدراسة نموذجين للمد اليونانية وتطور أحوالها ونظمـها هما اسبرطة وأثينا . فالأولى كانت محافظة فـى نظمـها السياسـية والاقتصاديـة والاجتماعية ومن ثم فقد كانت رمزاً للأوليجرخية ، كما أن نظمها كانت تجمع بيـن اشكال مختلفة من أنظمة الحكم فى المن الأخرى وكان دستورها دسـتوراً مختلطـاً يجمع بين النظم الملكية والأرستقراطية والديمقراطية بينما كانت أثينا متطورة فـى نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والحضارية ولذا فهى ركز للديمقراطيـة . وسنتناول فى الصفحات التالية عرض موجز لتاريخ اسبرطة .

ترجع أهمية دراستنا لتاريخ اسبرطة إلى أنها كانت تحتل مكانة علية وفريـدة بين المن الدول اليونانية ، ولا يرجع هذا إلى الدور الذى لعبته فى الشئون السياسـية اليونانية بقدر ما يرجع إلى غرابة اسلوب الحياة الذى أخذت به نفسها ، وما انعكـس من أثر هذا الاسلوب فى نظمها السياسية والاقتصادية والاجتماعيـة . لقـد نـالت اسبرطة ونظمها الفريدة شهرة عظيمة فى العالم القديم وأثارت نقاشـاً كبـيراً بيـن المفكرين الأقدمين والمحدثين فمنهم من أعجب بها أيمّا إعجاب ومنهم مـن كرهـها

وانتقدها أشد الانتقاد . والمصادر المتاحة من تاريخ اسبرطة فى العصور الباكرة ، إبان القرنين الثامن والسابع شحيحة ولذا سنعتمد على الأدلة الأثرية والروايات الغامضة والمتناقضة عند الكتاب المتأخرين مثل باوسنياس والشذرات الباقية من شعر الشعراء الذين عاشوا فى اسبرطة فى القرن السابع ، مثل تيرتايوس والكامان Alcaman اليدى وترباندر Terpander من لبسوس خاصة وأن هذه الأشعار الباقية تقدم لنا معلومات مفيدة عن تلك الفترة ، وذلك لأن أغلب ما كتبه الكتاب القدامى عن اسبرطة لم يتم حفظه .

وفى القرن الخامس ، فقد كتب كل من هيرودوت وثيوكيديديس عن أسبرطة والاسبرطيين ، ولكنهما كانا يصبا اهتمامهما على العلاقات الخارجية وإذا كان هيرودوت قد ركز فى كتاباته على فترة الحروب الفارسية وعل الجيل السابق عليها أو الجيلين السابقين عليها ، فإننا نجد ثيوكيديديس قد ركز على حرب البلوبونيز . وفى القرن الرابع ، كتب لنا اكسينيفون باسهاب عن اسبرطة والاسبرطيين ولكنه مثل ثيوكيديديس فقد عالج الأحداث المعاصرة له . كما تقدم لنا شذرات من كتابات أفوروس معلومات طريفة ، وهذه الشذرات قد وجدت طريقها لكتاب متأخرين ، فقد كتب لنا عن العلاقات العدائية بين أرجوس واسبرطة ، وفى نفس القرن فإن كل من أفلاطون ، وأرسطو قد ناقشا أوضاع اسبرطة بشكل مطول فى كتابتهما عن الفلسفة السياسية وبينما كان أفلاطون محباً لنظمها ، كان أرسطو ناقداً لها أشد النقد . وفى العصور الهلينيستية نجد الشاعر رهيانوس الكريتى الذى قدم لنا معلومات عن الحروب مع ميسينيا . ومن الكتاب الذين وجهوا لتاريخ اسبرطة باوسانياس وبلوتارخ . فالأول قدم لنا معلومات مفيدة فى كتابه الثالث حول العبادة والجوانب التاريخية وعالج به الكثير من الأساطير ، بينما قدم لنا بلوتارخ دراسة بعنوان ليكورجوس وقدم فيها صورة قانونية لنمط الحياة الاسبرطية وهى

الصورة التى أسست الأسطورة الاسبرطية ، ومع ذلك ، فـإن هـؤلاء الكتـاب لا يعرفون الكثير من المعلومات عن تاريخ اسبرطة البـاكر وعلـى نحـو مثـير لا يعرفون إلا القليل حول نظام اسبرطة الداخلى فى عصرهم ويقدم لنـا ثيوكيديديـس السبب حول جهل الكتاب بتاريخ اسبرطة إذ نجده يشتكى من أن الاسبرطيين كـانوا يحاولون أن يمنعوا كل المعلومات عنهم . وفى الواقع فإن الاسبرطيين قـد نجحـوا فى بناء سياج بينهم وبين بقية العالم اليونانى . وينبغى أن نذكر بعض الملاحظـات حول تلك المصادر وأن نأخذ الحيطة عند تناولـها . فقـد كـانت اسـبرطة دولـة اوليجرخية محافظة أو من ألافضل رجعية فى نظـر الكتـاب أصحـاب العقليـة الديمقراطية ، بينما كانت بالنسبة للكتاب الارستقراطيين دولة نموذجية قدموها فـى ثوب قشيب وقد ساعدوا على تطوير ورسم صورة اسطورية لاسبرطة ، ومن ثـم ينبغى علينا أن نكون على دراية بالخلفية السياسية والاجتماعيـة لـهؤلاء الكتـاب وحتى لا نقبل معلوماتهم كما هى . فعلى سبيل المثال فإن بلوتارخ فى كتاباته عـن حياة ليكورجوس يقرر حقيقة حول شخص ليكورجوس فلا نعرف من هـو ومتـى عاش ، وقدم وصفاً رائعاً لنمط الحياة الاسبرطية التى ربطـها باسـم ليكورجـوس ولكن نقول إنه تأثر فى كتاباته بمصبحيـن مـن القـرن الثـالث وهمـا الملكـان الاسبرطيان أجيس وكليومنيس . فقد حاولا القيام بثورة اجتماعيـة وذلـك بإدخـال سلسلة من الاصلاحات : منها – على سبيل المثال – الغاء الديون ، وإعادة توزيـع الأراضى معتقدين أنهم يعيدون نظام ليكورجوس ، ولهذا فمن الواضح أن بلوتـارخ عندما كتب عن حياة ليكورجوس قد نقل بغير وعى بعض الأحوال والأوضاع مـن القرن الثالث إلى الأيام الباكرة للتاريخ الاسبرطى . وبعـد أن عرضنـا للمصـادر ننتقل الآن للحديث عن اسبرطة فى ضوء ما هو متاح لنا من معلومات .

إن اسم لاكونيا ينطبق على أرض اسبرطة ، وهى تشكل الجزء الجنوبى من شبه جزيرة البلوبونيز ويحدها من الجنوب والشرق البحر ويفصلها من الشمال عن كل من أركاديا وسهل أرجوس سلسلة من الجبال والتى يكون امتدادها سلسلة جبال تايجتوس Taygetus ويحدها من الغرب سلسلة من الجبال منها جبل بارنون الممتد إلى رأس ماليا . ويقع نهر يوروتاس بين سلسلة جبال تايجيتوس ومرتفعات أركاديا وترويه عد جداول تنساب من هذا الجبل الذى يبلغ ارتفاعه ثمانية آلاف قدم . وكانت لاكونيا من أكثر اقاليم بلاد اليونان انعزالاً .

وقد كشف لنا المسح الأثرى عن وجود أكثر من ٥٠ موقعاً لمحلات سكنية من القرن الثالث عشر وإن كان أغلبها قد عانى من الخراب والدمار ابان الكارثة الكبرى التى ضربت الحضارة الموكينية حوالى سنة ١٢٠٠ ق.م ، وقد سمى هوميروس مملكة مينلاوس باسم "لاكيدايمون" ويسمى عاصمتها باسم اسبرطة "Sparte" . وهذه المملكة كانت موجودة فى لاكونيا . وإن كنا لا نعرف عى وجه التحديد عاصمتها ولعلها كانت تقع بالقرب من ثيرابنا Therapna على الضفة الشرقية من نهر يوروتاس حيث كانت تقع مدينة مينلايون Menelaion فى العصور التاريخية . وقد شهدت مدينة ثيرابنا مولد عبادة مينلاوس الحاكم الاسطورى للاكيدايمون زوج هيلينا أو لعلها تقع على الضفة الغربية عند بلدة أميكلاى Amyclae الواقعة على بعد أربعة أو خمسة أميال من اسبرطة ، فقد عثر فى هذا الموقع على كؤوس ذهبية بديعة الصنعة فى مقبرة بالقرب من فافيو Vaphio بجوار المخلفات الأثرية فى أميكلاى .

وقد سبق أن ذكرنا أن اسباب انهيار الحضارة الموكينية ما يزال موضع نقاش وجدل بين الباحثين وسواء أكانت المسئولية تقع على الهجرة الدورية أو ثورة الموكينيين الدوريين أو شعوب البحر فإنه لا يوجد دليل أثرى حول وجود الدوريين

فى كل من سهلى أرجوس ولاكونيا حتى السنوات الأخيرة من القرن الحادى عشر. فقد بدأ وصول الدوريين إلى سهل أرجوس ولاكونيا وميسينيا ابان فترة الهجرات فى القرن العاشر . ويرى نفر من الباحثين أنهم قد أتوا من كريت كى يستقروا فى جنوب بلاد اليونان ولكن هناك الآن إجماع على أنهم قد وصلوا من وسط بلاد اليونان إلى البلوبونيز وأن منطقة سهل أرجوس هى أول منطقة نزلوا بها واحتلوها ومن هنا فإن تأثيرهم قد انتشر إلى شمال خليج كورينثة كما وصلوا إلى سهول لاكونيا وميسينيا وأسسوا العديد من البلدات وهذا ما كشف عنه لنا فخار ما قبل الهندسى والذى يعود تاريخه إلى الفترة مابين ١٠٠٠ و ٩٥٠ ق.م وكان من أهم البلدات اربع بلدات هى بيتانا Petana ، وميسوا Mesoa ، وليمناى Lemnae ، وكونوورا Conooura ، وتقع هذه البلدات على بعد أربعة أو خمسة أميال من أميكلاى الموكينية . وقد تطورت هذه البلدات الدورية ببطىء ، وعلى ما يبدو فإنه قد قام بينها اتحاد فى القرن التاسع وأطلق عليه اسم اسبرطة . وظلت هذه البلدات غير ميسورة حتى بُنى حولها سور فى العصر الهلينستى .

اختلف الباحثون فى تفسير اسم اسبرطة ، فالبعض يفسره على أنه مشتق من النبات المنتشر هنا وهو Spartos وهو نبات الوزال الاسبانى ويرى فريق آخر أن الاسم اشتق من Sparte بمعنى الارض المبذورة وعلى الرغم من أن المصادر الأدبية قد استخدمت تسمية اسبرطة على نطاق واسع ، فإن الاسبرطيين قد أطلقوا اسم لاكيدايمون Lacaedaemon على مدينتهم والارض التابعة لها . ففى كل المعاهدات والوثائق المشابهة فقد كان الاسبرطيون يوصفون باللاكيدايمونيين .

كانت محاولة اللاكيدايمونيين السيطرة على سهل لاكونيا عملية بطيئة وصعبة فقد لاقوا مقاومة من الآخيين وهذا ما توضحه حقيقة أن بلدة أميكلاى الآخية والواقعة على بعد ثمانية كيلو مترات تقريباً لم تنضم إلى اسبرطة حتى وقت

ما فى النصف الأول من القرن الثامن . ومن المرجح أن أميكلاى قد وصلت مع اسبرطة لشروط مرضية جعلتها تنضم إلى اتحاد القرى الأربع ودليلنا على ذلك أنها لم تدمر بل أدمجت كبلدة خامسة فى مدينة اسبرطة ، وكان من نتيجة اندماجها أن تعاظمت قوة اسبرطة وفى المقابل أضعف ذلك الاندماج البقية الباقية من القوى الموكينية فى منطقة لاكونيا بحيث وصلت اسبرطة بسيطرتها جنوباً حتى البحر فى غضون جيل واحد . ولا يمكننا أن نعطى معلومات مفصلة عن التوسع اللاكيدايمونى فى خلال القرنين الثامن والسابع فى لاكونيا ، وذلك لقلة المصادر التاحة عن هذه الفترة . ففى ضوء النص الأثرية والروايات الرومانسية التى أوردها باوسينياس فى كتابيه الثالث والربع واللذان خصصهما الكاتب للاكونيا وميسينيا كان توسع اسبرطة فى لاكونيا يتم على حساب البقية الباقية من الآخين وأيضاً على حساب العناصر الدورية التى استقرت فى بعض الأماكن فى لاكونيا فى نفس الفترة التى كانت تتكون اسبرطة فيها ، ومن المرجح أن التجمعات الدورية والآخية لم تدمر كلها ولكن على ما يبدو قد تحالف بعضها مع اسبرطة ولكنها اصبحت تابعة لها من الناحية السياسية وأصبح يطلق على هذه الجماعات الحلفاء أو الجيران Peroicoi ،وقد احتفظت تلك الجماعات باستقلالها الذاتى المحلى ، ولكن على الأقل كان عليهم أن يقدموا خدمات لاسبرطة . وفى نفس الوقت الذى قبلت فيه اسبرطة التحالف مع بعض الجماعات فإننا نجدها قد ضمت أدمجت إليها وانزلتهم إلى مرتبة من مراتب الأقنان حيث قسمت أراضيهم بين الاسبرطيين والذين كانوا ملاكاً متغيبين . وربط السكان الأصليين بالأرض وأصبحوا يعرفون باسم Helots وسنعود للحديث عنهم فيما بعد . وننتقل الآن للحديث عن ضم ميسينيا .

كانت ميسينيا جزءاً من العالم الموكينى ، فقد قامت بها مملكة نسـتور فـى بيلوس Pylos ، وبانحدار وتدهور الحضارة الموكينية بها فى نهاية القـرن الثـالث عشر فقد دخلت ميسينيا العصور المظلمة وقد توافدت عليها الهجرات الدورية إبـان تلك الفترة ، ويمكننا أن نتصور وجود تجمعات صغيرة بعضها كان دورياً صرفـاً وبعضها موكينياً ، وبعضها مختلطاً من العناصر الدورية والموكينية .

تكشف لنا المصادر عن اسباب غزو الاسبرطيين لميسينيا الواقعـة غـرب اسبرطة وترجعها لحبهم الشديد للقتال والغزو وفى نفس القت لحاجتهم إلـى مزيـد من الاقطاعات من الأراضى الزراعية لمواجهة زيادة عدد المواطنين الاسـبرطيين والذين أصبحت أراضى لاكونيا لا تكفيهم .

ومعلوماتنا عن الغزو الاسبرطى لميسينيا تكاد تكون محدودة ، فقد بقى لنـا منها شذرات من أشعار تيرتايوس والوصف والروايات الرومانسـية التـى قدمـها باوسينياس فى كتابه الرابع والذى يقرر فيه أنه اسـتقى معلوماتـه عـن الحـرب الميسينية من كاتبين من القرن الثالث وهم ميرون Myron مـن برينـى Priene ورهيانوس من بينى Bene الكريتية وعاش فى الأسكندرية . وقد كتب الأول نـثراً حول جزء من الحرب الميسينية الثانية فى ملحمة بعنـوان Messeneaca وبطلـها أرستومنيس Arestomenes الميسـينى ، كمـا نجـد أن المـؤرخ كاالليسـثينيس Callesthenes فى تاريخه اليونانى Hellenic History قد قـدم اسـتطراداً عـن الحرب الميسينية وابطالها . كما نجد أن المؤرخ أفوروس المعـاصر لكاالليسـثينيس قد ميز بين حربين ميسينيتين باكرتين . أولهما قد استمرت عشرين عاماً ولم تكتمـل سيطرة اسبرطة على ميسينيا فيها ثم نشبت الحرب الثانية بعد فـترة مـن الزمـن (٦٨٥ - ٦٦٨ أو ٦٤٠ - ٦٢٠) وكان بطلها أرستومينيس .

وفى المصادر السافة الذكر يبدو أنه من المرجح أن الاسبرطيين قد قاموا قبل الحرب الميسينية الأولى بعبور جبال تايجيتوس وهيمنوا على منطقتى نيدون Nedon ودينثيلاياتيس Dentheleates وأتينا على الساحل الشرقى والشمالى لميسينيا ، وقد فرض الاسبرطيون على بعض التجمعات المغلوبة التحالف معهم كأتباع وجيران .

أما عن الحرب الميسينية الأولى فيبدو أنها وقعت فى الفترة ما بين ٧٣٦ – ٧١٦ ونعتمد فى ذلك على قول تيرتايوس "أن ملكنا ثيوبومبوس Theopompus الذى من خلاله استولينا على ميسينيا" . ثم يستطرد قائلاً إن أباء أبنائنا قد قاتلوا من أجل ميسينيا لمدة تسعة عشر عاماً وفى العام العشرين وأن الميسينين قد هربوا عبر جبال إثومى Ithome وأتينا على قائمة المنتصرين فى الألعاب الاوليمبية فى الفترة الممتدة من ٧٧٦ – ٧٣٦ والمسجل بها اسماء اصحاب الانتصارات وكان من بينهم سبعة من الميسينين ، والجدير بالذكر انه لم يظهر بها ميسينى آخر حتى القرن الرابع مع استثناء واحد سجل سنة ٦٨٤ ، والذى يمكن أن يستخدم كدليل على أن اسبرطة استولت على جزء فقط من ميسينيا فى الحرب الميسينية الأولى فقد سيطروا على سهل نهر باميسوس Pamisus بعد أن فر بعض الميسينين من قلعتهم على جبل إثومى ، والباقين منهم والذين لم يكن لديهم القدرة على الهرب إلى مناطق أخرى من البلوبونيز قد انزلوا إلى مرتبة helots ، أى الذين وضعت عليهم أعباء وفروض كثيرة مثل الحمير على حد قول تيرتايوس . أما المنطقة الساحلية المحيطة بخليج ميسينيا فقد قامت اسبرطة بتنظيم مجتمعات حليفة Peroicoi ومن المرجح أنهم كانوا من بين الميسينين والذين كانوا بشكل رئيسى من الدوريين .

والمؤرخون المحدثون يرون أن الحرب الميسينية الثانية قد وقعت فى الفترة ما بين (٦٦٠ – ٦٥٠) وهى الحرب التى عاصرها تيرتايوس والذى يذكر أن أحفاد الذين خاضوا الحرب الأولى هم الذين قاموا بها لإخماد ثورة الميسينين الذين كانوا ينتظرون أول فرصة للاستفادة من كوارث أسبرطة على حد قول أرسطو . ويفترض كثير من الدارسين أن الحرب الميسينية الثانية قد بدأها الميسينيون بعد أن هزم الأرجوسيون اللاسبرطيين فى موقعة هيسياى Hysiai سنه ٦٦٩ ، بدأ الميسينيون الحرب بعد أن حصلوا على وعود بتلقى العون من الأرجوسيين والأركاديين وغيرهم فى حربهم ضد الاسبرطيين ، وكانت هذه الحرب حرباً مريرة استغرقت ردحاً من الزمن وقد أثار فيها ترتايوس روح الوطنية لدى الاسبرطيين بما كان ينشده من أشعار مثل قوله "إنه لشىء طيب ، وعادل للرجل الطيب أن يسقط ويموت فى القتال من أجل أرضه" ونعرف من هذا الشاعر أيضاً أن الاسبرطيين قد تبنوا أسلوب القتال المعتمد على جنود المشاة ثقيلى العدة ، وفى هذه تحصن الميسينيوية فى القلعة الجبلية "هيرا" الواقعة بالقرب من الحدود الأركادية . ويروى لنا باوسينياس نقلاً عن الشاعر رهيانوس روايات رومانسية عن بطولات ارستومينيس القائد الميسينى بيد أن النصر كان حليفاً للاسبرطيين فى النهاية . وكان من نتائجه أن أكمل الاسبرطيون غزو ميسينيا وخاصة فقد توسعوا صوب الشاطئ الغربى ، واما كان هذا الجزء جبلى وغير ملائم للزراعة ، فإنه من غير المحتمل أن أعداد سكانه القليلة لم يصبحوا على الأقل بالمفهوم المرتبط بربطهم بالأرض مثل لبذين فى سهل باميوس . وبعدها أقام الاسبرطيون حزاماً من المجتمعات الحليفة Peroicoi ولعل بعضهم كان من العنصر الدورى الميسينى والآخرين كان من اللاجئين من مدينتين فى سهل أرجوس وهما مدينة اسينى Asine ونوباليا Nauplia والتى كان قد دمرهما الارجوسيون فقد تم إنشاء أسينى

جديدة على الشاطئ الغربى لخليج ميسينا بينما استقر النوباليون فى مثيونى Methone على الساحل الغربى لميسينيا . ولكن يبدو أن بعض القلاقل والمتاعب قد استمرت للاسبرطيين فى ميسينيا ولم يسيطروا عليها كلية وهذا ما يؤكده قول القائد الطيبى إبامونيديس Epamonides والذى قاد القوات الطيبية وحلفاءها سنة ٣٧٠ / ٣٦٩ فى البلوبونيز وغزوة لاكونيا واستعادته استقلال ميسينيا . إذ نجده يقول "أنه أسس ميسينيا بعد ٢٣٠ سنة فقد رأى – أو اعتقد – إبامونيديس أن نضال الميسينيين قد انتهى فى سنة ٦٠٠ ق.م وهذا يعنى أن بعض القلاقل والثورات أو أن اجزاء من ميسينيا لم تضم إلى اسبرطة إلا فى سنة ٦٠٠ ق.م . وبهذا فقد اكتملت سيطرة الاسبرطيين على الجزء الجنوبى من البلوبونيز وفيما وراء منطقة ايليس وأركاديا وأرجوس . ولم تكتف اسبرطة بفتح ميسينيا بل نجدها قد دخلت فى حروب مع أركاديا وأرجوس وهو ما سنتناوله عند الحديث عن سياستها الخارجية. قصارى القول أنه يمكننا القول أن فى نهاية القرن السابع كانت اسبرطة تسيطر على كل لاكونيا وميسينيا بعد حروب مريرة . وأنها وصلت إلى اقصى اتساع لها. وسنحاول أن نعرض لنظمها السياسية ، والاقتصادية ، والاجتماعية ، وعلاقاتها الخارجية فى الصفحات التالية .

التنظيم السياسى

لم تعرف اسبرطة مثل المدن اليونانية الأخرى فى العصور الباكرة القوانين المكتوبة بل كانت كلها تعتمد فى تصريف شئونها على العرف ، والتقاليد . وتتفق الروايات على أن المشرع ليكورجوس هو الذى قدم للاسبرطيين القوانين والنظم الأولى التى اتبعوها ، وإن أعقبها تعديلات من قبل الملوك الاسبرطيين والرقباء وفقاً للظروف والأحوال . كانت شخصية ليكورجوس محل خلاف فى العصور القديمة إذ يقول عنه بلوتارخ "لا نسمع كلمة عن ليكورجوس المشرع إلا وسمعت

ما ينافيها فقد اختلفت الأقوال فى أصله ، وأسفاره ، وموته حتى شرائعه والحكومة التى أنشأها وأشدها اختلافاً ما قيل عن زمن وجوده ، وهل كان بشراً مصلحاً أم من الآلهة أخر الأمر" . ووفقاً للروايات القديمة فقد كان ليكورجوس ملكاً بعد وفاة أخيه ولكن ما أن ولدت زوجة أخيه ولداً ذكراً حتى اعلن تخليه عن العرش وأن الطفل الوليد هو الملك واعلن نفسه قيماً عليه ولكن حيكت ضده المؤامرات والشائعات عن رغبته فى أن ينتزع الملك من ابن أخيه من قبل زوجة أخيه وأخواتها لأنها كانت قد شعرت أن غدر بها ولم يتزوجها فأرادت الانتقام منه وأمام هذه الاتهامات الكاذبة والشائعات المغرضة قرر ليكورجوس أن يغادر اسبرطة والقيام بعدد من الاسفار والتى كان أولها سفره إلى كريت حيث درس نظمها وخالط كبار رجالاتها ، فاستحسن بعض قوانينها وحرص عليها ليجربها فى اسبرطة متى عاد اليها واقنع أيضاً حكمائها بالانتقال إلى اسبرطة . وثانى اسفاره كانت إلى أيونيا حيث عرف لأول مرة قصائد هوميروس ، وثالث أسفاره كانت إلى مصر حيث اعجب بأنظمتها وخاصة تفريقهم بين رجال الحرب ، والطبقات الأخرى فنقل ذلك عنهم إلى اسبرطة . وكانت له اسفار أخرى عديدة .

عم الاسبرطيون الأسف لغيابه ورجوه غير مرة أن يعود قائلين : إن ملوكهم لا تختلف عن عامة الشعب إلا بألقابهم ومقامهم ، ولكنهم يعرفون فيه قدرة طبيعية على القيادة وقدرة على اجتذاب الناس إلى رأيه ، وكان الملوك أنفسهم راغبين فى عودته أملين أن يروع وجوده الجمهور عند الغواية والتمرد ، وقد وجد العقول مهيئة ، فبدأ بالقضاء على عوامل السوء وتغير هيئة الحكومة اقتناعاً منه بأن القوانين الجزئية عديم الجوى وأنه يجب أن يبدأ بمداواة الأجسام المشوهة المريضة طبائع الفساد بالعقاقير ، والأشربة وتغير المزاج قبل رسم نظام جديد .

ولما استقر رأيه على ذلك ذهب إلى مهبط وحى دلفى لاستشـارة واسـتنباء الاله أبوللو وبعد أن قدم إيه القرابين تلقى النبوءة والوحى المعروف ، حيث رُعـى صديق الآلهة وأنه إله أكثر منه انسان يضاف إلى ذلك أن الإله أبوللو أجاب سـؤاله وأنه سيمنحه القدرة على إيجاد قوانين صالحة تمتاز بقوتها علـى جميع أنظمـة الشعوب وقد منحه الوحى أيضاً النبوءة الآتية لتنظيم المجتمع "عندما تقيـم هيكـلاً لزيوس سيلانيوس Syllanius واثينا سيلانيا Syllania وتقسم الشعب إلـى قبـائل وObae وأنشئ مجلسٌ للشيوخ Gerousia مؤلفٌ من ثلاثيـن عضـواً بمـا فيـهم الملكان Archagetai دعهم يجتمعون من فصل إلى فصل للاحتفال بـالابلا Apella بين بابيكا Babyka وكناكيون Knakion ، دع الشيوخ يقدمون مشروعات القوانيـن ولكن دع الشعب يكون له القرار النهائى" .

وقد حدثت إضافة إلى هذه الـ Rhetra وهى "إذا حاول الشعب الخداع فـى التداول فعلى الملكين Archagetai والشيوخ أن ينسحبوا" وهذه الاضافة على حـد قول بلوتارخ قد قام بها كل من الملكين بوليدوروس وثيوبومبوس وذلك بعد أن أخـذ الشعب يفسد قرارات المجلس بالحذف والاضافة ، كما علق على هذه العبارة بقولـه "أنهم لا يوافقون على القرارات وأن يؤجلوا الجلسة ويلغوا قرارات الشـعب لأنـها غير مشروعة " ويضيف إن الملكين قد اقنعا مواطنيهم أن هذه أوامر الإلـه وإلـى هذا المعنى أشار الشاعر ترتايوس بقوله "سمعوا الحى من فم الاله أبوللو" كما نجـد أن هذا الشاعر قد أشار إلى النبوءة التى تلقاها ليكورجوس بقوله : "بعد الاسـتماع إلى فويبوس" Phoebus فقد أحضروا من بيثو Pytho إجابات النبـوءة والكلمـات الكاملة للإله ! دع أخذ المبادأة بعزم من قبل الملكين المؤلـهين المبجليـن ، الذيـن اعتنيا بمدينة اسبرطة الحبيبة ، وبواسطة الشيوخ وبعد ذلك دع الناس من الشـعب يجيبون مع التشريع المباشر" .

والريترا وفقاً لبلوتارخ وترتايوس هى عبارة عن الوحـــى أو النبــوءة التـــى نطق بها الاله أبوللو والتى سار عليها الاسبرطيون واعتبروها قانوناً . ولكــن دارت التساؤلات الآتية : هل هى تشريع اسبرطى قد تم وضعه استجابة لنصيحـــة وحـــى دلفى؟ أم أنها نبوءة منطوقة والتى قادت الاســبرطيين لســن تشــريع ، أو بعــض التشريعات أم هى الوحى والنبوءة التى نطق بها الاله وأخذا الاسبرطيون كما هى؟

نعرف أن الاسبرطيين كانوا يعتبرون الريترا قانوناً دائماً ، وأن الريترا فـــى مناسبتين كانتا وحى من دلفى وأن هذا الوحى كان يمثل التشريع والانــون أو هـــى قانون موحى به من الاله . كما نفهم منها أن القوانيـــن ومشـــاريعها كـــان يســـنها ويصدق عليها الملوك والشيوخ والشعب . ونلاحظ على الريترا ما يأتى :

أولاً : أنها مهشمة وأن كلماتها فى حالة الصيغة المصدرية ، والاشتقاقات تؤكد أنـــها مختصرة لدرجة أنه لا يمكن أن نكـــون متـــأكدين مـــا هـــو الموضـــوع أو الموضوعات التى يمكن أن تفهم .

ثانياً : أن الريترا بدون الملحق ، كان الهدف منها تنظيم الاجراءات لسن القوانيـــن وتقرير السياسة وكان اجراء سن القوانين يتم على مرحلتين أولهما :- هـــو أن يقوم مجلس الشيوخ بتقديم الاقتراحـــات أو مشـــاريع قوانيـــن الجمعيـــة الشعبية. وثانيهما :- أن الجمعية الشعبية كانت تلتقى فى عيد يســـمى الأبـــلا Apella (عيد أبوللو؟) كى تتخذ القرار النهائى بالنسبة للاقتراحـــات بحيـــث تقبلها أو ترفضها فإذا ما قبلتها أصبحت قوانين سارية المفعول .

ثالثاً : الحث على بناء هيكل لكل من الإله زيوس والالهة أثينا وتنظيم النـــاس فـــى قبائل و obai وانشاء مجلس الشيوخ ، ولكن لا ندرى إن كانت الريترا هـــى التى أدخلت العناصر الثلاثة أم أنها تشير إليها على أنها كانت موجودة فعـــلاً

وفقاً لتشريع سابق . ويمكن أن نقول أن الريترا قد حثت على بنـــاء هيكـل للإله زيوس وابنته اثينا وهذا يعنى أن هذا الهيكل كان غير موجود ، كمـا أن الحث على إنشاء مجلس للشيوخ يشير هو الآخر إلى أنه لم يكـــن موجـوداً بهذا الشكل والسلطات وإن كان على ما يبدو موجوداً فقد كان علــى شـــاكلة مجلس الشيوخ الهومرى ؛ أى أن المشرع هنا قـــد زاد مــن سـلطة هــذا المجلــس ، كما نفهم أن المجتمع الاسبرطى كان مقسماً إلى قبائل و obai . وسنتحدث عن هذه النقطة فيما بعد عند الحديث عن المواطنين الاســـبرطين الخُلّص .

رابعاً : نفهم من الملحق أن الشعب قد بدأ يتغير ويرفض مشاريع القوانيـــن ويغـير فيها بدلاً من التصديق عليها وهذا يعنى محاولة الحد من ســـلطة كـل مـن الملكين ومجلس الشيوخ اصحاب الحق فى اقتراح وإعداد مشاريع القوانيـــن مما دعا كل من الملك ثيوبومبوس المنتصر فى الحـــرب الميســينية الثانيــة والملك بولودوروس إلى إضافة الملحق للحد من سلطة الشعب وذلــك وفقـاً لقانون زعما أنه من وحى إلهى .

خامساً : تستعمل الريترا مصطلح Archagetai لتعنى الملكين الاسبرطيين ولكـــن معنى هذا المصطلح الأصلى لا يعنى الملك ولكـــن يعنـــى المؤســس وقــد استعمل أيضاً ليطلق على منشئ عبادة أو مؤسس مستعمرة . وقـــد حــاول البعض تفسير استعمال هذا المصطلح فى الريترا بقولــــه إن الملكيـن كانــا يحكمان وفى نفس الوقت كانا مؤسسين للدستور الجديد .

سادساً : يرى البعض أن الريترا قد اعيد صياغتها وتم تعديلها من قبـــل مصلحيـن فى العصور الباكرة قبل ترتايوس وأن هؤلاء المصلحين كـــانوا قــد اقنعــوا

الاسبرطيين بقبـول اقتراحاتهم برغم أن هذه الاقتراحات قـد وجـدت فـى النبوءة ، أو التشريع الصادر منذ فترة طويلة وخير مثال على ذلك الخدمـة سلطة الشعب ، وفى المقابل بعد فترة أضيف الرقباء (ألافوروى) إلى أجـهزة الحكم التنفيذية ، والتشريعية كسلطة تنفيذية رقابية علـى الملكيـن إذ يقـول اكسينيفون : "كان الرقباء كل شهر نيابة عن الدولة والملك نيابة عـن نفسـه يتبادلون القسم، فقد كان الملك يقسم بأنه سيحكم طبقاً للقوانين المقررة ، وفـى المقابل كان الرقباء يقسمون على المحافظة على الملكية إذا ما ارتبط الملـك بقسمه ووفقاً لبلوتارخ كان الملك أيضاً تحت رحمة الرقباء فكل تسع سـنوات كان الرقباء يختارون ليلة صافية غير مقمرة ويراقبون وجـه السـماء فـى صمت ، فإذا ما شاهدوا شهاباً يعبر السماء فإنهم يقـررون أن ملوكـهم قـد يكونوا قد عصوا الآلهة ، ويعزلونهم من الوظيفة حتى تصـدر نبـوءة مـن دلفى ، أو أوليمبيا لتبرئة الملوك الذين وجدوا أو ظنوا مخطئون .

جملة القول : إن الريترا قد شهدت تعديلات وإضافات كان من شـأنها فـى بعض الأحيان تعضيد سلطة الملك والشيوخ وفي بعض الأحيان وجدناها تؤكد علـى دور وتعضيد سلطة الشعب . وأن ليكورجوس قد قام بسلسـلة مـن الاصلاحـات بالمجتمع الاسبرطى وتنظيم حياتـه السياسـية ، والاجتماعيـة ، والاقتصاديـة ، والحربية وقد عدد لنا هيرودوت بعض منجزاتـه وهـى : (١) تنظيـم اسـبرطة العسكرى (٢) نظام الموائد العامة (٣) الجروسيا (٤) الرقباء . وقد اضـاف اليـه بلوتارخ انجازات اخرى منها : (١) اعادة تقسيك لاكونيا بين الاسبرطيين والحلفـاء (٢) الغاء نظام استعمال العملة الذهبية والفضية واستبدالها بالعملة الحديدية كوسـيلة للتبادل (٣) التدريب والانضباط (٤) تنظيم القبائل الرئيسية و obae واخـيراً فـإن

أرسطو يعتقد أنه هو الذى ، أو البوليس السرى ، وسنتناول هذه الإنجازات بعد أن نعرض بايجاز للنظم السياسية التى أوجدها .

النظام السياسى

قدم لنا المؤرخون القدامى وصفاً للدستور الإسبرطى الذى كان يحتوى على أربعة عناصر أو أركان هى : الملكان ، ومجلس الشيوخ ، والجمعية الشعبية ، والرقباء . وسنحاول أولاً أن نعرض للسلطة التنفيذية والمكونة من الملكين والرقباء .

النظام الملكى :

كان النظام الملكى القائم فى اسبرطة يختلف عن النظم الملكية القائمة فى المدن اليونانية الأخرى ، فقد كان الحكم الملكى فى اسبرطة حكماً نائياً بينما كانت المدن اليونانية الأخرى محكومة من خلال ملك واحد . وإذا كانت اسبرطة قد احتفظت بهذا النظام الملكى الوراثى راسخ الاركان لفترة طويلة تمتد من القرن الثامن إلى قرابة نهاية القرن الثالث ، فإننا نجد أن النظام الملكى فى المدن الاخرى وقد اصبح الحكم الملكى غير وراثى ، فى اثينا أصبح الملك واحداً من الحكام المنتخبين وكان يشغل وظيفته لمدة عام . ولكن يَعِّن لنا السؤال الآتى : متى قام النظام الملكى الثنائى فى اسبرطة ؟ وهل هو نظام ملكى فردى ؟ يختلف الباحثون فى الإجابة على هذين السؤالين ، فقد رأى أنه من الراجح عندما استقر الدوريون أولاً فى اسبرطة كان يحكمهم ملك واحد مثل بقية الملوك فى العصور المظلمة والذى كان محاطاً ، على ما يرجح ، باصحابه والذين كانوا قد شغلوا نوعاً من مجلس الشيوخ والناس العاديين – الشعب . وأنه يمكن تصور أنه كان يتم دعوتهم فى مناسبات فى جمعية مثل تلك التى ورد ذكرها عند هوميروس ، ويرى هؤلاء النفر من الباحثين أن اسرة أجيس هى الأسبق فى توليها الحكم الملكى وزمام

السلطة ويستندون فى ذلك على أن المصادر تؤكد على ما كانت تلقاه من احترام وتقدير وهيبة اكبر من قبل الاسبرطيين ، كما أنهم يستندون فى تعضيد رأيهم أيضاً على تسلسل واتساق شجرة نسب هذه الاسرة ، كما نجدهم يحاولون أن يستخدموا ما ورد من معلومات فى أسطورة البطل أريستودموس الهرقلى ، الذى قاد الدوريون فى لاكونيا ، لتعضيد رأيهم فقد كان لهذا البطل ولدان توأمان هما أيوروستينيس Eurysthenes وبروكليس والذان أصبحا ملكين فيما بعد . والأول هو والد الملك أجيس والثانى هو الأب أو الجد للملك ايوريبون Eurypon . ويستخلص هؤلاء العلماء من الاسطورة أن أيوروستينيس هو أول مولود من الابنين وأن هذا ربما يشير إلى أن الملكية كانت تخص أسرته وأن أسرته هى الأسبق ، كما نجدهم يستخدمون عدم التسلسل والاتساق بل الاضطراب فى شجرة نسب الأسرة الملكية الثانية دليلاً على أنها أتت بعد الأسرة الأولى وأنها قد حاولت أن تضع قائمة من الاسماء فى شجرة نسبها بحيث تعود بها إلى الوراء قبل أسرة أجيس . ويرى نفر من الباحثين رأياً مخالفاً للرأى السابق إذ يرون أنه كان الدوريون ينقسمون إلى ثلاثة قبائل هى هيلليس Hylleis وديمانيس Dymanes وبامفيلى Pamphyle وأن وأن كل قبيلة كان يحكم عليها ملك ولذا فقد كان هناك ثلاثة ملوك وأن واحداً منهم قد ضغط عليه من قبل الملكين الآخرين ، بيد أن هذا التفسير غير محتمل لأن كل من الاسرتين الملكيتين من الراجح أنهما كانا ينتميان إلى قبيلة هيلليس – على الأقل – فكل من الاسرتين ادعت أنها من سلالة هيلليس بن هرقل .

ويقدم فريق ثالث من العلماء رأياً ثالثاً إذ يقول أنه عندما اندمجت اميكلاى فى اسبرطة فى الفترة من ٨٠٠ – ٧٥٠ ق.م. فإن الاسرة الملكية الموكينية القديمة من الاجيديين فى اميكلاى قد شاركت فى الحكم مع اسرة ايوريبون الاسبرطية

ويعتمد هذا ارأى على قول الملك كليومينيس لكاهن أثينا "أنه كان اخياً وأنه موكينيـاً وليس دورياً" وأن هذه العبارة تشير إلى أنه كان هناك امتزاج كبير بيـن الدوريين والموكينيين فى الأيام الأولى للهجرة الدورية عن الدوريين المتـأخرين ، ويقولـون أن أصحاب النظريات القدماء ، والمحدثين قد أحبوا أن يقروا فى ضـوء السـيطرة الدورية فى اسبرطة أنه من الصعب الاعتقاد أن الأسـرة الملكيـة الرئيسـية قـد انحدرت من السكان الاصليين قبل الدوريين .

ويقدم لنا فريق رابع من الباحثين رأياً رابعاً ، وهذا الرأى الرابع يعتمد علـى قرائن أثرية لتفسير أصل الملكية الثنائية ، فقد كشفت التنقيبات الأثرية عن قريتيـن قد تأسستا أولاً ثم أعقبهما تأسيس قريتين فى وقـت لاحـق ، ولـذا فـإن هنـاك مجموعتين من الدوريين ، وكان على رأس كل مجموعة منهما أسرة ملكية ، وأنـه عندما حدث اندماج بينهما فإن الملوك من العائلتين الملكيتين قد اشتركوا فى الحكـم واقتسموا السلطة الملكية . فكان من كل اسرة ملك . ويرى فريق خامس رأياً آخـر: إذ يرى أن تولى ومشاركة الأسرة الملكية الثانية الحكم نتيجـة لضعـف السـلطة الملكية فى اسبرطة مثلما حدث فى أماكن أخرى فى بلاد اليونان حيث تحول الحكـم من الأسرة الملكية إلى الارستقراطية ، ولذا فإننا نجد أن أصحاب هذا الرأى يـرون أن افراد اسرة ايوريبون كانوا قادة للارستقراطية والشعب damas وأنـهم ، مـن الراجح ، كانوا ملاكاً للأراضى وقد خدموا كجنود وفى محاولتهم للحد من السـلطة الملكية المطلقة للملوك من اسرة أجيس وأنهم قد حققوا أهدافهم ليس بالغاء الملكيـة ، ولكن بحل وسط وهو أن يكون مع الملك من اسرة أجيس زميل مـن ايوريبـون ، ولكن من الصعب الاعتقاد فى أن الارستقراطية فى صراعها ضد السلطة المطلقـة قد اسسوا اسرة ملكية ثانية وانهم قد اختاروا اسرة ايوريبون لتولى المنصب الرفيـع ومقاسمة الاسرة الأولى شرف الملكية وأنهم آسروا على أنفسهم تلك الاسرة .

وفى ضوء نقص المعلومات ، شبه الكلى ، حول التطور الباكر فى اسبرطة فمن الافضل أن نفترض أن الملكية الثنائية قد وجدت منذ فترة مبكرة ومع ذلك فإن أسرة ايوريبون قد كان لها دور فى الحصول على ما دعاه أحد الباحثين مرسوم دينى للجمهورية الجديدة وهذا المرسوم هو الريترا السالفة الذكر .

إن طبيعة النظام الملكى الاسبرطى كانت شبيهة بتلك الموصوفة عند هوميروس ، ولكن سلطاته كانت قد تقلصت من خلال طبيعتها الثنائية وأيضاً لزيادة أهمية مجلس الشيوخ ومجلس الرقباء ، ومثل الملوك الهومريون ، فإن ملوك اسبرطة كانوا يتولون قيادة الجيش فى الحرب وسلطة اعلان الحرب على البلد التى يختارونها ولا يعترض اسبرطى على ذلك ، ونذكر هنا مقال على ذلك إذ جمع الملك كليومينيس (٥٢٠ - ٤٨٠) جيشاً من كل انحاء البلوبونيز بدون توضيح الغرض الذى من اجله تم حشده وقاده ضد اثينا وقد صاحبه الملك الآخر فى هذه الحملة - كما كانت سلطاتهم مطلقة فى ميدان القتال على الرغم من أنه غير واضح كيف كان الملكان يشتركان في القيادة ، ونعرف أنه فى القرن السادس دب نزاع بين الملكين فى الحملة على اثينا وانسحب احدهما ونتيجة لهذا فقد اضطر الملك الآخر أن يسرح الجيش وأن يعود إلى اسبرطة ، ونتيجة لهذا الخلاف فقد تقرر أن ملكاً واحداً هو الذى يخرج فى الحملات العسكرية . ولا نعرف على وجه التقريب الذى بدأ فيه اثنان من الرقباء مصاحبته فى الحملات العسكرية ، ولكن سلطة اعلان الحرب وحشد القوات قد شارك الملوك فيها الجمعية الشعبية والتى كان يحق لها اصدار القرارات المؤيدة للحرب ، ثم بعد ذلك صار من حق الرقباء استدعاء وحشد القوات بحملة ما ولكن هذا لا يعنى أن الامتياز الملكى فى حق إعلان الحرب قد ابطل على نحو محدد وبدلاً من ذلك فإن السلطات العامة الاخرى فى اسبرطة قد زادت سلطاتها واصبحت تشارك فى تقرير مسائل الحرب والسلام .

واستمر الملك يخدم كضابط عسكرى يمارس القيادة فى ساحات الحرب ، وإن كنا نجد أن الاسبرطيين قد اختاروا قواداً آخرين فى بعض الحملات .

كان الملوك الاسبرطيين يشابهون فى سلطتهم الدينية سلطة الملوك الهومريون ؛ فقد كان الملكان يمثلان دور رئيس السلطة الدينية بالدولة ، فقد كانا يقومان بتقديم الأضاحى ككهنة للمجتمع فى كل شهر للاله أبوللو ، وتولوا كهانة زيوس اللاكيدايمونى وزيوس اورانيوس Uranius ، وفى الحرب كانوا يقدمون الاضاحى من أجل الجيش وفى السير وقبل الحرب ، وكانوا يسكبون السوائل ، وكان يحق لهم الحصول على نسبة من الاضاحى ، وكانوا يعينون الرسل Pythai السنويين لدلفى ويشاركونهم المحافظة على الوحى والنبوءات الخاصة بالدولة . لقد لعبوا دور الوسيط بين الآلهة والبشر .

كان الملوك يتمتعون أيضاً بسلطة مدنية وقضائية إذ يقول هيرودوت إن الملكين كانا يتمتعان ببعض قداسة الكهنة والحصول على نسبة من الأضاحى ويجلسون فى صدارة الموائد وكانوا اعضاء فى مجلس الشيوخ ، ولكن لا يوجد ما يؤكد عضويتهم هذه كان لها تأثير خاص ، وعلاوة على ذلك فقد مارسوا سلطة قضائية فى ثلاثة أنواع من القضايا هى : إذا مات الرجل وكانت وريثته غير متزوجة فإن الملك يقرر من يتزوجها ، وكانوا يحكمون أيضاً فى القضايا الخاصة بالطرق العامة وأن تبنى أبناء كان يتم فقط فى حضرة الملوك ، كما كان للملوك سلطة تحديد الحدود بالعلامات المقدسة معتمدين فى ذلك على العرف الدينى .

وكانوا يقومون بتعيين البروكسينى Proxene ؛ المشرفين على ضيافة الغرباء ، والتى كانت واجباً دينياً ، وكان هؤلاء الغرباء يزرون اسبرطة إما للتجارة ، أو لمهام دبلوماسية .

كان الملكان يتمتعان بامتيازات كثيرة منها تملكهم لضـــيَاع فـــى أراضـــى الحلفاء Peroicoi ، وامتيازات خاصة في الأضاحى العامة والحـــق فـــى اســـتلام خنزير من كل بطن ، ومن المرجح أن هذه العادة بقيت من العصور المبكرة عندمـــا كان الملك يعيش محاطاً بالاصدقاء والاقران ، فقد كان عليه أن يطعمهم ، وعندمـــا يموت الملك فإن جنازته كانت تتم على النحو القديم للاحتفالات والتـــى كـــان مـــن المعتاد أن يخرج للمشاركة فيها من كل بيت حر رجل وامرأة وعـــدد كبـــير مـــن الحلفاء والهيلوتس .

الرقباء الأفروؤى *Ἔφοροι*

تنفرد اسبرطة وبعض المستوطنات الدورية بوجود مجموعـــة مـــن الرقبـــاء والذين شبههم شيشرون بترابنة العامة ، وهناك الكثير من المشاكل والقضايا غـــير المؤكدة حول أصل مجلس الرقباء اكثر مـــن المشـــاكل حـــول أصـــل الاســـرتين الملكيتين. ويرى بعض الباحثين أن الرقباء كانوا فى الاصل كهنة وحتـــى بعـــد أن اصبحوا حكاماً مدنيين فقد احتفظوا باحدى الوظائف الدينية ألا وهى مراقبة الســماء، على الرغم من أنه يكون مدهشاً أن نجد الفئة الكهنوتية راغبة فى التخلى عن أغلـب مهامها وامتيازاتها الدينية . ويرى نفر اخر أن كلمة Ephoros تعنـــى الشـــرف أو المراقب وأن أصل وظيفة الرقباء كانت النظر فى القضايا المدنية وربما كان هـــذا هو أصل وظيفتهم .

ويذكر هيرودوت أن ليكورجوس هو الذى أوجدها على الرغم من أنـــها لـــم تذكر فى الريترا ، والحقيقة أن اسبرطة كان بها قوائم الرقباء والتى من المفـــترض انها تعود إلى سنة ٧٥٤ / ٧٥٣ ق.م مما يجعل هذا التاريخ يشـــير إلـــى أن الـــذى أوجد هذا النظام هو ليكورجوس . بينما يقول بلوتارخ أن الملـــوك نظـــراً لغيابـــهم

الطويل فى الحرب الميسينية الأولى قد عينوا نواباً عنهم فـــى اســـبرطة لتصريــف شئونها وخاصة الفصل فى القضايا المدنية ولعله يشير هنا إلى الملك ثيوبومبـــوس . بينما يرى البعض الآخر أن سبب وجودهم وجود صراع بين الأشراف والعامة مـــن الاسبرطيين وأن العامة قد برز دورهم فى تحقيق النصر فى الحرب الميســـينية وأن هذا قد أعطاهم الفرصة ليحتلوا مكانة سياسية أفضل وأن هذا قد انعكس فـــى تعيـــن موظفين يمثلون العامة ويراقبون السلطة التنفيذية ممثلة فـــى الملكيـــن . ويكونـــون أوصياء على الحقوق العامة ورعاة لها . ومما يظهر أن الرقبـــاء كـــانوا يمثلـــون قضية العامة اليمين التى كان يقسمها الملكان أمامهم كل شهر بأن يحترما القوانيـن . وقد كانوا هم يقسمون أمام الملكين يميناً مماثلة باحترام السلطة الملكيـــة طالمـــا أن الملكين قد احترما القوانين .

لا يمكننا أن نرجح رأى على رأى فكل رأى له وجاهته وما يعضـــده فلعـــل الذى أوجد هذا النظام هو ليكورجوس وذلك لأنه لم يكتب شرائعه بل من سننه مـــا يحرم كتابة الشرائع ومن ثم لا ندرى أو لا نستطيع نقول بجزم أنه هو الذى أوجـــد النظام ، كما أن الرأى الثانى له وجاهته فغيبة الملكين لفترات طويلة كـــان يـــترتب عليها وقف صوالح الناس ولذا فقد اقتضت الضرورة اختيـــار موظفيـــن تنفيذييـــن يحلون المشاكل الداخلية وحتى يفرغ الملوك للحرب الخارجية . والرأى الثالث لـــه وجاهته أيضاً إذ نعرف قبل اصلاحات ليكورجوس كان هناك صاع بين الاشـــراف والعامة ولذل نجده قد اعاد تقسيم الثروة ، كما أن الحرب الميســـينية الأولـــى هـــى الأخرى كان من نتائجها خلق التوتر الاجتماعى فى المجتمع الاسبرطى لقصرهـــم إعطاء الأراضى على الاسبرطيين النبـــلاء وحرمـــان أبنـــاء الاســـبرطيات غـــير المتزوجات من اسبرطيين وأن الحرب الميسينية ووفقاً لرأى البعـــض فـــإن عامـــة الاسبرطيين لم يشاركوا فى اقتسام الغنيمة بعد الاستيلاء على جانب مـــن ميســـينيا

وإن كنا نستبعد هذا . وفى الحرب الميسينية الثانية والتى بـــرز فيـــها دور العامـــة وذلك نتيجة لتغيير أساليب التسليح فبدلاً من الاعتماد على الفرسان فقد تم الاعتمـــاد على جنود المشاة ثقيلى العدة . وفى ضوء ما سبق يمكننا القول إن غيبـــة الملـــوك لفترات طويلة فى ميادين القتال وازدياد قوة الشعب هى التـــى مكنـــت وأدت إلـــى إضافة هذه الهيئة التنفيذية إلى أجهزة الحكم . ويختلف الباحثون أيضاً حول تقريـــر عددهم إذ يرى البعض أنهم فى البداية كانوا يمثلون القبائل الدورية الرئيسية الثـــلاث أى أن عددهم كان ثلاثة ثم زيد العدد إلى خمسة فى نهاية القرن السابع ليتطابق مـــع عدد القبائل الاسبرطية والتى كانت تتطابق مع القرى الخمسة . وقـــد زادت أهميـــة مجلس الرقباء فى نهاية القرن السابع وصار قسماً من الحكومة الاسبرطية . ويـــرى البعض أن هذه الهيئة قد ظهرت اهميتها على يد الرقيب خيلون الذى اعتـــبر مـــن الحكماء الســـبعة وكان معاصراً لدورة الالعاب الاوليمبيـــة السادســـة والخمســـين (٥٥٦ – ٥٥٣) وأنه قد أوجد التعاون بين الملكين والرقباء ، ولكـــن المصـــادر لا تحدد نوع وماهية هذا التعاون . فهل كان الرقباء متساوين مع الملوك فى الســـلطة أم تابعين لهم أم فاقت سلطاتهم الملوك ؟ توجد فقرة عند هيرودوت مـــن منتصـــف القرن السادس والتى تقول اتت الأخبار للملك اريستون عن ميلاد ولد له عندما كـــان جالساً على كرسى مع الرقباء ، ربما كان كرسى العدالة . ولكن الأمر ، من الفقـــرة السابقة ، ما يزال غير واضح إذا ما كان الرقباء مساوين للملوك أم أنـــهم تـــابعين لهم.

ولكن نص ثيوكيديديس يجيب عن التساؤل إذ نجده يقول إن الرقيـــب كـــان يتمتع بسلطة القبض ، أو السجن للملك ولكن هذه الفقرة تشـــير فقـــط إلـــى ســـلطة القبض وليس سلطة الحكم والادانة . وتقدم لنا رواية هيرودوت دليلاً على العلاقـــة بين الملك والرقباء والتى نجد فيها الرقباء يحاولون إقنـــاع الملـــك أناكســـاندريديس

الذى كان متزوجا من امرأة عاقر بأن يطلقها ويتزوج من امـرأة أخـرى ، ولكنـه رفض بغضب ورد الرقبـاء على ذلك بعقد جلسـة مع مجلس الشيوخ حثـّوه فيـها على أن يحتفظ بزوجته العاقر وأن يتزوج من امرأة أخرى ، وحذّروه إذا ما رفـض فإن الاسبرطيين ربما يتخذون موقفاً غير عادى ضده وأمام هذا فقـد قبـل الملـك نصيحتهم. وهذه الرواية تظهر أن الرقباء ومجلس الشيوخ قد أجبروا الملـك علـى الانحناء للارادة المزدوجة للرقباء ومجلس الشيوخ ولكن الامر هنا يشـير إلـى أن الملك يستجب لكل من الرقباء ، ومجلس الشيوخ إلا بعد أن هددوه بعـرض الأمـر على الشعب الاسبرطى وربما يأخذون موقفاً . وهنا يثور سؤال من صاحب السلطة لمحاكمة ، ومحاسبة الملك هل الرقباء أم مجلس الشيوخ أم الجمعية الشعبية ؟ مـن النص نفهم أن الجمعية الشعبية هى صاحبة القرار النهائى ، كما أن النـص يشـير إلى أن الرقباء كانوا يأخذون المبادأة الأولى لصالح الدولة فإذا ما فشلوا فـى اقنـاع الملك كان يتجهون إلى مجلس الشيوخ ، فإذا ما أقنع الرقباء مجلس الشيوخ برأيـهم كان يعاضدهم ، ويساندهم ، وإذا ما رفض الملك رأى ونصيحة الرقبـاء والشـيوخ كان يعرض الأمر على الجمعية الشعبية لاتخاذ القرار . ونفهم أن الملك كان يحـال للمحاكمة إلى الجمعية الشعبية فى حضور الرقباء ومجلس الشـيوخ . ويؤكـد دور الشعب هنا حادثة أخرى سنة ٤١٨ ق.م عندما كان الجيش الاسبرطى فى مواجهـة جيش أرجوس وتصور الملك أجيس أن الجيش الاسبرطى سيلقى هزيمة ففضـل أن يعتمد على الدبلوماسيين بدلاً من المعركة ، وقد تبعة الاسبرطيون وحلفـاؤهم إلـى الوطن بسبب القانون وهو أن الملك له القيادة العليا فى ميدان المعركة ولكنهم كـانوا غير راضين عن ادائه وتصرفه ، وبعد عودتهم للوطن كانت الاخبار قد انتشـرت حول سياسة الملك الخاطئة وتجمع الاسبرطيون وصاروا يداً واحدة وقـرروا فـى غضب تدمير منزل الملك وفرض غرامة عليه قدرها ١٠٠ الف دراخمـة ، ولكـن

الملك طلب منهم ألا يفعلوا وينفذوا ذلك على الأقل حتى يدافع عن نفسه ، ويبدو بعد أن دافع الملك عن نفسه وشرح وجهة نظره ، فقد الغوا الغرامة وقرار هدم المنزل ولكن مرروا قانوناً والذى يضع قيوداً على سلطاته كقائد وهذا يشير إلى سلطة الجمعية الشعبية فى زمن الغرامات وتقرير العقوبات على الملوك . وفى حادثة أخرى وقعت فى سنة ٢٤١ ق.م حيث نجد أن مشروع الاصلاح الذى قدمه الملك أجيس الرابع قد أثار القلاقل والاضطرابات مما اضطر أحد الرقباء إلى القبض عليه كى يقدمه للمحاكمة أمام مجلس الرقباء ومساعدة الاسبرطيين ووضعه فى السجن ، ولكن حصار الملك ليونديس للسجن لم يغير من الأمر شيئاً . فلم يرهب هذا الاجراء الرقباء إذ نجدهم قد ذهبوا إلى السجن ودعوا بعض الشيوخ لعقد المحاكمة والتى قضت بالفعل بموت أجيس ، وطالب أقارب الملك أن تتم محاكمة أقرانه من الموظفين ولكن هذا المطلب لم يتحقق إذ تم اعدام الملك على يد امفاريس Amphares ؛ بل نجده قد أدخل اقاربه السجن وقتلهم . ويرى البعض أن الرقيب خيلون قد أدخل مادة فى الدستور الاسبرطى تخول للرقباء الحق فى أن يخلعوا الملوك إذا ما اقتضى الأمر ذلك ولعل اليمين المتبادل بين الرقباء وبين الملكين هو أوضح دليل على ذلك ، كما أن نظر الرقباء فى السماء كل تسع سنوات من حكم الملكين لمعرفة إذا ما كانا قد اجادا أو فشلا فى أداء مهامهما فإذا ما ثبتت فشلهما كان يتم عزلهما إلى أن تأتى نبوءة بعكس ما لاحظه الرقباء . وهنا نجد سلطة الرقباء على الملوك كبيرة ويؤيد هذا أيضاً أن الملك كليومينيس قد تعاون مع الرقباء فى تبادل الرأى والمشورة بشأن مديد المساعدة لمايلندريوس M aeandrius الساموسى الذى كان الفرس قد طردوه ، ولكن رأيهما كان واحداً وهو ألا يساعدوه بل يطردوه . . وهنا اشارة إلى مقاسمة الرقباء الملكين فى اتخاذ القرار .

لقد استمد الرقباء القوة والسلطة من الدستور ولانهم كانوا يمثلــون الشــعب الاسبرطى ، فقد اصبحوا بسرعة المدراء الرئيسين بالدولة ، وكان رئيــس مجلــس الرقباء هو الحاكم المدنى الذى تؤرخ السنة باسمه ، وقد تفاقمت سلطتهم واصبحــت تضاهى سلطة الملوك فى منتصف القرن السادس ولكن بعد ذلك اصبحت ســلطتهم فوق سلطة الملوك وهذا ما يؤكده الحصول على القسم مــــن الملكيــن ، ومراقبــة السماء كل تسع سنوات لمعرفة إذا كانت الآلهة راضية عن اعمـــال الملــك أم لا ، وكما نعرف فقد صار اثنان منهم يصاحبون الملك فى الحملات العســـكرية وذلــك لمراقبة تصرفاته ، وكانوا مسئولين عن حشد الجيش الاسبرطى واســتدعاء قــوات الحلفاء ويقررون من الذى ينبغى استدعاءه للجيش ، وكـــانوا يســتقبلون الســفراء للاجانب ويقدمونهم إلى الجمعية الشعبية ، كما أصبح لهم الحق فى دعوة كــل مــن مجلس الشيوخ والجمعية الشعبية للانعقاد ، وأنهم أصبحوا هــم وحدهــم أصحــاب السلطة فى إدخال واقتراح مشروعات القوانين أمام الهيئات السالفة الذكــــر ، كمــا كان عليهم تنفيذ القرارات الصادرة عن مجلس الشيوخ والجمعية الشـــعبية وكــانت سلطتهم مطلقة على الموظفين الأدنى أيضاً . كما كان اول أوامرهم أو مراســـيمهم الرسمية بعد توليهم السلطة للموظفين هو أنه عليم أن يقصوا شــعورهم ويحــترموا القوانين .

وفى المجال القضائى فقد كانوا يستمعون لأغلبية القضايا المدنية (مثل حقــوق ملكية وإرث والحقوق العائلية) ، كما نجدهم قد شكلوا بالتعاون مع مجلس الشـــيوخ محكمة تعرض امامها القضايا الجنائية ، وعلى ما يبدو فقد اشـــرفوا علــى تعليــم الشباب وحفظ النظام الاجتماعى ، ومن اختصاصاتهم أيضاً ادارة شــئون الحلفــاء وتعيّن الشرطة السرية لمراقبة الهلوتيس ويحق لهم أن يطــردوا مــن البــلاد كــل غريب ، وفى الواقع فإن مظاهر قليلة فى الحياة الاسبرطية هى التى لـــم يُشيــرفوا

عليها أو يمارسوا سلطتهم عليها . ولما كانت الشريعة الاسبرطية غير مكتوبة فـإن بعض الكتاب القدامى قد شبهوا الرقباء بالطغاة ، فنجد أرسطو لا يقبل فكرة أن الرقباء يحكمون بمفردهم فى القضايا العامة دون الرجوع إلى نصوص مكتوبة ويصدرون الاحكام طبقاً لتقديرهم الخاص ولذلك يتفق هنا مع اكسينيفون وافلاطون فى تشبيهه وفى ضوء ما سبق عرضه فإن الرقباء كانوا موقف ضعيف مقارنة بالملوك لانهم معينون سنوياً بينما الملك مستمر فى الحكم ويملك زمام السلطة ، وأن الرقيب عندما يترك كرسى الحكم فإنه يصير مواطناً عادياً بينما الملك يمسك بزمام الحكم ، ولذا فمن المحتمل أنهم لم يقفوا ضد الملوك الاقوياء . ولكن لا يمكن قبول هذا الرأى فى ضوء السلطات الواسعة التى تمتع بها الرقباء . كما أن المصادر تذكر دائماً ملوكاً تم عزلهم بينما تصمت عن الرقباء ، كما أن أحدهم وهو خيلون قد صُنف بين الحكماء السبعة . كما أن عدم شيوع ذكرهم فى المصادر يعود إلى أنهم يشغلون المنصب لمدة عام ، ولذا كان أسهل على الغرباء أن يذكروا أو يتذكروا اسماء الملوك الذين يحكمون لفترة قد تطول بدلاً من يذكر اسماء رقباء يتغيرون كل عام ، كما أن أهمية الرقباء تتضح من أن رئيسهم تؤرخ باسمه السنة التى تولى فيها كرسيه . وكان يتم انتخابهم فى الجمعية الشعبية وكان يتم اختيارهم بطريقة الصياح فمن يحصل على أعلى صياح فهو الكاسب ولكن إذا كان حجم الصياح متساوياً كان الرقيب يقوم بإجراء تصويت بأخذ الاصوات ، وكان الاسبرطيون يوافقون تماماً على أن يكون لمسئوليهم هذه السلطة . ومن كان يشغل الوظيفة من المرشحين كان لا يعاد ترشيحه مرة أخرى ، مما يعنى التوسع واتاحة الفرصة أمام الجميع لشغل الوظيفة . ويرى الكثير من الكتاب القدامى أن الرقباء بسبب انتخابهم من قبل كل المواطنين فى الجمعية الشعبية يمثلون الوجه الديمقراطى للدستور الاسبرطى ، ولعل هذا يكون حقيقة خاصة عندما أصبحوا

لأول مرة موظفين هامين وبعد أن تنامت سلطاتهم وقوتهم مع نهاية القرن السـابع . وكان ذلك لصالح الشعب على حد قول بلوتارخ ، ويقول أحد الكتاب أن الرقباء فـي نفس الوقت قد جعلوا الارستقراط أكثر قوة ، وقد رأى البعض أن الرقباء كان يتـم اختيارهم من بين الفقراء غالباً وبسبب فقرهم كانوا يقبلون الرشـا ، ولكنـه طبقـاً للقانون فإن كل اسبرطى كامل الاهلية كان من حقه أن يرشح نفسه لشغل الوظيفـة ، ولذا يمكننا القول أن شاغلى الوظيفة لم يكونوا دائماً من الفقراء بل كان مـن بينـهم أغنياء أيضاً وإذا كان البعض يتهمهم بالرشا وأن هناك ملـوك قـد قبـض عليـهم لارتشائهم وهم فى حالة تلبس ، فهل كان الرقيب المرتشى يتم فصله وعقابـه كمـا كان يعاقب مثل الملك ؟ لعله من المؤكد أن هذا هو القاعدة التى كانت تُطبق علـى الجميع .

ثانياً : المؤسسات ذات الطبيعة التشريعية

أ – مجلس الشيـو خ :

كان المجلس يسمى الجروسيا Gerousia والمصطلح يعنى الشيخوخة وكـان اعضاؤه يسمون Gerontes . وكان هذا المجلس مكون من ثلاثين عضـواً ومـن بينهم الملكان. ولا يوجد تفسير مقنع قد تم العثور عليه لتحديد العدد المنتظم الدائـم وهو ٢٨ عضواً . وإن كان بلوتارخ يقدم تفسيراً لذلك إذ يقـول "أنـه لمـا كـان ليكورجوس يريد تنفيذ اصلاحاته اختار ثلاثين رجلاً من علية القوم ، ولكن رجليـن من الثلاثين رجلاً الذين كان قد اختارهم تولاهما الخوف وابتعدوا عن المشـروع . بينما يؤكد اخرون أن العدد الذى أُختير من البدء هو ثمانية وعشرون رجلاً . وأنـه إذا ما أضيف الملكان صار العدد ثلاثين رجلاً ويوضح بلوتـارخ أن ليكورجـوس كان هو المسئول عن انشاء الجروسيا وأن ذلك قد أكدته الريترا التى تلقاها المشـوع من الاله أبوللو وحياً . وبالتأكيد فإن بلوتارخ كان مخطئاً فى اسناده انشاء المجلـس

لليكورجوس لأن الملوك الأول يجب أن يكون عندهم مجلس للشيوخ سببه لتلك المجالس التى وجدت فى المدن اليونانية الباكرة والتى سبق أن نوهنا اليها ، ومع ذلك ، فمن المحتمل فعلاً أن عضوية وسلطة الجروسيا قد تأكدت وتحددت ماهيتها فى فترة وضع الريترا موضع التنفيذ والتى أُعتبرَت كميثاق لحكومة الجمهورية الاسبرطية .

وقد تحددت أهمية مجلس الجروسيا منذ انشائه على حد قول بلوتارخ نقلاً عن افلاطون ، إذ يقول فقد كان قوة تشارك الملوك فى سيادتهم لتهذب من حيرتهم ولا يقل سلطان المجلس عن سلطان الملوك ، يمهد للحكومة فى الأوقات العصيبة وسائل السلام ونصائح الحكمة . كان دأب الحكومة أن تسبح فى لجج من الاضطراب يميل بها الملوك إلى الاستبداد ويجتذبها الشعب إلى الديمقراطية . وقف مجلس الشيوخ بين هاتين القوتين المتعارضين قوة ثالثة تحفظ التوازن بينهما ، وبذلك استقرت الحال واستقامت الشئون .

وقد تحددت شروط عضوية المجلس بألا يقل عمر المرشح للوظيفة عن ستين عاماً وكان يتم شغل عضوية المجلس بالانتخاب فيما عدا عضوية الملكين التى كان شغلها مرتبط بمنصب الملك . وأن عضوية الملك لم يكن يشترط فيها وصوله إلى سن الستين إذ يصبح عضواً فيها بمجرد توليه كرسى الحكم وهنا نقول أن العضوية هنا وراثية ، ولكن هل كان يحق لكل اسبرطى من الذين بلغوا سن الستين التقدم للترشيح لشغل العضوية الشاغرة فى المجلس ؟ يرى نفر من الباحثين أن من حق كل اسبرطى بلغ سن الستين أن يرشح نفسه للانتخاب واصحاب هذا الرأى قد تأثروا بأسطورة تساوى كل الاسبرطيين وينكر أن هناك مجموعة متميزة من الاسبرطيين بيد أن لدينا العديد من المصادر القديمة والتى تؤيد بشكل جلى أن هناك مجموعة متميزة من الاسبرطيين شكلت الفئة الارستقراطية الاسبرطية فيقول

اكسينيفون "أن الرجال العظام هم الأغنياء بينما الرقبـاء ذوى السـلطات المشـابهة للطغاة من الفقراء فى أحوال كثيرة على الأقل" ويقول أرسطو فى كتابـه السياسـة "والسبب الثانى لوصف اسبرطة كدولة ديمقراطية هو حق المواطنيـن أن ينتخبـوا اكبر هيئتين وهما مجلس الشيوخ وأنهم هم انفسهم لهم الحـق فـى تولـى وظيفـة الرقباء" وهذه العبارة تثبت بشكل واضح أن المواطنيـن فـى الجمعيـة يمكـن أن ينتخبوا بعض الرجال للجروسيا ، وليس هم أنفسهم ، وفى موضع آخر يقـول فـى تعليق على الحاجة إلى كل العناصر فى الدولة كى تكون مقتنعة بالدستور ، إذا مـا كان ينبغى أن يبقى ، يلاحظ أن هذه الحالة موجـودة فـى اسـبرطة ، بسـبب أن الملكين كانا راضيين بالتكريم الذى يسبغ عليهما مـن قبـل الارسـتقراط Kaloi Kagathoi مع الجروسيا ؛ فقد كانت هذه الوظيفة هبة أو مكافأة للسمو ، والشـعب مع الرقباء ، وكان يحق للجميع الترشـيح لـها . كمـا توجـد عنـد هـيرودوت وثيوكيديديس وارسطو وبلوتارخ اشارات عديدة عن الاسبرطيين الاثرياء ولذا فقـد كان هناك ارستقراطية بين الاسبرطيين . ومـن المرجـح أن هـؤلاء الاعضـاء للاثرياء بالجروسيا كانوا هم المسئولون بشكل شائع عن رشوة الرقباء والتى اشـار اليها أرسطو ، وهذا قد جعل نظام الرقباء يقوى الارسـتقراطية ، وكمـا أوضـح بلوتارخ أن هؤلاء النبلاء بالسيطرة على الجروسيا بممارسة النفوذ والتـأثير علـى الرقباء والموظفين الآخرين ، كنوا هم القوة الحقيقة فى دولـة اسـبرطة ، ويقـول ديموستينيس فى تعليقه على الانتخاب لمجلس الشيوخ يصبح الرجل السيد المطلـق للكثيرين .

قصارى القول أن هناك نفر مـن الاسـبرطيين شـكّلوا ارسـتقراطية بيـن الاسبرطيين وأن ثروتهم قد فاقت ثروة الاسـبرطيين الآخريـن ، كمـا أن هـؤلاء الارستقراط هم الذين يتم انتخابهم لمجلس الشيوخ وهذا ما يؤكده قول بلوتارخ أنـه

إذا ما توفى شيخ انتخب بدلاً منه اوفر المواطنين فضلاً ممن تجاوز سن الستين وكان التنافس معركة من أمجد المعارك فى العام وخير ما تبذل فيه جهود المتنافسين ، لم يكن القصد انتخاب انشط النشطاء ولا أقوى الأقوياء بل أحكم الحكماء وأفضل الفضلاء ، يستمتع المُنتخب طوال حياته بأجر الفضيلة ، وهو السيادة المطلقة فى الحكومة . . . الخ .

كانت طريقة انتخاب اعضاء المجلس طريقة بدائية طفولية فى نظر أرسطو بينما اعتبرها بلوتارخ طريقة نموذجية ، وقد قدم لنا وصفاً للعملية الانتخابية وما يليها بالكلمات الآتية "يجتمع الشعب فى الساحة العمومية ويجتمع المختارون المرشحون فى غرفة مجاورة لا يرون أحداً ولا يراهم أحد ولكنهم يسمعون هتاف وصياح الجماعة لأن الشعب كعادته يعطى صوتاً عالياً . ولا يرى المرشحون سوى المكتوب على لوحة الدرجات الأول والثانى والثالث وهلم جرا . ولا يدخل المتنافسون دفعة واحدة بل يجتازونه الواحد تلو الآخر صامتين فمن كان موقن كان الهتاف له أكثر وأقوى كان المنتخب فيتوج بإكليل من الزهور ، م يذهب إلى الهيكل ليقدم الشكر للآلهة ، يمشى خلفه جماعة من الشبان يثنون على شمائله ويطرون فضائله ، ثم طائفة من النساء تنشد الأناشيد تهنئة بحياته الفاضلة ، ثم يعد له كل أصحابه طعاماً ويقولوا له أن المدينة تكرم فضله بهذا الطعام ، وبعد أن يزورهم جميعاً ، يعود إلى الساحة العمومية حيث يقضى الشئون عادة ، غير أنهم يعدون له وجبتين من الطعام فيترك واحدة منها بينما يتناول الأخرى فى العشاء وبعد تناوله العشاء تحضر ذات قرباه يقفن عند أبواب الساحة فيدعو أكثرهن احتراماً فى نظره يقدم اليها الوجبة الثانية قائلاً "أعطيت هذا جزاء الفضيلة وبهذه الصفة أقدمها إليك" ، فتصحبها النساء إلى منزلها وتكون هى أيضاً موضعاً للحفاوة والتكريم . وإذا ما صار الاسبرطى عضواً فى المجلس فإن عضويته كانت أبدية ،

وكان لا يقبض عليه بسبب كلمات أو أقوال أى أنه كان يتمتع بالحصانة طالما التزم الطاعة للقوانين ونواميس الدولة .

كان المجلس يتمتع بسلطات واسعة فى الدولة فكان ينظر بالدرجة الأولى فى شئون السياسة الخارجية ، كما كان يعد مشاريع القوانين التى يتم عرضها على الجمعية الشعبية بعد أن يكون قد درسها ، كما كان من حقه هو والملك الاعتراض على قرارات الجمعية الشعبية ، ولكن هذا الحق شاركهم فيه فيما بعد الرقباء . وكان الرقباء يترأسون جلساته وليس الملكين . كما كانوا هم الذين ينفذون القرارات الادارية للمجلس وانهم كانوا هم الذين ويقدمون للجمعية مشروعات القوانين لقبولها أو رفضها .

وقد خدم المجلس كهيئة قضائية ، فقد كان له الولاية فى القضايا الجنائية وقضايا الاعدام . وإن كان الرقباء قد شاركوه النظر فى القضايا كما كان له حق النصح للملك فيما يتعلق بمستقبل الملكية إذ نجده ينصح أحد الملوك كى يتزوج زوجة ثانية لأن زوجته الأولى عاقر ورغم نصيحته بالتهديد ، ولعل السبب فى ذلك الرغبة فى أن تكون له ذرية يخلفه أحدها على العرش وقد خضع الملك لتهديد المجلس والرقباء .

لقد كان هذا المجلس مجلساً محافظاً إذ لم يكن رجعياً ، وفى الحقيقة فإنه يمثل الوجه الاوليجرخى الارستقراطى فى اسبرطة . وبعد أن عرضنا لهذا المجلس ننتقل الآن للحديث عن الجمعية الشعبية .

الجمعية الشعبية :

كما هو الحال فى المدن اليونانية الأخرى فإن الدستور الاسبرطى قد احتوى على الجمعية الشعبية كركن من أركان النظام السياسى . كانت الجمعية الشعبية

تضم المواطنين الكاملو الأهلية الذين بلغوا سن الثلاثين واجتازوا مراحل التدريب والخدمة والتى يفرضها القانون ويقال أن عدد اعضائها فى أزهى فترات ازدهار المدينة قد بلغ عشرون الفاً ولعل فى هذا الرقم بعض المبالغة . لأن عدد الاقطاعات تتراوح ما بين عشرة وتسعة الاف قطاع . وحيث أنه لا يوجد دليل يؤكد على أن هذه الجمعية قد سميت Apella فمن الافضل أن نستعمل المصطلح العام وهو الاكليزيا Ecclesia .

كانت الجمعية الشعبية تلتقى مرة كل شهر عندما يكتمل القمر أى فى منتصف الشهر القمرى . وكان يتولى رئاستها فى البداية الملوك ولكن فى العصور التالية انتقلت رئاستها ودعوتها للانعقاد للرقباء .

وكانت الجمعية الشعبية تقوم بانتخاب اعضاء مجلس الشيوخ واعضاء مجلس الرقباء والموظفين الآخرين وذلك بطريقة الصياح . وكان يعرض عليها المسائل التى تهم المواطنين مثل اعلان الحرب أو اقرار السلم أو عقد محالفة مع مدينة من المدن الأخرى ، وكان يعرض عليها مسألة وراثة العرش حيث يكون هناك خلاف حول شخص الوريث . كما كان يعرض عليها مشاريع القوانين المقدمة من الملكين والشيوخ والرقباء للموافقة عليها أو رفضها . وفى البداية كان من حق الملكين والشيوخ الحديث أمامها ، ولكن على ما يبدو حدث فى موقفها وناقش اعضاؤها مشاريع القرارات المقدمة اليهم وحاولوا تعديلها أو تبديلها وهذا قد أدى إلى اضافة ملحق الريترا والذى يمنح الملكين ومجلس الشيوخ الحق بفض الاجتماع إذا ما شعروا أن الجمعية قد تقر أموراً خاطئة ، وبهذا التعديل فإن ما تقرره الجمعية لا يصبح نافذ المفعول إلا بعد موافقة الملكين ومجلس الشيوخ وهذا يعنى أن سلطتها سلطة اسمية ، ولكن وجود نظام الرقباء قد أضاف لها ثقلاً كبيراً وقد دار جدلاً بين الباحثين حول من له أهمية أكثر مجلس الشيوخ أم الجمعية

الشعبية ؟ فقد رأى أرسطو أن مجلس الشيوخ كان له وزن كبير بينما الجمعية الشعبية لم يكن لها أهمية كبيرة . وقد تبعه نفر من المؤرخين المحدثين فى هذا الرأى وحاولوا أن يتبنوه ، فعلى سبيل المثال فنجد أن المؤرخ De Sle Croix يعلى من دور الجروسيا واهميتها فى مجال المحاكمات السياسية ، واقتراح القوانين والاعتراض على ما تبديه الجمعية الشعبية من تعديلات فى مشاريع القوانين المقدمة من مجلس الشيوخ ، وأن الاسبرطيين العادين لم يكن لهم سلطة الحديث فى الجمعية سوى الملكين واعضاء مجلس الشيوخ والرقباء . وأن الجمعية الشعبية لم يكن لها سلطة اقتراح القوانين . ويقول موسى فينى "هل يمكن أن نتصور أن الجنود الاسبرطيين المطيعين والملتزمين أن يتخلوا عن عاداتهم فى مثل هذه المناسبات عندما يجتمعون ليس كجنود وإنما كمواطنين ، بينما هم يستمعون للمناقشة بين هؤلاء الذين علموهم أن يأخذوا الأوامر بدون نقد أو تردد" ولذا فهو يقترح أن وظيفة الجمعية الشعبية فى اسبرطة اقرب إلى وظيفة الجمعية الهومرية .

ويعارض هذا الرأى نفر أخر من الباحثين . إذ يرون أن المصادر التاريخية ، على العكس ، لا تقدم إلا القليل حول الجروسيا ولكنها تحتوى على الكثير من المادة حول الجمعية الشعبية . فالجمعية هى التى تنتخب هؤلاء الشيوخ والرقباء وحسم الخلافات حول وراثة العرش إن كان هناك خلاف ، كما أن السلطة المخولة لها فى إقرار القوانين تعنى أنه لا يمكن أن يصبح هناك قانون سارى المفعول دون أن يلقى القبول والتصديق عليه من قبل الجمعية الشعبية . وإذا كان مجلس الشيوخ هو الذى يدير جانب من السياسة الخارجية فإن مخاطبة السفراء للجمعية الشعبية يشير إلى أن رأى الجمعية كان له ثقله ووزنه ، وفى ضوء المادة فإن الجمعية كان لها سلطة ما فى التعديل وأخذ زمام المبادرة . ففى صيف ٤١٨ ق.م عندما كان جيش اسبرطى بقيادة الملك أجيس ذاهب لقتال أرجوس ولكن

الملك رأى أن يستخدم الدبلوماسية بدلاً من خوض الحرب ضد أرجوس وذلك خشية أن يلقى الهزيمة ، وبالفعل قرر الانسحاب ، وعلى الرغم من عدم رضا الاسبرطيين وحلفاؤهم عن قرار الملك إلا أنهم تبعوه إلى الوطن تنفيذاً للقانون إذ أن الملك كانت له القيادة العليا والسلطة المطلقة في ميدان المعركة . وبعد أن عادوا إلى الوطن فإن الاخبار قد وصلت عن أفعال وتصرفات الملك كانت خاطئة وعلى حد وصف ثيوكيديديس فقد أصبح الاسبرطيون أكثر تقارباً أى اجتمعت كلمتهم ، وقرروا وهم في حالة غضب ، وهذا ضد طبيعتهم ، أن يدمروا منزل الملك أجيس وأن يغرموه مائة الف دراخمة وطلب الملك منهم الا ينفذوا ما قرروه الا بعد الاستماع إليه والدفاع عن نفسه وبالفعل فقد عدلوا عما قرروه بشأنه ولكن مرروا قانوناً والذى بمقتضاه قد فرضت بعض القيود على سلطات الملك كقائد ، كما أن مجلس الرقباء كان هو المحرك للدولة كلها فكانوا هم الذين يرأسون المجلسين عند انعقادهما . كما أن قصة الملك الذى تزوج بعاقر والتى سبق أن ذكرناها أن الرقباء حاولوا اقناعه بتطليقها ثم مع السموح بأن يتزوج عليها لتمسكه بها وهددوه إذا لم يفعل فسوف يحتكمون للشعب أى الجمعية الشعبية ما يشير إلى سلطة الجمعية الشعبية . وفى النهاية يمكننا القول أن اجهزة الحكم والاجهزة التشريعية الاسبرطية كان يكمل بعضها بعضاً كما أن السلطات المخوله للأجهزة التنفيذية والتشريعية لم تكن ثابتة ومقصورة على هيئه بل نجد تبدل في السياسة والسلطات وكل ذلك قد حدث لصالح الدولة وليس لصالح هيئة على هيئه أو مجلس على مجلس . وبعد أن عرضنا لأركان النظام السياسى الاسبرطى ننتقل الان للحديث عن ملامح النظام الاقتصادى والاجتماعى الاسبرطى .

النظام الاقتصادى :١ – حيازة الارض

لمّا كان النظام الاقتصادى والاجتماعى يرتبط بنظام الارض وحيازتها ، فإنه

من الضروري أن نعرض لمشكلة الارض المُحيرة . إن أفضل وأكمل عرض لنظام الاراضى فى اسبرطة قد دونّه لنا بلوتارخ فى حياة ليكورجوس والذى سنذكره هنا كاملاً إذ يقول "والثانى من انظمة ليكورجوس هو تقسيمه الاراضى . كان عدم التساوى بالغاً أشده لا يملك الكثيرون شيئاً ولا مورد لهم وهم سواد المواطنين ، بينما أن الثروة كلها مستفيضة بين أيدى نفر قليل العدد ، عمد ليكورجوس رغبة فى اجتناب الاعتداء والحسد والبخل والفخفخة وما هو أضر منها بالحكومات أى الغى والفقر إلى اقناع الاسبرطيين بالنزول عن اراضيهم وتقسيمها من جديد وجعل كل الثروات على قر واحد ومساواة تامة ، تتولى الفضيلة وحدها توزيعها إذ لافرق بين الناس الا ما يخجل وحبهم للخير ، نفذ المشروع وذلك بتقسيم ليكورجوس اراضى لاكونيا إلى ثلاثين ألف اقطاع لأهالى الريف (أى الحلفاء) وتسعة آلاف لأهالى اسبرطة مراعاة لعدد الاسبرطيين الداخلين فى القسمة . ويزعم البعض أن ليكورجوس لم يزد عدد نصيب الاسبرطيين عن ستة الف اقطاع ثم أضاف اليها الملك بوليدوروس ثلاثة آلاف اقطاع ، ويزعم البعض أن وضع نصف التسعة آلاف اقطاع والآخر النصف الثانى من الاقطاعات . وكل اقطاع كان ينتج سبعين ميدمينوس من الشعير لكل رجل واثنى عشر ميدمينوس لكل امرأة مع ما يماثلها من الثمار السائلة (أى النبيذ وزيت الزيتون) وفى هذا القدر ما يكفى لحياتهم فى طمأنينة وصحة وما يسد حاجتهم وحدث بعد ذلك بسنوات أن ليكورجوس مر بلاكونيا وهو عائد من رحلته وكان ذلك ابان الحصاد وإذ رأى أكوام الحزم مصفوفة صفوفاً منتظمة ومتساوية قال لأحد رفاقه "كان حصاد لاكونيا ميراث يتقاسمه أخوة" وسنحاول أن نحلل هذا النص فى ضوء المصادر المتاحة فى النقاط الآتية :

١- يرى البعض أن الدوريين كانوا رعاة وقت وصولهم إلى بلاد اليونان وعندما

غزو الارض الزراعية فى وادى نهر يوروتاس واستولوا عليها بعد أن استرقوا أهلها . ويختلف الكتاب القدامى حول تقسيم الاراضى الزراعية فى لاكونيا فالبعض يرى أن التقسيم قد حدث بعد استقرار المهاجرين الدوريين وأن هذا التقسيم كان فى اقطاعات متساوية Klaroi ، بينما يرى البعض الآخر أن المشرع ليكورجوس هو الذى قام بهذا العمل وأنه قد قسم الاراضى الزراعية إلى قطع متساوية . وعلى ما يبدو لنا فإن توزيع الاراضى كان قد حدث منذ البداية وإن كنا لا ندرى قد كان بالتساوى أم لا ! ولعل ذكر بلوتارخ لحالة عدم ارضى والحسد والحقد بين السواد الأعظم من الاسبرطيين والحلفاء عن تلك الاوضاع مما يهدد بالقلاقل والاضطرابات ، وأنه عندما أتى ليكورجوس كانت الأرض مهيأة لتحقيق الاصلاح . ولذا فقد قام بتوزيع الارض ليس فى اسبرطة فحسب بل أيضاً فى مدن الحلفاء فى قطع وزعت بالتساوى على المواطنين الاسبرطيين والحلفاء ، ولكن على ما يبدو فقد حدثت استثناءات لتلك القاعدة إذ نجد بعض الملوك والاشراف كان لهم ضياع خاصة بهم فى زمام اراضى الحلفاء بجانب الاقطاع الممنوح لهم حيازته فى اسبرطة وهذا ما نستخلصه من قول اكسينيفون أن الملوك الاسبرطيين قد وفروا الارض فى الكثير من مدن الحلفاء ، ولكن العلماء المحدثون لا يتفقون حول معنى هذه العبارة ، إذ من المعروف أنه عندما توسع الاسبرطيون فى المناطق المجاورة للاكونيا لم يضيفوا اراضى جديدة لاراضى المدينة Politika Chora ، فقد تركوا السكان المحليين احراراً وفى نفس الوقت يبو أن هناك ضياعاً والتى صارت ممتلكات خاصة بالملوك وربما بعض الاشراف ، وفى رأينا لم يحدد اكسينيفون كيفية توفير الاراضى ، فهل تم الحصول عليها بالاتفاق مع المدن الحليفة بعد تحالفها على سبيل الهبة أم نزلت عنها تلك المدن طواعية لصالح الاسبرطيين أم أن هذه

المدن قد سمحت للملوك بشراء اراضى بها ؟ لا نستطيع فى ضوء معلوماتنا الحالية أن نرجح احتمال على آخر وأيهما أقرب إلى الصحة . وإن كان الأول قد يكون من الجائز لأن اراضى الحلفاء قد خضعت هى الأخرى للتقسيم مثلها مثل اراضى اسبرطة ، ولكن على ما يبدو أنه كان مسموحاً فى تلك المدن الحليفة التنازل عن الاقطاعات بالبيع والشراء ، ولذا فقد استثمر الملوك والاشراف ثرواتهم فى شراء اراضى فى المدن الحليفة التى كانت قوانينها تسمح بالتصرفات القانونية فى الاراضى .

٢- إن عدد المقسمة والمذكورة سواء فى لاكونيا (٩ آلاف) أو فى اراضى الحلفاء والمنسوبة إلى ليكورجوس على ما يبدو مبالغاً فيه إذ أن الكاتب قد حسب اراضى ميسينيا هنا ولم تكن قد فتحت وضمت بعد ، وهذا يكون جلياً من قوله يزعم البعض أن ليكورجوس كان قد خصص ستة آلاف اقطاع للاسبرطيين وأن الملك بوليدوروس أضاف إليها ثلاثة آلاف ، بينما يزعم البعض الآخر أن الأول وضع نصف التسعة آلاف والثانى النصف الثانى . ولعل ذكره لاضافة الملك بوليدوروس به جانب من الحقيقة . إذ أن فتح ميسينيا والاستيلاء على أراضيها الزراعية لم يتم مرة واحدة ، وإنما بعد حربين طويلتين كما سبق أن ذكرنا ، وأن إضافة هذه الاراضى قد ترتب عليها توزيعها بين الاسبرطيين والحلفاء وأن جملة ما حصل عليه الاسبرطيون بعد غزوهم لاراضى ميسينيا ليس ثلاثة آلاف اقطاع بل أربعة آلاف وخمسمائة اقطاع وأن هذا لم يتم على مرحلى واحدة وإنما على مرحلتين ، فقد حصلوا على حصة منها بعد ضمهم لجانب من اراضى ميسينيا فى الحرب الاولى والحصة الأخرى حصلوا عليها بعد اكمالهم لضم الجزء الثانى من ميسينيا فى الحرب الميسينية الثانية .

٢- يرى البعض أن الملوك والنبلاء فى الحرب الميسينية الأولى هم الذين حصلوا

على نصيب الأسد من الاراضى المخصصة كأقطاعات للاسبرطيين فى ميسينيا لأنهم هم الذين تحملوا عبء فتحها لأنهم كانوا يعتمدون على اساليب القتال الفردية والفروسية ويرون أن نتيجة لهذا أن الآشراف قد خصوا انفسهم بنصيب الاسد فقد حدث صراع فى المجتمع الاسبرطى وكان أحد أثاره هو تأسيس مستعمرة تاراس فى نهاية القرن الثامن ، مما يؤكد هذا الصراع الملحق الذى اضيف للريترا عندما عدل وحرف الشعب مشروعات القوانين المقدمة اليه ، كما أن الشاعر ترباندر قد حث الاسبرطيين واقنعهم بأن يسقطوا خلافاتهم ، وعلى الرغم من الجانب الاسطورى لهذه الرواية إلا أنها تظهر النزاعات الداخلية التى حدثت فى اسبرطة ، كما أن الشاعر الكمان قد عبر عن التوتر بين الارستقراطية والناس العاديين بقوله "إن الناس فى اسبرطة يعتمدون على طعام سيئ وبسيط" ، ولعل حالة عدم الرضا يمكن أن نستخلصها من قول أرسطو "إن بعض الاسبرطيين قد عانوا نتيجة الحرب الثانية ولهذا فقد طالبوا بضرورة اعادة توزيع الاراضى" .

ويقولون ان الحرب الثانية قد شارك فيها الجيش الاسبرطى المكون من مشاة ثقيلى العدة وأن الفقراء قد شاركوا فى القتال ونظراً لذلك فقد وافق النبلاء أن يمنحوا نسبة كبيرة من الاراضى المفتوحة للعامة . ولكن لا يمكننا قبول هذا الرأى إذ أن نظام التربية الاسبرطية العسكرية لم يكن قاصراً على النبلاء فحسب بل على جميع الاسبرطيين الخُلّص وهذا يعنى ضمان اقطاع لكل وليد سليم البدن ، ولعل نقص الاقطاعات هو الذى أدى إلى التوسع خارج لاكونيا وعلى حساب المناطق المجاورة ، فقد كان حيازة الاقطاع ضرورة من ضرورات المواطنة . وعلى ما يبدو أن عدد المواطنين قد زاد عن عدد الاقطاعات ولذا فقد اقتضت الضرورة توفير اقطاعات لهم وذلك بغزو اراضى

ميسينيا ؛ كما أن عدم الرضا من قبل الابناء غير الشرعيين من الامهات الاسبرطيات قد يكون سببه أن هؤلاء ليسوا ابناء مواطنين اسبرطيين خُلّص ولذا فقد كانوا مواطنين ناقصى الاهلية ولذا لم يحصلوا على جميع الامتيازات الممنوحة للمواطنين كاملى الاهلية . ولكى تحل اسبرطة مشكلتهم فقد سعت إلى توطينهم فى مستوطنة تارنتوم . أما عن عدم رضا الاسبرطيين الفقراء فيمكن الرد عليه أن الحلفاء قد حصلوا على حصص فى هذه الاقطاعات فى ميسينيا وايضاً خلق مجتمعات حليفة في ميسينيا وكان يمكن أن يسترقوا هذه المجتمعات بدلاً من جعلها حليفة وتوزيع اراضيها على فقراء الاسبرطيين وبذلك تتخلص اسبرطة من القلاقل التى قد يثيرها فقرائها . ويمكن أن نقول أن عدد الاسبرطيين كان قد زاد قبل الحرب الميسينية الثانية واقتضى ذلك كسب اراضى جديدة لتوزيعها عليهم وهذا ما حدث بالفعل بعد النصر على الميسينيين فى حربهم الثانية . فقد وزعت الاراضى بين المواطنين الاسبرطيين كما نجدها قد خلقت مجتمعات حليفة ايضاً فى بعض مناطق ميسينيا .

٤- إن حيازة إقطاع من الارض العامة هو شرط اساسى من شروط المواطنة ، فقد كانت الدولة تخصص اقطاعاً لكل مواطن من ابوين اسبرطيين منذ ولادته ، لأن فلسفة الدولة لا تدع المواطن يمارس أى نشاط خاص يدر عليه دخلاً أى أن ممارسة أى عمل خاص يحرمه القانون ، وفى المقابل تقدم الاعاشة الكاملة لكل مواطن منذ ميلاده وحتى بعد تكوينه اسرة وفى المقابل كانت الدولة تطلب من مواطنيها خدمة طويلة وهذه الخدمة كانت تتضمن واجبات وأعمال حكومية ومهام عسكرية أى أن المواطن كان يكرس نفسه فى المقابل فى خدمة الدولة والدفاع عنها . ولما كان محرماً عليه القيام بأى عمل غير خدمة الدولة فإن الاقطاع المخصص له كان يتم زراعته واستغلاله من قبل مزارعين مربوطين

بالارض Helots والذين كان عليهم أن يسلموا حصة محددة من المحصول وهى الحصة التى رأت الدولة أنها كافية لحياته ولاسرته . وهى ٨٢ ميدمينيس وكمية من الزيت والنبيذ والفاكهة . وكان على المواطن للمحافظة على حق المواطنة أن يتم استغلال اقطاعه والذى يتراوح مساحته ما بين ٧٤ و ٨٠ فدان. وايضاً كان ينبغى عليه أن يقدم حصة شهرية من دخل اقطاعه للمشاركة به مع رفاق المائدة من اقرانه Syssition والتى سنتحدث عنها فيما بعد . ويرى البعض أن المواطن الاسبرطى كان يحصل على ثلث غلة اقطاعه فى منطقة لاكونيا بينما فى ميسينيا كان يحصل على نصف انتاج اقطاعه ولعل السبب فى ذلك حسبما يرى البعض يعود إلى المعاملة القاسية التى تم معاملة الهلوتيس المسينيين معتمدين على وصف تيرتايوس بأنهم حملوا أعباءً مثل الحمير وذلك بعد الحرب الميسينية الثانية وقد يكون هذا الرأى جائز ولكن علينا أن نأخذ فى الحسبان أن الدولة كانت قد حددت الحصص المخصصة من الانتاج للمواطن الاسبرطى من الاقطاع ومعنى أن تفرض أعباء أعلى على زراع الاقطاعات فى ميسينيا فإنها بذلك قد أخلت بمبدأ التساوى فى الدخل بين المواطنين الذين لديهم اقطاعات فى لاكونيا وبين المقطعين فى ميسينيا . ولذا يمكننا افتراض أن التباين فى خصوبة وانتاجية التربة فى كل من لاكونيا وميسينيا فتربة الأولى كانت أكثر خصوبة من الثانية ولذا فقد كانت الحصة المحددة والمقررة ثلث المحصول بينما كانت الحصة المحددة تساوى نصف المحصول .

٥- تشير الروايات القديمة إلى أن عدد المواطنين كان فى تناقص مستمر فكيف كان ذلك ؟ وفقاً للروايات القديمة كان عدد المواطنين الاسبرطيين الذكور يتراوح ما بين تسعة آلاف وعشرة آلاف وعلى ما يبدو أن عدد التسعة آلاف كان بعد أن ضمت اسبرطة لاراضى ميسينيا إذ بلغ عدد الاقطاعات تسعة آلاف

اقطاع . ويقول هيرودوت أنه فى سنة ٤٨٠ كان عدد المواطنين الاسبرطيين ثمانية آلاف مواطن ، وهنا نلاحظ تناقص العدد بشكل مضطرد وهذا يؤكده حرص الاسبرطيين على عقد الصلح مع أثينا سنة ٤٢٥ حتى يستردوا مائة وعشرون اسبرطياً تم اسرهم فى معركة اسفاكيتريا . واستمر هذا العدد فى التناقص إذ يقدر الكتاب أن عدد الاسبرطيين فى عام ٣٧٠ كان يتراوح ما بين ١٥٠٠ و ٢٠٠٠ مواطناً ، وهذا التناقص فى عدد المواطنين يدفعنا للتساؤل حول كيفية عمل وتنفيذ نظام منح الاقطاعات عبر الاجيال ؟ يقدم لنا بلوتارخ فى حديثه عن حياة ليكورجوس صورة عن كيفية عمل هذا النظام إذ يقول "إذا ما فحص مواطنو الدولة الطفل الحديث الولادة ووجدوه صحيح البدن يأمرون الأب بأن يرعاه ويخصصون للطفل اقطاع من التسعة آلاف اقطاع . وهذا يعنى أن الدولة كانت تشرف على الاقطاعات التى لم يتم تخصيصها بعد أو الاقطاعات التى كانت تؤول اليها بعد موت حائزيها . فعندما يموت الأب كان الابن لا يرث اقطاعه بل كان يعاد للدولة لأن هذا الابن كانت الدولة قد خصصت له اقطاعاً فى حياة ابيه ووفقاً لقانون المساواة فلا يفترض أن يحوز أحد القطاعين من الأرض العامة فى اسبرطة . أما إذا كان الأب له عدة ابناء ذكور أصحاء البدن ، فإنه كان من حق كل واحد منهم الحصول على اقطاع ولعل نقص الاقطاعات فى لاكونيا فى القرن السابع هو السبب فى غزو ميسينيا والاستيلاء على اراضيها الزراعية وتقسيمها بين المواطنين الاسبرطيين الخُلّص والذين لا توجد لهم اقطاعات فى اراضى لاكونيا .

٦- أن نظام منح الاقطاعات لم يبق مستقراً وثابتاً بل شهد تطورات وتغيرات ونستخلص هذا من بلوتارخ الذى يشير إلى أنه قد سمح للأب أن يترك لابنه اقطاعه أى أن هذا الابن أصبح يرث حيازة اقطاع ابيه ، ومن الواضح هنا أن

رب الاقطاع كان لا يملك القطاع ملكية رقبة ولكن كان له حق الحصول على الحصة المقررة من انتاج الاقطاع وأن ما نزل عنه لابنه هو أن نزل عن حقه فى الحصول على هذه الحصة . ولعل السبب فى هذا التطور هو تناقص عدد المواطنين الاسبرطيين على نحو حاد ، فقد كان على الدولة ، فى البداية ، عندما كان اعداد مواطنيها كبيرة ، أن تشرف بحزم وصرامة على عملية توزيع وتخصيص الاقطاعات حتى تضمن الحصول لكل مواطن على اقطاع ، ولكن ماذا حدث مع النقص الحاد فى السكان فى مقابل مساحات الاقطاعات التى لا حائز لها . إما أنها كانت تتلقى حصة الدخل منها مباشرة وإما أنها لتشجيع المواطنين على الانجاب قد منحتهم الحق فى النزول عن الحيازة لبنائهم بجانب ما تخصصه لهم من اقطاعات وهنا على ما يبدو أن قبضة الدولة قد خفت بالنسبة لنقل حيازة الاقطاع . ويقول أرسطو أن ليكورجوس قد جعل من العار من العار بيع الاقطاعات بالنسبة للاسبرطيين ويؤكد هذا القول الفيلسوف هيراقليديس بونتيكوس (من القرن الرابع)بقوله "إنه يُعد عاراً للاكيدايمونيين أن يبيعوا الاراضى ولم يكن مسموحاً بيع الجزء القديم "Archaia morira" وقد فسر أحد الباحثين قول هيراقليديس على النحو التالى : أنه من المفترض أن بعض الاسبرطيين الحائزين على اقطاعات فى ميسينيا كانوا قد باعوها كما أن المقصود بالارض القديمة هنا اقطاعات الاسبرطيين فى لاكونيا . وهذا التفسير قد يكون فيه جانباً من الحقيقة خاصة عندما تحدث من أن الارض القديمة المقصود بها ارض لاكونيا . بينما فيما يخص الاقطاعات فى ميسينيا قد يكون قد جانبه الصواب فى اعتبار أن الاسبرطيين الحائزين على اقطاعات فى ميسينيا يمكنهم التصرف بها . ولعل المقصود هنا هو أن بعض الاسبرطيين كانوا يملكون اقطاعات فى اراضى الحلفاء ولعل المقصود هنا بيع شالشه

لاراضيها فى تلك البقاع كان يُعد عاراً بينما كان التحريم هنا يخص الاقطاعات التى تخصصها الدولة . ولكن هذا التحريم لم يدم إذ حدث تطور فى الاوضاع بالنسبة للاقطاعات فى لاكونيا ذاتها فنجد هناك من يعطون أو ينزلون عن اقطاعاتهم فى لاكونيا . وعى حد قول أرسطو كان من نتيجة هذه التطورات أن خمس مساحة الارض قد لآل للنساء لأن هناك الكثيرين الوريثات ولأن المهور كانت مرتفعة . . . الخ . وقد حدث هذا التطور فى مستهل القرن الرابع وهذا ما حدثنا به بلوتارخ فقد روى أن الرقيب بيتاديوس قد شرع قانونا (Rhetra) وبمساعدة الاقوياء ، جعل من الممكن للرجل أن ينزل أو أن يعطى منزله ومتعلقاته واقطاعه لمن يريد فى حياته وأن ينزل عنهم بوصية . وكان من نتائج هذا القانون أن الاقوياء الاغنياء قد استفادوا من هذا القانون واستغلوه ، والذى سرعان ما أوضح الابطال الكامل للتقاليد التى تمنع النزول عن الاقطاع ورهنه، فقد وسعوا من مساحات اقطاعاتهم واستعملوا كل حيلة ممكنة للاستيلاء على الاراضى مثل الهبة والتنازل وبتقديم المهور الكبيرة ، وهكذا كان الرقيب بيتاديوس أداتهم فقد ساعدهم بقانونه والذى جعل تصرفاتهم قانونية ومما زاد من المشكلة أنه بعد سنين أتت كارثة للوكترا ٣٧١ ق.م وبمساعدة طيبة استردت ميسينيا استقلالها وكان لهذا الاستقلال آثاره الاقتصادية والأجتماعية الكبيرة ، فقد كان من نتائجه فقد الكثير من الاسبرطيين اقطاعاتهم واصبحوا بغير اقطاعات وأصبحوا فى مصاف الوصفاء ، وعلى ما يبدو فإن فئة الاسبرطيين الذين كانوا ليس لهم اقطاعات فى لاكونيا لم تقدم يد العون للفئة الاولى فحسب بل سنجد أنها قد سعت للسيطرة أكثر فأكثر على الاراضى إلى أن وجدنا فى النهاية حيازة وملكية الارض قد أصبحت فى أيدى ٧٠٠ اسبرطى . ونتيجة لتركيز الارض فى ايدى فئة قليلة ، بعد أن فقد

الاسبرطيون اصحاب الاقطاعات فى ميسينيا ، أو نتيجة للسماح للفقراء من الاسبرطيين فى لاكونيا ذاتها بالنزول عن اقطاعاتهم أن تأثرت مكانة هؤلاء القانونية وأصبحوا غير قادرين على دفع حصة الرفقة ، وقد اختلف الباحثون حول هذا الوضع ، فهل كان المواطن الذى ينزل عن أرضه سواء بالهبة أو البيع أو أى تصرفات أخرى يفقده المواطنة الكاملة ؟ إن الماد المتاحة لا تمكننا من الاجابة مباشرة على هذا السؤال ولكن إذا ما استخدمنا المادة عن نظام الرفقة العسكرية Syssitia والموائد المشتركة والتى تعطينا بعض اسباب فقد المواطنة الكاملة ، ففى ظل هذا النظام كان على كل مواطن اسبرطى أن يقدم حصة شهرية من انتاج اقطاعه إلى سريته العسكرية . ويقول أرسطو أنه إذا ما عجز المواطن عن تقديم تلك الحصة ، فإن ذلك يفقده حق المواطنة ، بيد أن اكسينيفون يخالف ذلك إذ يقول لكل هؤلاء الذين قنعوا باحتياجات دستوره فإنه (ليكورجوس) قد أعطى حقوقاً متساوية للمواطنة بغض النظر عن العجز البدنى أو الحاجة المادية – نقص المال – ويرى بعض الباحثين أن الحاجة للمال أو العجز المالى تعنى أنها تشتمل على عدم القدرة على مواجهة مطالب الرفقة العسكرية أى دفع الحصة الشهرية ، ومن ثم فإن عدم القدرة المادية لا تؤدى إلى فقد حق المواطنة ، ولكنها تؤدى إلى عدم تساوى بين القادرين وغير القادرين من الاسبرطيين وأنهم ينزلون إلى مرتبة أدنى .

وبعد أن عرضنا لنظام الاراضى فى اسبرطة وأن الاسبرطيين الخُلّص كانوا ممنوعين بالقانون من ممارسة أعمال الزراعة والتجارة والصناعة ، بينما اقتصرت حياتهم وجهودهم على حياة الجندية وخدمة الدولة ، واعتمدوا على ما ينتجه الحلفاء والمزارعون المرابطون بالارض فى تقديم ما يحتاجونه من سلع ومواد مصنعة ، فقد كان الحلفاء قد عملوا بالزراعة والصناعة والتجارة وكان يصدر جانب من

انتاجهم الصناعى والجانب الآخر والأكبر كان يستهلكه الاسبرطيون . فقد ازدهـوت الصناعة والتجارة الخارجية والداخلية قبل اصلاحات ليكورجوس وبعده .

الصناعة:

عُدّت اسبرطة من بين المدن الكبيرة المزدهرة الصناعة لفترة طويلـة ومـن المدن التى بها اثار عريقة وقد ساعد على ذلك وجود المواد الخام فى أراضيها ومـا كان ينقصها كانت تستورده بحيث راجت صناعة استخراج الحديد (والـذى كـانت توجد مناجمه فى لاكونيا) فقد كان يوجد فى اسبرطة حى للحداديـن حيـث كـانوا يصنعون الاسلحة والأدوات ومفاتيح النصر والتماثيل . وقد عثر فى أطـلال أحـد المعابد على "٣٥ الف تمثال" والتى تمكننا من تتبع مراحل التطور الصناعى والفنـى فى مجال صياغة وسباكة المعادن ابتداءً من العصر الهندسى إلى القرن السابع وقـد نال العاملون فى تشكيل البرنز شهرة واسعة والتى أكدتها الآثار فقـد برعـوا فـى صناعة الكئوس وتروى لنا المصادر القديمة عن براعة جيتياداس Gitiadas فـى صناعة المراجل الثلاثية الأرجل وكل رجل هى عبارة عن تمثال وتشير المصـادر إلى أنه قام بتزين معبد أثينا ، كما نعرف أنه قد تم استدعاء ثيودوس من سـاموس كى يزين ويزخرف سكياس Scias ، ولتكريم الملك كروسيوس ملك ليديا فقد أرسل إليه الاسبرطيون اناء بديع الصنعة من مصنوعات اراضيهم .

وبالنسبة لصناعة الاخشاب فقد ازدهرت تلك الصناعة ومنذ فترة كبيرة كـان عند الاسبرطيين ورش نجارة ممتازة صنعت الاساس الممتاز مثل السرر والمنـاضد والمقاعد وخاصة المحفات المنحوتة والتى استمرت فى العصر الكلاسـيكى تمثـل ملمحاً من ملامح الازدهار الصناعى .

وقد روت لنا المصادر أن من أقدم نحـاتى لاكونيـا هيجيلـوس Hegylos وثيوكليس Theocles ودوتاس Dutas ودوريكليداس Durycleidas فقد اسـتخدموا

العاج وخشب الصفصاف والزيتون والرخام فى تنفيــذ منحوتاتــهم . ويمكننــا أن نحصل على فكرة من موهبتهم من تلك المنحوتات . كما ازدهرت عنــده صناعــة المنسوجات الصوفية وصناعة الاحذية وتكشف لنا الاثارعن موهبتهم فى صناعــة الخزف والفخار . فقد انتشر الفخار اللاكونى فى الفترة الممتدة ما بيــن ٦٥٠ـــ٥٥٠ ق.م فى مواقع بعيدة إذ تم العثور فى افسوس فى الشرق واتروريا وماســاليا فــى الغرب ، ونقراطيس وقورينى وقرطاج فى شمال افريقيا .

ولكن هذه الصناعة قد مرت بفترات ازدهار وفترات اضمحلال إذ نجد أنــها تأثرت إلى حد ما بتشريع ليكورجوس الذى اراد به أن يقضى على جميــع اسـباب التفاوت بين الاسبرطيين وذلك بتقسيم الممتلكات غــير العقاريــة ولكنــه وجـد أن اصحاب تلك الاموال لا تطيب لهم نفوسهم لذلك ، ولذا فقد سلك طريقــاً آخــر ، إذ نجده قد هاجم الترف بشكل غير مباشر وذلك بالغاء استخدام النقود الذهبية والفضيــة وأحل محلها النقود الحديدية الثقيلة الوزن الزهيدة القيمة بحيث أنه كان يلزم لوضــع مبلغ عشرة مينات "الف دراخمة" غرفة كاملة ولا يمكن نقلها إلا على عربة يجرهــا ثوران ، وكان لالغاء العملة الذهبية والفضية وقصر التداول على العملــة الحديديــة أثره الكبير على صناعة وتجارة سلع الرفاهيــة . إذ يقــول بلوتــارخ لا يســتطيع الاسبرطيون شراء بضاعة من الخارج مهما يكن ثمنها زهيداً ، ولم ترسل مراكــب تجارية فى موانيهم ولم تطأ أرض لاكونيا قدم سوفسطائى ولا عراف ولا سمســار عاهرات ولا جوهرى يتجر فى الذهب والفضة . ونستخلص مما سبق أن اصـــلاح ليكورجوس النقدى قد أثر بشكل كبير على الصناعة فى اسبرطة وخاصة صناعــة سلع الرفاهية واقتصرت الصناعات على الادوات والسلع الضرورية مثــل الســرر والقاعد والمناضد والكئوس . ولكن يبدو أنه بعد فترة قــد عــادت صناعــة ســلع الرفاهية إلى اسبرطة وأراضى الحلفاء وهذا ما كشفت لنا عنه التنقيبــات الاثريــة

والمصادر الادبية والتى قدمت لنا قرائن وبراهين من القرنيـــن الســـابع والســـادس والتى تشير إلى استيراد العاج من مصر والذهب من ليديا وذلك لاســـتخدامها مـــن قبل صناع لاكونيا فقد برعوا فى تشكيل العاج وصياغة الذهب والفضـــة وتشـــكيل البرنز ، كما نجد أنهم قد برعوا كخزافين وصناع فخار مهرة لدرجـــة أن فخـــارهم المصنع فى الفترة ما بين ٦٥٠ - ٥٥٠ ق.م قد وجد طريقه إلى خارج البلوبونـــيز وتم العثور على البعض منه فى الناطق المختلفة على سواحل البحر المتوسط والتـــى سبق أن ذكرناها . كما نعلم ازدهار صناعة البرنز من الكأس البرنزى الرائع ومـــن المرجح أنه قد صنع فى النصف الثانى من القرن السادس فى مقبرة أميرة كلتية فـــى Vix فى فرنسا . ولمن حدث فى نهاية القـــرن الســـادس تدهـــور أو توقـــف فـــى الصناعات الاسبرطية . وهذا ما كشفته لنا التنقيبات الأثرية وتذكرنا بما تم فى عـــهد ليكورجوس ؛ فقد تم الاستغناء عن السلع غير الضرورية الكماليـــة . فقـــد اختفـــى صانعو الذهب والفضة وتم الاهتمام بصناعة السرر والمناضد والمقاعد . فما ســـر هذا التدهور ؟ يرى البعض أن الذى قرر هذا النظام أو أعاد النظام الليكورجى هـــو الرقيب خيلون (٥٦ ق.م) ونضيف هنا أن هذا النظام التقشفى قد تطورت خشـــونته وقسوته وإن كنا لا نستطيع تتبع هذا التطور بدقة ، ولكن على ما يبدو ، قـــد بلـــغ ذروته فى بداية القرن الخامس والقرن الرابع ولعل السبب فى ذلك أحداث الزلـــزال الخطير الذى تعرضت له اسبرطة سنة ٤٨٩ ق.م وانتهزه الهلوتيس فرصة للثـــورة وأن هذه الثورة قد أنزلت بالبلاد أشر الويلات وعرض المدينة لأشد الاخطار وأمـــام هذا وأمام كثرة أعداد الهلوتيس ونقص عدد الاسبرطيين فى المقابل ولكـــى ينجـــح الاسبرطيون فى السيطرة عليهم فقد كان عليهم أن يأخذوا أنفسهم بالشدة والصرامـــة والحياة الخشنة وذلك باحيائهم لشرائع ليكورجوس وتطبيقها بصرامة . وهـــذا مـــا سنعود للحديث عنه فيما بعد .

التجارة :

كانت تجارة اسبرطة تجارة نشطة فى بعض الفترات من تاريخها وكان ذلك قبل وبعد اصلاح ليكورجوس . وقد سبق أن ذكرنا اصلاحه النقدى والغائه استخدام العملات الذهبية والفضية واحلال استخدام العملة الحديدية وكان لهذا الاصلاح آثاره على التجارة الخارجية وخاصة استيراد سلع الرفاهية . ويقول بلوتارخ "لم يعد الاسبرطيون قادرون على شراء بضاعة وسلع من الخارج مهما كان ثمنها زهيداً ولم ترس مراكب تجارية فى موانيهم ولم تطأ أرض لاكونيا قدم سوفسطائى ولا سمسار عاهرات ولا جوهرى يتجر فى الذهب والفضة" . ونفهم من هذا أن الاسبرطيين كانوا يستخدمون العملات الفضية والذهبية وأن تجارتهم كانت رابحة مع المدن اليونانية والعالم الخارجى ، ونتيجة لهذا فقد شاع استخدام سلع الرفاهية والفخفخة بين الطبقات العليا من المجتمع الاسبرطى ، واصلاح ليكورجوس قد أدى إلى بوار وكساد تجارة سلع الرفاهية . ولكن على ما يبدو ليس بشكل حاد ويبدو أن بلوتارخ قد بالغ عندما اشار إلى عدم قدرة الاسبرطيين على شراء بضاعة من الخارج مهما يكن ثمنها زهيد ، ولم ترس مركب تجارية فى موانيهم . . . ولم تطأ أرض لاكونيا قدم سوفسطائى ولا عراف ولا سمسار عاهرات ولا جواهرى يتجر فى الذهب والفضة . وقد كشفت لنا التنقيبات الاثرية والمصادر الادبية من القرنين السابع والسادس والتى تشير إلى رواج تجارتهم مع الاقطار الخارجية فقد كان هناك واردات من العاج والجعارين من مصر والعنبر من الشمال ، والملابس الغالية والذهب من ليديا . وفى المقابل فقد كانت صادراتهم قد عرفت طريقها إلى البلدان الخارجية فقد كشفت التنقيبات الاثرية عن وجود الفخار اللاكونى فى مناطق عديدة من حوض البحر المتوسط . فقد تم العثور عليه فى افسوس فى الشرق واتروريا وماساليا فى الغرب ونقراطيس وقورينى وقرطاج فى أفريقيا ، كما

نعرف أنهم قد صدروا مصنوعاتهم البرنزية ، فقد عثر على كأس برونــزى رائـــع ومن المرجح أنه مصنع فى النصف الثانى من القرن السادس ، فى مقـــبرة أمـــيرة كلتية فى Vix فى فرنسا ولكن هذا القول قد ينطبق إلى حد ما على القرنين الخـامس والرابع حيث تكشف الآثار عن توقف تجارة سلع الرفاهية المستوردة وأن صـــانعى الذهب والفضة قد اختفوا ويرجع البعض أن السبب فى ذلك هو أن المدن اليونانيـــة الاخرى فى القرن السادس قد استخدمت العملات الفضية والذهبية ، بينما اســتمرت اسبرطة فى استعمالها لعملتها الحديدية وأن عملتها لم يكن لها قيمة فى اسواق بلـدان العالم اليونانى . وقد يحتوى هذا الرأى على جانب من الحقيقـــة ولكــن لنـــا عليـــه الاعتراضات الآتية : أولاً أن التجارة اليونانية كانت تقوم على المقايضـــة . وثانيـــاً على استخدام النقود . وثالثاً ازدهار تجارة وصناعة اسبرطة فى القرنيـــن الســـابع والسادس . ولذا فقد كان يمكن لاسبرطة فى ظـــل ازدهـــار صناعتـــها أن تبـــادل منتجاتها مع منتجات البلدان الأخرى وإما أن تبيع منتجاتها وتشترى فى مقابلها مـــا تحتاجه بالعملات الأجنبية الذهبية والفضية التى حصلت عليها نتيجة بيع سلعها فـــى الأسواق الخارجية وهذا ما يؤكده قول ديكايـــارخوس Decaearchus بـــأن علـــى عضو الرفقة العسكرية أن يقدم بين ما يقدمه للموائد العامة مبلـــغ عشـــرة أبـــولات إيجينية وهذا يشير إلى أن اسبرطة قد استخدمت عملة دولة صديقة وفى ضوء مـــا سبق فإن هذا الرأى لا يعد مقبولاً وعلينا أن نبحث عن تفسير آخر أكثر معقوليـــة ، ويرى البعض أن الذى أعاد العمل بالنظام الليكورجى هو الرقيب خيلـــون . وهـــذا الرأى هو الآخر به جانب من الحقيقة فقد يكون هذا الرقيب مســـئولاً عـــن اعـــادة جانب من النظام التقشفى ولكن ذادت وتطورت قســـوته وخشـــونته فـــى القرنيـــن الخامس والرابع ولعل السبب فى ذلك هو الزلزال المدمـــر الـــذى تعرضـــت لـــه اسبرطة سنة ٤٨٩ ق.م وما خلفه من خسائر ماديـــة وبشـــرية للاســـبرطيين وزاد

الطين بلة أن انتهزه الهيلوتس فرصة للثورة والتى أنزلت بالبلاد شراً وبيلاً على الرغم من قهرهم لها . كما أن كثرة الهيلوتس وقلة عدد الاسبرطيين فى المقابل جعل الاسبرطيين يأخذون أنفسهم بالشدة والصرامة وأن يكرسوا أنفسهم كلية للجندية والعيش الخشن وذلك باحيائهم شرائع ليكورجوس وتطبيقها بصرامة مثل حرمان المواطنين من السفر والطواف فى العالم إذا كان يخشى عليهم أن يجلبوا معهم عادات البلاد الاجنبية والأمثلة السيئة أو يرون فى الحكومة رأياً غير رأيه . وكان يتم طرد الاجانب الذين أتوا لغير مصلحة خوفاً من أن يكونوا فى اسبرطة معلمين للرذيلة وخوفاً من ادخال آراء جديدة ومع الآراء الجديدة وجهات نظر جديدة ولا تلبث هذه أن تلد أهواء ورغبات توقع الاضطراب فى النظام .

وهكذا من اجل السيطرة على اعداد السهيلوتس الغفيرة فقد كان على الاسبرطيين أن يأخذوا أنفسهم بالشدة وأن يكونوا رجالات حرب وقتال وعزلوا انفسهم عن العالم الخارجى واصبحت اسبرطة كمعسكر حربى منغلق على نفسه أمام العالم الخارجى وسوف نتحدث عن صرامة النظام الاسبرطى عند الحديث عن النظام الاجتماعى فى اسبرطة .

جملة القول أن اسبرطة لم تفعل شيئاً لتشجيع التجارة الخارجية فى العصر الكلاسيكى لأنها عزمت على أن يكون عندها اكتفاء ذاتى ولا تطلب من الدول الأخرى إلا أقل ما يمكن ، ولفترة طويلة فقد اعتمدت على نظام المقايضة والاسواق الداخلية لم تكن بحاجة إلى عملة ذهبية أو فضية بل اكتفت بعملتها . وفى الفترة التى بدأت فيها المدن اليونانية تسك عملاتها من المعادن النفيسة للتجارة الدولية ، فإن اسبرطة كانت قد قررت أن تغلق ابوابها أمام الغرباء والاجانب وكان للرقباء الحق فى اصدار القرارات الادارية لطرد الزوار والمقيمين من الاجانب . وبعد أن عرضنا للنظم الاقتصادية ننتقل للحديث عن الحياة والنظم الاجتماعية .

الحياة والنظام الاجتماعى :

كان المجتمع اللاكيدايمونى ينقسم إلى ثلاث طبقـــات هـــى : الاســـبرطيون والحلفاء والهيلوتس . وكان الاسبرطيون يمثلون قمة السلم الاجتماعى بينمـــا كـــان الهيلوتس يمثلون أدنى درج السلم الاجتماعى والحلفاء كانوا يقعون موقعـــاً وســـطاً بين الطبقتين وسنحاول أن نتحدث عن الطبقة الأولى الآن .

١ـ الاسبرطيون Spartiatai

كان الاسبرطيون الخُلّص يمثلون الطبقة الحاكمـــة ، وكـــانوا خليطـــاً مـــن العنصر الدورى والعنصر الآخى وإن كان العنصر الدورى هو الغـــالب عليـــهم . والعنصر الآخى يتمثل هنا فى سكان أميكلاى الين انضموا لاتحاد القـــرى الأربـــع الدورية . وكان على المواطنين الاسبرطيين الخُلّص العيش اسبرطة علـــى الرغـــم من أن البعض منهم كان له اقطاعاته فى لاكونيا وميسينيا .

كان الاسبرطيون مثل بقية مواطنى المدن اليونانية الأخرى ينقســـمون إلـــى قبائل وعشائر وهذا ما نعرفه من Rhetra ومن اشعار تيرتايوس ومن النقوش . فقد ورد فى الريترا التى تلقاها ليكورجوس "بعد أن نظم النـــاس انفســـهم فـــى قبـــائل Phylai و Obai ووفقاً للجذاذة البرية والتى تحتوى على بعض ابيات تيرتـــايوس ؛ فقد كان عدد القبائل فى اسبرطة ثلاث قبائل هى هيلليس وديماتيس وبامفيلى وهـــذه القبائل الثلاث السالفة الذكر قد وجدت أيضاً فى المدن الدورية الأخرى مثل ســيكون وأرجوس . ووفقاً لأثينايوس فإن هذه القبائل الاسبرطية كانت تنقسم إلـــى عشـــائر Phratrai . إذ يقول إن الاسبرطيين كانوا ينقسمون إلى تســـع عشـــائر Phratrai عندما شاركوا فى احتفال Kareneia . وهذا يشير إلى أن كل قبيلة دوريـــة كـــانت مكونة من ثلاث عشائر ، ويختلف الباحثون المحدثون فى تقدير عدد القبائل فـــأحد البحثين أن الاسبرطيين مكونون من تسع قبائل وهذه القبـــائل كـــانت تكـــون ســـبع

وعشرين عشيرة ، بينما يرى باحثون اخرون أنه من المرجح أن عدد القبائل كان خمس قبائل اقليمية ، نعرف أربع منها وهى تتطابق مع أربع قرى Komai من قرى اسبرطة الخمس وأنه شبه مؤكد أن Phylai كانت تقسيمات اقليمية أو محلية صرفة .

وبجانب القبائل تم الاعتراف بالـ Obai كتنظيم اجتماعى اقتصر وجوده على اسبرطة وحدها دون المدن اليونانية الأخرى ، ولا يوجد لدينا معلومات عنها فى الفترة المبكرة والمعلومة التى وصلت عنها بعد الريترا ؛ ويرجح أنها من القرن السادس أو الخامس ، نعرفها من نقش يشتمل على قانون لاكونى باكر يعالج قضايا خاصة بالعبادة وأغلب النص غير مؤكد ولكن احدى فقراته المؤكدة تذكر جماعة Oba اركالوى Arkaloi . ثم وصلتنا عدة نقوش من العصرين الهلينستى والرومانى والتى ورد بها ذكر كلمة Obai والتى تعنى الجماعة التى تحقق الانتصارات فى المنافسات الرياضية ، وتعنى أيضاً قرية إذ اطلق على قريتى ليمناى وأميكلاى . وقد دار جدل كبير بين الباحثين حول تعريف ماهية Obai . فيرى بعض الباحثين أنه من المحتمل فى فترة كتابة الريترا أن Obai كانت فعلاً هى الوحدات المحلية أو القرى Komai والتى تكون اسبرطة والمشتملة على قرية أميكلاى . وهذا يعنى أن اسبرطة فى العصور التاريخية كانت تتكون من خمس قبائل (Obai) اقليمية وأن عضوية هذه القبائل الاقليمية كانت تعتمد فى الاصل على السكنى فى قرية ، ويستخدم أصحاب هذا الرأى الأدلة والبراهين المتاحة حول المؤسسات والتنظيمات الاسبرطية . فيقولون أنه قد ورد عند هيرودوت أن كل Oba تمثل جماعة بشرية ومن هذه الجماعات جماعة بيتانى Pitane ، ويقول فى موضع آخر أن القوات الاسبرطية شكلت فرقة منفصلة عن الحلفاء والتى بلغ عدد افرادها خمسة آلاف مقاتل فى معركة بلاتيا وقد يعنى هذا أن كل Oba كانت تقدم

الفاً من المقاتلين ويعتمدون أيضاً عل ما سجاه أرسطو إذ يقـول أن هنـاك خمسـة تجمعات مثل أدولس Edols وسينيس Sinis وأريماس Arimas وبلـوس Ploas وميسوجيس Messoages ، بينما Obai المسجة هـى ميسـوا Mesou وبيتـانى Pitane وكونورا وليمناى ومن المرجح أميكلاى . كما يقولون أن عدد التنظيمـات الخماسية الاسبرطية مثل تنظيم الرقباء وتنظيـم الرسـل Agathoergoi وتنظيـم الملحقين يعكس عدد Obai وأن المعنى المقصود هنا هو القبائل الاقليمية .

ويعلل البعض أن اسبرطة تبنت هذا التنظيم الاجتماعى رغبـة فـى توزيـع الاعباء بالتساوى على المواطنين الاسبرطيين ، فقد كان توزيع الاعبـاء يتـم بيـن القبائل الدورية الثلاث بالتساوى ، ولكن نظراً لتباين عدد افراد تلك القبائل بمـرور الزمن فلم يكونوا متساويين فى تحمل الاعباء ؛ ولذا فإن الاسبرطيين قـد أوجـدوا التنظيم الاجتماعى الجديد Obai وأن عضوية هذه الـ Obai كـان يعتمـد علـى السكن والاقامة فى القرى الخمس التى تكونت منها اسبرطة ، وهكذا فإن خلق هـذا التنظيم كان للرغبة فى توزيع الاعباء بشكل عادل . وأن كـل Oba يمثـل قبيلـة إقليمية وبذلك تتكون اسبرطة من خمس قبائل اقليمية ، ولكن يدحض هـذا الـرأى نقش نشرة Beattie ، من الراجح أن يعود إلى القرن السادس أو القرن الخـامس ، ويحتوى على قانون لاكونى باكر يعالج قضايا خاصة بالعبادة ، وأغلب النص غـير مؤكد ، ولكن احدى فقراته المؤكدة تذكر تجمع Oba فى اركالوى Arkaloi وهـذا يعنى أن عدد Obae كانت ست تجمعات وهكذا فإن الرأى القائل بأن عـدد Obae كان خمس يصعب لبدفاع عنه وأن الـ Obae هنا هى القبائل الاقليميـة . ويـرى هوكسلى أن هناك ثلاث قبائل دورية فى اسبرطة ، وأه نظراً لزيادة الارض التـى سكنها الاسبرطيون فقد تم تقسيمهم إلى عدد أكبر من الـ Obae وفقـاً للمنـاطق . وكان عدد هذه الـ Obae خمس قبل ٦٧٦ ق.م وابتداء من هذه السنة فقد تم زيـادة

عدد الـ Obae إلى تسع وأن كل Oba كانت تنقسم إلى ثلاث عشـــائر Phratriai وأنه لتحديد عضوية العشيرة كان لابد من تحديد القبيلة . بيد أن النص الذى اعتمـد عليه الباحث لا يذكر قط القبائل Phylai ولا Obae ولكنه يذكـر Phratra ، وقـد عارض هذا الرأى هوكر ، وفقاً لأثينايوس ، أن القبائل الدورية ثلاث وأن كل منـها كانت تنقسم إلى ثلاث عشائر Phratriai ويرى روفـائيل سـيلى R. Sealey أن الاسبرطيين فى فترة ما قد انقسموا إلى خمس وحدات بغرض الخدمة العسـكرية ، وأنه من الممكن أن هذه الوحدات سميت قبائل Phylai وانها وضعت على اسـاس التوزيع الاقليمى مع الـ Obai كتقسيم داخلى للقبائل وأن هذا الرأى ربمـا يلقـى بعض التأييد من الريترا ، حتى على الرغم من أنها معدلة ، فإن المؤلف كان يـألف أو على دراية بالمؤسسات الاسبرطية ولانه يذكر القبائل و Obae فى نفس اللحظـة فمن المرجح أنهم كانوا عناصر متساوية فى نظام واحد ، وأن نقوش مـن العصـر الرومانى توضح أن Obae قد وضعت على اساس تقسيمات اقليمية ، ولعل اسـباب فى التعديل بقوله أن هذا التنظيم القبلى الثلاثى قد أبقى عليه لاغراض دينيـة بينمـا التنظيم الجديد قد استعمل لاغراض عسكرية . وهذا الرأى يؤكد على وجود تغيـير فى التنظيم القبلى وأنه قد أصبح لدينا تنظيمان قبليان أولهما التنظيم القبلـى القديـم المكون من ثلاث قبائل دورية والتنظيم الجديد الذى يعتمد على التوزيـع الاقليمـى وهو مكون من خمس قبائل وأن هذه القبائل الاقليمية كانت تشتمل على Obae دون أن يحدد عددها . وهذا الرأى ايضاً يصعب قبوله لما يأتى فمن قرأتنا للريترا نجـد أن كل من Phylai و Obae قد قد ذكر بجانب بعضهما البعض وهذا يعنى أن هنـاك تنظيمين أولهما تنظيم القبائل الدورية الثلاث وتنظيم Obai ولما كان ذكر القبـائل Phylai أولاً فإن هذا التنظيم هو الأقدم وأن Obae قد تم ايجاده بعده وهنا نتسـاءل هل وجد لاسباب عسكرية أو بغرض تحقيق المساواة فى الاعباء أو لظروف نشـأة

اسبرطة وقيام الاتحاد بين قراها ؟ كما نعلم أن تحقيق الوحدة بين قرى اسبرطة قـد تم على مراحل وأن الوحدة كانت بين أربع قرى أولاً ثم انضمت قريـة أميكـلاى الآخية إلى الاتحاد فى مرحلة تالية ، وكانت القرى الاربـع الأخـرى دوريـة أى يسكنها العنصر الدورى بينما كانت اميكلاى اخية أى يسكنها عنصـر غـير دورى وهنا أصبح مواطنو اسبرطة يتكونون من عناصر دورية وأخـرى أخيـة مؤثـرة واصبح التنظيم القديم لا يفى بالغرض منه ولذا فقد ظـهرت الحاجـة إلـى اعـادة التنظيم الاجتماعى أو خلق تنظيم جديد وربما حدث تغيير فى النظام السياسى أيضـاً فقد ادعى أحد الملوك أنه ينتمى إلى العنصر الآخى ، ومن المرجح أن الضـرورة قد اقتضت المحافظة على التنظيم القبلى القديم مع خلق تنظيم جديد يتلاءم ويتناسـب مع انضمام العناصر غير الدورية إلى الاتحاد وحتى يمكن ادماجـها فـى خدمـة الاتحاد وتحقيق أغراضه ، كما قد يكون خلق التنظيم الجديد لتوزيع الاعباء المدنيـة والعسكرية على اعضاء الاتحاد بالتساوى . وهكذا فقـد اصبـح لدينـا تنظيمـان اجتماعيان يعملان جنباً إلى جنب ، وبعبارة أخرى نظاماً جديداً قد فـرض ليعمـل بجانب النظام القديم وأن هذا النظام الاجتمـاعى الجديـد هـو Obae وأن هذيـن التنظيمين قد خدما مؤسسات الدولة الاسبرطية المختلفة سواء من الناحية الدينيـة أو السياسية أو العسكرية ، كما أن عدد الـ Obae لا يمكن تحديده فـالمعروف منـها ست وليس خمس .

إذا كان المواطنون الاسبرطيون الكاملو الاهلية اعضاء فى Phylai و Obai فإن عضويتهم كانت تتطلب أن يكونوا مولودين من أبوين اسـبرطيين وأن ينـهوا تدريبهم العسكرى وأن يسهموا بخدماتهم فى خدمة الدولـة مدنيـاً وعسـكرياً وأن يشاركوا فى الموائد العامة وبهذا يكون الاسبرطى الذى يستوفى الشـروط السـابقة من المواطنين الكاملى الاهلية المتساوين فى الامتيازات ، وكان يطلق عليهم النبـلاء

ὅμοιοι ومن يفشل منهم فى الوفاء بأحد الشروط السلفة فإنه يفقد حقوقه السياسية ويحتفظ فقط بالحقوق المدنية وكان يطلق عليه الوضيع (ὁμομεῖονες) أى أنه مواطن ناقص الاهلية . وعلى الرغم من أن كل المواطنين الاسبرطيين الكاملى الاهلية كانوا نبلاء بالنسبة للعناصر الأخرى (الحلفاء والهيلوتس) ؛ فقد كان يوجد بينهم طبقة نبيلة بأدق معنى للكلمة καλοι καγαϑοι وطبقة فقيرة δημος ولكن نظراً لنظام الحياة العامة فى اسبرطة فقد كانت الفوارق بسيطة بين الفئتين مقارنة بمدن يونانية أخرى حيث كان مستوى الحياة يتسم بالخشونة بشكل عام فى اسبرطة . وهذا يعود إلى النظام الصارم لحياة الاسبرطيين وهذا ما نلمسه فى نظام الموائد العامة الذى فرض على جميع المواطنين المشاركة فيه ونظام التربية والتدريب الاسبرطى حيث كان الهدف منهما محاربة الترف والقضاء على شهوة المال وتكوين المواطن الاسبرطى الخشن العريكة .

فقد كان ينبغى على المواطنين الاسبرطيين جميعاً والذين بلغوا سن العشرين وأنهوا تعليمهم وتدريبهم المشاركة فى نظام الموائد العامة ويقول اكسينيفون أن ليكورجوس قد شرع وجوب تناول الطعام جماعة بحيث يراهم الجميع وذلك لأنه كان يعرف أن الناس كانوا يتصرفون فى منازلهم باسترخاء تام ، ويضيف إلى ذلك بلوتارخ قائلاً "إن ليكورجوس هو الذى الزم المواطنين أن يأكلوا جميعاً معاً وأن يتغذوا لحوماً واحدة ومن الاطعمة التى تبيحها القوانين ، وحرم عليهم تناول الطعام فى منازلهم أو اقتناء الاسرة الناعمة أو الموائد الفخمة فلا يجعلوا أنفسهم تحت رحمة صناع الفطائر والطهاة وأن تسمن أبدانهم فى الظلام شأن الوحوش النهمة ، والحقيقة أن فى ذلك فساد للعقول والأجسام واطلاق سراح الشهوات والدعارة . ثم إلى الاضطرار إلى النوم الطويل والحمامات الساخنة والبطالة والتزام عيش المرضى وهذه مسألة عظيمة الشأن ولكن نتيجتها أعظم ؛ ذلك أنها جعلت الأموال

فى أمان من السرقة ، أو كما يقول ثيوفراستوس أقـــل مـــن أن تشـــتهى أو كأنـــها صارت لاشىء بتلك الولائم المشتركة والموائد البسيطة ولم يكن فى وسع أحـــد أن يبذخ أو يباهى بشىء لأن الفقير والغنى يشتركان فى غذاء واحد .

وكانت الرقابة شديدة على من يمتنع عن الشراب والطعام مـــع الآخريـــن ، فكانوا يعيبون عليه علانية ترفيهه وضعفه عن تنـــاول الاغذيـــة التـــى يجـــب أن يتقاسمها الجميع . ويقول اكسينيفون إن ليكورجوس قد طرد من جماعة المواطنيـــن كل فرد لا يقبل التقاليد الاســـبرطية الصعبـــة ، ويخبرنـــا بلوتـــارخ أن الاغنيـــاء الاسبرطيين عندما فرض ليكورجوس هذا النظام قد غضبوا غضباً شديداً وطـــاردوه واضطر إلى اللجوء إلى مذبح للحماية ومع ذلك فقد تعرض للايـــذاء وفقـــد عينـــه بسبب هذا الاجراء ولكنه فى النهاية يقول إن الاسبرطيين قد قبلوا هذا النظام .

وإذا كان بعض المؤرخين يسندون نظام الوجبات العامة إلى ليكورجـــوس إلا أنه لم يكن قاصراً على اسبرطة إذ نجده منتشراً فى المجتمعات الدورية ومنها علـــى سبيل المثال كريت . ومن المفترض أنه قد وجد عقب انهيار الحضارة الموكينيـــة . لقد اطلق الاسبرطيون عليه عدة تسميات منـــها Syssitia وهـــى بمعنـــى الوجبـــة المشتركة و Pheiditia وهى بمعنى الوجبة الفقيرة والفعل Pheidesthai يعنـــى أن يكون بخيلاً أو شحيحاً . والتسمية الثانية أكثر شيوعاً من الأولى .وأسماه الكريتيـــون Andreia بمعنى تجمعات الرجال .

كان يتم ضم المواطنين الذين بلغوا سن العشرين حيث إنهم كـــانوا مؤهليـــن قانوناً لأن يصبحوا أعضاء سرايا وكل سرية مكونة من خمسة عشر عضواً ويـــرى بلوتارخ أن طريقة دخول وانضمام الاعضاء الجدد للسرايا كانت تقتضـــى اجمـــاع اعضاء السرية على قبوله زميلاً وعضواً فى سريتهم . فقد كان الاعـــتراض مـــن

عضو واحد فقط كفيل برفض طالب الانضمام لعضوية السرية ، بيد أن هذا القـــول يصعب علينا قبوله للاسباب الآتية :

(١) أنه من غير المعقول رفض اعضاء خاصة فى الفترات الصعبة والعصيبة مـن تاريخ اسبرطة حيث كانت الحاجة ماسة للجنود .

(٢) أن بلوتارخ نفسه يقول إن ليكورجوس الزم المواطنين بأن يأكلوا جميعـــاً معـــاً وأن يشاركوا فى الولائم العامة .

(٣) إن نقص الاسبرطيين فى بعض الفترات قد اضطرهـــم إلـــى الرجـــوع عـــن قرارات نزع صفة المواطنة عن المواطنين وهذا ما حدث مـــع الاســـبرطيين الذين استسلموا فى موقعة اسفاكتيريا Sphakteria . إذ ردت الدولة اعتبـــارهم بإعادة حق المواطنة لهم .

وفى ضوء ذلك يبدو أن وصف بلوتارخ ينطبق على فترة متأخرة إلى حد مـــا عندما تفسخت Pheiditra من الناحية العسكرية واصبحت تعنى اتحاد ارســـتقراطى مغلق فى العصر الرومانى وهذا يشير إلى ما حدث من تطور بالنسبة لهذا النظـــام ففى الفترات التى انتشرت فيها سلع الرفاهية مال بعض الاســـبرطيين إلـــى حيـــاة الاسترخاء وأن البعض قد حاول الخروج عليه ، وعدم الالتزام بقواعده مثلما فعـــل الملك أجيس عندما كان عائداً من حملة عسكرية ورغب فى تناول وجبة العشاء مـــع زوجته مما جعل الرقيبان يفرضان عليه غرامـــة . ومـــن المرجـــح أن الســـلطات الاسبرطية قد مالت إلى الشدة والخشونة فى تطبيق هذا النظام كمـــا ســـبق القـــول لزيادة الشعور بروح الجماعة من جهة ، ومن جهة أخرى فـــرض حيـــاة التقشـــف والخشونة على الاسبرطيين حتى يمكنهم أن يخضعوا وأن يسيطروا على الـــهيلوتس. وهكذا فقد صار حضور الموائد العامة اجبارياً والعضو الجديد كـــان يســـتمر فـــى الجلوس على نفس المائدة لمدة اربعين عاماً أى عندما يبلغ سن الستين . وحتى ســـن

الثلاثين فقد كان يتناول وجباته وينام فى مأوى مشترك ، وإذا ما تــزوج يمكنــه أن يزور زوجته لفترة قصيرة فى الليل وبعد تناول وجبة العشاء ، وبعد سن الثلاثيــن يتناول وجبة واحدة مشتركة فى المساء وبعدها يمكنه أن يمضى الليل فــى منزلــه حيث صار مواطناً اكتملت أهليته . وكان يتغيب عن هذه الوجبــات فــى فـترات الاعياد فقط . وكان على كل عضو أن يقدم لافراد سريته (رفقاء المــائدة) حصــة شهرية تتكون من ميدمينوس من الدقيق وثمانية كونج من النبيذ وخمسة ارطال مــن الجبن ورطلين ونصف الرطل من التين ، وعشرة أبولات إيجينية لشراء اللحــوم ، كما كان على الاسبرطى أيضاً أن يقدم حصة من لحوم الحيوانات التى يضحى بــها أو يصيدها . وكانت الوجبة الشائعة عند الاسبرطيين هى الشربة الســوداء وهــى خلطة معدة من الخنزير المطبوخ فى الدم والمعالج بالخل والملح . ويرى البعــض أن ما كان يفيض من حصص الاعضاء فى السرايا كان يستخدمونه الاولاد الذيــن هم فى مرحلة التدريب وفى المناسبات فقد كــان هــؤلاء الاولاد يحضــرون إلــى Pheiditra حيث تسنح لهم الفرصة لمراقبة كبــارهم والاســتماع إلــى مناقشــاتهم السياسية ، بيد أن هذا الرأى يناقضه أن كل طفل اسبرطى ســليم البــدن واصبــح عضواً فى الجماعة كان يخصص له اقطاع وكان يتم الانفاق من دخله اساساً عليــه طوال فترة تعليمه وتدريبه حيث كان عليه العيش فى المعسكر من سن السابعة إلــى أن ينهى تدريبه فى سن العشرين ، وكانت الدولة هى المسئولة عن تعليمه وتربيتــه وتدريبه ، وقد ينطبق هذا الرأى على الفترة المتأخرة من تــاريخ اسـبرطة حيــث تركزت الملكية فى أيدى فئة قليلة من الاسبرطيين . كما أن بلوتــارخ يقــول فــى موضع آخر إن الشباب كجزء من تدريبهم كانوا يسرقون جانباً من طعامهم وذلــك بتسلقهم أسوار الحدائق أو السلالم إلى أماكن الموائد العامة بمــهارة وحــذر ومــن أوخذ منهم عوقب على اهماله وبلادته ، يسرقون ما يستطيعون سرقته من اللحــوم

ويفننون فى اغتنام الفرص ، يسرقون النوام والغافلين عن الحراسة ، ومن يقبض عليه يعاقب بالجلد والحرمان من الاكل ولا يأكلون عادة الا قليلاً . وهذا يشير إلى أن الشبيبة قد اعتمدوا فى تغذيتهم على السطو والسرقة سواء من الموائد العامة أو الهيلوتس .

طورت اسبرطة نظاماً تعليمياً مفصلاً لمواطنيها يؤدى إلى الانضباط والطاعة العمياء من قبل المواطنين ويمكن بناء الوصف الشامل لهذا النظام فى ضوء ما قدمه لنا ثيوكيديديس واكسينيفون وارسطو وارستوفانيس وبلوتارخ . وقد انقسم هؤلاء الكتاب إلى فريقين أولهما انتقد النظام ومنهم ارسطو وارستوفانيس ، بينما تحيز كل من اكسينيفون وبلوتارخ لنظام التربية الاسبرطية .

لم يكن الأب حراً فى تربية الابن حسبما يرى ، إذا كان هناك اشراف من الدولة على عملية التربية ولذا فقد كان على الأب أن يقدم وليده إلى شيوخ القبائل لتقرير إذا ما كان صحيح البدن أم لا . والوليد الذى يثبت الفحص أنه ضعيف وذو عاهات كان يلقى به فى منطقة مهجورة بجبل تايجيتوس لأنهم لا يرون فائدة من لا له ولا للدولة إذ خُلق ضعيفاً مقضياً عليه بالحرمان من الصحة والقوة ، ولى تضمن الاطفال سلامة الاطفال لا تغسلهن النساء بالمياه بل بالنبيذ لأن المصروعين والمرضى من الأطفال لا يحتملون حمام الخمر ، بل يذيلهم ويميتهم ولكن تزيد متانة الاصحاء وتقوى اعضاءهم ، ثم تتولى المرضعات الاسبرطيات تغذيتهم بطريقة فنية ، لا تشدهم فى قماط بل تدع جميع اعضائهم طليقة حرة ، تظهر هيئتها على طبيعتها ، يتعلمون منهن ألا يتأثروا من طعام وأن يقتنعوا بالبسيط منه، وأن لا يهابوا الظلام أو العزلة ، لا صياح ولا تهيج ولا بكاء فما هذه سوى علامات الضعف والجن ، يظل الاطفال فى حجور امهاتهم حتى يبلغوا سن السابعة ، وهنا يبدأ دور الدولة التربوى وفى نفس الوقت تبدأ خدمتهم الطويلة

للدولة . وكان يشرف على هذا النظام موظف يسمى Paedenimos فكان يتم أخذهم وتقسيمهم صفوفاً تتلقى تربية مشتركة على نظام واحد يعودونهم العمل واللعب معاً ، ويرأس كل صف أذكاهم وأبسلهم فى القتال ، تتجه إليه انظارهم يطيعون أوامره ويحتملون ما يأمر به من عقاب بلا تذمر . كان الشيوخ يحضرون العابهم ويحدثون بينهم اسباب الخصام والعراك ، ليروا اختلافهم ، ويتبينوا أجرأهم وإذا كانوا لا يهربون من القتال ولا يأخذ من العلوم الأدبية إلا الضرورى وما بقى فمحصور فى تلقينهم الطاعة واحتمال المتاعب بشجاعة والانتصار فى المعارك ، وكلما تقدموا فى السن أخذوهم برياضة أشد ، يحلقون رؤوسهم ويعودونهم السير حفاة واللعب معاً اكثر الوقت عراة .

ومتى بلغوا الثانية عشر ، لا يلبسون جلباباً بل يعطى لكل منهم رداءً فى السنة ، ويبقون قذرين لا يستحمون ولا يتطيبون إلا فى ايام معدودة يسمح لهم فيها بتذوق هذا النعيم . ينام كل فريق فى خيمة على فراش من القش الخشن يصنعونه بأيديهم من اطراف العيدان التى تنمو على شاطئ نهر يوروتاس ، يحصدونها بأيديهم دون أن يستعملوا حديداً . وفى هذه السن تتطلع أعين العاشقين إلى الممتازين وقد حاول كل من بلوتارخ واكسينيفون أن يجعلا هذه العلاقة مثالية ؛ مؤكدين كيف أن الولد الأكبر سوف يكون نموذجاً للأصغر وكيف أن هذا الأخير فى المقابل سيحاول أن يعيش كما يعيش خليله وأنه سيقلده ويسلك مسلكه ، بيد أنه من الواضح أن التدريب القاسى وحياة المعسكرات يؤديان إلى الشذوذ . وفى هذه المرحلة تزداد عليهم رقابة الشيوخ فيلازمونهم فى العابهم ومعاركهم ويقوم الشيوخ بذلك لا كتأدية واجب بل بحرص وعناية كأنهم أباء ومعلمين ومهذبى جميع الأطفال . يضاف إلى ذلك أن معلمى الأطفال يختارون من خيرة الناس ، فكانوا يختارون من كل فرقة أوفر شبابها عقلاً وشجاعة على أن يكونوا تجاوزوا سن

الطفولة بسنتين (أى بلغوا سن العشرين) يتولى قائد الفريق وهو فى العشرين من عمره قيادة فريقه فى القتال ويستعمل افراده ايام السلم فى خدمة الموائد العامة ، ويكلف الكبار بجمع الأخشاب والصغار باحضار الخضروات والبقول . يسرقون ما يحضرون سواء بتسلقهم اسوار الحدائق أو انسلالهم إلى اماكن الموائد العامة بمهارة وحذر ومن أخذ منهم عوقب على اهماله وبلادته ، يسرقون ما يستطيعون سرقته من اللحوم ويفننون فى اغتنام الفرص ، يسرقون النوام والغافلين عن الحراسة ، يعاقبون من يقبض عليه بالجلد والحرمان من الاكل . ويرى اكسينيفون أن الاطفال كانوا يسرقون ليكونوا من افضل المحاربين ، وكانوا لا يأكلون إلا قليلا ، ويربونهم على قوة الاحتمال والتستر على سرقاتهم . فقد سرق أحدهم ثعلباً واخفاه تحت ثوبه ، وصبر على ذلك الحيوان يمزق بطنه بأظافره وانيابه دون أن يبدو من الولد صيحة ألم ومات فى الساحة العمومية حريصاً على سره ، ويقول بلوتارخ ولا نرى فى هذه الحادثة شيئاً من الغرابة إذ اعتبرنا حالة شبان اسبرطة اليوم ، فقد رأيت غير مرة شباناً يموتون صامتين تحت سياط الجلاد على مذبح الربة أفروديتى ، كما كان الضرب بالسوط من الامور الشائعة التى يفرضها المشرف على التربية . ويذكر بركليس أن الصبية الاسبرطيين يتعلمون تحمل الالم وهم صامتون وذلك لأن تربيتهم تجهزهم لاظهار شجاعة الرجال ، ويقول أرسطو إن الاسبرطيين يجعلون ابناءهم مثل الوحوش كى يصلوا إلى شجاعة الرجال . . .

وفى السنتين الأخيرتين كان يتم تدريب الشباب تدريباً عسكرياً عنيفاً وحاداً . وعندما يصلوا إلى سن العشرين يكونوا قد أنهما تعليمهم وتدريبهم العسكرى وكان اشدهم وأقواهم ينضم لمدة عام للخدمة فى نظام الشرطة السرية Krypteia وهو اكثر التنظيمات المحيرة والشريرة فى نظام التدريب الاسبرطى وقد كتب عنه بلوتارخ ما يأتى : إن الحكام كانوا يرسلون اشد الشبان حذراً وقوة يقطعون الطريق

غير مسلحين إلا بالخنجر والمؤنة . يتفرق الشبان نهاراً ويختفون فى أماكن بعيدة عن الانظار ، يستريحون فيها حتى إذا جن الليل يخرجون وينتشرون فى مفارق الطريق يذبحون من يلاقونه من جماعات المزارعين المربوطين بالأرض وقد يغيرون نهاراً على المزارع يقتلون اشد المزارعين المربوطين بالأرض بوساً . . . ويستطرد فى ذكر ما كان يلقاه المزارعون المربوطين بالأرض من اعمال وحشية ومن معاملة قاسية بربرية من قبل الاسبرطيين . ويقول أن هذه المعاملة السيئة لم تكن من عهد ليكورجوس بل تعود إلى فترة متأخرة جداً ، ومن المرجح أنها بعد الفترة الواقعة بعد زلزال ٤٨٩ ق.م وانتهازه من قبل الهيلوتس بمساندة الميسينيين فى الثورة على الاسبرطيين الناجين منه . وبهذا التبرير فإن بلوتارخ يعارض أرسطو الذى جعل نظام الشرطة السرية متزامناً مع ليكورجوس ، ويرى أحد المؤرخين المحدثين أن هذا النظام كان قديماً جداً وانه مثل موروثات الايام القبلية فإنه كان يخدم وظيفة جديدة فى اسبرطة وإنه يمثل المرحلة الاخيرة فى تدريب الشباب الاسبرطى والتى تستغرق عاماً كاملاً قبل أن يعترف به كرجل ، وأن كل الشباب الاسبرطى كان يشارك فى تنظيم الشرطة السرية . ولكن هذا الرأى فيه مبالغة وهذا ما نستشفه من قول بلوتارخ السالف الذكر "إن الحكام كانوا يرسلون أشد الشباب حذراً وقوة" أى أن هذا النظام كانت عضويته قاصرة على نخبة منتقاة من شباب اسبرطة ، وعلى ما يبدو أن هذا النظام قد مر بتغيرات عبر الاجيال وهذا ما يؤكده قول بلوتارخ السابق كما أنه يقول إن الشرطة السرية كانت تشكل فرقة طوارئ فى الجيش الاسبرطى ، وكانت مسئولة ، بين واجبات أخرى ، عن القيام بمهام الاستطلاع .

وبعد أن ينهى الشباب تدريباتهم ويصلون إلى سن العشرين كانوا ينضمون إلى Pheiditra والتى سبق الحديث عنها وفى الفترة ما بين سن العشرين والثلاثين

كان يقضى أغلب وقته فى المعسكر وخاصة للخدمة العسكرية بشكل دائم وبعد بلوغه سن الثلاثين يكون لديه المزيد من الوقت والحرية ، ولكنه يخصص الجانب الأكبر من وقته للشئون العامة وصوالح الدولة ويمكن أن يستدعى للخدمة العسكرية إذا ما كان هناك ضرورة لذلك ، ويعفى من الخدمة العسكرية عندما يصل إلى سن الستين وعلى حد قول ارسطو أن المشرع كان يريد أن تكون المدينة كلها خشنة .

نقطة أخرى تشير إلى شدة النظام الاسبرطى وهى الاهتمام بالنباتات فقد اعتقد الاسبرطيون أن المرأة القوية البنية الصحيحة البدن تنجب أطفالاً أصحاء أقوياء ، ولذا فقد مارست المرأة الاسبرطية الجرى ورمى القرص والرمح وذلك بغرض تقوية جسمها ، وذلك كله من أجل انجاب الأطفال الاصحاء ليكونوا جنداً للدولة وصمام أمنها فى المستقبل . وسنحاول الآن أن نعرض لدور ومكانة المرأة الاسبرطية .

المرأة الاسبرطية :

كان وضع المرأة الاسبرطية بصفة عامة فى اسبرطة خيراً منه فى أى مجتمع يونانى آخر فقد احتفظت فيها اكثر من سائر المدن اليونانية بمكانتها العالية وبالمزايا التى بقيت لها من ايام المجتمع القديم الذى كان الابناء ينسبون إلى أمهاتهم . ويقول بلوتارخ إن النساء الاسبرطيات كن يتميزن بالجرأة والرجولة وبالتشامخ على أزواجهن . . . وكن يتحدثن بصراحة فى أهم الأمور ويقول إن امرأة اجنبية قال لزوجة ليونيداس "أنتن نساء اسبرطة وحدكن تسيطرن على الرجال" . فأجابتها "ذلك لأننا وحدنا نلد رجالاً" . ويرى أن ذلك جاء نتيجة للتربية التى قررها ليكورجوس وليس كما يذكر أرسطو أن ليكورجوس فشل فى اصلاح المرأة الاسبرطية ولم يستطع كبح جماحها أو الاقلال من الحرية التى اباحها لهن أزواجهن إذ كان هؤلاء ملزمين بالابتعاد عن منازلهم لاشتغالهم بالحروب فتركوا

ادارتها للنساء فاستفحلت سيطرتهن حتى كانوا يدعون "سـيدات" . لقـد اسـتمدت المرأة الاسبرطية قوة شخصيتها من طريقة تربيتها . فلم تكـن البنـت الاسـبرطية حرة فى حياتها بل كانت خاضعة لقيود فرضتها الدولة عليها ، فإن كانت الدولة قـد تركتها لتربى فى منزل ابيها فقد كان يطلب اليها أن تقوم ببعض الالعاب العنيفـة ، الجرى والمصارعة ، ورمى القرص ، وإطلاق السهام من القوس وذلك كى تقـوى عضلاتهن وكى يصبحن قويات البنية صحيحات الجسم صالحات، فى يسر للأمومـة الكاملة وبذلك يكون أطفالهن أقوياء النبت شديدى الاصلاب يشبون شـجعاناً . لقـد ابعدت البنات عن رخواتهن وتربيتهن فى ظلال الحيـاة الناعمـة ممـا يضعـف جنسهن، وقد عودت الدولة ظهور البنـات عاريـات أمـام الجمـهور كالشـبان ، والرقص والغناء فى الحفلات أمامهم وعلى مرأى منهم وكان يفرض على البنـات مشاهدة المسابقات وكن يوبخن من لم يفلح ويثنين على من اصاب وحقق الفـلاح . فكن بذلك يؤخذن الشبان بمنجاس ذى حدين يثرن فيهم التنافس فـى حـب الخـير وحب الفضيلة ، فمن نال منهن مديحاً واحس بالشهرة بينهن عاد مفـاخراً بثنائـهن كذلك كانت وخزاتهن لغير المفلحين أشد الاماً لنفوسهم من التوبيخـات العلنيـة لأن الحفلات لم تكن قاصرة على المواطنين بل كان يشهدها الشيوخ والملوك أنفسـهم . ويعلل لنا بلوتارخ عرى النساء إذ يقول " لم يكن فى تعريهن شيئاً مـن الخجـل إذ كان لهن فى الفضيلة والحياة حمى ولم يكن أحد يفكر فى سوء ، بالعكس كان لـهن ذلك اعتياد البساطة والعناية باجسامهن وسمو قلوبهن إلى ما فوق عواطف جنسـهن إذ يرين انفسهن قادرات على مساواة الرجل ومشاطرته المجد والفضيلة ، كما أنـه اعتبر سير البنات عاريات فى المواكب وقيامهن بالتمرينات الرياضية تحت انظـار الشبان من مثيرات الشهوة للزواج عند الشبان الذين ينجذبون اليهن بدافع الغرام" .

وقد كانت قوانين اسبرطة واعرافها تحض على الزواج وانجاب الاطفـال ،

فقد جعلت العزوبية عاراً ويحرم على العازب حضور الحفلات التى يرقص فيها الفتيان والفتيات عراة الاجسام . ويضطرهم الحكام أن يطوفوا الساحة عراة ينشدون وهم سائرين اناشيد ضد انفسهم منها " أنهم يعاقبون بعدل لعدم طاعته الشرائع" وكثيراً ما كانت جماعات النساء تهاجم فى شوارع اسبرطة الرجال الذين يعزفون عن الزواج وتمعن فى ضربهم وإيذائهم ، كما كان يحرم العزاب من الاحترام الواجب على الشباب للشيوخ ولذلك لم يلم أحد ما قيل للأعزب درسيليداس رغم كونه من مشاهير القادة ، ذلك أنه دخل على جماعة وكان بينهم شاباً لم يقف له احتراماً "ليس لك ولد يقف لى احتراماً" حتى الرجال الذين يتزوجون ثم لا يرزقون أولاداً يصبحون أيضاً عرضة للنقمة ، فإن أمثال هؤلاء لا يستحقون فى نظر الاسبرطيين شيئاً من الاحترام ، وقد سبق أن ذكرنا قصة الملك الذى لا تنجب زوجته وموقف الرقباء والشيوخ منه واقناعه بالزواج عليها حتى ينجب أطفالاً كما كان يطلب من الرجال والنساء أن يهتموا بصحة من يريدون أن يتزوجوهم . فقد فرضت على الملك أرخيداموس Archidamus غرامة لأنه تزوج بامرأة ضئيلة الجسم .

كان الزواج يمهد له عادة من قبل الابوين ، ويرى البعض أن الخطيب كان لا يدفع مهراً ولكن أرسطو يقول أن مهورهن كانت ملكاً لهن ، وبعد اتفاق الاسرتين كان ينتظر من الشاب أن يخطف خطيبته بالقوة وأن تبدى هذه من جهتها أشد المقاومة وإذا لم يتم الزواج على هذا النحو فإنه جرت العادة أن يتم جمع عدداً من الرجال غير المتزوجين ومثلهم من النساء ويتم دفعهم إلى غرفة مظلمة ليخطف كل واحد منهن زوجة له ، ويعتقد الاسبرطيون أن مثل هذا الانتقاء ليس أكثر عمى من الحب . وكان ينبغى أن لا تكون الزوجة طفلة دون البلوغ ، بل رشيدة صالحة للزواج وسن الرشد بالنسبة للفتاة عندما تبلغ سن العشرين ومتى اختطفها الخطيب

سلمها إلى القيمة أو المشرفة على الأعراس فكانت تقص شعرها وتلبسها ثياب وحذاء رجلها وتنيمها على طبقة من أوراق شجر الأسل وتدعها وحدها بلا نور ، يأتى الشباب غير مخمور ولا منهك القوى بملاذ ، بل فى اعتداله العادى بعد تناول طعامه فى الوليمة المشتركة ، ينسل إلى جانب عروسه ويحل حزامها ويحملها إلى فراشه فإذا ما كان دون سن الثلاثين فإنه كان يقضى معها وقتاً قصيراً ثم يعدو فى وقار إلى الخيمة التى اعتاد النوم فيها مع الشبان يستمر على ذلك زمناً يقضى نهاره وليله مع رفاقه لا يذهب لمشاهدة امرأته إلا حذراً كأنه يختلس ذلك اختلاساً يخجل أن يراه أهل البيت ، تعينه المرأة من جانبها على اختلاس الفرص المناسبة لزيارتها سراً ، وقد تستمر هذه الحالة زمناً طويلاً حتى إنه ليحدث أن يصير الازواج آباءً قبل أن يروا نساءهم على ضوء النهار" كان من شأن هذه العلاقات مران الازواج على القصد والحكمة فقط بل تبقى لأجسامهم قوتها وخصبها وتحفظ نشاط الخدة الاولى وتجدد الحب وتمنعهما اشباع شهواتهما التى ينهك الافراط فيها الرغبات والقوى ، أما إذا افترق الزوجان على قد من بقيت فى نفس كل منهما بقية من لهب الغرام وذافع الحب والعطف . ويقول اكسينيفون إن الزوج كان لا يشجع كثيراً فى أن يبقى كثيراً مع زوجته أثناء فترة زواجه الأولى" ويقول أن السبب هو أن نظرية الاطفال الذين يولدون لزوجين فى شوق أحدهما للآخر يكونون أفضل من الذين ولدوا بعد معاشرة عادية . ويرى أحد الباحثين المحدثين أن هذا التفسير من قبل كتاب العصر غير مقبولة لأنها لا تفسر التخفى الذكرى للعروسة ولا النقل السرى فى الظلام من مكان إلى آخر قبل اتمام الزواج ، ويرى أن هذا باء لطقس عتيق قبل اتمام الزواج استخدم كحيلة أو خدعة مصممة لخداع يقظة القوى الغيورة التى تحرس العذرية ، ولحماية المغتصب من نتائج فعلته وأن اتمام الزواج بالنسبة للزوج ، على الأقل نظرياً ، لم يكن دائماً عملاً مأموناً ويقول إنه ليس من العجيب

أن تبقى مثل هذه الطقوس حية فى اسبرطة التى كانت أكثر المدن محافظـــة علـــى التقاليد . وفى رأينا أن هذا قد يفسر طقوس ليلة الزفاف ولكن لا يفسر الغياب عـــن الزوجة ولعل السبب وراء ذلك هو الانضباط العسكرى خاصة لمن هم أقل من ســن الثلاثين من الرجال والذين لم يكن يسمح لهم بشكل شائع الذهاب إلى السوق ولكــن كان عليهم أن يرسلوا اصدقاءهم لشراء ما يحتاجونه لمنازلهم . ومن يفعل هذا كــان يستحق اللوم ، حتى بالنسبة للرجال الكبار أن ينشغلوا بشئونهم الخاصة بـــدلاً مـــن توجيه انشطتهم لصالح الدولة . كما أن الاسبرطيين - على ما يبدو - قد قصــــدوا من ذلك أيضاً الرغبة فى إثارة العواطف وانجاب الاطفال الأصحـــاء كـانت وراء انقطاع الأزواج فى الفترة الأولى من الزواج ، ولعل ما كان يحث مـــن ممارســات وأمور فى اسبرطة من أجل انجاب أبناء أصحاء أقوياء يؤكد ذلك ومن هذه الأمـــور أنه كان يطلب من الرجال والنساء أن يهتموا بصحة من يريـــدون أن يــتزوجوهم وبأخلاقهم . فقد فرضت غرامة على الملك أرخيداموس لأنـــه قـــد تــزوج بـامرأة ضئيلة الجسم ، كما أن ليكورجوس قد عمل تعليل فكرة الغيرة الكاذبة المتخنثة التـى تحدث الشجار والاضطراب فى الحياة الزوجية ، فقد اباح الشركة فى الأولاد لمـــن اراد ، ومن آرائه أنه تجب السخرية بمن يريدون جعل الزواج مـــيزة شـــخصية لا يشاركهم فيها أحد ينتقمون ممن يعتدى عليهم فيها بالغدر والحرب وقد جعـــل مـــن المباح لشيخ تزوج من فتاة غضة الشباب أن يدخل إليـــها فتـــى شـــريف يحترمـــه ويحبـــه ، وأن يعترف بمن يولد له من دم ذكى كابن لـــه ، كذلـــك يبـــاح للرجـــل المتأنق الذى يولع بجمال حسناء متزوجة ذوات أولاد أن يطلبها من زوجها ليغـــرس فى تلك النبتة الخصيبة ويلد أولاداً اقوياء يمنحهم كبار النفوس دمـــاءهم والقابـــهم . لقد اعتقد ليكورجوس أن الاولاد ليسوا لآبائهم خاصة بل جميعهم ملك للدولـــة ، أن يكون النسل للأكثر جدارة من المواطنين ، ونجده يسخر من حماقة وكبرياء ما ســنه

المشرعون الآخرون للزواج وقال منتقداً اياهم أنهم يبحثون لكباتهم وافراسهم خـــير الكلاب وأكرم الخيول يتوسلون إلى اصحابها بالرجاء والأموال ويحجـــرون علـــى نسائهم يحتمون عليهم ألا يكون لهن أبناء إلا من بعولتـــهن ولـــو كـــانوا اغبيـــاء ، عاجزين ، مرضى ، كأن ليس من الخزى للآباء والمربين قبل غيرهم أن يكون لـــهم ابناء ضعفاء من سلالة آباء ضعفاء ، وكأن ليس من السعادة أن يكون لـــــهم ابنـــاء أقوياء يشبهون آباءهم فى القوة وسلامة البنية . وهكذا لقد كان الغرض مـــن هـــذه الاجراءات وفقاً لاجماع الاقدمين هو انجاب الذكـــور الأقـــوى اجســـاماً والأجمـــل وجوهاً من سائر رجال اليونان وأن تكون نساؤهم أصح وأجمل من ســـائر نســـاء اليونان ، ولكن أغلب الظن أن هذه النتيجة يرجع أكثرها إلى التدريب لا إلى العنايـــة بالنسل وحدها . وفى ذلك يقول ثيوكيديديس على لسان الملك أرخيدامـــوس "قـــلّما يكون ثمة فرق بين الرجل والرجل ولكن الذى يتفوق فى آخر الأمر هو الذى ينشـــأ فى أقسى مدرسة" وهكذا فإن الانضباط العسكرى والرغبـــة فـــى انجـــاب اطفـــال اصحاء كان وراء انقطاع الزوج عن الزوجة . وإن كان انجاب اطفال اصحاء قـــد أدى إلى الممارسات السالفة الذكر .

لقد رأينا أن الزوج قد يختار لزوجته الرجال الاقوياء والنبلاء أو أن النبـــلاء كانوا يسألون أزواج النساء أن يقيموا علاقات معهن كما نعلم فى بعض الحـــالات أن هناك تعدد الازواج ويرى البعض أن هذا النظام كان سببه عدم تقسيم الاقطـــاع وأن الوالى قد استقر فى عدة حالات بالنسبة لزوجة الابن الأكبر أن تكون أيضاً زوجـــة لكل أخوته ، كما أن تعدد الازواج للزوجة الواحدة قد جعلها سيدة الاملاك .

ويقول بلوتارخ أن نظام ليكورجوس لم يؤد بالاسبرطيات إلى التساهل بـــأكثر

مما كن عليه ، فقد قيل أن الزنا [1] لم يعرف في اسبرطة . ويستشهد بلوتارخ باجابة قالها أحد الاسبرطيين رداً على سؤال لاجنبي ما هو عقاب الزاني في بلادكم ؟ فاجابه الاسبرطي لا زنا في بلادنا ، قال الاجنبي وإذا حدث ؟ يلزم الزاني بثور طويل العنق يستطيع أن يشرب من نهر يوروتاس وهو في أعلى جبل تايجيتوس ، قال الاجنبي وكيف يحصل على ثور في مثل هذا الطول ؟ فاجابه الاسبرطي ضاحكاً وكيف يوجد في اسبرطة زنا [2].

والطلاق كان نادراً وغير مستحب ، ولكن كان يتم في حالة عدم الانجاب وإذا لم يتم طلاق في حالة عدم الانجاب كان الزوج يتزوج بامرأة ثانية وهذا ما نعرفه من قصة الملك الاسبرطي الذي كانت زوجته عاقراً ورفض تطليقها ونصح بالزواج من أخرى عليها من قبل الرقباء والشيوخ وامتثل للأمر .ولكن على ما يبدو أن هجر الزوجة بدون سبب وجيه والزواج من أخرى كان يعاقب عليه الزوج فقد عوقب القائد الاسبرطي المشهور ليساندر لأنه هجر زوجته واراد الاقتران بامرأة أجمل منها .

وكانت المرأة الاسبرطية ترث وتورث وتوصي بثروتها إلى من تشاء ، وكانت تخرج للأسواق وتشتغل بالتجارة ، وكونت ثروات طائلة وقد أتى عهد على اسبرطة كانت فيه نصف ثروة البلاد في أيدي النساء بفضل ما كان لهن من سيطرة قوية على الرجال ونظراً لأن الرجال كانوا ممنوعين من تملك المعادن

---

(١) إن الحالات السالفة الذكر من اختيار الزوج الشاب القوي لزوجته أليس زنا ؟كما أن اسطفوان الشاب الوجيه القوي للزوج كي يخالط زوجته أليس هذا زنا كما أن تعدد الأزواج للمرأة الواحدة أليس هذا هو الآخر زنا !

(٢) تأثر أفلاطون بهذه الممارسة وقد انعكس ذلك في كتابه الجمهورية حيث منع الزواج بين طبقة الحكماء .

النفيسة ، كما أن الكثير من الاسبرطيين الذين كانوا يحصلون بمختلف الطرق غير المشروعة على ثروات طائلة ويخافون افتضاح امرهم يسجلون املاكهم فى اراضى الحلفاء باسم الزوجات . وكأن النساء هن اللواتى يقمن بشراء هذه الاراضى وبيعها واستثمارها . ويصدق هنا قول أفلاطون أنه قد نظم الرجال فقط فى اسبرطة بينما تركت النساء حرة وتعيش حياة ثرية . وقد وجدت ثلاث عوامل أدت إلى حرية النساء الاسبرطيات خارج منازلهن أكثر من المدن الأخرى وهى :

(١) وضعهن المالى فقد تركزت الثروة فى أيدهن وكلما زادت ثروة المرأة ازدادت سلطتها وقوتها .

(٢) التمرينات الرياضية وظهورها عارية فى شبابها أمام الشباب .

(٣) غياب الرجال فى المعسكرات وعدم الانتظام فى المبيت فى البيت إذا ما كان الزوج تحت سن الثلاثين أو الغياب فى الخرج فى عصر الامبراطورية الاسبرطية إذ يقول أرسطو ناقداً : اثناء فترة امبراطورية اسبرطة كانت النساء تدرن عدة اشياء وما الفرق هنا بين حكام يحكمهن نساء وحكومة فعلية من النساء ؟ ونستشف من هذا أن اسبرطة كانت محكومة بحكومة النساء Gynaikakratia وبعد أن عرضنا لاوضاع الاسبرطيين سنحاول أن نلقى الضوء على بعض سماتهم .

(١) إن نظام الوجبات المشترك قد جعل الاسبرطيون الاغنياء والفقراء على السواء يأكلون نفس الطعام وكان طعاماً رديئاً دائماً ، وهذا النظام أزال الاحتكاك بين فئات المواطنين ؛ لأن اختلاف نوعية الطعام يؤدى إلى التفرقة والثورة ، ويقول أفلاطون على لسان ميجبليس Megilles فى كتاب الجمهورية أنه لا توجد حفلات شرب وسكر فى اسبرطة ولا فى أى مدينة تابعة لها كما يعاقب

كل سكير . ويقول اكسينيفون أن الملك أجيسلاوس Agesilaes كان يعتبر السكر والثمالة نوعاً من الجنون . فلأن حالات الثمالة الجماعية فى مهرجانات أو حفلات يمكن أن تكون فرصة ينتهزها الهيلوتس للثورة . ويقول كريتاس Kritas فى نهاية القرن الخامس ، إن الاسبرطيين قد اشتهروا بعدم رغبتهم فى تناول المشروبات الروحية . ولكن يمكن أن يدل السكر والثمالة على حالة ثراء من يقومون بذلك أمام الفقراء وهذا ما ترفضه اسبرطة .

(٢) كانت ملابس ابناء الاغنياء والفقراء واحدة ولا فرق بينهم ويشيد ثيوكيديديس باعتدال الاسبرطيين فى الملابس ورغبة الطبقات الثرية فى أن تكون ملابسها مثل المواطنين العاديين . ومع ذلك فقد ظهر التفاوت على سبيل المثال بالنسبة لسباق المركبات . ففى بدية القرن الرابع للميلاد تدفقت الثروة على اسبرطة من امبراطوريتها وأدى ذلك إلى حدوث التوتر ويذكر اكسينيفون أن الملك أجيسلاوس قد ذكر أن صناعة المركبات الفاخرة التى تجرها الجياد لم تكن أبداً من الصفات الحميدة ولكن فقط لاظهار الثروة ومع ذلك نعرف أن شقيقته كينيسكا Kyniska كانت تنفق عل فري انتصر فى سباق المركبات . ولا ندرى إذا ما استطاع اجيسلاوس الاقلال من اهتمام الاثرياء بهذه الرياضة . ولكن تكشف المصادر أن هناك سيدات ثريات قد قمن بالانفاق على فرق عربات أخرى والدخول فى سباقات ولا شك أن الغرض من هذه السباقات كان الغرض منه استعراض الجاه والثراء وليس شىء آخر .

(٣) لجأت اسبرطة إلى اثارة روح التنافس والغيرة والشجاعة فى مواجهة الموت بين الاسبرطيين منذ نعومة اظافر الاطفال ويقول اكسينيفون إن اسبرطة كانت تبث عمداً روح المنافسة والاسبقية بين شبابها عمداً فكان المتنافسون ينقضون على بعضهم بعضا فى ملاكمة عنيفة حيثما اجتمعوا ، وقد سبق أن تحدثنا عن

تشجيع الفتيات للمنتصرين وتوبيخهن للمهزومين وصلابة الشباب والاطفال فى تحمل الآلام . وكان اليونان يؤمنون تماماً بشجاعة الاسبرطيين الاستثنائية ، ويقول ثيوكيديديس إن قرار ١٢٠ مقاتلاً اسبرطياً أن يستسلموا عند محاصرتهم فى اسفاكتيريا بدلاً من الموت اثناء القتال اعظم وأغرب أمر شاهده العالم اليونانى كله أثناء حرب البلوبونيز . وأيضاً نجد أن اسبرطة بعد أن استردتهم قد حاكمتهم ونزعت عنهم صفة المواطنة ولكنها اعادتها اليهم فيما بعد . تكشف لنا المصادر عن أن الاسبرطيين كانوا يحترمون ويمجدون الموت فى ميدان المعركة . يقول اكسينيفون إن الحزن قد عم اسبرطة بعد الهزيمة الكبيرة فى ليخانيون Lekhanion اثناء الحرب الكورينثية . فيما عدا الذين قُتل اباؤهم وأخوتهم هناك ، فكانوا مسرورين كما لو كانوا قد كسبوا المعركة وذلك لأنه قد تم تمجيد عائلاتهم . وفى موقعة لوكترا نجد أن الرقباء قد شعروا ببعض الحزن وأمروا النساء بألا يصرخن ، ولكن فى اليوم التالى خرج الذين فقدوا اقاربهم فى أبهى حال وسرور بينما أن اقارب الباقين على قيد الحياة كانوا فى حالة كآبة وتعاسة . لقد كانت الفاة فى ساحة الوغى شرطاً لحفر اسم الرجل على شاهد قبره وأن الموت بشجاعة كان قد خلا للتكريم وفقاً لتشريع ليكورجوس .حيث كان الاسبرطيون يحتقرون كل من كان يرفض أن يكون شجاعاً فى المعركة ويذكر لنا هيرودوت حكاية جنديين من جيش ليونيداس فى موقعة ثيرموبولاى واللذين هربا من المجزرة . ويقال أن أحدهما واسمه بانتيتيس Pantites قد تم تخفيضه أو تنزيل فئته الاجتماعية بعد عودته لاسبرطة فشنق نفسه ، أما الآخر فهو ارستوديموس Aristodemos فلقد أهين كذلك ونعتوه "بالرعاش" ورفض الاسبرطيون الكلام معه ، ولكنه فى موقعة بلاتيا قاتل قتالاً عنيفاً ومات ويقول ثيوكيديديس نقلاً عن براسيداس أن الخوف

من الاهانة أحد علامات الجندية وقد عدد لنا اكسينيفون الاهانات التى يلقاها الجبناء فى اسبرطة منها على سبيل المثال : لن يجدوا زوجات ولن تجد نساء عائلتهم أزواجاً لهن ولا يسمح لهم بأن يكونوا سعداء ، أى بالظهور فى الاحتفالات العامة وإلا ضربوا ، كما كان يجب عليهم اخلاء مقاعدهم لرجال أصغر سناً . وكما سبق أن ذكرنا سحب المواطنة أو تنزيل الفئة الاجتماعية لهارب .

(٤) كان الاسبرطيون مقتصدون فى الكلام ويرفضون الكتب ، يقول بلوتارخ إن الاسبرطيين كانوا يعودون الاطفال على اسلوب من الكلام الحاد والقارص فى ملاحة ورقة ، يتضمن معان كثيرة فى كليمات قليلة وكانوا يطبعون الطفل على الصمت الطويل ويجعلون همهم فى مناقشة وفرة المعانى فى قليل من الكلام . وكانت خطب الاسبرطيين موجزة واضحة الغاية أشد الوضوح سريعة النفوذ إلى عقول السامعين لقد كان ليكورجوس قصير العبارة جلى المعنى . ومن الامثلة : أن اشار البعض عليه باقامة الديموقراطية فى اسبرطة فأجابه "ابدأ باقامتها فى بيتك . وجوابه على سائل سأله ، كيف نستطيع دفع غارة الاعداء ؟ فكان جوابه متى كنتم فقراء لا يطمع أحد فى نصيب أوفر من نصيب سواه . وقوله عن الاسوار "ما من مدينة بلا سور متى كان سياجها لا الطوب بل قلوب الشجعان" . كما نجد رد الملك أجيس على الاثينى الذى قصو سيوف الاسبرطيين بقوله "إن المصارعين يبتلعونها بسهولة على مسارح اللعب" فأجابه الملك : "بهذه السيوف القصيرة نصيب اعداءنا عن بعد" وسئل خاريلادس لماذا لم يسن ليكورجوس سوى قليل من الشرائع ؟ فقال : لأنه يلزم قليل الكلام قليل من الشرائع . ويقول أرخيداميداس "إن من يعرف مواطن الكلام يعرف ايضاً متى يجب الكلام" . وحتى فى هزلهم لم ينطقوا شيئاً أو

الكلام على غير هدى ، فقد اقترح على اسبرطى أن يذهب لسماع رجل يقلــــد البلبل فقال "سمعت البلبل ذاته" .

ونعرف من المصادر ولعلهم بالشعر الغنائى والغنـــاء والموســيقى ، فكـــان شعرهم الحماسى يثير الشجاعة ويوحى الحماسة ويحمل عل جلائل الاعمال فكـــان يطرى من ماتوا فى سبيل اسبرطة ويذم من اظهروا الجبن ، يصور حيـــاة هــؤلاء بين الاحزان والتعاسة فى اسلوب بسيط ، ونعرف من المصـــــادر أن الاســـبرطيين كان ولعهم بالغناء فكنوا يقسمون أنفسهم فى ثلاث فرق غنائية حسب الاعمــار فـــى الاحتفالات والمهرجانات ، وكانوا ينشدون الشعر والغناء بمرفقة الموسيقى . ويقــول تربالدر هناك تزدهر شجاعة الجنود والانغام الشجية والعدالة حامية المدن .

نعرف تماماً أن الاسبرطيين فى العصر الكلاسيكى لم يتركوا لنا كتباً بــالمرة ولم يذكروا شيئاً قد قرأوه ولكن بقيت لنا بعض النقوش المكتوبة من العصر العتيـــق والكلاسيكى أيضاً وبعض الرسائل التى كتبها القادة العسكريون إلى سلطات مدينتــهم وورد ذكرها فى المصادر الأدبية ومن هذه الرسائل رسالة ارسلها الاسبرطيون بعــد هزيمة منداروس Mindaros ٤١٠ ق.م والتى استولى عليـــها الاثينيــون وتقــول الرسالة "لقد انتهت الايام المجيدة ، قتل منداروس . لقد جاع الرجـــال ، لا نعــرف ماذا نفعل" . ويقدم لنا الملك أرخيداموس سبب عدم انتشار الثقافة بين الاســـبرطيين إذ يقول إن الاسبرطيين لم يكونوا مثقفين لكى لا ينتقدوا دستورهم ، ونفهم من ذلـــك أهمية عدم القراءة واستخدام الكتب عندهم فالقراءة قد تؤدى إلى الخلاف السياســـى كما أن الكتب من خارج اسبرطة ذاتها سوف تأتى بأفكار غريبـــة غــير مرغــوب فيهـــا .

وبعد أن عرضنا لفئة الاسبرطيين وأحوالهم ننتقل الآن للحديث عـــن الفئــة

الثانية وهى فئة المزارعين المربوطين بالأرض .

(٢) المزارعون المربوطون بالأرض :

تربنا المصادر الأدبية أن الغزاة الدوريين والقبائل الارنبية والنسالية قد تصرفوا فى المدن التى احتلوها وحلوا بها ، بأن استرقوا الاهالى الباقين فيها ، وصار هؤلاء يمثلون أدنى طبقة فى السلم الاجتماعى فى تلك المدن . وهذا ما كشفت لنا عنه التنظيمات الاجتماعية فى أرجوس وسيكون وابيداروس وميجارة وفى تساليا ولوكريس وتراخيس وفى المستوطنات التى اسستها المدن الدورية فى هيراقليا بونتيكا Heraclia Pontica وبيزنطة وسيراكوز . فقد وجد فى أرجوس ، وهى واحدة من أقدم المدن الدورية فى البلوبونيز ، طبقة الـ Gymnetes أو Gymnesitoi والكلمة تعنى "عراة" وقد اشار اليهم هيرودوت بقوله "إن كل شئ كان فى أيدى العبيد لبعض الوقت فى أرجوس" كما قارن كل من بوليوس بوللوكس J. Pollux (من نهاية القرن الثانى م.) واستيفانوس من بيزنطة (من القرن السادس) ، بين هذه الطبقة وطبقة الهيلوتس الاسبرطية وقد وجد قسم مماثل فى سيكون أسماه الكتاب القدامى "ثيوبومبوس" وبوللوكس واستيفانوس "الكورينيفوروى Korynephoroi " وفى ابيداروس كان هناك جماعة مماثلة اطلق عليها تسمية Komepoks والتى تعنى اصحاب الأقدام المتربة واستخدمت لوصف سكان الريف بالمنطقة ، وفى تساليا نجد جماعة مماثلة هى جماعة "البنستاى Penestai " وهى الفئة التى كانت تعمل فى الارض المملوكة للسادة التساليين . وفى لوكرس وجدت جماعة مماثلة هى الـ "ويكياتاى Woikeatai " والتى عاشت تحت نفس الظروف وأيضاً ربما جماعة Kyllekranes التى عاشت فى تراخيس على خليج ماليا . وكانت جماعات الزراع فى سيكون وأرجوس وابيداروس تتمتع بحرية شخصية أكبر من الهيلوتس الاسبرطيين ولم يتم ربطهم بالارض مثل الهيلوتس .

وتقدم لنا المصادر معلومات عن جماعات مماثلة فى بعـــض المســتوطنات التى اسستها المن الدورية فى عصر الاستعمار . ويقدم لنا بوللوكس وبعض الكتـــب القدامى قائمة لمجموعة من تلك الجماعات الخاضعة ذات الوضع المتدنـــى ومنــها جماعة Mariandynoi وهم السكان الاصليون والذين كانوا يخضعون لمســتوطنى هيراقليا بونتيكا فى شمال غرب اســيا الصغـرى والتــى اسســها المســتوطنون الميجاريون فى القرن السادس . وقد وصف الـ Mariandynoi بحملـــة الــهباب (Derophorai) لأنهم كانوا يسلمون حصة محددة أى سادتهم من انتاجهم . وقد قيـل أن البيثينيين كان لهم وضع مشابه للـــهيلوتيس وكـــانوا يخضعــون للمســتوطنين الميجاريين الذين اسسوا مستوطنة بيزنطة فى بداية القرن السابع ، وفى ســيراكوز فقد وجدت جماعة Kyllyrioi أو Killykrioi وهــم الســكان الاصليــون والذيــن استرقهم المستوطنون الكورينثيون . ويقول هيرودوت إن الــــ Kyllyrioi كـــانوا عبيداً لملاك الارض Gamoroi فى سيراكوز . أما عن كريت فقد كانت تتشابه فــى نظامها إلى حد كبير مع النظم الاسبرطية فقد وجدت جماعة الـ Klaratae والتــى تعنى المقيمين على الاقطاعات وكانوا مناظرين للهيلوتس . وسنعود للحديث عنـــهم عندما ننتهى من الحديث عن الهيلوتس والحلفاء الاسبرطيين . فلماذا وجد الـــزراع المربوطون بالارض بشكل رئيسى فى المدن الدوريـــة ومســتعمراتها ؟ ولمعرفــة الاجابة ينبغى أن نبحث الوضع العام الذى ساد بلاد اليونان عند نهاية الالف الثانيــة وخاصة فى مرحلة تطور القبائل الدورية والقبائل المرتبطة بها ، فمن المرجـــح أن هؤلاء كانوا رعاة عند وصولهم إلى بلاد اليونـــان وأنــهم عندمـــا غـزو الارض الزراعية قد استرقوا ما بقى من السكان الاصليين واستخدموهم فى زراعــة الارض التى استولوا عليها وفرضوا عليهم تسليم حصص من انتاجها وذلك لعــدم درايتــهم هم أنفسهم بشئونها وتفرغهم للعمل العســكرى وإذا مـــا عرضنـــا الآن للـــهيلوتس

الاسبرطيين ، نقول إن الاسبرطيين كانوا قد قسموا أراضى نهر يوروتاس إلى اقطاعات ووزعوا حيازتها وليس ملكيتها فيما بينهم ، وكان يقوم بزراعتها جماعة الهيلوتس وهم الآخيين والدوريين وارتبطوا بالارض ولم يكونوا ملكاً لحائز الاقطاع وقد اختلف الباحثون حول وضعهم القانونى فيرى ثيوكيديديس أن كلمتى doulos و Oiketes "بمعنى عبد" تتطابقان تماماً مع الهيلوتس وهنا فإنه يرى أنهم عبيد . وفى نص المعاهدة المعقودة بين اسبرطة وأثينا عقب صلح نيكاس سنة ٤٢١ يوجد بند ينص على أنه إذا ما ثار douleia فإن الاثينيين سوف يساعدون اللاكيدايمونيين بكل طاقتهم . ويصفهم باوسانياس بأنهم عبيد الجماعة كلها من اللاكيدايمونيين بينما يصفهم بوللوكس مع جماعة Penestai والجماعات المشابهة السالفة الذكر من الزراع الخاضعين بأنهم كانوا إلى حد ما فى وضع بين الرجال الاحرار والعبيد . واعتقد البعض فى العصور القديمة أن الهيلوتس كان لهم وضع مختلف عن عبيد باقى المدن اليونانية لأن اسبرطة قد رأت أنهم ملك للدولة وليسوا ملكاً لافراد من المواطنين ونجد نفس التردد فى تحديد وضعهم بالنسبة للكتاب المحدثين ، فالبعض يصفهم بأنهم عبيد الدولة والبعض الآخر يقول أنهم اقنان أو اشباه عبيد والوصف المناسب لهم هو وصف بوللوكس لهم على الرغم من أنه لا يكون دقيقاً ولكنه يكشف على الاقل نقص الوضوح فى مفهوم الحرية والعبودية فى المجتمعات القديمة. فوصفهم بأنهم عبيد الدولة أو الجماعة أى أنهم كانوا على وجه الحصر تحت تصرف سلطة الدولة التى تملكهم فيمكنها أن تحررهم متى أرادت ومكنها لا تبيعهم فهم خارج نطاق المبادلات التجارية القانونية أى أنهم ليسوا سلعة قابلة للبيع والشراء . وقد وزعتهم الدولة مع الارض المقطعة للمواطنيين الاسبرطيين ومن ثم فإن الحائز على الاقطاع كان بشكل آلى سيد الهيلوتس المقيمين على اقطاعه ولكنه لا يملكهم ولا يمكنه أن يبيعهم أو يتصرف فيهم

بالاعتاق ولا يمكنه طردهم من الارض فهم ليسوا سلعة قابلة للبيع والشـــراء أو لأى شكل من اشكال التصرف ، كما أن حائز الاقطاع لا يملك الســلطة أو الحــق فــى زيادة أو طلب زيادة للحصة التى قررتها الدولة له من الاقطاع تحت عقوبة اللعنــة، بل أن الهيلوت لا يدين بشيء للحائز سوى الحصة المفروضة عليــه يسـلمها لــه والدولة وحدها هى التى لها الاهلية لتغير شروط العقد والذى فرضته وحدها وهكــذا فقد كانت حقوق السيد محدودة . وفى المقابل فــإن الــهيلوت لا يمكنــه أن يــترك الاقطاع بل ينتقل بانتقال الاقطاع لحائز آخر فقط وكان للهيلوت حقوق منـــها أنــه يمكنه أن يزرع نسبة من الارض التى يزرعها بالطريقة التـــى يرغبـــها ، كمـــا أن الاقطاع كان فى انتظار اخلافه وورثته . وفى ضوء ما قدمنا فلا يمكن أن نعتــبرهم عبيد بالمفهوم القانونى . فكنوا يتزوجون ولا يمكن للمرء أن يشترى هيلـــوت مــن سوق العبيد . كما أن الزيجات كانت تتم بين النبلاء والهيلوتس وكانت تثمر ذريــــة وهذه الذرية كان لها الحق فى المواطنة إلى حد ما . كمـــا أن مـــلاك الارض فـــى اسبرطة بعد أن ابيح اجراء التصرفات القانونية لم يكن لهم الحـــق فـــى بيعـــهم أو التصرف فيهم إنما كان هذا الحق قاصراً على الدولة ، فتخبرنا المصادر أنـــه فـــى القرن الثالث باع الكلك كليومينيس الحرية للهيلوتيس بخمس مينبـــات للفـــرد منـــهم وحصل على مبلغ خمسمائة تالنت من شراء ستة آلاف هيلوت لحريتـــهم وبعدهـــا صاروا مواطنين من الدرجة الثانية . كما أن هناك سمات تميز الهيلوتس عن العبيــد الأثينيين على سبيل المثال . فالهيلوتس كنوا يشكلون مجموعة جنسية واحـــدة وهـــم السكان الاصليين . ويتحدثون نفس اللغة وانزلوا على نحو مشـــترك إلـــى مرتبـــة الاتباع من خلال الفتح عند وصول الدوريين الذين اصبحوا سادتهم والذيـــن كونـــوا ارستقراطية . وعلى العكس فإن العبيد الاثينيين كانوا من أصول مختلطـــة بشـــكل كبير ولا يمكن أن يكون لهم اسم جامع لهم كما أنه لا هوية لهم وكان يتم شـــراءهم

واستيرادهم مثل أى سلعة من الاسواق وكان من النادر استخدامهم فى الخدمة العسكرية والحالات المعروفة قليلة وقد حدثت فى ظروف طارئة ، بينما كان الهيلوتس يخدمون بشكل معتاد فى الحرب وكانوا يحصلون على حصة من الغنائم، ومن يتحرر منهم كان يعتبر من المواطنين الجدد Neodamades ، كما أننا نسمع عن ثورات الهيلوتس ولا نسمع عن ثورات العبيد . كما نسمع عن زيجات بين الهيلوتس وبين الاسبرطيين وأن ابناء هذه الزيجات كان لها الحق فى المواطنة إلى حد ما . بينما نجد فى أثينا بعد قانون بركليز سنة ٤٥١ - ٤٥٠ والذى اعترف بالزواج بين الاثينيين الخُلّص فقط . ومن قبل كان يعترف القانون بذرية الاب الاثينى ولم يكن زواج الاثينى من أمه له شرعية . هذه لعبة الفروق بين العبيد وبين الهيلوتس . وفى ضوء هذا يمكننا أن نقول إن الهيلوتس كانوا يمثلون فئة خاصة حرمت من الحقوق السياسية والمدنية فى الدولة واعطيت بعض الحقوق وفرض عليها الكثير من الواجبات والاعباء .

أما الرأى القائل بأنهم فى وضع الاقنان وأنهم كانوا يتمتعون بجميع الحريات التى يتمتع بها أقنان الاقطاع فى العصور الوسطى فكان للواحد منهم أن يتزوج كيف شاء وأن يكون له ابناء لا يهتم بعددهم أو ما سوف يؤول اليه أمرهم ، ويستغل الارض بطريقته هو ، ويعيش فى قريته مع جيرانه ولا يقلقه مالك ارضه الغائب عنها ، مادام يؤدى إلى هذا المالك بانتظام ايجارها الذى حددته الحكومة وكان هذا القن مرتبطاً بالارض ولكن مالكها لم يكن فى مقدوره بيعه أو بيعها ، وكان فى بعض الحالات يؤدى خدمات منزلية فى المدينة ، وكان ينتظر منه أن يقوم على خدمة سيده فى الحرب وأن يحارب دفاعاً عن الدولة إذا ما طلب إليه أن يحارب من أجلها . وردنا على هذا الرأى أن الاقنان كانوا جزءاً من الامة فى العصور الوسطى بينما الهيلوتس ليسوا جزءاً من الأمة ولكنهم كانوا فئة مختلفة فقد

كانوا من السكان الاصليين اصحاب البلاد فى الغالب استعبدوا من قبل غزاة اجانب سلبوهم جانباً من حريتهم والفارق الاساسى بين الاسبرطى والهيلوت هو أن الأول يتمتع بامتيازات سياسية ومدنية بينما الثانى لا حقوق له أو حرم منها وبهذا المعنى فإن الهيلوتس كانوا رجالاً احراراً طالما أنهم لم يكن لهم سيد ولكن القانون وحكام الدولة قد ربطوهم بالارض ولم يكن لهم حق اختيار محل اقامتهم أو تركها . ومن ثم يصدق عليهم قول بوللوكس فإنهم كانوا بين الرجال الاحرار والعبيد ولا يمكنهم أن يتحرروا من ربطهم بالأرض إلا من خلال الدولة وقد يكون ذلك لشجاعة يظهرونها فى الدفاع عن الدولة فينالون حريتهم أو يمكنهم دفع مبالغ لتحريرهم من الارتباط بالأرض كما سبق أن ذكرنا وإذا ما تحرروا حقاً فإنهم كانوا يعاملون كمواطنين ناقصى الأهلية ويعاملون معاملة الحلفاء .

ولعل اسم Helots قد تم اشتقاقه من الجذر اليونانى Hel الذى يشير إلى الأسر على الرغم من أنه قد يكون قد اشتق من الكلمة Hele مستنقعات ويقول استرابون أن كلمة هيلوت مشتقة من Helos وهو اسم بلدة فرض الاسبرطيون على اهلها الاسترقاق وهى بلدة قريبة من مصب نهر يوروتاس . والمرجح أن الاسم كان اسم بلدة هيلوس القريبة من مصب نهر يوروتاس والتى كان بها مستنقعات وتم اسر واسترقاق اهلها ثم امتد الاسم ليطلق على تجمعاتهم فى لاكونيا كما اطلق الاسم على المهزومين فى ميسينيا بعد اسرهم .

كان الهيلوتس فى لاكونيا ، على ما يرجح ، من الآخيين الذين انزلهم الاسبرطيون إلى مرتبة الهيلوتس ولعل البعض منهم كان من ابناء للاسبرطيين الخُلّص ذوى العاهات والذين القوا بهم عند جبل تايجيتوس والتقطهم الهيلوتس للاستفادة بهم ومعاونتهم فى الاعمال الزراعية . وقد زادت أعدادهم زيادة كبيرة بانزال بعض العناصر الدورية والآخية فى ميسينيا لمرتبة الهيلوتس ، ويقول

هيرودوت أن عدد الهيلوتس كان سبعة مقابل اسبرطى واحد فى موقعة بلاتيا حيث كان الجيش الاسبرطى بكامل قوته ، ويقول اكسينيفون أن الاسبرطيين فى اسواقهم يكادون يضيعون بين الفئات غير المواطنة والأولى منهم وربما كان معظم هؤلاء من الهيلوتس .

لا نكاد نعرف عنهم إلا الشيء القليل ، فلا نعرف اسماً لواحد منهم وربما نصل إلى اسم احدهم ولعل الفتاة أولون Aulon كانت من الهيلوتس والتى كانت أجمل فتاة فى المدينة وكانت تجذب الاسبرطيين كبارهم وصغارهم هناك .

كان على الهيلوت أن يسلم حصة من انتاج الأرض التى يزرعها من الاقطاع وهذه الحصة كانت تمثل ثلث المحصول فى لاكونيا ، بينما كانت تمثل نصف المحصول فى ميسينيا . والمصادر لا تحدد لنا مساحة الاقطاع ؛ وكم كان عدد قطع الارض التى يقسم اليها ؟ لا يمكن أن نستخدم ما ورد من معلومات فى بداية القرن الخامس بأن نسبة الجنود الاسبرطيين بالنسبة للهيلوتيس فى موقعة بلاتيا كانت ١ - ٧ ، أى أن كل اقطاع سبع سبع اسر ولما كانت كل اسرة تزرع قطعة أرض من الاقطاع فإن الاقطاع كان مقسم إلى سبع قطع من الارض . ولكن هذا الافتراض بعيد الاحتمال فنعرف أن الهيلوتس كان عليم أن يقدموا ايجاراً ثابتاً قدره ٨٢ ميدمينى فضلاً عن مدفوعات أخرى ، وأنهم كانوا يسلمون ثلث المحصول بلاكونيا أو نصف المحصول فى ميسينيا وأنه مع أخذ متوسط سنوات وفيرة الانتاج وأخرى قليلة الغلة ، فإن انتاج الاقطاع يكون ٢٤٦ ميدمينى يحصل منها حائز الاقطاع على ٨٢ ميدمينى و ٢٦ ميدمينى للبذور و ٤ ميدمينى للعلف وتغذية الطيور الداجنة ، أما المقدار الباقى ١٢٢,٥ ميدمينى فإنه يكفى لعشرين فرداً على اساس ما يستهلكه الفرد يومياً ؛ ولذا فإن الاقطاع كان يزرعه اربعة اسر بمتوسط خمسة افراد ، وكال اسرة كان عليها أن تفلح مساحة تقدر بحوالى ٢٠

فداناً والجزء الاكبر منها حوالى ١٧ فداناً كان يخصص للقمح والشعير . وكل عـام كان يتم بذر نصفها بالحبوب ونصفها الآخر يترك مراحاً ومن مسـاحة ٨,٥ فـدان فإن الهيلوت يجنى ٦٢ ميدمينى من الحبوب فى المتوسط وثلث الكمية إلى الحـائز وبقية الارض كان يقسم إلى ارض خضراء فى المناطق الرطبة ، وحدائق واعنـاب وزيتون وتين ، وكان الهيلوت يقدم من محصولها حصة مناسبة لحـائز الاقطـاع ، وكان الهيلوت يحتاج إلى ثور وربما ثورين لأن الحاجة تكون ملحة اليه خاصـة إذا كان الجار غير طيب ولا يعيره ثوره فى أوقات الحرث ، ويحتاج إلى حمار لنقـل الحبوب والنبيذ . . . الخ ، إلى لمدينة ، وعدد قليل مـن المـاعز والاغنـام التـى يستخدم لبنها فى صنع الجبن ، وخنزيرة وذريتها ، وعدد من الاوز ، ولا ينبغـى أن ننسى وجود خلية أو خليتى نحل لانتاج العسل المطلوب للتحلية ، وكان الـهيلوتس يعيشون فى منازل فقيرة مقارنة ببيـوت الاسـبرطيين . كـان وضـع الـهيلوتس الاقتصادى طيباً ، فقد كان ميسوراً أو بعيداً عن الفقر وضامناً بقائـه فـى الارض وأنه لن يطرد منها ومن ثم فإنه يتمتع بقدر من الامان ، وكان يقدم ايجاراً ثابتـاً لا يتغير ، ولكن قد يكون الايجار ثقيلاً عليه فى السنة السيئة المحصول ، ومن جهـة أخرى فإنه كان يجعل على كل الربح فى السـنوات الوفـيرة المحصـول ، فكـان يحصل على ميزة الزيادة فى الانتاج إذا ما قام بـاجراء تحسـينات علـى قطعـة الارض التى يزرعها والتى تؤول له ولأسرته . وكان يملك كل الممتلكـات غـير العقارية وهذا لا يكون امتيازاً صغيراً ، كما أن الهيلوتس الذين يذهبون مع الجيـش فى كل حملة كان لهم الحق فى المشاركة فى الغنائم وفى نفس الوقت كان يمكنـهم بيع حصصهم فى الغنيمة .

ولم يكن دور الهيلوتس قاصراً على الزراعة ولا أنشـطتهم كـانت قـاصرة على زراعة قطعة الارض التى كانت صغيرة إذا ما زاد عدد افراد الاسـرة عـن

ستة افراد ، ويرى البعض أنه إذا ما زاد عدد الابناء عند الهيلوت ؛ فـــإن البعـــض منهم كانوا يدخلون فى خدمة الارستقراط ســـادتهم حـــائزى الاقطاعـــات ، وأنـــهم يصيرون Mothaces أو Mothones وهم نوع من الخدم والاتباع المنزلين الذيـــن يعيشون مع السيد ، ويشكلون جزءاً من بطانته وحاشيته فى الاجتماعات والاعيـــاد ويصاحبونه في الحرب ويشاركون فى التدريب الاسبرطى . وكان هـــؤلاء رجـــالاً احراراً وليسو من المواطنين كاملى الاهلية بالميلاد ، وكانوا من خـــلال جدارتـــهم وقدرتهم يمكنهم الحصول على الامتيازات كاملة ويرى البعض انهم على ما يبـــدو كانوا الابناء غير الشرعيين من الاسبرطيين من نساء الهيلوتس ومـــن هـــذه الفئـــة ليساندر وجيليبوس Gylippus وربما Callicratidas كاالليكراتيداس ، وربما كـــان من هذه الفئة ايضاً رجال من الهيلوتس تم اختيارهم (واطلق عليهم Epeunactoi) كى يتزوجوا النسوة الاسبرطيات وذلك لسد الثغرات بسبب استنزاف ونقص طبقـــة المقاتلين فى الحروب الميسينية فى القرنيين الثامن والسابع ونجدهم قد تبعوا الجيـــش وقاموا بالخدمات المعاونة ، وكان عددهـــم فـــى موقعـــة بلاتيـــا ســـبعة اضعـــاف الاسبرطيين ، ونجد منهم من خدم كرماة للحجـــارة بالمقـــاليع Ophetai ، وفئـــة المجدفين Desposenautai فى الاسطول الاسبرطى ، كما كانوا يسلحون تســـليحاً خفيفاً ، كما نجد انهم قد خدموا كجنود مشاة ثقيلى العدة مثلهم مثـــل الاســـبرطيين . وتشير المصادر إلى أنه قد تم تسليح ٧٠٠ هيلوت ارســـلوا للقتـــال تحـــت قيـــادة براسيداس Brasidas بصفة استثنائية وكانت مكافأتهم أن صوت الاسبرطيون بـــأن الهيلوت الذين حاربوا مع الاسبرطيين يجب أن يكونوا أحـــراراً وأن يتـــم اعتاقـــهم ولهم مطلق الحرية فى أن يعيشوا أينما أرادوا ، كما يخبرنا ثيوكيديديس عن وعـــد الاسبرطيين لألفين من اشجع الهيلوتس بالحصول على حريتهم وبعد انتهاء المعركـــة قد منحوهم حريتهم . وهكذا فإن الهيلوت الذى كان يتميز بالشجاعة فى القتال كـــان

يلقى احتراماً ويفتح له الطريق للحصول على المواطنة هو وأبناؤه ولكن لـن تكـن المواطنة الكاملة الاهلية وإنما يصـير واحـداً مـن جماعـة المواطنيـن الجـدد (Neodamodae) وهذه الفئة ذكرت لأول مرة أثناء حرب البلوبونيز ، ويبدو أنـها اختفت بعد عهد اكسينيفون ، وكانت هذه الفئة مساوية لفئة الحلفاء فـى الحقـوق . ومن المرجح أن افرادها كانوا يتسلمون اقطاعات .

كانت نساء الهيلوتس تقوم بالخدمة فى منزل حائز الاقطاع وحمـل وربمـا تربية الاطفال غير الشرعيين للاسبرطيين ، ويشير اكسينيفون إلى الاعداد الكبـيرة من الاولاد الاسبرطيين غير الشرعيين بوصفهم شـباب حسـنى المظـهر وأنـهم اشتركوا فى حملة عسكرية اسبرطية فى بداية القـرن الرابـع ومـن المحتمـل أن امهاتهم كن من الهيلوتس ؛ وهكذا فقد كانت حياة الهيلوتس محتملة علـى ضفـاف نهر يوروتاس ، ولكن هل كان وضع الهيلوتس فى ميسينيا مختلفـاً عـن اقرانـهم اللاكونيين ؟ يرى البعض أن وضعهم كان مختلفاً للغاية ، فبعد فتـح ميسـينيا فقـد وزعت الارض بين المنتصرين وقد حالفت اسبرطة بعض التجمعات فـى ميسـينا بينما أنزلت نفراً من الميسينيين إلى مرتبة الهيلوتس ، وكان على هيلوتس ميسـينيا أن يقدموا لحائزى الاقطاعات للاسبرطيين نصف المحصـول ، وكـان عليـهم أن يخزنوا بذورهم للعام التالى من نصف حصة المحصول التـى يحصلـون عليـها والباقى كانوا يستهلكونه وعلى العكس فإن هيلوتس لاكونيا كنوا يقدمون حصة ثابتـة المقدار ومعقولة جداً ؛ ولذا فإن حالة هيلوتس ميسينيا كانت أكثر بؤسـاً . واسـتند اصحاب هذا الرأى على قول تيرتايوس الآتى : "هكذا أنزل الميسينيون إلى مستوى العبودية مثل دواب الحمل وفرضت عليهم اعباء ثقيلة وارغموا علـى أن يجلبـوا لسادتهم نصف غلة الارض" ولكن على ما يبدو أن هذا القول به مبالغة فكيف كـانت الدولة تسمح لحائز اقطاع على أن يحصل على حصة أكبر من الانتاج عن حصـة

زميل خصص له اقطاع فى لاكونيا ، وكما سبق أن قلنا أن درجة خصوبة الارض كانت هى الفيصل والاساس والتى جعلت الحصة هكذا كما أن الدولة كانت تعرف ما هى الحصة التى يحتاجها المواطن من انتاج الاقطاع وضمنته له للأبد وهذه الحصة كانت توزع هكذا ١٥ ميدمينى للزوج سنوياً أى ٢ خونيتس يومياً ومقدار ١٢ ميدمينى للزوجة والمقدار الباقى هو ٥٥ ميدمينى للأطفال والخدم ، ولهذا فالايجار كان يكفى لأسرة العدد . وإذا ما قررت الدولة زيادة هذه الحصة فى منطقة عن منطقة أخرى فإن ذلك سيحدث خللاً فى الدخول وبالتالى فلن يثير الاضطراب فقط بل سيؤدى إلى التفاوت المادى بين المواطنين .

جملة القول أنه نتيجة للايجار الثابت ومن مساحة الاقطاع الواسعة كان يحصل الهيلوتس على دخل طيب . إذ أن الايجار قد قدر على أساس معدل انتاج سنة منخفضة الخل كم أن أية تحسينات يدخلها الهيلوت فى الارض لرفع انتاجها وغلتها فإن الزيادة فى انتاج السنوات الجيدة والزيادة الناتجة عن التحسينات كانت تؤول إلى الهيلوتس . وإنه وبمرور الزمن نتيجة لتطور الزراعة ومضاعفة الانتاج فى لاكونيا فقد كون بعض الهيلوتس ثروات كبيرة مكنتهم من شراء حريته بمبلغ خمسمائة دراخمة لكل واحد منهم . ومما يدل على ثرائهم أن ستة آلاف قد اشتروا حريتهم . وعلى الرغم من رخائهم الاقتصادى النسبى فإنهم قد حرموا الحقوق السياسية وبعض الحقوق المدنية . فقد عاملهم الاسبرطيون بقسوة وشدة ، وكلما زادت حاجتهم إليهم فقد شعروا أنه من الضرورى أن يحتفظوا بقبضتهم قوية عليهم. فقد كان عدد الهيلوتس وموقفهم من العمل ورخاؤهم الاقتصادى وشجاعتهم كجند يمثل ميزة عظيمة لهم ولكن فى نفس القت فقد مثل خطراً شديداً على الاسبرطيين فقد كانوا محاطين بهم وهم أكثر إذ قدر عددهم ٢٢٤ الفاً ، ومن ثم فقد لجأوا إلى الشدة فى معاملتهم . ولم تضمن لهم قوانين اسبرطة أية حماية لهم ، وقد

انتقد بلوتارخ موقف الاسبرطيين منهم بقوله "إنه نظام قاسى وإنه غير شرعى" ، ويذكر أن الاسبرطيين كانوا يجبرون الهيلوتس على الافراط فى شراب الخمر ومتى ثملوا ساقوهم إلى ساحة الطعام العمومية ليرى الشباب ما هو السكر ، وكانوا يكرهونهم على أن يغنوا ويرقصوا أغانى ورقصات وقحة مزرية ويحرمون عليهم كل ما تحتوى عليه هذه الملاهى من خير وشر ، كما أنهم قد أجبروهم على ارتداء ملابس خاصة وأن يجلدوا سنوياً كى يذكرونهم بأنهم عبيد . وفى النهاية فإنه يصف العلاقة بين الاسبرطيين والهيلوتس بإيجاز شديد بالقول "أنه فى اسبرطة أن الأحرار كانوا أكثر حرية وأن العبيد كانوا أكثر استعباداً ويقول أيضاً نقلاً عن أحد كتب أرسطو التى ضاعت أن الرقباء كانوا يعلنون الحرب سنوياً على الهيلوتس حتى تعينوا قتل الهيلوتس وحتى لا يعد فعل ذلك رجساً ، كما أن هذا الاجراء كان يمثل برهاناً على قهر الاسبرطيين للهيلوتس ، وكان اعلان الحرب عليهم مصحوباً بسلسلة من الاجراءات ضدهم مثل استخدام الشرطة السرية بشكل دائم لقتلهم فى الليل وفى وضح النهار وكأن ذلك يمثل خطة منظمة لقتل الأقوياء لمنعهم من تولى الزعامة وابقاء الهيلوتس خاضعين ، كما أن قتل كل هيلوت يقابل ليلاً ربما كان لمجرد إثارة الرعب ، ولكن من الافضل افتراض أن الهيلوتس كانوا تحت حظر تجول ليلى كوسيلة لمكافحة أعمال قطع الطريق والحركات الثورية ، وكان أى هيلوت يقوم بالسير ليلاً يخرق قوانين سادته الاسبرطيين ويرجح هذا الرأى قول ثيوكيديديس إن الأثينيين قد استولوا على بيلوس Pylos الميسينية بمساعدة اللصوص الميسينيين إذ كنوا متواجدين آنذاك ، ويذكر أيضاً أن الاسبرطيين لم يتدربوا قبل ذلك على أعمال اللصوصية ونوع الحرب التى حدثت بعد ذلك . ونفهم من هذا القول أنه كان هناك حرب غير نظامية استمرت فى الاراضى الاسبرطية أكثر مما عرف والتى كان يقوم بها الهيلوتس الذين أبوا حياة الذل فى كل من

لاكونيا وميسينيا .

كما أن الاسبرطيين قد عملوا ليس فقط على قتلهم بل على نـــهب أرزاقـــهم وأملاكهم من خلال إباحة السرقة للشباب المتدرب تحت سن الثانية عشر ، وأيضـــاً لشباب الشرطة السرية ، ويرى البعض أن ذلك كان يمثل نوعاً من التدريب علــــى حرب العصابات وقتل كل من يقابلون من الهيلوتس يلقونه فقد يكون من العصابـــات الخارجة عن القانون ، كما كنوا يقتلون كل هيلوت يشتبهون فيـــه دون محاكمـــة . وفي الواقع فإن الاجراءات قد عبرت عن قلق الاسبرطيين إذ يقول ثيوكيديديـــس إن الاسبرطيين كانوا قلقين بشكل دائم على أمنهم الداخلي ، وبشكل رئيسي من ثـــورة الهيلوتس ويروي لنا سوء معاملة الاسبرطيين لهم من خلال روايته أن الاســبرطيين كانوا قد اختاروا الفي رجل من الهيلوتس الشجعان لتحريرهم وتوجوهــــم بأكـــاليل الزهر وساروا بهم إلى الهياكل ليقدموا واجب الشكر للآلهة على ما أصـــابوا مـــن الحرية وحدث بعد ذلك أن اختفى أولئك المحررون . ووفقاً لبعض الروايـــات فـــإن الاسبرطيين كانوا لا يدعوا أسلحتهم جانباً وأنهم كانوا على نحو دائـــم فـــي حالـــة استنفار لمنع وقوعها في أيدي الهيلوتس ، كما أن أبواب منازلـــهم كـــانت مـــزودة بالمزاليج كي تساعدهم في مقاومة الاعتداءات غير المتوقعة . ويقول أفلاطـــون أن الاسبرطي كان دمث الاخلاق مع الاحرار ولكنـــه متوحشـــاً مـــع العبيـــد douloi ويعتبرهم أدنى منه مثلما يتصرف أي انسان مثقف . ويذكر أرسطو أن الـــهيلوتس كانوا يعيشون حياة عذاب ، تأمر وكراهية للاسبرطيين ، وقـــد قـــدم لنـــا بعـــض المؤرخين معلومات عن كراهية الهيلوتس للاسبرطيين إذ يقول المؤرخ ثيوبومبـــوس أن الهيلوتس كانوا متوحشين وعدوانيين في طـــرق تعاملـــهم مـــع الاســـبرطيين ، ويلاحظ اكسينيفون الكراهية الكبيرة التي يكنـــها الـــهيلوتس والعنـــاصر المقـــهورة للاسبرطيين وأن هذه الكراهية كانت كبيرة لدرجة أنهم كانوا يـــودون أن يـــأكلوهم

حتى وهم أحياء .

وعلى أى الأحوال فإنه على الرغم من المعاملة القاسية والشديدة مـــن قبـل الاسبرطيين للهيلوتس وكراهية الآخرين لهم فقد حظوا بوضع يقترب أكثر من حالـة المواطنين الفقراء فى المدن اليونانية الأخرى أكثر من اقترابهم من حالـــة العبيــد ، فقد كانوا من الدوريين والآخيين على السواء ويفوقون سادتهم عدداً .

٣ – الحلفاء :

كان يطلق عليهم مصطلح Peroikoi والذى يعنـــى الســكان المحيطيـــن أو الجماعات المحيطة التى تقيم بجوار أو حول اسبرطة . وكانت هذه الجماعـــات أو المدن لا تشكل ظاهرة فريدة قاصرة على اسبرطة بل وجدت قرائـــن تشـير إلـــى وجودها فى بعض المدن اليونانية الأخرى مثل تســـاليا ، وأرجــوس ، وإيليــس . وكانت لهذه المدن الحليفة حكوماتها الخاصة ، ولكنها كانت مواليـــة لتلـك المـدن وتتبعها فى سياستها الخارجية وتقدم لها الخدمات العديدة .

كان حلفاء الاسبرطيين يسكنون المناطق الجبليـــة التـــى تحـد وادى نـــهر يوروتاس والمناطق الساحلية فى لاكونيا ، وزادت أعداد المدن الحليفة بعـــد غـــزو الاسبرطيين لميسينيا ؛ إذ أنهم قد جعلوا بعض التجمعات السكانية فى ميســينيا مـــن الحلفاء ، أو أقاموا هم تجمعات حليفة لهم كما سبق أن ذكرنا . وقد بلغ عدد المـــدن الحليفة مائة مدينة ولكنها كانت مدناً صغيرة وبلغ عدد سكانها مائة وعشرين الـــف نسمة . ويتحدثون اليونانية باللهجة الدورية . وقد فرضت اسبرطة على هذه المـــدن أن تعيش متفرقة لكل منها حكومة محلية واتبعت سياسة فــرق تســـد حتـــى تمنـــع التوافق والعمل المشترك بينها هذا بالاضافة إلى منع الهيلوتس من معرفة اعدادهـــم الحقيقية مثلما فعلت بالنسبة للاسبرطيين ذاتهم حتى يظلوا يجهلون كل شىء عنـــهم وبذلك يضمنون أن يظلوا على خضوعهم لهم .

إن أصل الحلفاء الاسبرطيين يكتنفه الغموض فبعض العلماء يرى أنهم من الدوريين الذين أسسوا تجمعات عديدة فى لاكونيا وميسينيا ، وأن البعض منهم كان من الأخيين كما أن البعض الأخر كان ثمرة امتزاج كلا العنصرين السابقين فى منطقة استموس Hshmus وجيثيوم Gythium ، وهناك رأى آخر يرى أن البعض منهم كان من الاسبرطيين الخُلّص الذين أقاموا فى حاميات وعسكروا فى المناطق الاستراتيجية خاصة فى ميسينيا وأنهم على الرغم من أنهم اسبرطيون قد نزلوا بالتدريج إلى مرتبة Peroikoi بسبب بعدهم وعزلتهم عن اسبرطة ولأنهم أقاموا فى مجتمعات صارت مدناً قائمة بذاتها كما هو مرجح ، ومن ثم فقد سكّانها مواطنتهم فى اسبرطة لأن الرجل لا يمكنه أن يكون مواطناً فى مدينته الجديدة وفى اسبرطة فى أن واحد . ومن المرجح أن رأى من قالوا بأنهم من الدوريين والآخيين ومن اختلاط كلا العنصريين أقرب إلى الحقيقة فبقايا العناصر الآخية كانت ما تزال تعيش بين الحلفاء وخاصة فى جنوب لاكونيا وإن كان العنصر الدورى هو الغالب بينما الرأى الأخير والقائل بأن هناك اسبرطيين بينهم فهو غير مقبول لأن الاسبرطى كان لا يقيم إلا لفترة قصيرة خارج اسبرطة ، كما أن جنود الحاميات المتمركزة فى المناطق الاستراتيجية كانوا يخدمون لسن معينة يرجعون بعدها إلى اسبرطة . وتُرينا المصادر أن هذه المدن الحليفة قد شكّلت مع اسبرطة اتحاداً فيدرالياً كان لاسبرطة فيه الكلمة العليا إذ كان من حقها رسم السياسة الخارجية لهذا الاتحاد بينما تركت اسبرطة لحكومات تلك المدن الحليفة تنظيم شئونها الداخلية ولكنها كانت تحرص أن تكون تلك الحكومات أرستقراطية كما نجدها تتدخل فى شئونها الداخلية فى بعض الاحوال إذ يوجد فى المصادر ما يشير إلى وجود الحكام والقضاة الاسبرطيين فى المدن الحليفة ، ولكن لا يمكننا القول أن هذا الوجود كان بشكل دائم ولكنه حدث فى ظروف استثنائية كما تكشف لنا المصادر عن أنه كان

من حق الرقباء القبض على الحلفاء واحضارهم إلى اسبرطة فـــى القضايـــا التـــى تخص اسبرطة . أما القضايا التى تخص الحلفاء وحدهم ، فإنـــه مـــن المؤكـــد أن الحكام المحليين هم الذين ينظرونها . ويرى البعض أنهم كانوا يدفعـــون ضرائـــب للاسبرطيين ، ويقول البعض الآخر أنهم كانوا يدفعونها بشكل غير منتظم والبعـــض الاخر يقول لا ندرى إن كانوا يدفعون الضرائب لاسبرطة . ولكن المعلوم أن جانبـــاً من دخل الملكين كان يأتى من اقطاعهما Temenas فى اراضى الحلفـــاء ، وفـــى الغالب فإنهم لم يدفعوا الضرائب لاسبرطة لأنهم كانوا يقدمـــون لاســـبرطة العـــون العسكرى عند الحاجة . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن مواطنى هذه المدن قـــد وصفوا بأنهم لاكيدايمونيون مثلهم فى ذلك مثل الاسبرطيين . وعلى الرغم من أنـــهم كانوا خاضعين سياسياً للاسبرطيين إلا أنهم كانوا متساوين معهم مدنياً .

كان الحلفاء ملزمين بالخدمة العسكرية فى الجيش والاسطول وكان يمكنـــهم الوصول إلى المراتب العسكرية العليا . وكانوا فى البدايـــة يخدمـــون فـــى قـــوات منفصلة عن الاسبرطيين وكان تسليحهم مثل تسليح الاسبرطيين ، فقد خدموا كمشـــاة ثقيلى العدة مع الاسبرطيين فى موقعة بلاتيا سنة ٤٧٩ ق.م وكانت قواتهم تســـاوى قوات اسبرطة فى العدد ، إذ نجدهم قد قدموا خمسة آلاف مقاتل . وفـــى الســـنوات التالية فقد قدموا أعداداً كبيرة من القوات وصاروا عماد الجيش وذلك نتيجة لتنـــاقص أعداد الاسبرطيين كما نجدهم يخدمون مع الاسبرطيين فى وحدات مختلطـــة ولعـــل هذا التغير قد حدث بعد الزلزال المروع سنة ٤٦٥ ق.م والذى انزل خسائر كبـــيرة فى اسبرطة وكانت اسبرطة تثق فى ولائهم إذ يشير اكسينيفون إلى حملة اســـبرطية فى بداية القرن الرابع والتى اشترك بها متطوعون من الحلفـــاء kaloi kagathoi ارستقراط أو سادة الريف كما نجد أن السلطات الاسبرطية فى ســـنة ٤١٣ / ٤١٢ ق.م قد كلفت أحد الـــ Peroikoi ويدعى فـــيرنيس Phyrnes أن يقـــدر الوضـــع

العسكرى فى جزيرة خيوس ، وبناء على تقريره ارسلت اسبرطة اسطولاً .

وترينا المصادر أنهم كانوا يخدمون فى الاسطول وأنهم كانوا جنوداً مهرة وشكلوا عماد الاسطول الاسبرطى فى جيثيوم ، كما وصل بعضهم إلى قيادة الاسطول ومن هؤلاء ديمايداس Deimaidas الذى قاد اسطولاً اسبرطياً فى فترة الحروب البلوبونيزية .

وعلى الرغم من اشتراكهم فى الجيش والاسطول فإننا لا نعرف شيئاً عن تعليمهم وتدريبهم العسكرى . ويبدو أنهم لم يتبعوا النسق الاسبرطى فى حياتهم فقد عرفناهم زراعاً وصناعاً وتجاراً .

قدم الحلفاء ايضاً خدمات كثيرة لاسبرطة فى المجال الاقتصادى فقد اعتمدت عليهم فى الصناعة والتجارة ، لأن الاسبرطيين قد حرموا بالقانون من القيام بأى أنشطة تجارية أو صناعية ، ولذا فقد امسك الحلفاء بزمام التجارة والصناعة فى لاكونيا وميسينيا . وبذلك كانوا الفئة الوحيدة فى اسبرطة التى مارست نشاطات متعددة من تجارة وصناعة وزراعة .

كان الحلفاء مثل مواطنى المدن اليونانية الأخرى زراعاً ، ويرى البعض أن زراعة الارض لم تجذب البعض منهم لأن أفضل الأودية كانت موقوفة على الآلهة وعلى الدولة . وأن الفئة التى كانت تشتغل بالزراعة تمثل الفئة الأكثر فقراً ، كما أن بعض الحلفاء عملوا بالرعى وكانوا أكثر ثراءً من الزراع لكثرة ارباحهم ، ولكن فى بعض الأماكن ، على الأقل ، فإن الغالبية العظمى قد اشتغلت بالأعمال المحرمة على الاسبرطيين وغير مسموح بها للهيلوتس ، ومن المرجح أن الغالبية العظمى من المواد والسلع التى ذكرها الكتاب الكلاسيكيون على أنها صنعت فى لاكونيا مثل الاسلحة والملابس الصوفية والاحذية والأثاث قد قام بصنعها حرفيون

من الحلفاء . وهذه السلع قد وجدت سوقاً رائجة فى اسبرطة وخارجها .

وتكشف لنا المصادر عن أن بعض الحلفاء قد عملوا بالتجارة وهذا ما نفهمه من عبارات اكسينيفون فى دستور اللاكيدايمونيين التى يقول فيها "إن ليكورجوس قد منع الحلفاء من اكتساب الثروة بصورة خاطئة" وقد كانت جيثيوم ميناء اسبرطة الرئيسى نظراً لموقعها الجيد كما كانت كوثيرا مركزاً لتجارة لاكونيا ويرى البعض أن ازدهار التجارة والصناعة فى هذه المناطق يعود غلى امتزاج الدماء الدورية بالآخية مما جعل الدوريين يتحولون إلى الصناعة والتجارة .

تباينت ثروات الحلفاء وذلك لتعدد الحرف التى مارسوها ولذا فقد انقسموا إلى فئة ارستقراطية ثرية kaloi kagathoi وفئة أخرى فقيرة وضيعة .

حافظ الحلفاء على ولائهم ووفائهم لاسبرطة فى أحلك الظروف ولكن ليس هذا غريباً إذا ما نظرنا إلى سياسة اسبرطة تجاه الحلفاء فقد كانوا حوالى ١٠٠ مدينة صغيرة لكل منها حكومتها المستقلة عن الأخرى ولذا لم تكن هناك فرصة لتوحدهم ضدها ، كما أن الحرية التى منحت لهم فى مجال التجارة والصناعة قد جعلت البعض منهم يحقق ثروات كبيرة ، فقد كان تجار الحلفاء امنين على أنفسهم وبضاعتهم من السلب ، كما أن شعورهم بالتفوق على الهيلوتس – والبعض منهم كان لديه هيلوتس – قد عوضا استياءهم من وضعهم الأدنى مرتبة بالنسبة للاسبرطيين ، ومع ذلك نجد هناك استثناءات إذ شارك بعض فى الثورة على اسبرطة فعندما اندلعت ثورة الهيلوتس الكبرى فى الستينات من القرن الخامس فقد أيدتهم مدينتان حليفتان فى ثورتهم ضد اسبرطة ، ومن المرجح أن بعض الحلفاء كان سيساند كونادون Konadon فى مؤامرته الفاشلة فى بواكير القرن الرابع وهذا ما نلمسه من رواية اكسينيفون عن هذه المؤامرة . فقد قدم لنا وصفاً لتفاصيل

المؤامرة وكيف نجحت السلطات فى مواجهتها والقضاء عليها قبل اشتعالها ونوجز هنا وصفه لهذه المؤامرة إذ يقول "فعندما كان الملك يقدم الأضاحى نيابة عن المدينة قال له عراف أن الآلهة كشفت له عن مؤامرة مخيفة ، وعندما قدم الاضاحى للمرة الثانية وللمرة الثالثة أكد العراف أن اسبرطة تتعرض للخطر لأن العلامات المقدسة تظهر له وكأنهم وسط أعداء . وبعد خمسة أيام من تقديم الاضاحى وقراءة العراف أتى شخص إلى السلطات وكشف عن تفاصيل المؤامرة وقائدها كونادون ويقول الواشى إن كونادون طلب منه أن يحصى الاسبرطيين الموجودين فى السوق وبعد أن عدهم وحسب الملك والرقباء واعضاء مجلس الشيوخ وآخرين وصل عددهم اربعين رجلاً . وبعد أن أتم العدد والاحصاء سأله عن سبب هذا فرد علية كونادون أنه يعتبر كل هؤلاء الاسبرطيين كأعداء ، أما بقية من كانوا فى السوق فإنهم حلفاء . وكان هناك ما يزيد على أربعة آلاف . . . كما كشف الواشى عمن سيناصرون المتآمرون فقال إن التأييد سياتى من المواطنيين والحلفاء والهيلوتس ، وأن البعض من هؤلاء كان عنده الاسلحة وأنهم يمكنهم شراء الاسلحة مثل السيوف والمناجل والبلط والخناجر . . . الخ . وعندما سمع الرقباء لكل تفاصيل المؤامرة ، لم ينتظروا عقد الجمعية الخاصة بل جمعوا نفراً قليلاً من الجروسيا لتقرير ما ينبغى عمله لمواجهة هذه المؤامرة ، واستقر الرأى على استخدام الحيلة فى القضاء على مخططى المؤامرة وعلى رأسهم كونادون ، وقد بنوا خطتهم على أن يتم ابعاد كونادون عن اسبرطة بالحيلة وأن يتم القبض عليه خارجها حتى لا يثور الآخرون ، ويتم استجوابه وهو خارجها لمعرفة الشركاء فى المؤامرة وقد بدأ تنفيذ الخطة بأن طلب الرقباء من كونادون أن يذهب إلى ميسينيا ومعه نفراً من الاسبرطيين لاحضار عدد من الهيلوتس واحضار الفتاة بديعة الحسن والجمال التى سحرت الشيوخ والشباب على حد سواء . وبالفعل نجحت الخطة وتم

اخراجه من اسبرطة وتم القبض عليه خارجها وتم أخذ اعترافاته وتم القبض على شركائه وبعها اعيد إلى اسبرطة ونال الجزاء والعقاب المناسب .

ونستخلص من هذه القصة أن هناك تأييد من المواطنين ناقصى الأهلية ومن الحلفاء ومن الهيلوتس للثورة على الاسبرطيين الخُلّص .

وبعد أن عرضنا للنظم الاسبرطية سنعرض بإيجاز للنظم الكريتية الدورية الشبيهة وليست المتطابقة مع النظم الاسبرطية . وردت اشارة عن الدوريين فى كريت فى الاوديسة ، ومع ذلك لا يمكن الاعتداد بها كدليل على استقرار الدوريين فى كريت قبل وصولهم إلى البلوبونيز . وقد عرفت كريت القبائل الدورية الثلاث هيلليس وديمانيس وبامفيلى مثلها مثل المناطق الدورية فى بلاد اليونان . ومن الواضح أن العناصر الدورية قد توافقت مع السكان الأصليين فى بعض مناطق الجزيرة على نحو أكبر مما حدث فى بلاد اليونان القارية . وتكشف لنا المصادر أن الهيمنة الدورية كانت قوية فى مدن وسط كريت مثل كنوسوس وأكوس Akos وليثوس Lythos وجورتن .

قام أرسطو بعقد مقارنة بين كل من النظم الاسبرطية والنظم الكريتية وكان من نتائج هذه المقارنة أن الاسبرطيين قد اقتبسوا الكثير من سمات نظامهم من النظم الكريتية . ويؤكد ذلك أيضاً بلوتارخ فى روايته عن زيارة ليكورجوس لكريت ومعرفته للنظم الكريتية ورغبته فى الاستفادة منها واصطحابه لأحد الشعراء الكريتيين إلى وطنه للمساعدة فى تطبيق ما رآه فى كريت من نظم . وكان النظام الاسبرطى نظاماً فريداً مقارنة بنظم الجزيرة . فقد وجد النظام الملكى فى الجزيرة ولكنه ألغى وحل محله مجلس Kosmoi بينما بقى النظام الملكى فى اسبرطة راسخ الأركان . كان يتم انتخاب أعضاء مجلس Kosmoi من الأسر

النبيلة والثرية فى الجزيرة بينما كان مجلس الرقباء الاسبرطى يتم انتخابه من كل الشعب . كما عرفت مدن الجزيرة مجلساً للشيوخ وكان يتكون من الرجال الذين تولوا منصب الحكام Kosmoi ووفقاً لأرسطو فإن عدد اعضاء هذا المجلس كان مساوياً لعدد أعضاء مجلس الجروسيا فى اسبرطة . والفرق بين المجلسين أن مجلس الجروسيا يتكون من شيوخ تعدوا سن الستين بإضافة للملكين بينما كان مجلس الشيوخ فى المدن الكريتية يتكون من الحكام السابقين .

كما نود أن ننوه إلى أن نظم المدن الكريتية لم تكن متطابقة فى جميع الوجوه فى الجزيرة وهذا ما يؤكده نقش رسمى فى دريروس Dreros بشرق كريت ويعود تاريخه إلى نهاية القرن السابع ، ويلقى هذا النقش بعض الضوء على نظام الحكم ، إذ يكشف عن أن المواطن الذى شغل وظيفة kosmos لا يمكن أن يعاد انتخابه قبل عشر سنوات ، وأن هناك عقوبات لخرق القانون ، ويشير النقش أيضاً إلى مجلس العشرين ومن المرجح أنه مجلس الشيوخ . كما وجدت اختلافات أيضاً بين النظم الاسبرطية والنظم الكريتية . فقد عرفت المدن الكريتية واسبرطة نظام الموائد العامة ولكن نجد أن حكومات المدن الكريتية هى المتكفلة بالانفاق على هذه الموائد وليس المواطنون كما هو الحال فى اسبرطة ، إذ أن المواطنين كما سبق أن ذكرنا هم الذين يدفعون حصصهم فى الموائد العامة . وإذا ما فشل واحد منهم فإنه يصبح مواطناً من الدرجة الثانية . وعرفت المدن الكريتية نظاماً تربوياً شبيهاً بالنظام الاسبرطى . فقد تم العناية بالاطفال وتدريبهم على الخشونة ولم يخدموا أنفسهم فحسب بل كانوا يخدمون الرجال البالغين أيضاً . وكان الأولاد الأكبر سناً ينظمون فى مجموعات للتدريب البدنى ولتعلم القراءة والكتابة والأغانى والموسيقى ، وكانت مجموعاتهم تشترك فى منافسات عسكرية بمصاحبة القيثارة والمزامير .

أما بالنسبة لحيازة الأرض ، فقد كان لتنوع الأجناس والاختلافات بين المدن الكريتية أثره الواضح فى اختلاف أشكال حيازة الأرض فقد انقسمت الأرض إلى قسمين أولهما الأرض العامة وثانيهما الاقطاعات الممنوحة للمواطنين . وكان يقوم بزراعة السكان الأصليون بعد أن اخضعهم الغزاة الدوريون . وكان يطلق على مزارعى الأرض العامة mnoitai وعلى مزارعى الاقطاعات الممنوحة (klaroi) يطلق عليهم klaeiotai وأحياناً aphemestai وأحياناً woikees . وقد أدرجه بوللوكس مثل helots مع الجماعات الأخرى التى سبق الحديث عنها فى العناصر المسترقة ووصفهم بأنهم يقعون موقعاً وسطاً بين الأحرار والعبيد .

أما فيما يتعلق بالتركيبة الاجتماعية فإن مدونة جورتن القانونية تقدم لنا ملامح غريبة : والقسم الأول منها يسجل الغرامات على مرتكبى الاعتداءات والمخالفات . وهذه الغرامات كانت تختلف باختلاف مرتبة مرتكبها ومرتبة الضحية ، فكانت أشد العقوبات تلحق بالفئات الدنيا وأخفها يوقع على الفئات العليا . ونعرف من المدونة أن المجتمع بالمدينة ينقسم إلى ثلاث طبقات هى :

١ - طبقة المواطنين كاملى الأهلية وهى الطبقة صاحبة الامتيازات السياسية والمدنية وكانت تدفع أدنى الغرامات فى حالة ارتكاب المخالفات .

٢ - طبقة apetairoi وتتكون من الرجال الاحرار الذين لم يكونوا اعضاء فى hetaireiai والتى لعلها تناظر phratries الاسبرطية .

٣ - طبقة الزراع woikees وبجانب هذا المصطلح فقد وجد مصطلح dola بمعنى العبد ومن الواضح فإن المصطلحين قد استخدما بنفس المعنى ولكن المصطلح الثانى على ما يبدو كان يشير إلى عبيد المنزل .

وتشير المدونة إلى أنه كان هناك تداخل بين هذه الطبقات وأن الزواج كان

ممكناً بين الاحرار والمزارعين المربوطين بالارض إذ تنص على أنه إذا ما انتقل عبد للعيش مع امرأة حرة وتزوجها فإن أطفالهما يكونون من الاحرار ، أما إذا ما انتقلت امرأة حرة للعيش مع عبد ، مع ذاك ، فإن أطفالهم كانوا يولدون عبيداً ، كما تشير المدونة إلى أن المجتمع كان يسمح بالعلاقات غير الشرعية وقد حدد الوضع القانونى للاطفال خاصة اطفال السيدات من طبقة المزارعين المربوطين بالأرض ، فكان أطفال نساء طبقة المزارعين المربوطين بالأرض غير المتزوجات يتبعون سادة آبائهم أو أخوتهم إذا ما كان الآباء قد ماتوا ، وطفل المرأة المطلقة كان يتبع سيد زوجها السابق إذا ما كان يرغب فى ذلك وإذا لم يرغب فإن الطفل يتبع سيدها . كما تحتوى المدونة على بنود خاصة بالميراث والتبنى والتى كانت تهدف دائماً للمحافظة على ممتلكات الاسرة غير مقسمة ، وإذا ما كانت المرأة هى الوريثة الوحيدة لممتلكات اسرتها فكان عليها أن تتزوج من اقارب والدها . كما تشير المدونة إلى حالة المرأة التى كان لها ابناء أحرار وعبيد وأن القانون أباح أن يرثها الأبناء الأحرار ، بينما حرم أبناءها العبيد من الميراث وإذا لم يكن لها ابناء احرار فإن الورثة كانوا يرثونها . ويبدو أن خناك تشابه بين وضع الابناء من زيجات غير متكافئة فى كل من اسبرطة وجورتن .

السياسة الخارجية :

وبعد أن عرضنا بايجاز للنظم الاسبرطية سنحاول أن نعرض فى عجالة الخطوط العامة لسياسة اسبرطة الخارجية . ذكرنا من قبل محاولة اسبرطة حل مشكلة الزيادة السكانية بها على حساب المناطق المجاورة لها وأنها ضمت لاكونيا وميسينيا كلها وأمنت حدودها فى القرنيين الثامن والسابع بأن أبقت على العديد من المدن حليفة لها ، وفى نفس الوقت استرقت مجموعات كبيرة من المواطنيين فى تلك المناطق وكان من نتائج ضم لاكونيا وميسينيا أيضاً أن صارت اسبرطة أقوى

الدول اليونانية .

وكان على اسبرطة بعد ذلك أن تؤمن حدودها الشمالية ؛ ولـــذا نجدهـــا قـــد اشتبكت فى سلسلة من الحروب مع الاركاديين والأرجوسيين . . ووفقاً لـــهيرودوت لم يمنع الاركاديون من غزو أركاديا إلا نبوءة دلفية تلقوها والتـــى حذرتـــهم مـــن غزوها ، ولكن النبوءة الدلفية فى نفس الوقت قد شجعتهم على مهاجمة مدينة تيجيـــا الواقعة فى القسم الجنوبى من سهل أركاديا ووفقاً لهذه النبوءة فقد سار الاســبرطيون اليها بقيادة الملكين ليون leon واجيسيكليس Agesicles وهم يحملون الأغلال التـــى سيسترقون بها التيجيين ، ولكن الدائرة دارت عليهم وتم تقيدهم فى الأغـــلال التـــى أحضروها معهم . ويروى هيرودوت أن التيجيين أهدوا بعض هذه الأغلال لمعبـــد الربة أرتيميس فى تيجيا كتقدمة شكر على انتصارهم علـــى الاســـبرطيين ، ومـــن المرجح أن هذه الهزيمة قد حدثت فى مستهل القرن السادس ، بيد أن هذه الهزيمـــة لم تمنع الاسبرطيين من ارسال الحملات العسكرية إلى تيجيا فـــى عـــهد الملكيـــن اناكساندريديس وأرسنون ؛ وعلى الرغم من أن اسبرطة كان لـــها اليـــد الطولـــى والمبادأة فى الحرب إلا أن الفشل كان من نصيبها فى مواجهتها مع تيجيـــا ؛ ولـــذا نجدها أمام منعة وصلابة التيجيين يبدو أن الاسبرطيين قد سألوا الوحى فـــى دلفـــى عن السبيل لنجاح خططهم فى مواجهة تيجيا وأتتهم النبوءة التى وعدتـــهم بـــالنصر ودلتهم على مفتاحه وهو أن ينقلوا عظام أوريستيس بن أجاممنون من تيجيـــا إلـــى اسبرطة ، ووفقاً لهيرودوت فقد نجح رجل اسبرطى فى زمن الهدنة بين كـــل مـــن اسبرطة وتيجيا فى حمل عظام رجل ضخم كانت موجودة فى ورشة حـــداد تيجـــى إلى اسبرطة ؛ حيث دفن فيها مع تقديم التكريم المناسب له ، وقد قدم لنا باوســـانياس وصفاً لمقبرة البطل أوريستيس فى اسبرطة . ويبدو أن اسبرطة قـــد غـــيرت مـــن سياستها العدوانية تجاه تيجيا فبدلاً من محاولة ضمها والاستيلاء عليـــها واســـترقاق

أهلها فقد عملت على محالفتها والتصالح معها ومعاملتها على أنها دولة مستقلة . ونجدها قد عقدت معها معاهدة بالفعل والتى التزمت تيجيا بتقديم العون العسكرى لاسبرطة عند الضرورة وهذا ما حدث بالفعل فى موقعة بلاتيا إذ شارك التيجيون فى المعركة . أما عن النبوءة السالفة الذكر فعلى ما يبدو أن الاسبرطيين قد استغلوها أفضل استغلال ، فقد رموا من ورائها ضمان ولاء العناصر غير الدورية فى البلوبونيز ، وأن تظهر اسبرطة ، على الرغم من أنها دورية ، كحامية للعناصر السكانية الأصلية . وبذلك تضمن ولاء العناصر غير الدورية فى صراعها مع أرجوس القوية والذى امتد لأجيال كان النصر النهائى فيها حليفاً للاسبرطيين . وعلى ما يبدو فإن الحرب قد اشتعلت سنة ٥٤٤ بين الأرجوسيين والاسبرطيين ، فقد هاجم الاسبرطيون سهل ثيريا Thyria وكان محل نزاع بين كل من اسبرطة وأرجوس ، وقد قدم لنا هيرودوت وصفاً للمعركة والتى يمكن أن نسميها معركة البطولة . فقد اقترب الجيشان وبدلاً من التحمهما فى القتال ، فقد خرج من كل جيش ثلاثمائة مقاتل واحتفظ كل طرف بباقى قواته . واتفق الطرفان على أن من يكسب فى القتال يكون له الهيمنة والسيطرة على السهل ، ولكن لم يتفق الذين بقوا على قيد الحياة من المقاتلين من كسب ؛ ولذا فقد دخل الجيشان لتقرير من هو المنتصر وانتصر الاسبرطيون . ولكن ليس واضحاً إذا ما كان الطرفان قد عقدوا اتفاقية سلام فالمسألة غير معروفة ولا نعرف شيئاً عن القتال بين كل من أرجوس واسبرطة حتى عام ٤٩٤ ق.م ، وما نعرفه أن اسبرطة قد نجحت فى ضم ثيريا وسهلها إلى أملاكها هذا فضلاً عن السهل الساحلى الطويل الضيق الواقع جنوب ثيريا وعلى المنحدرات الشرقية لجبل بارنون وجزيرة كوثيرا . وهكذا اصبحت اسبرطة تهيمن على خمس مساحة البلوبونيز ، وكان من جراء ذلك أيضاً أن تمتعت بشهرة كبيرة ونالت احتراماً عظيماً بين العديد من

المدن اليونانية وصار لها لواء القيادة على أغلب الدول اليونانية من خلال المحالفات .

ويبدو أن اسبرطة كانت قد غيرت من سياستها التوسعية والعدوانية ولجأت إلى سياسة التحالف وتوسيع دائرة نفوذها بالوسائل السياسية ، وكان الرقيب خيلون هو صاحب هذه السياسة إذ رأى أن قلة عدد الاسبرطيين لا تسمح لهم بالتوسع والغزو ، كما لاحظ فى الوقت نفسه أن الحكم الاسبرطى أخذ ينهار فى أكثر المدن اليونانية وفى المدن المجاورة لاسبرطة ليقوم مكانه حكم الطغاة ، وأن الطغاة يسعون إلى تأسيس حلف بينهم والذى كان غايته أولاً : أن يساعد الطغاة بعضهم بعضا على دعم نظم حكمهم ، ثانياً : توحيد جهودهم لدرء الخطر الفارسى الذى كان يهدد بلاد اليونان كلها . ولذا فقد وقف موقفاً عدائياً من حكم الطغاة وعارض سياسة الاحلاف بينهم وقد عمل على أن تبقى اسبرطة بعيدة عنها وف نفس الوقت محاطة بحكومات ارستقراطية حليفة . ولهذه الغاية فقد أسس خيلون حلف البلوبونيز ولتشجيع هذه المدن للانضمام لهذا الحلف فقد جعله يستند على مبادئ واهداف تؤكد على مصلحة الدول والحلف ومن هذه المبادئ والاهداف ما يلى :

١- الاستقلال المطلق للدول الداخلة فى الحلف ، فهى ليست مكلفة بدفع أية ضريبة أو عسكرة قوات اسبرطية فى أراضيها ، بل يترك لكل واحدة منها الحرية التامة فى علاقاتها الخارجية مع جميع الدول الاخرى شريطة الا يكون فى ذلك ما يهدد الحلف .

٢- إذا ما نشبت حرب بين الحلف ودول أخرى ، فإن القيادة تكون لاسبرطة ، ويتعهد جميع اعضاء الحلف بتقديم الفرق العسكرية التى ت طلب منهم عند الحاجة ؛ أى أن هذا الحلف كان حلفاً دفاعياً هجومياً .

٣- تعضيد الحكومات الارستقراطية والأوليجرخية وفى نفس الوقت العمل على اضعاف بل القضاء على حكومات الطغاة كلما سنحت لها الفرصة والمثال على ذلك مساعدتها للارستقراطية الأثينية للقضاء على حكم الطاغية هيبياس .

٤- لقد رغبت اسبرطة أن تضمن مناصرة الحلفاء لها ضد الهيلوتس وثوراتهم وخير مثال على ذلك موقف تيجيا من قضية الهيلوتس إذ أغلقت حدودها فى وجه الآبقين منهم .

لقد حرصت اسبرطة أن يكون لها دور القيادة والرياسة بالنسبة لهذا الحلف إذ كانت هى التى تدعو الحلف للاجتماع وترأس جلساته وكانت القرارات تتخذ فى الاجتماع وفقاً لنظام الأغلبية .

وفى ضوء هذه المبادئ والأهداف فقد عقدت العديد من المدن الدول معاهدات بينها وبين اسبرطة على نسق المعاهدة المعقودة بين اسبرطة وتيجيا . ومن دول الحلف العديد من المدن فى أركاديا وايليس وسيكيون وبعض المدن الواقعة غرب أرجوس مثل ميكيناى وترينس وهيرميونى Hermione وتروتزون Trozen وابيداروس وربما جزيرة ايجينا وكورينثة وميجارا . ودليلنا على ذلك أن الجيش الاسبرطى عبر اراضى الدولتين فى طريقه إلى أتيكا للقضاء على الطاغية هيبياس وهذا يعنى أن اسبرطة كان لها نفوذها وعلاقاتها الودية مع كل من كورينثة وميجارا . وربما حاولت اسبرطة كسب حلفاء جدد فى اخايا إذ سعت لنقل عظام البطل تيسامينوس Teesamenus بن أوريستيس من مدينة هيلكى Helice إلى اسبرطة ، ولكن هذه المدينة رفضت الطلب الاسبرطى بل رفضت عقد معاهدة معها .

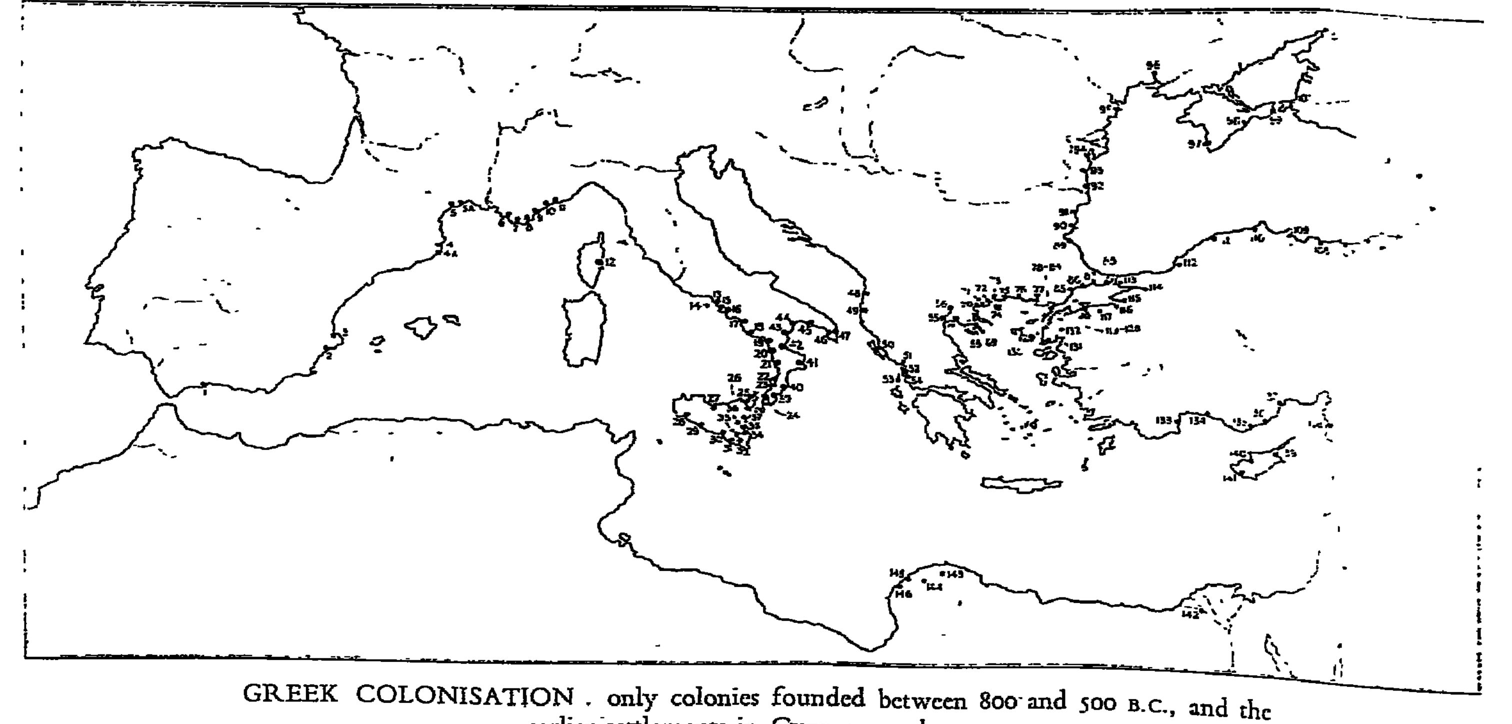
كان هذا الحلف يسمى حلف البلوبونيز والاسم القديم له هو حلف

اللاكيدايمونيين وحلفائهم . ففى وقت ما فإن المعاهدات الثنائية بين اسبرطة من جهة والمدن الأخرى الحليفة من جهة أخرى قد حل محلها معاهدة متعددة الأطراف وهذه المعاهدة ربطت كل الاعضاء فى المجلس الفيدرالى والذى كانت ترسل اليه المدن الأعضاء مندوبيها ومن هنا تغيرت الالتزامات الثنائية إلى الالتزامات المتعددة المتبادلة بين اعضاء الحلف ومن المرجح أن هذا التغيير قد حدث فى مؤتمر عقد فى فترة متأخرة من القرن السادس . وأن هذا الحلف قد استند على ما يأتى : أن الدول المشتركة فيه كان لها جانب من الحرية ، كما كان يحق لاسبرطة ممثلة فى الملكين مطالبة الحلفاء بتقديم بعض المطالب والوفاء بالالتزامات . وإن حدث تعديل فيما يخص وجوب حضور أو طلب الملكين معاً لهذه المطالب . ونستخلص هذا من رواية لهيرودوت على الرغم من أنها تثير الكثير من القضايا إذ يقول "بوقت كثير قبل أن يعبئ الملك كليومينيس قوات حلف البلوبونيز ضد أثينا ، لكن تمردت القوات الكورينثية فى اليوسيس وعادت إلى وطنها ، ثم بعد ذلك فإن الملك الاسبرطى دماراتوس انسحب من الحملة ، ونتيجة لهذه الاحداث انسحب الملك كليومينيس وسرح القوات ، وبسبب الخلاف بين الملكين فقد سن الاسبرطيون قانوناً نص على أن يخرج ملك واحد فى أية حملة عسكرية ، ويقرر أن مؤتمراً قد عد فى اسبرطة حيث أن الاسبرطيين قد عرضوا سياسة جديدة نحو اثينا والتى رفضها الحلفاء . ويذكر هيرودوت أيضاً أنه بعد عشر سنوات أى ٤٩١ ق.م ذهب الملك كليومينيس إلى أيجينا وحاول الحصول على رهائن ولكن القائد الأيجينى تحداه وزعم أن الأيجيين لم يرتبطوا ليطيعوا" كما رفض تسليمه الرهائن لأن الأمر قد صدر من قبل ملك واحد فقط ، وليس من الملكين ، ولهذا فقد عاد كليومينيس إلى اسبرطة ، وبعد مشاورات واستخدام الحيل فقد نجح فى أن يرافقه الملك الثانى إلى أيجينا وبالفعل حصل على الرهائن حينئذ من أيجينا . وهذه الواقعة ربما تشير

إلى وجود قاعدة فى الحلف وهى ينبغى طاعة الحلفاء للامر الصادر من قبل الملكين ، كما أن انسحاب الملك دماراتوس قد ترتب عليه أن الحلفاء لم يعودوا مرتبطين وملتزمين بالطاعة للملك كليومينيس ولذا فقد أجبر هذا الملك على تسريح القوات ، كما أن حادثة أيجينا تؤكد هذا الامر وأن الامر ينبغى أن يكون من الملكين وليس من ملك واحد . وأمام اصرار ايجينا فقد خرقت اسبرطة قانونها الذى اتخذته من قبل والذى لا يسمح إلا لملك واحد بقيادة الحملات العسكرية وخرج الملك الثانى بصحبة كليومينيس كى تحصل اسبرطة على الرهائن .

أقامت اسبرطة أيضاً علاقات وصلات خارج بلاد اليونان مثل مملكة ليديا ، ويقول هيرودوت أن الملك كروسيوس قد جهز حملة لحرب الملك قورش الفارسى سنة ٥٤٤ ق.م وقد ارسل مبعوثيه لعقد محالفة مع اسبرطة ، وأرسل كروسيوس إلى ذهباً لصنع تمثال للاله أبوللو ، ووافق الاسبرطيون على التحالف معه وأرسلوا من جانبهم هدية له عبارة عن اناء برنزى مزخرف ، وعندما بدأت الحرب بين الفرس والليديين ، طلب الليديون العون من حلفائهم الاسبرطيين ، وكانوا متورطين فى هذا الوقت مع أرجوس ، ويقال أن الاسبرطيين كانوا قد أعدوا اسطولاً من السف لارساله إلى ليديا وقبل أن يبحر هذا الاسطول وردت الاخبار عن سقوط سارديس وأسر كروسيوس .

كما أقامت اسبرطة علاقات مع مصر ، فقد أرسل الفرعون امازيس للاسبرطيين هدية من الكتان المطرز بالذهب .



GREEK COLONISATION . only colonies founded between 800 and 500 B.C., and the earlier settlements in Cyprus, are shown.

المحتويات



